فتح الرحمن الرحيم

فى

تفسير القرآن الكريم

تأليف

أ. د/ محمد محمد محمد سالم محيسن

تخصص فى القراءات وعلوم القرآن

عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف

دكتوراه فى الآداب العربية

المجلد الثالث

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار محيسن

للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار محيسن
للطباعة والنشر والتوزيع

٤٣ طريق النصر (الأوتوستراد)
وحدة رقم ١ عمارات امتداد رمسيس ٢
مدينة نصر - القاهرة - ت: ٢٦٢١٤١٢ (٢٠٢)
ص.ب. ٨١٧٧ - مدينة نصر - الرقم البريدى: ١١٣٧١
المطابع: مدينة العبور - المجمع الصناعى - وحدة ٣٠٥
E-mail: dar_meheisen@hotmail.Com

رقم الإيداع: ٢٠٠٢/١١٢٦٤
الترقيم الدولى: 3- 20 - 6076 - 977

منهجي في هذا التفسير

هذه أهمّ الأمور التى سأتبعها فى تفسيرى هذا ـ بإذن الله تعالى ـ:

١ ـ كتابة الآية القرآنية ثم ذكر رقمها وفقًا لترتيب القرآن.

٢ ـ إذا كان للآية سبب نزول سأذكره قبل تفسير الآية.

٣ ـ الأحكام المنسوخة سأذكرها قبل تفسير الآية، متبعـًا فى ذلك الروايات الصحيحة.

٤ ـ إذا كان فى الآية قراءات متواترة سأذكرها بعد تفسير الآية ثم أوجهها مع نسبة كل قراءة إلى قارئها.

٥ ـ عقيدتى فى آيات الأسماء والصفات عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، فلا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تأويل، ولا تعطيل.

٦ ـ الآيات المتشابهة سأفوض العلم فيها إلى الله ـ تعالى ـ، وأقول: الله أعلم بمراده.

٧ ـ سأجتهد فى البحث عن التفسير المأثور عن النبى ﷺ، أو الصحابة، أو التابعين مسندًا القول إلى قائله.

٨ ـ سأجتهد فى تفسير القرآن بالقرآن إذا اقتضت مصلحة التفسير ذلك لزيادة إيضاح المعنى.

٩ ـ القضايا النحوية، والصرفية، والبلاغيّة سأذكرها بعبارة سهلة وموجزة حسب مقتضيات الأحوال.

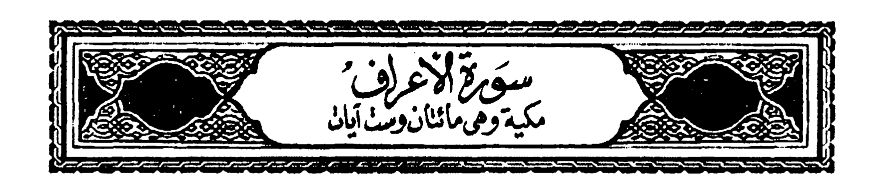
١٠ ـ المعانى الدلالية للكلمة القرآنية سأذكر أصحّها وأوضحها، معرضًا عن المعانى الضعيفة.

١١ ـ سأستشهد بالأحاديث التى تلقى الضوء على المعنى الذى يدلّ عليه النصّ القرآنى.

١٢ ـ لن أتعرض للإسرائيليّات إلا بقدر الضرورة التى يحتاجها فهم الآية القرآنية.

أسأل الله أن يهدينى إلى الحق والصواب إنه سميع الدعاء.

***



وهي من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ [رقم: ١٦٣] إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ [رقم: ١٧١]. أي: إلى أول الآية رقم ١٧١ (١).

وآياتها ٢٠٦ نزلت بعد [ص]، وذلك في العدد الكوفي.

* أخرج البيهقي في سننه عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضي الله عنها): أن النبي ﷺ قرأ سورة الأعراف في صلاة المغرب قرأها في ركعتين..اهـ (٢).

﴿المص ﴿١﴾ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿المص﴾ [رقم: ١]

* قال الشعبيّ عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): سائر حروف الهجاء من أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهي سرّ «القرآن» فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله ـ تعالى ـ، وفائدة ذكرها: طلب الإيمان بها.. اهـ (٣).

* وقال أبو بكر الصديق (ت ١٣هـ ـ رضي الله عنه): في كل كتاب سرّ، وسرّ الله في القرآن أوائل السور (٤).

* ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: هو القرآن الكريم.

* ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾:

* قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، أي: شكّ، والخطاب للرسول ﷺ والمراد به الأمة (٥).

* قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ)، أي: ضيق (٦).

(١) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٠٤).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٢٥).
(٣ ـ ٤) انظر: تفسير البغوي (١/ ٤٤).
(٥) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٤٨).
(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٢٦).

* ﴿ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾، أي: لتنذر به الكافرين والمنافقين، وتذكر به المؤمنين، لأنهم هم المنتفعون به دون غيرهم.

* ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ، أي: قل لهم يا «محمد» اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم، والمراد: الأحكام التى جاء بها القرآن.

* ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾، أي: لا تتخذوا غيره أولياء تطيعونهم فى معصية الله.

* ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾، أي: تتعظون، و«قليلاً» مفعول مقدم بـ«تذكرون»، و«ما» زائدة لتحسين اللفظ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ [رقم: ١].

قرأ أبو جعفر بالسكت على كل حرف من حروفها الأربعة سكتة لطيفة من غير تنفس مقدار حركتين، ويلزم من السكت على «اللام» إظهارها وعدم إدغامها فى الميم، وذلك لبيان أن هذه الحروف مفصولة وإن اتصلت رسمًا، وفى كل واحد منها سرّ لله ـ تعالى ـ وحذف واو العطف لشدّة الارتباط والعلم به.

وقرأ الباقون بعدم السكت(١).

* ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [رقم: ٣].

قرأ ابن عامر ﴿ يتذكرون ﴾ بياء قبل التاء عن الغيبة، مع تخفيف الذال.

وجه الغيبة: أنها على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

وقراءة ابن عامر موافقة لرسم المصحف الشامى، لأنها كتبت فى المصحف هكذا «يتذكرون».

وفى هذا يقول الخرّاز فى منظومته:

من سورة الأعراف حتى مريما ... تذكرون الشام ياء قدّ ما

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٣٥).

ووجه التخفيف أنه مضارع «تذكر يتذكر» فجاء على الأصل.

وقرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزار «تذكرون» بتخفيف الذال، لأن أصلها «تتذكرون» فحذفت التاء للتخفيف.

وقرأ الباقون «تذّكرون» بتشديد الذال، وذلك على إدغام التاء فى الذال، لأن أصلها «تتذكرون»(١).

﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ۝٤ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾: «كَمْ» خبرية بمعنى كثير وهى فى موضع رفع بالابتداء، وجملة «أهلكناها» الخبر، أى: كثير من القرى أهلكناها، والمراد أهلها.

ولعلّ الحكمة من ذكر القرى: أنها مواضع اجتماع الناس.

* ﴿ فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾، أى: عذابنا. * ﴿ بَيَاتًا ﴾، أى: ليلاً.

* ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾: من القيلولة، وهى استراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم.

وحينئذ يكون المعنى: فجاءهم عذابنا ليلاً وهم نائمون، أو نهاراً وهم قائلون.

ولعلّ الحكمة من تخصيص هذين الوقتين: أنهما وقت تجمّع السكان فى بيوتهم، وهم غير متوقعين.

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٥ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ ﴾، أى: دعاؤهم وتضرعهم. والدعوى تكون بمعنى الادعاء، وبمعنى الدعاء.

قال سيبويه (ت ١٨٠هـ): تقول العرب: اللهم أشركنا فى صالح دعوى المسلمين، أى: فى دعائهم.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١١٨)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧١)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٣٥).

* ﴿ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا ﴾، أى: عذابنا.
* ﴿ إِلاَّ أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾، أى: كانت النتيجة اعترافهم بظلمهم.

وفى هذا المعنى قال ابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه): ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم.. اهـ[١].

﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾، المراد: أن الله - سبحانه وتعالى - يسئل الأمم يوم القيامة عمّا بلغتهم الرسل، وعن مدى إجابتهم لرسلهم، وهذا سؤال توبيخ لا سؤال استعلام، لأن الله - تعالى - لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

وصدق الله إذ قال: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١٠٩) ﴾ [المائدة: ١٠٩].

* ﴿ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾: عن تبليغهم الدعوة التى أرسلهم الله بها، قال الله - تعالى - لنبيه وحبيبه سيدنا «محمد» ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧].

* ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾، أى: نخبرهم عن جميع أعمالهم عن علم، يوضح معنى ذلك قوله - تعالى -: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) ﴾ [الجاثية: ٢٩].

* ﴿ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾، أى: عن الرسل فيما بلّغوا، وعن الأمم فيما أجابوا به الرسل.

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾: مبتدأ وخبر، والمراد بالوزن: وزن أعمال العباد بالميزان.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٢٦).

* ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

* ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾:

* أخرج أبو الشيخ عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «يوضع الميزان فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنّة، ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار» اهـ[١].

* وأخرج البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» اهـ[٢].

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (١٠) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾، المراد من التمكين: التمليك والقدرة.

* ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾، أى: جعلناها لكم قرارًا ومهادا، وهيأنا لكم فيها أسباب المعيشة، أى: ما يتعيش به من المطعم والمشرب، وما تكون به الحياة.

* ﴿ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾، أى: شكركم قليل بالنسبة لنعم الله التى أنعم بها عليكم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

* ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

* أولا: قال قتادة بْن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): خلق الله «آدم» ـ عليه السلام ـ من طين، ثم صوركم فى بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق: علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، ثم كسى العظام لحمًا.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٣٠). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٣٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٣٤).

* ثانيًا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): خلقوا فى أصلاب الرجال، وصوِّروا فى أرحام النساء[١].

* ثالثًا: قال الكلبى محمد بن السّائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): خلق الإنسان فى الرحم، ثم صوره فشق سمعه، وبصره وأصابعه.. اهـ[٢].

* ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا﴾: «ثم» تكون للترتيب والتراخى، على قول من يصرف الخلق إلى آدم وحده.

أمّا على قول من يصرف الخلق إلى الذرّية فعنه أجوبة:

أحدها: أن «ثمّ» بمعنى «الواو» فلا تفيد ترتيبًا ولا تعقيبًا، أى: وقلنا للملائكة اسجدوا لآدم. وقيل: أراد: ثم أخبرناكم أنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم.

* ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾: اختلف العلماء فى هذا الاستثناء: هل هو متصل أو منقطع: فعلى القول بأن إبليس من الملائكة يكون الاستثناء متصلاً. وعلى القول بأنه ليس من الملائكة يكون منقطعًا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ [رقم: ١١].

قرأ أبو جعفر بخلف عن ابن وردان بضم التاء وصلاً تبعًا لضم ثالث الفعل، والوجه الثانى لابن وردان إشمام كسرتها الضمّ.

وقرأ الباقون بكسر التاء وصلاً على الأصل[٣].

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢)﴾

المعنى:

* أخرج أبو نعيم فى الحلية، والديلمى عن جعفر بن محمد عن جدّه: أن رسول الله ﷺ قال: «أوّل من قاس أمر الدِّين برأيه إبليس، قال الله له: اسجد لآدم، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾».

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٣٤).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٣٥).

قال جعفر: فمن قاس أمر الدين برأيه قرنه الله ـ تعالى ـ يوم القيامة بإبليس لأنه اتبعه بالقياس.. اهـ[١].

* وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن قتادة بن دعامة السدوسى (١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ قال: حسد عدوّ الله إبليس «آدم» على ما أعطاه الله من الكرامة، وقال: أنا نارى، وهذا طينى، فكان بدء الذنوب الكِبْر، استكبر عدو الله أن يسجد لآدم فأهلكه الله بكبره وحسده.. اهـ[٢].

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾: فاعل «قال» ضمير مستتر والمراد به الله ـ عزّ وجل ـ، واختلف العلماء فى تفسير الضمير فى «منها»:

١ - فقيل المراد: من الجنّة، ولعلّ هذا هو القول الراجح.

٢ - وقيل المراد: من السماء إلى الأرض[٣].

* ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾، أى: فى الجنة، ولا ينبغى أن يسكن الجنة ولا السماء متكبّر مخالف لأمر الله ـ عزّ وجلّ ـ.

* ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، أى: الأذلاء. والصغار: الذلّ والمهانة.

﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَالَ﴾، أى: إبليس ـ عليه لعنة الله ـ عند ذلك:

* ﴿أَنظِرْنِي﴾، أى: أخرنى وأمهلنى فلا تمتنى.

* ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: من قبورهم، أى: النفخة الثانية حيث يقوم الناس لربِّ العالمين.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٣٤).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٥١).

* ﴿قَالَ﴾ الله ـ تعالى ـ: * ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾، أى: المؤخرين.

* وفى سورة الحجر: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨)﴾ [الحجر: ٣٦-٣٨].

والمراد بالوقت المعلوم: النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾: الإغواء: إيقاع الغىّ فى القلب، أى: فبما أوقعت فى قلبى من الغىّ، والعناد، والاستكبار، وهذا لأن كفر إبليس ليس كفر جهل، بل هو كفر عناد واستكبار.

* ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، أى: بالصدّ عنه، وتزيين الباطل حتى يهلكوا. والصراط المستقيم: هو الطريق الموصِّل إلى الجنّة. و«صراط» منصوب بنزع الخافض، والتقدير: أى على صراطك المستقيم.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾، قال: أشككهم فى آخرتهم. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ قال: أشبِّه عليهم أمر دينهم. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ قال: أستنّ لهم المعاصى. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ قال: موحِّدين.. اهـ(١).

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩)﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٣٦).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا ﴾، أى: من الجنّة.

* ﴿ مَذْءُومًا ﴾، أى: مذمومًا، والذأم: العيب بتخفيف الميم. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ): مذءومًا ومذمومًا سواء، يقال: ذأمته وذممته بمعنًى واحد.. اهـ[١].

* ﴿ مَّدْحُورًا ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: أى: منفيًا[٢].

وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، أى: مطرودًا[٣].

* ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: اللام: لام قسم، وجواب القسم: لأملأن جهنم.. إلخ. ومعنى ﴿ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، أى: منك ومن ذرِّيتك، والمراد: إبليس وذرِّيته، ومن كفّار ذرِّية آدم أجمعين.

* ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾:

✳ **المعنى:** قال الله ـ تعالى ـ بعد إخراج إبليس من الجنة: اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، والخطاب «لآدم» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾: النهى عن الأكل من الشجرة موجّه لكل من «آدم وحوّاء».

* تقدم الحديث عن بيان المراد من الشجرة فى سورة البقرة أثناء تفسير الآية ٣٥.

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾:

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١١٤).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٣٦).

* أخرج ابن جرير عن محمد بن قيس قال: نهى الله «آدم وحواء» أن يأكلا من شجرة واحدة فى الجنة، فجاء الشيطان فدخل فى جوف الحيَّة، فكلّم «حوَّاء» ووسوس إلى «آدم» فقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين[١].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾:

* أخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن عساكر عن وهب بن منبّه قال: كان على كل واحد منهما نور لا يبصر كل واحد منهما عورة صاحبه، فلما أصابا الخطيئة نزع منهما[٢].

* أخرج عبد بن حميد، وابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: أتاهما إبليس وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين.... فلم يصدّقاه حتى دخل فى جوف الحيّة فكلمهما.. اهـ[٣].

* ﴿ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾: قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (١٢٧هـ): أى: لا تموتان أبدًا[٤].

* ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة السدوسى (١١٨هـ): حلف لهما بالله حتى خدعهما، وقد يُخْدع المؤمن بالله، قال لهما: إنّى خُلقْتُ قبلكما وأعلم منكما فاتبعانى[٥].

﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾، أى: خدعهما، يقال: ما زال إبليس يدلّ فلانًا بالغرور، أى: ما زال يخدعه، ويكلمه بزخرف باطل من القول.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٣٧). (٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٣٨).
(٤ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٣٩).

* ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾: قال قتادة: وكانا قبل ذلك لا يريانها.. اهـ[1].

* ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ، أى: ينزعان ورق التين فيجعلانه على سوءاتهما.. اهـ[2].

* ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾:

* قال السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (١٢٧هـ): قال «آدم» ـ عليه السلام ـ: ربِّ إنه حلف لى بك، ولم أكن أظنّ أنّ أحدًا من خلقك يحلف بك إلا صادقًا[3].

* ﴿ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾، أى: بيّن العداوة.

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَا ﴾، المراد: «آدم، وحوّاء» ـ عليهما السلام ـ.

* ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾: هذه هى الكلمات التى تلقاها «آدم»، وهى المشار إليها بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٣٧].

* ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾: فاعل «قال»: الله ـ عزّ وجل ـ، والأمر بالهبوط موجه لكلٍّ من: «آدم، وحوّاء»، وإبليس، والحيّه.

* ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾، أى: موضع قرار.

* ﴿ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾: وذلك بانتهاء آجالكم إلى يوم البعث والنشور.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٣٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤٠).

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾، أى: فى الأرض تعيشون، وفيها تموتون بعد انتهاء آجالكم.

* ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾، أى: من الأرض تُخْرَجون من قبوركم للبعث.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [رقم: ٢٥].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿تَخْرُجون﴾ بفتح التاء، وضم الراء، على البناء للفاعل، والواو فاعل.

وقرأ الباقون: ﴿تُخْرَجون﴾ بضم التاء، وفتح الراء، على البناء للمفعول، والواو نائب فاعل[١].

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)﴾

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾:

* أخرج ابن المنذر عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: نزلت فى الحُمُس من قريش، ومن كان يأخذ مأخذها من قبائل العرب الأنصار: الأوس، والخزرج، وخزاعة، وثقيف، وبنى عامر بن صعصعة، وبطون كنانة بن بكر، كانوا لا يأكلون اللحم، ولا يأتون البيوت إلا من أدبارها.......

وكانوا يطوفون عراة إلا قريشًا، فإذا قدموا طرحوا ثيابهم التى قدموا فيها وقالوا: هذه ثيابنا التى تطهرنا إلى ربنا فيها من الذنوب والخطايا، ثم قالوا لقريش: من يعيرنا مئزرًا؟ فإن لم يجدوا طافوا عراة، فإذا فرغوا من طوافهم أخذوا ثيابهم التى كانوا وضعوها.. اهـ[٢].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١١٩)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤١).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وريشًا ﴾، قال زيد بن علىّ: لباس الزينة[١].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): الإيمان والعمل الصالح خير من الريش واللباس.. اهـ[٢].

* أخرج أحمد، وابن أبى حاتم، وابن مردويه عن علىّ (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ إذا لبس ثوبًا جديدًا قال: «الحمد لله الذى كسانى من الرياش ما أوارى به عورتى وأتجمّل به فى الناس» اهـ[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [رقم: ٢٦].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف البزّار ﴿ ولباسُ ﴾ بالرفع، على أنها مبتدأ، والتقوى مضاف إليه، و«ذلك» مبتدأ ثان، و«خير» خبر، والجملة من المبتدأ الثانى وخبره خبر «ولباس» والرابط اسم الإشارة.

وقرأ الباقون ﴿ ولباسَ ﴾ بالنصب، عطفًا على «لباسًا»[٤].

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾.

المعنى: لا يضلنكم، ولا يصرفنكم الشيطان من الدين كما فتن أبويكم: آدم وحواء بالإخراج من الجنة. و«أبٌ» للمذكر، و«أبة» للمؤنث، فعلى هذا قيل: أبوان.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤١).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٢٠)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٦٠)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٣٦).

* ﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾:

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) المراد: لباس التقوى(١).

* ﴿ لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ﴾، أي: ليرى كل واحد منهما سوءة الآخر.

* ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ ﴾، أي: أن الشيطان يرى بنى آدم.

* ﴿ هُوَ وَقَبِيلُهُ ﴾: قال ابن زيد: المراد نسله(٢).

وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت: ١١٨هـ): قبيله: الجنّ والشياطين. اهـ(٣).

* ﴿ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾، قال قتاة بن دعامة: والله إنّ عدوّاً يراك من حيث لا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله(٤).

* ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾، أى:قرناء وأعوانًا.

* ﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾:

* قال الزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): سلطانهم عليهم يزيدون فى غيهم، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم: ٨٣].

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾ الآية:

* أخرج ابن أبى حاتم عن محمد بن كعب القرظىّ قال: كان المشركون الرجال يطوفون بالبيت نهاراً عراة، والنساء بالليل عراة، ويقولون: إنا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها، فلما جاء الإسلام بأخلاقه الكريمة نهوا عن ذلك. اهـ(٥).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤٢).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٥٥).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤٢).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤٣).

* وأخرج عبد بن حميد عن قتادة بن دعامة فى الآية قال: والله ما أكرم الله عبداً قط على معصيته، ولا رضيها له، ولا أمره بها، ولكن رضى لكم بطاعته، ونهاكم عن معصيته. اهـ[١].

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾:

* قال كل من مجاهد بن جبر (١٠٤هـ) والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ)، أى: بالعدل[٢].

* ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر: أى: إلى الكعبة حيث صليتم[٣].

* ﴿ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾:

* قال أبو العالية الرياحىّ (١٩٠هـ): يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: أخلصوا له الدين كما بدأكم فى زمان آدم حيث فطركم على الإسلام، فادعوه كذلك ولا تدعوا إلهًا غيره، وأمرهم أن يخلصوا له الدين والدعوة والعمل[٤].

* ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): إن الله بدأ خلق بنى آدم مؤمنًا وكافرًا، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢] ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنًا وكافرًا[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤٣). (٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٥٦).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤٣).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤٤).

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): كما بدأكم ولم تكونوا شيئًا فأحياكم، كذلك يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥) ﴾ [طه: ٥٥][1].

* ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ ﴾: «فريقًا» مفعول مقدم بـ «هدى»، والمعنى: هدى الله فريقًا.

* ﴿ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾، أى: وجبت عليهم الضلالة، لإرادته السابقة.

* ﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾، أى: نصراء.

* ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾: وحسب هنا بمعنى ظنّ، ولكن خاب ظنهم، لأنهم بنوا هذا الظن على غير دليل.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَحْسَبُونَ ﴾ [رقم: ٣٠].

قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر بفتح السين، والباقون بكسرها، وهما لهجتان[2].

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها عدد من الروايات، وقد اخترت الرواية التالية طلبًا للاختصار:

* أخرج عبد بن حُمَيْد عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: كان الناس يطوفون بالبيت عراة يقولون: لا نطوف فى أثياب أذنبنا فيها، فجاءت امرأة فألقت ثيابها وطافت، ووضعت يدها على فرجها وقالت:

اليوم يبدو بعضُه أو كلّه ... فما بدا منه فلا أحلّه

فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾. اهـ[3].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤٤).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٣٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤٥).

❀ معانى المفردات:

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة، والزينة اللباس، وهو ما يوارى السوءة وما سوى ذلك من جيّد البزّ والمتاع. اهـ[١].

* وأخرج ابن ماجه عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحسن ما زرتم الله به فى قبوركم ومساجدكم البياض» اهـ[٢].

* ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾:

* أخرج عبد بن حميد، والنسائى، وابن ماجه، وابن مردويه والبيهقى فى شعب الإيمان من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عن النبى ﷺ قال: «كلوا واشربوا وتصدّقوا والبسوا فى غير مخيلة ولا سرف، فإن الله ـ سبحانه ـ يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» اهـ[٣].

* وأخرج أحمد، والترمذىّ وحسّنه النسائى، وابن ماجه، وابن حبّان، وابن السنّى فى الطّبّ، والحاكم وصححه، وأبو نعيم فى الطبّ، والبيهقى فى شعب الإيمان، عن المقداد بن معدى كرب قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرّاً من بطن، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفَسه» اهـ[٤].

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* أخرج عبد بن حميد، وابن أبى حاتم، والطبرانى، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤٥).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤٧).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤٨).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٤٩).

يصفِّرون ويصفقون[١] فأنزل الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ فأمروا بالثياب أن يلبسوها. اهـ[٢].

* وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هي الودك واللحم، والسمْن. اهـ[٣].

* وقال قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ): هي ما حرّم أهل الجاهلية عليهم في أموالهم: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي. اهـ[٤].

* وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾:

* قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): المشركون يشاركون المؤمنين في زهرة الدنيا، وهي خالصة يوم القيامة للمؤمنين دون المشركين. اهـ[٥].

* ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [رقم: ٣٢].

قرأ نافع ﴿خالصةٌ﴾ برفع التاء، على أنها خبر «هي» و«للذين آمنوا» متعلق بـ «خالصة».

وقرأ الباقون ﴿خالصةً﴾ بالنصب على الحال من المضمر في «للذين» والعامل في الحال: الاستقرار، والثبات، الذي قام «للذين آمنوا» مقامه.

قال ابن مالك في ألفيّته:

وأخبروا بظرف أو بحرف جرّ ناوين معنى كائن أو استقرّ

والمعنى على هذه القراءة: قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة بينهم، وبين المشركين، والكافرين، والمنافقين. حالة كونها خالصةً للمؤمنين يوم القيامة، لا يشاركهم فيها غيرهم[٦].

---

(١) ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، المكاء: الصفير، والتصدية: الصفيق.

(٢ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٥٠).

(٦) انظر: المغني في القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ١٢٤)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٦١)، والمهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٣٧).

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾:

﴿ الْفَوَاحِشَ ﴾: الأعمال المفرطة فى القبح.

* ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): ما ظهر منها: كانوا يطوفون بالبيت عراة، وما بطن: الزنا. اهـ[١].

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): ما ظهر منها: الاغتسال بغير سترة. اهـ[٢].

* وأخرج ابن أبى شيبة، والبخارى، ومسلم، وأحمد، والترمذى، والنسائى، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أغير من الله، فلذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن» اهـ[٣].

* ﴿ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾:

* قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): الإثم: المعصية، والبغى: أن تبغى على الناس بغير حق[٤].

* وقال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): الإثم: الذنب الذى لا حدّ له. اهـ[٥].

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): البغى: الظلم والكِبْر.. اهـ[٦].

* ﴿ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾، أى: حجة وبرهانًا.

* ﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾: هذا عام فى تحريم القول فى الدين من غير حجة ولا دليل.

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٥١).

(٥ ـ ٦) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٥٩).

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) ﴾

* المعنى:

* أخرج ابن أبى حاتم، والطبرانى، وأبو الشيخ، وابن مردويه، وابن النجار فى تاريخه عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال: تذاكرنا زيادة العمر عند رسول الله ﷺ فقلنا: من وصل رحمه أنسئ فى أجله، فقال: «إنه ليس بزائد فى عمره قال الله: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ولكن الرجل يكون له الذرّية الصالحة فيدعون الله له من بعده فيبلغه ذلك، فذلك الذى ينسأ فى أبده»، وفى لفظ: «فيلحقه دعاؤهم فى قبره، فذلك زيادة العمر»[١].

* وأخرج الحكيم الترمذى عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «من ولى من أمر أمّتى شيئًا فحسنت سريرته رُزق الهيبة من قلوبهم. وإذا بسط يده لهم بالمعروف رُزق المحبّة منهم. وإذا وفّر عليهم أموالهم وفّر الله عليه ماله. وإذا أنصف الضعيف من القوىّ قوّى الله سلطانه. وإذا عدل مُدَّ فى عمره» اهـ[٢].

* وأخرج أحمد عن ثوبان عن النبى ﷺ قال: «من سرّه النّسأ فى الأجل والزيادة فى الرزق فليصل رحمه» اهـ[٣].

* وأخرج ابن أبى شيبة عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: من اتقى ربّه، ووصل رحمه، نسىء له فى عمره، وربا ماله، وأحبّه أهله.. اهـ[٤].

﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾: أخبر الله أنه يرسل الرسل إلى بنى آدم منهم لتكون إجابتهم أقرب، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤].

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٥١). (٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٥٢).

* ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾:

* قال ابن عباس (٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أى: فرائضى وأحكامى[1].

وأصل القصص: إتباع الحديث بعضه بعضًا.

* ﴿ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ ﴾، أى: اتقى الشرك وأصلح عمله. وقيل: أخلص ما بينه وبين ربه.

* ﴿ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾: دلّ هذا على أن المؤمنين يوم القيامة لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس.

* ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾، أى: كفروا بآياتنا، وتكبروا عن الإيمان بها.

ولعلّ الحكمة من ذكر الاستكبار: لأن كل مكذب وكافر متكبّر، ومن الأدلّة على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَٰهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الصافات: ٣٤ ـ ٣٥].

* ﴿ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾: هذا خَبَرٌ عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ إلخ، أى: جزاء المكذبين والمستكبرين الخلود فى النار.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾:

✳ **المعنى:** أىّ ظلم أشنع من الافتراء على الله ـ تعالى ـ والتكذيب بآياته؟ الجواب: لا يوجد.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٥٨).

* ﴿ أُوْلَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: ما قدّر لهم من خير وشرّ.

وفى رواية عنه: ما كتب عليهم من الشقاء والسعادة(١).

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾، أى: يقبضون أرواحهم عند انقضاء آجالهم. والمراد بالرسل: ملك الموت وأعوانه.

* ﴿ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾، أى: يقول ملك الموت وأعوانه للكفار: أين ما كنتم تعبدون من دون الله، وهذا سؤال تبكيت وتقريع.

* ﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ﴾، أى: ذهبوا عنّا.

* ﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾، أى: أقروا على أنفسهم بالكفر، عند معاينة الموت.

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله لهم يوم القيامة ادخلوا فى أمم، أى: جماعات قد مضت من قبلكم، أى: كفار الأمم التى قد مضت من قبلكم من الجنّ والإنس فى النار.

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾:

* قال السدى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): كلما دخل أهل ملّة لعنوا أصحابهم على ذلك الدّين: يلعن المشركون المشركين، واليهود اليهود، والنصارى النصارى، والمجوس المجوس، تلعن الآخرة الأولى.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٥٣).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ ﴾:

* قال السّدّى: قال الذين كانوا فى آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين:

* ﴿ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ فيردّ الله عليهم بقوله: ﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾، أى: للأولى والآخرة. * ﴿ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾ اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾ [رقم: ٣٨].

قرأ شعبة ﴿ لا يعلمون ﴾ [رقم: ٣٨] بياء الغيبة، لمناسبة لفظ «كل» فلفظه لفظ غائب.

وقرأ الباقون ﴿ لا تعلمون ﴾ بتاء الخطاب، حملاً على معنى ما قبله من الخطاب، لأن قبله: ﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾.

المعنى: هذا إخبار من الله ـ تعالى ـ عن محاورة أهل الملل الكافرة فى النار يوم القيامة المشار إليهم بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ إلخ فيجيبهم الله بقوله: ﴿ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

﴿ وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩) ﴾

المعنى: ﴿ وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾: وذلك لأنكم كفرتم كما كفرنا فنحن وأنتم فى الكفر سواء، وفى العذاب سواء.

* ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٥٤).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٢٦)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٣).

* أخرج أحمد، والنسائى، وابن ماجه، وابن جرير، وابن حبّان والحاكم وصحّحه، والبيهقى فى البعث عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه): أن رسول الله ﷺ قال: «الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحًا قال: اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب، اخرجى حميدة وأبشرى بروْح وريحان، وربٍّ راض غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء السابعة. فإذا كان الرجل السوء قال: اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث، اخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغسّاق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان... فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث، ارجعى ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر»(١).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾، قال: لا يصعد إلى الله من عملهم شيء.

وفى رواية عنه قال: إن السماء لا تفتح لأرواحهم، وهى تفتح لأرواح المؤمنين. اهـ(٢).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: حتى يلج الجمل ذو القوائم، فى خرق الإبرة. اهـ(٣).

* وأقول: المراد: أنهم لا يدخلون الجنة أبدًا لأن الشيء إذا عُلّق بما يستحيل كونه دلّ ذلك على تأكيد المنع. كما يقال: لا أفعل ذلك حتى يشيب الغراب، يريد: لا أفعله أبدًا، لأن الغراب لن يشيب، ولهذا قيل:

من طلب العلوم بغير كدٍّ   سيدركها متى شاب الغراب

* ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾، المراد: الجزاء من جنس العمل.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٥٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٥٥).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ [رقم: ٤٠].

قرأ أبو عمرو ﴿ لا تُفْتَح ﴾ بتاء التأنيث، وسكون الفاء وفتح التاء مخففة، مضارع «فتح» الثلاثى المبنى للمجهول، و«أبواب» نائب الفاعل، وأنث الفعل لتأنيث نائب الفاعل.

وقرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار ﴿ لا يُفْتَح ﴾ بياء التذكير، مضارع مبنى للمجهول، و«أبواب» نائب فاعل، وذكّر الفعل لأن تأنيث «أبواب» غير حقيقى.

وقرأ الباقون ﴿ لا تفتّح ﴾ بفتح الفاء، وتشديد التاء، مضارع «فتّح» مضعف العين، لإفادة التكرير، والتكثير مرّة بعد مرّة(١).

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١) ﴾

* **المعنى:** يوضّح معنى هذه الآية الحديثان التاليان:

* الأول: أخرج أبو الحسن القطّان فى المطولات، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن البراء بن عازب (ت ٦٢هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «يكسى الكافر لوحين من نار فى قبره، فذلك قوله: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾» اهـ(٢).

* والثانى: أخرج ابن مردويه عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ - رضى الله عنها) أن النبى ﷺ تلا هذه الآية فقال: «هى طبقات من فوقه وطبقات من تحته لا يدرى ما فوقه أكثر أو ما تحته، غير أنه ترفعه الطبقات السفلى، وتضعه الطبقات العليا، ويضيق فيما بينهما حتى يكون بمنزلة الزّج فى القدح» اهـ(٣).

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، أى: طاقتها، وما لا تحرّج فيه، ولا تضيّق عليه.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٢٧). (٢ - ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٥٨).

* ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

* ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ ﴾:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (١٢٧هـ) قال: إن أهل الجنّة إذا سيقوا إلى الجنّة فبلغوا، وجدوا عند بابها شجرة فى أصل ساقها عينان، فيشربون من إحداهما فينزع ما فى صدورهم من غلّ، فهو الشراب الطهور، واغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن يشعثوا ولن يشحبوا بعدها أبدًا. اهـ[١].

* فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾:

* أخرج النسائى، وابن أبى الدنيا، وابن جرير فى ذكر الموت، وابن مردويه عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «كلّ أهل النار يرى منزله من الجنة، يقول: لو هدانا الله، فيكون حسرة عليهم، وكل أهل الجنة يرى منزله من النار، فيقول: لولا أن هدانا الله، فهذا شكرهم». اهـ[٢].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾:

* أخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والدّارمى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه عن أبى هريرة، وأبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ قال: «نودوا: أن صحوا فلا تسقموا، وانعموا فلا تبأسوا، وشبّوا فلا تهرموا، واخلدوا فلا تموتوا» اهـ[٣].

* وأخرج هنّاد، وابن جرير، وعبد بن حميد عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: إذا دخل أهل الجنّة الجنّة نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا. اهـ[٤].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٥٨).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٥٩).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [رقم: ٤٣].

قرأ ابن عامر ﴿ ما كنا ﴾ بحذف الواو، على أن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ موضّح ومبيِّن لقوله ـ تعالى ـ قبل: ﴿ وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ﴾، وقراءة ابن عامر موافقة لرسم مصحف أهل الشام قال الخرّاز فى منظومته:

واو وما كنّا لـه أبينـا بعكس قال بعد مفسدينا

وقرأ الباقون من القراء ﴿ وما كنا ﴾ بإثبات الواو، على الاستئناف، أو الحال.

* **والمعنى:** قال هؤلاء المؤمنون حين أدخلهم الله الجنة، ورأوا الذى ابتلى به أهل النار بسبب كفرهم بربّهم، وتكذيبهم رسله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ والحال أننا كنا لن نهتدى لولا هداية الله لنا.

وهذه القراءة موافقة لرسم بقيّة المصاحف العثمانية(١).

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾

معانى المفردات:

* أخرج ابن أبى شيبة، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): أن النبى ﷺ وقف على قليب بَدْر من المشركين فقال: «قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقّا؟» فقال له الناس: أليسوا أمواتًا؟ فقال: «إنهم يسمعون ما تسمعون» اهـ(٢).

* وأخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ﴾ قال: من النعيم والكرامة.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٢٨)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٦٢)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٣٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٦٠).

* ﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ قال: من الخزى والهوان والعذاب[١].

* وأخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: وجد أهل الجنة ما وعدوا من الثواب، ووجد أهل النار ما وعدوا من العذاب. اهـ[٢].

* ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ ﴾، أى: نادى مناد أسمع الفريقين:

* ﴿ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾، أى: الكافرين.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالُوا نَعَمْ ﴾ [الأعراف: ٤٤].

* ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) ﴾ [الأعراف: ١١٤].

* ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) ﴾ [الشعراء: ٤٢].

* ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) ﴾ [الصافات: ١٨].

قرأ الكسائى ﴿ نَعِم ﴾ فى المواضع الأربع بكسر العين، والكسر لهجة كنانة، وهذيل.

وقرأ الباقون بفتح العين، على الأصل، وهو لهجة باقى العرب[٣].

* ﴿ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [رقم: ٤٤].

قرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم، ويعقوب، وقنبل فى أحَد وجهيه «أنْ» بإسكان النون مخففة، ورفع «لعنة» على أنّ «أنْ» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، و«لعنةٌ» مبتدأ، ولفظ الجلالة مضاف إليه، و«على الظالمين» متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة من المبتدأ وخبره خبر «أنْ» المخففة.

وقرأ الباقون «أنّ» بتشديد النون، ونصب «لعنة» وهو الوجه الثانى لقنبل، ووجه هذه القراءة أنّ «لعنة» اسم «أنّ» المشددة، ولفظ الجلالة مضاف إليه و«على الظالمين» متعلق بمحذوف فى محل رفع خبر «أنّ» المشدّدة[٤].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٦٠). (٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٢٩).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٣٢).

﴿ الَّذين يصُدُّون عن سبيل اللّه ويبْغُونها عوجًا وهُم بالآخرة كافرون (٤٥) وبينهما حجابٌ وعلى الأعراف رجالٌ يعرفون كُلاً بسيماهم ونادوا أصحاب الجنّة أن سلامٌ عليكُم لم يدخُلُوها وهم يطمعون (٤٦) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ الَّذين يصُدُّونَ عن سبيلِ اللَّه ﴾، أي: يصرفون الناس عن طاعة الله ـ تعالى ـ، و«يصدون» مضارع «صدّ يصدّ» بمعنى: منع وصرف.

* ﴿ ويبْغُونهَا عوجًا ﴾، أي: يطلبون اعوجاجها ويذمونها ولا يؤمنون بها.
والعوِج: بكسر العين يكون فى الدين، والأمر، وفى كل ما لم يكن قائمًا.
أمّا العَوج بفتح العين فإنه يكون فى كل ما كان قائمًا كالحائط، والرمح، ونحوهما.

* ﴿ وهُم بالآخرة كافرُونَ ﴾.

* ﴿ وبينهُمَا حجابٌ ﴾، أي: بين أهل الجنة وأهل النار حجاب، وهو السور.
وقد قال بهذا السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ)[١].

* ﴿ وعَلَى الأعْرَاف رجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بسيمَاهُمْ ﴾: الأعراف هو السور الذى بين الجنة والنار، وهو المشار إليه بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فضُرب بيْنَهُم بسُورٍ لَّهُ بَابٌ ﴾ [الحديد: ١٣].

وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): الأعراف حجاب بين الجنة والنار: سور له باب[٢].

* وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، وابن عساكر، عن جابر بن عبد الله (٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «يوضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة دخل الجنة. ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار». قيل: يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: «أولئك أصحاب الأعراف ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾». اهـ[٣].
أي: فى دخولها.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٦٠). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٦٢).

﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) ﴾

* المعنى:

* أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ فرأوا وجوههم مسودّة، وأعينهم مزرقة.

* ﴿ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(١).

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾:

* **المعنى:** نادى أصحاب الأعراف رجالا كانوا عظماء فى الدنيا من أهل النار يعرفونهم بعلاماتهم.

* ﴿ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾، أى: فى الدنيا من المال والولد.

* ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾، أى: تكبركم عن الإيمان.

قال الله ـ تعالى ـ لأهل التكبر:

* ﴿ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾، المراد: أصحاب الأعراف.

* ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن الربيع بن أنس قال: كان رجال فى النار قد أقسموا بالله لا ينال أصحاب الأعراف من الله رحمة، فأكذبهم الله فكانوا آخر أهل الجنة دخولا، فيما سمعناه من أصحاب النبىّ ﷺ(٢).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٦٥). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٦٦).

* وأخرج البيهقى فى البعث عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الناس يوم القيامة فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة، ويؤمر بأهل النار إلى النار، ثم يقال لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ قالوا: ننتظر أمرك، فيقال لهم: إنّ حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها، وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم، فادخلوا الجنة بمغفرتى ورحمتى» اهـ[1].

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) ﴾

✳ المعنى:

* أخرج ابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ الآية قال: ينادى الرجل أخاه فيقول: يا أخى أغثنى فإنى قد احترقت فأفض علىّ من الماء، فيقال: أجبه، فيقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾. اهـ[2].

وأخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ قال: يستسقونهم، ويستطعمونهم. وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ قال: طعام الجنة وشرابها. اهـ[3].

﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾: وهو: ما زيّن لهم الشيطان من تحريم البحيرة وأخواتها، والمكاء والتصدية حول بيت الله الحرام، وغير ذلك من الخصال الذميمة التى كانوا يفعلونها فى الجاهلية.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٦٢).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٦٦).

* ﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) يقول الله ـ تعالى ـ: «فاليوم نتركهم فى النار كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا». اهـ[(١)].

* ﴿ وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾، أى: يكفرون.

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ ﴾: هو القرآن الكريم.

* ﴿ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾، أى: بيّنا ما فيه من الأحكام على علم منّا.

* ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾: صفتان لـ «كتاب» أى: جعلنا القرآن موصوفًا بالهداية والرحمة. * ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾، أى للمؤمنين.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾: الضمير فى «تأويله» يعود على «القرآن» المتقدم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ ﴾، وحينئذ يكون المعنى: هل ينتظرون إلا ما وعدُوا به فى القرآن من العقاب، ومصيرهم إلى النار وبئس القرار.

* ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾: وهو ما يؤول إليه أمرهم.

* ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾: اعترفوا بما أخبرهم به القرآن حين لا ينفعهم الاعتراف.

* ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾: استفهام فيه معنى التمنّى.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٦٧).

* ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا. * ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾: وذلك بالإيمان، والتصديق بما جاء به القرآن.

* ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾، أي: أهلكوها بالعذاب بسبب كفرهم.

* ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، أي: بطل ما كانوا يقولون كذبًا من أنّ مع الله آلهة أخرى، وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)﴾

معاني المفردات:

* ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾:

المعنى: بيّن الله ـ عزّ وجلّ ـ أنه المنفرد بقدرة الإيجاد من العدم، إذًا فهو الذى يجب أن يفرد بالعبادة. واليوم من طلوع الشمس إلى غروبها، إلا أن المراد هنا: مقدار ستة أيام من أيام الدنيا، لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر.

* قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): كان الله ـ عزّ وجلّ ـ قادرًا على خلق السموات والأرض فى لمحة أو لحظة، فخلقهن فى مقدار ستة أيام تعليمًا لخلقه التثبت والتأنى فى الأمور. اهـ[1].

* ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾:

* أخرج ابن مردويه عن «أمّ سلمة» أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قالت: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر. اهـ[2].

* وأخرج اللالكائى عن ابن عيينة قال: سُئل ربيعة عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق[3].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٦٤). (٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٧٠).

وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات من طريق عبد الله بن صالح بن مسلم قال: سُئِلَ ربيعة... فذكره(١).

* وأخرج اللالكائى عن جعفر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) فقال له: يا أبا عبد الله ﴿ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ كيف استوى؟ قال: فما رأيت مالكًا وجد من شىء كموجدته من مقالته وعلاه الرُّحضاء: يعنى العرق، وأطرق القوم، قال: فسرّى عن مالك فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإنى أخاف أن تكون ضالا وأمر به فأخرج. اهـ(٢).

* وأخرج البيهقى عن أحمد بن أبى الحوارى قال: سمعت سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ) يقول: كل ما وصف الله من نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه. اهـ. وفى رواية عنه: فتفسيره قراءته ليس لأحد أن يفسّره إلا الله، ورسله ـ صلوات الله عليهم ـ. اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾ [الأعراف: ٥٤].

* ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ [الرعد: ٣].

قرأ شعبة، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار ﴿ يغَشِّى ﴾ فى السورتين بفتح الغين، وتشديد الشين، مضارع «غشّى» مضعف العين.

وقرأ الباقون ﴿ يغْشِي ﴾ بإسكان الغين، وتخفيف الشين، مضارع «أغشى» المزيد بالهمزة(٤).

* ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ ﴾ [رقم: ٥٤].

قرأ ابن عامر برفع الأسماء الأربعة، على أنّ «والشمسُ» مبتدأ، «والقمرُ والنجومُ» معطوفان عليه، و«مسخّراتٌ» خبر المبتدأ.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٧٠).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٣٥)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٥)، والمهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٤٠).

وقرأ الباقون بنصب الأسماء الأربعة، على أنّ «والشمسَ والقمرَ والنجومَ» معطوفة على «السموات» الواقعة مفعولا إلى «خلق» و«مسخرات» حال من هذه المفاعيل منصوبة بالكسرة(١).

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾: هذا أمر بالدعاء، ثم قرن الله ـ عزّ وجلّ ـ بالأمر: صفاتٍ تحسن مع الدعاء، وهي: الخشوع والاستكانة والتضرع.

ومعنى «خفية» أي: سرّا في النفس ليبعد عن الرياء. وقد أثنى الله ـ عزّ وجل ـ على نبيه «زكريا» ـ عليه السلام ـ لأنه كان يدعو ربّه خفية، فقال ـ عزّ من قائل ـ: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) ﴾ [مريم: ٢ ـ ٣].

* وعن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) قال: لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم وذلك أن الله يقول: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ وذلك أن الله ذكر عبدًا صالحًا فرضي له قوله فقال: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) ﴾ [مريم: ٣](٢).

* ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾، أي: في الدعاء.

والمعتدي: هو المجاوز للحدّ، ومرتكب الحظر.

* عن سعد بن أبي وقّاص (ت ٥١هـ ـ رضي الله عنه) أنه سمع ابنًا له يدعو ويقول: اللهمّ إني أسألك الجنة، ونعيمها، وإستبرقها، ونحو هذا. وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها.

فقال: لقد سألت الله خيرًا، وتعوّذت به من شرّ كثير، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون قوم يعتدون في الدعاء» وقرأ هذه الآية: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ١٣٦)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٥)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٦٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٧٢).

إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾، وإنّ بحسبك أن تقول: اللهم إنى أسألك الجنة وما قرّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول أو عمل. اهـ(١).

* وأخرج الحاكم، والترمذى عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء ينفع مما نزل، وممّا لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء».. اهـ(٢).

* وأخرج الترمذىّ، وابن أبى حاتم، والحاكم عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه». اهـ(٣).

* وأخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، والبخارى فى الأدب المفرد، والحاكم عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ: أن النبىّ ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال:

إمّا أن يعجّل له دعوته.

وإمّا أن يدّخرها له فى الآخرة.

وإمّا أن يصرف عنه من السوء مثلها».

قالوا: إذًا نكثر، قال: «الله أكثر» اهـ(٤).

● تنبيه: هذه قضية مهمة جليلة متّصلة بالدعاء:

* قال القرطبى (ت ٦٧١ هـ) فى تفسيره: اختلف العلماء فى رفع اليدين فى الدعاء: فكره طائفة منهم: جُبَيْر بن مُطعم، وسعيد بن المسيّب (ت ٩٤هـ) وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) ومجاهد بن جبر (١٠٤هـ) وطاوس بن كيسان (ت ١٠٦هـ). وروى جواز الرفع جماعة من الصحابة، والتابعين.

* ومن أدلتهم على ذلك ما يلى:

* أولا: قال أبو موسى الأشعرىّ ـ رضى الله عنه ـ: دعا النبى ﷺ ثم رفع يديه، ورأيتُ بياض إبطيه، ومثله عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٧١).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٣٥٤).

* ثانيًا: قال ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): رفع النبى ﷺ يديه وقال: «اللهم إنِّى أبرأ إليك مما صنع خالد».

* ثالثًا: فى صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: لمّا كان يوم بَدْر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين، وهم ألْف، وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً، فاستقبل نبىّ الله ﷺ القبلة مادّا يديه، فجعل يهتف بربه وروى الحديث. اهـ.

* رابعًا: روى الترمذىّ محمد بن عيسى السلمى (ت ٢٧٩هـ) عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع يديه لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه، قال: هذا حديث صحيح غريب. اهـ[١].

• **تعقيب وترجيح:**

بعد أن ذكرت لك أخى المسلم أقوال العلماء فى حكم رفع اليدين فى الدعاء حسبما ذكر القرطبى فى تفسيره أقول وبالله التوفيق:

إننى أحبّ وأميل إلى القول الذى يجيز رفع اليدين أثناء الدعاء للأدلّة التى ذكرها القرطبى فى تفسيره وأَزِيدُ عليها الأدلّة التالية:

* أولا: أخرج الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله حيىّ كريم يستحى أن يرفع العبد يديه فيردّهما صفرًا لا خير فيهما، فإذا رفع أحدكم يديه فليقل: يا حىّ يا قيّوم لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين ثلاث مرات، ثم إذا ردّ يديه فليفرغ الخير على وجهه» اهـ[٢].

* ثانيًا: أخرج الطبرانىّ فى الدعاء عن الوليد بن عبد الله بن أبى مغيث قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا أحدكم فرفع يديه فإن الله جاعل فى يديه بركة ورحمة، فلا يردّهما حتى يمسح بهما وجهه». اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٤٣ ـ ١٤٤).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٣٥٣).

* ثالثًا: أخرج الطبرانيّ في الأوسط عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ عزّ وجلّ ـ حييّ كريم يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردّهما صفرًا ليس فيهما شيء». اهـ(١).

* رابعًا: أخرج عبد الرزّاق، والحاكم عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ ربكم حييّ كريم يستحي إذا رفع العبد يديه إليه أن يردّهما حتى يجعل فيهما خيرًا» اهـ(٢). «تمّ ولله الحمد».

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [رقم: ٥٥].

قرأ شعبة ﴿ وخِفْية ﴾ بكسر الفاء. وقرأ الباقون بضمها، وهما لهجتان(٣).

﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾

معاني المفردات:

* أخرج أبو الشيخ عن أبي بكر بن عياش أنه سُئل عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴾ قال: إن الله بعث نبيه «محمدًا» ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم الله بنبيه «محمد» ﷺ فمن دعا إلى خلاف ما جاء به نبينا «محمد» ﷺ فهو من المفسدين في الأرض. اهـ(٤).

* وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ قال: خوفًا منه، وطمعًا لما عنده. اهـ.

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال: المراد: من المؤمنين، ومن لم يؤمن بالله فهو من المفسدين(٥).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (١/ ٣٥٣).

(٣) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٤١).

(٤ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٧٢).

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾:

المعنى: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو وحده الذى يرسل الريح الطيبة اللينة لتبشر بالمطر.

* وأخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧ هـ) فى الآية قال: إن الله يرسل الريح فتأتى بالسحاب من بين الخافقين ـ طرف السماء والأرض من حيث يلتقيان ـ فيخرجه من ثَمَّ، ثم ينشره فيبسطه فى السماء كيف يشاء، ثم يفتح أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ قال السّدّى: هو المطر.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ ﴾ قال: وكذلك تخرجون، أى: كذلك النشور كما يخرج الزرع بالماء. اهـ[1].

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾، قال البغوى (ت ٥١٦هـ) فى تفسيره: قال أبو هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه)، وابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قالا: إذا مات الناس كلهم فى النفخة الأولى أرسل الله عليهم مطرًا كمنىّ الرجال من ماء تحت العرش يُدْعَى ماء الحيوان، فينبتون فى قبورهم نبات الزرع، حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح، ثم يُلْقَى عليهم النوم فينامون فى قبورهم، ثم يحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم فى رؤوسهم وأعينهم، فعند ذلك يقولون: ﴿ يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [يس: ٥٢]. اهـ. والله أعلم[2].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [رقم: ٥٧].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٧٣).

قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ الريح ﴾ بحذف الألف، على الإفراد.

وقرأ الباقون﴿ الرياح ﴾ بإثبات الألف، على الجمع[١].

* ﴿ بُشْرًا ﴾ [رقم: ٥٧].

قرأ عاصم ﴿ بشرا ﴾ بالباء الموحدة المضمومة جمع «بشير» إذ الرياح تبشر بالمطر وأصل الشين الضم، لكن أسكنت للتخفيف.

وقرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار ﴿ نَشْرًا ﴾ بالنون المفتوحة، وإسكان الشين، مصدر «نَشَر».

وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿ نُشُرًا ﴾ بضم النون والشين، جمع «نُشُور» ونشور بمعنى «ناشر» ومعناه: محيى، مثل: طهور بمعنى طاهر، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الرياح ناشرة للأرض، أى: محيية لها، إذْ تأتى بالمطر الذى يكون سببًا فى إنبات الأرض.

وقرأ ابن عامر ﴿ نُشْرا ﴾ بضم النون، وإسكان الشين، وتوجيه هذه القراءة كتوجيه قراءة ضمّ النون والشين، إلا أن ضم الشين هو الأصل، والإسكان للتخفيف[٢].

* ﴿ سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ ﴾ [رقم: ٥٧].

قرأ نافع، وحفص، وحمزة، والكسائى، وأبو جعفر، وخلف البزّار ﴿ ميِّت ﴾ بتشديد الياء.

وقرأ الباقون بإسكانها، وهما لهجتان[٣].

* ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [رقم: ٥٧].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار ﴿ تذكّرون ﴾ بتخفيف الذال، على حذف إحدى التاءين إذ الأصل «تتذكرون» وقرأ الباقون بتشديد الذال، على إدغام التاء فى الذال[٤].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٤١).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٣٦).

(٣ ـ ٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٤٢).

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (٥٨) ﴾

* **المعنى:** يوضح معنى هذه الآية الحديث التالى، والخبر التالى:

* أولا: أخرج أحمد، والبخارى، ومسلم، والنسائى، عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضًا فكانت منها بقيّة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا، وسقوا، وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه فى دين الله، ونفعه بما بعثنى الله به فعَلِم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلتُ به.. اهـ[(١)].

* ثانيًا: أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ ﴾ قال: هذا مثل المؤمن سمع كتاب الله فوعاه وأخذ به، وعمل به، وانتفع به، كمثل هذه الأرض أصابها الغيث فأنبتت وأرعت. وفى قوله - تعالى -: ﴿ وَالَّذِي خَبُثَ ﴾ قال: هذا مثل الكافر لم يعقل القرآن، ولم يعمل به، ولم يأخذ به، ولم ينتفع به، فهو كمثل الأرض الخبيثة أصابها الغيث فلم تنبت شيئًا[(٢)].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا ﴾ [رقم: ٥٨].

قرأ أبو جعفر ﴿ نكدا ﴾ بفتح الكاف، على أنه مصدر بمعنى: ذا نكد.

وقرأ الباقون بكسر الكاف، على الحال. والنكد: كل شيء خرج إلى طلبه بتعسّر[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٧٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٧٣).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٣٨)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٦)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٤٢).

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾: اللام فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدْ ﴾ للتأكيد الدالّ على القَسَم.

* وأخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن عساكر عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه): أن النبى ﷺ قال: «أوّل نبىّ أرسل نوح»[(١)].

* وقال القرطبى فى تفسيره: أوّل الرسل إلى الأرض بعد «آدم» ـ عليه السلام ـ «نوح» ـ عليه السلام ـ، وقد جاء بتحريم البنات، والأخوات، والعمّات، والخالات. اهـ[(٢)].

وهو: «نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس» ـ عليه السلام ـ.

* أخرج ابن المنذر عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: إنما سمّى نوحًا لأنه كان ينوح على نفسه[(٣)].

* وأخرج ابن أبى حاتم، والحاكم وصححه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان بين «آدم ونوح» ـ عليهما السلام ـ عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق[(٤)].

* وأخرج ابن عساكر عن وهب بن منبّه قال: كان بين «نوح وآدم» ـ عليهما السلام ـ عشرة آباء، وكان بين «إبراهيم ونوح» ـ عليهما السلام ـ عشرة آباء[(٥)].

* ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾: إن لم تؤمنوا. * ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾: [الأعراف: ٥٩ ـ ٦٥ ـ ٧٣ ـ ٨٥، هود: ٥٠ ـ ٦١ ـ ٨٤، المؤمنون: ٢٣ ـ ٣٢].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٧٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٤٨).

(٣ ـ ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٧٤).

قرأ الكسائى، وأبو جعفر ﴿ غيره ﴾ فى المواضع المتقدمة بخفض الراء، وكسر الهاء، على النعت، أو البدل من «إله» لفظًا.

وقرأ الباقون ﴿ غيره ﴾ برفع الراء، وضم الهاء، على النعت، أو البدل من «إله» محلا لأن «منْ» زائدة و«إله» مبتدأ[1].

﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٦٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ ﴾، أى: الأشراف من قومه، والضمير عائد على «نوح» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾، أى: خطأ وزوال عن الحق.

* ﴿ قَالَ ﴾: أى: «نوح» ـ عليه السلام ـ ردًا عليهم:

* ﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ ﴾ كما تدّعون. * ﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وأنا مكلّف من قبل الله ـ تعالى ـ بأنْ. * ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾: يقال: نصحته، ونصحت له، والنصح: أن يريد الناصح لغيره من الخير ما يريد لنفسه.

* ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾: أن عذابه لا يردّ عن القوم المجرمين الكافرين، المكذّبين الرسل.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي ﴾ [الأعراف: ٦٢ ـ ٦٨].

* ﴿ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾ [الأحقاف: ٢٣].

قرأ أبو عمرو ﴿ أبلغكم ﴾ فى المواضع المتقدمة بسكون الباء وتخفيف اللام، مضارع «أبلغ».

وقرأ الباقون بفتح الباء، وتشديد اللام، مضارع «بلّغ».

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٣٩)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٦)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٦٧).

﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ ﴾: الهمـزة للاستفـهام التـقريرى، والواو للعطف على مـا تقدم، والأصل فى الواو أن تدخل على حرف الاستفهام إلا الهمزة.

* ﴿ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، أى: رسالة، ووعظ من ربكم.

* ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾، أى: على لسان رجل منكم تعرفـون نسبه، أو على رجل من جنسكم تعرفون لغته، إذْ لو كان «مَلَكا» لما أمكنكم أن تعرفوا لغته.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) ﴾ [إبراهيم: ٤].

* ﴿ لِيُنذِرَكُمْ ﴾، أى: يخوفكم عذاب الله إن لم تؤمنوا.

* ﴿ وَلِتَتَّقُوا ﴾، أى: لكى تتقوا وتؤمنوا بما جاءكم به.

* ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾، أى: ليرحمكم الله إن آمنتم.

* ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾، أى: كذبوا «نوحًا» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ ﴾، أى: نجينا «نـوحًا» والذين آمنوا مـعه من الطوفان، فى الفلك، أى: السفينة.

* ﴿ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾، أى: عميت قلوبهم عن معرفة الحقيقة فكفروا بالله.

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ قال: ليس بأخيهم فى الدين ولكنه أخوهم فى النسب، فلذلك جعله الله أخاهم لأنه منهم.. اهـ[١].

* وفى رواية عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان هود أوّل من تكلّم بالعربية، وولد لهود أربعة: قحطان، ومقحط، وقاحط، وفالغ فهو أبو مضر، وقحطان أبو اليمن، والباقيان ليس لهما نسل. اهـ[٢].

* قال أبو إسحاق: عاد: هو ابن عوص، ابن إرم، بن شالخ بن أرفخشد بن سام ابن نوح ـ عليه السلام ـ[٣].

* وقال ابن إسحاق: هود: هو هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عوص بن إرم ابن سام بن نوح، بعثه الله إلى عاد نبيا، وكان من أوسطهم نسبا، وأفضلهم حسبا. اهـ[٤].

* وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧ هـ): إن عادًا كانوا باليمن بالأحقاف، والأحقاف: هى الرمال. اهـ[٥].

* وقال القرطبى فى تفسيره: كان بين هود ونوح فيما ذكر المفسرون سبعة آباء، وكانت عاد فيما روى ثلاث عشرة قبيلة، ينزلون الرمال، رمل عالج، وكانوا أهل بساتين، وزروع، وعمارة، وكانت بلادهم أخصب البلاد، فسخط الله عليهم فجعلها مفاوز، وكانوا يعبدون الأصنام.

ولحق «هود» حين أهلك قومه بمن آمن معه بمكّة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا. اهـ[٦].

* ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾: أى: فى حمق وجهالة.

﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾: أنك رسول الله إلينا.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٧٧).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٧٨).
(٣ـ ٤) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٥٠).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٧٨).
(٦) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٥١).

* ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

* ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾.

﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسي (١١٨هـ) قال: ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر ذراعًا طولا[١].

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما) في قوله - تعالى -: ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾ قال: شدّة[٢].

* ﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ ﴾، أي: نعم الله. * ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾ [رقم: ٦٩].

قرأ الدوري عن أبي عمرو، وهشام، وخلف عن حمزة، ورويس، وخلف البزّار بالسين.

واختلف عن قنبل، والسوسي، وابن ذكوان، وحفص، وخلاد فلكل منهم السين والصاد.

وقرأ الباقون بالصاد، وهما لهجتان[٣].

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٧١) فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾، أي: من عبادة الأصنام.

(١ - ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ١٧٨).

(٣) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٤٤).

* ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾: من العذاب. * ﴿ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾.

* ﴿ قَالَ ﴾ أي نبي الله «هود» ـ عليه السلام ـ:

* ﴿ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ ﴾ أي: وجب عليكم، ونـزل بكم من ربكم رجس، أي: عذاب.

* ﴿ وَغَضَبٌ ﴾: أي: سخط، وذلك بسبب كفركم وعدم إيمانكم.

* ﴿ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم ﴾:

قال المفسرون: كانت لهم أصنام يعبدونها سموها بأسماء مختلفة.

* ﴿ مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾، أي: حجة وبرهان

* ﴿ فَانتَظِرُوا ﴾: نزول العذاب بكم.

* ﴿ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾. * ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ ﴾، أي: هوداً ـ عليه السلام ـ عند نزول العذاب بهم.

* ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾، أي: استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم. * ﴿ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾: قال القرطبي في تفسيره: هو ثمود بن عاد بن إرم بن سام بن نوح. وكانوا في سعة من معايشهم فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره، وأفسدوا في الأرض، فبعث الله إليهم صالحًا نبيًا، وهو صالح بن عبيد بن آصف بن كاشح بن عبيد بن حاذر بن ثمود.

وكان صالح من أوسطهم نسبا، وأفضلهم حسبا، فدعاهم إلى عبادة الله ـ تعالى ـ، فلم يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون. اهـ[1]. وصالح أخوهم في النسب لا في الدين.

(١) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٥٢).

* ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾: على صدق نبوّتى.

* ﴿ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: فكان للناقة يوم تشرب فيه ماء الوادى كله، وتسقيهم مثله لبنا لم يُشْرب قط ألذّ وأحلى منه، وكان بقدر حاجتهم على كثرتهم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٥) ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، وأضيفت الناقة إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ على جهة إضافة الخلق إلى الخالق، وفيه معنى التشريف والتخصيص. اهـ[١].

* ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، وقال ـ تعالى ـ فى سورة الشعراء [رقم: ١٥٦]: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦) ﴾.

● تنبيه: كانت مساكن ثمود «الحجر» بين الحجاز والشام إلى وادى القرى.

وسمّيت ثمود لقلّة مائها. والله أعلم.

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾، أى: جعل لكم منازل تسكنون فيها.

* ﴿ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾، أى: تبنون القصور بكل موضع فى الأماكن المنبسطة.

* ﴿ وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: اتخذوا البيوت فى الجبال لطول أعمارهم، فإن السقوف والأبنية ـ أى التى كانت من الطين ـ كانت تبلى قبل فناء أعمارهم. اهـ[٢].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٥٢).

* ﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ ﴾، أي: نعمه.

* ﴿ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾: العثوّ: أشدّ الفساد.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ [رقم: ٧٤].

قرأ قالون، وابن كثير، وابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف البزّار ﴿ بيوتا ﴾ بكسر الباء.

وقرأ الباقون بضمها، وهما لهجتان[1].

﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴾:

المعنى: قال القادة الذين تكبروا عن الإيمان بنبي الله «صالح» ـ عليه السلام ـ:

* ﴿ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾:

المعنى: قال المتكبرون الكفار، للمستضعفين المؤمنين: أتعلمون أن صالحًا مرسل من ربه إليكم؟ فأجابهم المؤمنون بقولهم:

* ﴿ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾، فردّ المتكبرون الكافرون على المؤمنين بقولهم:

﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) ﴾

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ الْمَلأُ ﴾ [رقم: ٧٥].

قرأ ابن عامر ﴿ قال الملأ ﴾ بزيادة واو للعطف، وهذه القراءة موافقة لرسم المصحف الشامي.

---

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٤٤).

وقرأ الباقون ﴿ قال ﴾ بحذف الواو اكتفاء بالربط المعنوىّ، وهذه القراءة موافقة لرسم بقيّة المصاحف[1].

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ﴾:

* قال الأزهرىّ محمد بن أحمد بن الأزهر أبو منصور (ت ٣٧٠هـ): العقر: هو قطع عرقوب البعير، ثم جعل النحر عقرًا لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره. اهـ[2].

* ﴿ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾: العتوّ: الغلوّ فى الباطل، يقال: عتا يعتو عتوّا، أى: استكبروا، والمعنى: عصوا الله وتركوا أمره، وكذبوا نبيهم.

* وقد اختلف العلماء فى عاقر الناقة، اخترت من هذه الأقوال القولين التاليين:

* القول الأول: إن الذى عقرها اسمه: قُدار بن سالف.

* القول الثانى: عقرها عاقرها ومعه ثمانية رجال، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) ﴾ [الشمس: ١٢].

وقال أيضًا: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) ﴾ [النمل: ٤٨].

وقال أيضًا: ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (٢٩) ﴾ [القمر: ٢٩].

* ﴿ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾: من العذاب.

* ﴿ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٤٣)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٧)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٦٧).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٧٤).

* ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾، أى: الزلزلة الشديدة. يقال: رجف الشىء يرجُف رجْفا ورجَفانا، وأرجفت الريحُ الشجر حركته، وأصله: حركة مع صوت.

* ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ ﴾: والمراد «فى دورهم» وقد وحِّد هنا لإرادة الجنس.

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة هود [رقم: ٦٧ ـ ٦٨]:

* ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) ﴾.

* ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّثَمُودَ (٦٨) ﴾.

* ﴿ جَاثِمِينَ ﴾، أى: لاصقين بالأرض على ركبهم ووجوههم، كما يجثمُ الطائر، أى: صاروا خامدين من شدّة الصيحة، والرجفة، وأصل الجُثوم: للأرنب وشبهها.

* ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾، أى: أعرض عنهم نبىّ الله «صالح» عند اليأس من إيمانهم وقال:

* ﴿ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾، أى: لم تقبلوا نصحى.

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾: «لوطا» مفعول لفعل محذوف دلّ على السياق، والتقدير: وأرسلنا لوطا، وقيل معناه: واذكر لوطا.

* وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن أخى نبىّ الله «إبراهيم».

* وقوم لوط: هم أهل سدوم، وذلك أن «لوطا» أصله من أرض «بابل» سافر مع عمه «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ مؤمنًا مهاجرًا معه إلى الشام، فنزل «إبراهيم» فلسطين، وأنزل «لوطا» الأُردن، فأرسله الله إلى أهل سدوم فقال لهم:

* ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾: المراد: إتيان الذكور.

* ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾:

* قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط[١].

* أخرج إسحاق بن بشر، وابن عساكر عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: أرسل الله لوطا إلى المؤتفكات وكانت قرى لوط أربع مدائن: سدوم ـ وأمورا ـ وعامورا ـ وصبوير.

وكان فى كل قرية مائة ألف مقاتل، وكان أعظم مدائنهم سدوم وكان «لوط» يسكنها وهى من بلاد الشام مسيرة ليلة من فلسطين[٢].

● **تنبيه مهم**: فى الحدّ الذى يقام على من عَمِل عَمَل قوم لوط:

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: اختلف العلماء فيما يجب على من فعل ذلك بعد إجماعهم على تحريمه:

* أولا: قال الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ ـ رحمه الله تعالى) يُرْجَم، أحصن أو لم يُحْصَن. وكذلك يُرْجَم المفعول به إن كان مُحْتلما.

وروى عنه أيضًا فى المفعول به: يُرجَم إن كان محصنِا، ويحبس ويؤدّب إن كان غير محصن.

وهو مذهب عطاء، والنخَعىّ، وابن المسيّب، وغيرهم.

* ومن الأدلة على مذهب الإمام مالك الحديث التالى:

* روى أبو داود، وابن ماجه، والترمذى، والنسائىّ، والدارقطنىّ: أن رسول الله ﷺ قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» اهـ. هذا لفظ أبى داود، وابن ماجه. وعند الترمذىّ: «أحصنا أو لم يحصنا» اهـ.

* ثانيا: قال الإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ ـ رحمه الله): يحدّ حدّ الزنى قياسًا عليه.. اهـ.

* ثالثًا: قال الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ ـ رحمه الله) يعزّر المحصن وغيره.. اهـ[٣].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٨٥).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٥٥ ـ ١٥٦).

* ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾: فى أدبارهم.

* ﴿ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ﴾: «شهوة» منصوب على المصدر، أى: تشتهونهم شهوة. أى: أدبار الرجال أشهى لكم من فروج النساء.

* ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾، أى: مجاوزون الحلال إلى الحرام.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾ [رقم: ٨١].

قرأ نافع، وحفص، وأبو جعفر ﴿ إنكم ﴾ بهمزة واحدة مكسورة، على الخبر.

وقرأ الباقون ﴿ ءإنكم ﴾ بهمزتين على الاستفهام، وكل على حسب مذهبه فى الهمزة الثانية:

١ ـ فابن كثير، ورويس بتسهيل الهمزة الثانية مع عدم الإدخال.

٢ ـ وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال.

٣ ـ وهشام بالتخفيف مع الإدخال وعدمه.

٤ ـ والباقون بالتخفيف مع عدم الإدخال[١].

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ﴾، أى: قال بعضهم لبعض.

* ﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾، أى: أخرجوا لوطا ومن آمن به من قريتكم، والسبب فى ذلك:

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٤٤).

* ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾، أى: يتنزّهون عن إتيان الرجال فى أدبارهم.

* ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ﴾، أى: أنجينا لوطًا والمؤمنين.

* ﴿ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾، أى: الباقين فى العذاب.

قال الله ـ تعالى ـ فى سورة هود رقم: ٨١: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾.

* ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾ الآية: أمر الله ـ عزّ وجلّ ـ «جبريل» ـ عليه السلام ـ فأدخل جناحه تحت مدائنهم فاقتلعها ورفعها، ثم جعل عاليها سافلها، وأمطرت عليهم حجارة من سجّيل على من غاب منهم. قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) ﴾. * ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤) ﴾ [الحجر: ٧٣ ـ ٧٤].

* وأختم الكلام عن عمل قوم لوط بالأحاديث التالية:

* أولا: أخرج ابن ماجه، والحاكم عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من عَمِل عَمَل قوم لوط فارجموا الفاعل والمفعول به» اهـ(١).

* ثانيًا: أخرج عبد الرزاق عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها): أنها رأت النبى ﷺ حزينًا فقالت: يا رسول الله ما الذى يحزنك؟ قال: «شىء تخوّفته على أمّتى أن يعملوا بعدى بعمل قوم لوط» اهـ(٢).

* ثالثًا: أخرج الحاكم وصحّحه، والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «لعن الله سبعة من خلقه فوق سبع سموات، فردّد لعنته على واحدة منها ثلاثًا، ولعن بعد كل واحدة لعنة لعنة، قال: ملعون ملعون ملعون من عَمِل عَمَل قوم لوط، ملعون من أتى شيئًا من البهائم، ملعون من جمع بين امرأة وابنتها، ملعون من عقّ والديه، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من غيّر حدود الأرض، ملعون من تولّى غير مواليه» اهـ(٣).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٨٨).

* عن عليّ (ت ٤٠هـ - رضى الله عنه) أنه قال على المنبر: سلونى، فقال ابن الكوّاء: أتؤتى النساء فى أعجازهنّ؟ فقال عليّ: ألم تسمع إلى قوله - تعالى -: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ اهـ[1].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾:

✳ **المعنى:** وأرسلنا إلى ولَد مَدْين أخاهم شعيبًا فى النسب لا فى الدين.

ومَدْين: هو مَدْين بن إبراهيم خليل الرحمن - عليه السلام -.

وشعيب اختلف فى نسبه: فقال عطاء، وابن إسحاق، وغيرهما: هو شعيب بن ميكيل بن يزجر بن مدين بن إبراهيم - عليه السلام -.

وقيل: هو شعيب بن صفوان بن عيفاء بن ثابت بن مدين بن «إبراهيم» - عليه السلام -[2].

* وقد قال كل من القرطبى فى تفسيره، والبغوىّ فى تفسيره: كان شعيب أعمى، وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر، وبخس للمكيال والميزان[3].

* ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): كانوا مع ما كان فيهم من الشرك بالله أهل بخس فى مكاييلهم وموازينهم مع كفرهم وتكذيبهم نبيهم.

* ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره: أى: بيان وهو مجىء شعيب بالرسالة، ولم تذكر له معجزة فى القرآن، وقيل: معجزته فيما ذكر الكسائى فى قصص الأنبياء[4].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ١٨٦).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٥٨).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٥٨)، وتفسير البغوى (٢/ ١٨٠).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٥٨).

* ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾: أى: لا تظلموا الناس حقوقهم، ولا تنقصوهم إيّاها.

والبخس: النقص، وهو يكون فى السلعة بالتعييب والتزهيد فيها، أو المخادعة فى القيمة، وكل ذلك من أكل الأموال بالباطل، وهو منهى عنه فى الأمم المتقدمة على ألسنة الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

* ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴾: وهو لفظ يعمّ دقيق الفساد وجليله.

* ﴿ ذَلِكُمْ ﴾: الذى ذكرتُ لكم وأمرتكم به.

* ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، أى: مصدقين بما أقول.

﴿ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾، أى: لا تقعدوا على كل طريق تهدّدون كل من أتى شعيبًا ـ عليه السلام ـ وآمن به بالعذاب الأليم.

* ﴿ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، أى: دين الله.

* ﴿ مَنْ آمَنَ بِهِ ﴾، أى: بشعيب ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾، أى: تطلبون الاعوجاج فى الدين والعدول عن القصد، وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق ويقولون لمن يريد الإيمان بشعيب: إن شعيبًا كذاب، فلا يفتنك، ويتوعدون المؤمنين بالتعذيب والقتل، ويخوفونهم.

* ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ ﴾: أى: كثّر عددكم، أو كثّركم بالغنى بعد الفقر.

* ﴿ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾: مثل: قوم لوط ـ عليه السلام ـ، إذ كان عاقبة أمرهم أن غضب الله عليهم فأهلكهم بأن جعل مساكنهم عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود.

﴿ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا ﴾، أى: إن اختلفتم فى رسالتى فصرتم فرقتين مؤمنين ومكذبين.

* ﴿ فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴾، أى: قال الرؤساء الذين تكبروا عن الإيمان بشعيب.

* ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾، أى: إلى ديننا الذى نحن عليه.

* ﴿ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾، أى: إن كنا كارهين تجبروننا على الخروج من الوطن، أو العود فى ملتكم، إن فعلتم ذلك فقد آتيتم منكرًا عظيمًا.

* ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾، أى: إلا أن يكون قد سبق لنا فى علم الله ومشيئته أن نعود فيها بعد أن أنقذنا الله منها.

* ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾، أى: اقض بيننا.

* ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾، أى: الحاكمين.

﴿ وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا من قَوْمه لَئِن اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴾، أى: قالوا لمن دونهم:

* ﴿ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾، أى: لهالكون.

* ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ الآية:

وذلك أن «جبريل» نزل فوقف عليهم فصاح صيحة رجفت منها الجبال والأرض فخرجت أرواحهم من أبدانهم.

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ قال: كأن لم يعمروا فيها. اهـ[١].

* وفى رواية عنه: كأن لم يعيشوا فيها. اهـ[٢].

* ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾: أفاد هذا الأسلوب: الذمّ والتوبيخ للذين كذبوا نبىّ الله «شعيبًا» - عليه السلام -.

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ فَكَيْفَ آسَىٰ ﴾، أى: أحزن، على قوم كافرين. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٠٣).

(٢ - ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٠٤).

﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون (٩٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* قال ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بالبأساء ﴾، قال: هى المصائب فى الأموال والهموم، وعوارض الزمن.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ والضراء ﴾ قال ـ أى ابن مسعود ـ: هى المصائب فى البدن كالأمراض ونحوها. اهـ[1].

* ﴿ لعلهم يضرعون ﴾، أي: ينقادون إلى الإيمان.

﴿ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون (٩٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ﴾، أي: مكان الشدة الرخاء، وأبدلناهم بالجدب خصبًا.

* ﴿ حتى عفوا ﴾، أي: كثروا وكثرت أموالهم.

* ﴿ وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء ﴾، أي: قالوا قد أتى على آبائنا مثل هذا فلم يكن شيئًا فنحن مثلهم.

* ﴿ فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾، أي: أخذناهم فجأة ليكون ذلك أكثر حسرة وهم لا يشعرون.

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون (٩٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا ﴾، أي: صدقوا بما أنزل الله.

---

(١) انظر: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٤٣١).

* ﴿ وَاتَّقَوْا ﴾، أي: تركوا ما حرّم الله ـ عزّ وجل ـ.

* ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: لأعطتهم السماء بركتها، والأرض نباتها. اهـ[١].

* ﴿ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾: وصدق الله إذ قال: ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لفتحنا ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [رقم: ٩٦].

قرأ ابن عامر، وابن وردان، وابن جمّاز، ورويس بخُلْف عنهما بتشديد التاء، للدلالة على التكثير، مضارع «فتّح» مضعف العين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بتخفيف التاء، مضارع «فتح» على الأصل، وهو الوجه الثانى لابن جمّاز ورويس[٢].

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ ﴾: هذا الاستفهام للإنكار، والمراد بالقرى: مكة وما حولها، لأنهم كذبوا بنبينا «محمد» ﷺ، وقيل: هو عامّ فى جميع القرى.

* ﴿ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ﴾، أى: عذابنا. * ﴿ بَيَاتًا ﴾، أى: ليلا.

* ﴿ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ الواو للحال. أى: حال مبيتهم بالليل. وهذه الآية وما بعدها تتضمن وعيداً للكفار المعاصرين لنبينا «محمد» ﷺ، لأنه لمّا أخبر عمّا حلّ بالأمم الماضية قال: وهَلْ يأمن هؤلاء أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٠٥). (٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٤٦).

* ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾، أي: عذابنا.

* ﴿ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الواو للحال، أيْ حال لعبهم وقت الضحى.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أو أمن﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [رقم: ٩٨].

قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر ﴿أوْ أمن﴾ بسكون الواو، غير أن ورشًا ينقل حركة الهمزة من «أَمِن» إلى الواو منْ «أوْ» على أصل قاعدته.

وجه من أسكن الواو أنه جعلها «أوْ» التى للعطف، على معنى الإباحة، أيْ: أفأمنوا هذه الضروب من العقوبات، أيْ: إن أمنتم ضَرْبًا منها لم تأمنوا الضرب الآخر.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿أوَأمن﴾ بفتح الواو، على أنّ واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام، كما تدخل على «ثُمّ» فى نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ﴾ [يونس: ٥١][1].

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)﴾

معانى المفردات:

* ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾، أي: يُبَيِّن. * ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا﴾، المراد: كفار مكّة ومن حولها. * ﴿أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم﴾، أى: أخذناهم.

* ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾، أى: بكفرهم وتكذيبهم.

* ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١)﴾

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٤٦).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ ﴾، أى: هذه القرى التى أهلكها الله - تعالى - وهى: قرى «نوح، وعاد، ولوط، وهود، وشعيب» المتقدمة الذكر.

* ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ﴾، أى: نقصّ عليك يا «محمد» من أخبارها وفى هذا تسلية للنبى ﷺ، والمسلمين.

* ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾:

* قال مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ)، أى: فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا بعد هلاكهم لو أحياهم الله - تعالى -. اهـ[١].

ويشهد لصحة هذا المعنى قول الله - تعالى -: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) ﴾ [الأنعام: ٢٧ - ٢٨].

* ﴿ بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ﴾: قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): آمنوا يوم أن أخذ الله عليهم الميثاق كرهًا فلم يكونوا ليؤمنوا الآن حقيقة. اهـ[٢].

* ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾، أى: مثل طبْعه على قلوب هؤلاء المذكورين يطبع الله على قلوب الكافرين بنبينا «محمد» ﷺ.

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن أُبَىّ بن كعب (ت ٣٠هـ - رضى الله عنه) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ﴾ قال: الميثاق الذى أخذه الله عليهم وهم فى ظهر آدم. اهـ[٣].

* وقال أُبَىّ بن كعب: علم الله يومئذ من يفى ممّن لا يفى فقال: ﴿ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ٢٥٤). (٢) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ٢٥٥).

(٣ - ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٠٩).

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم ﴾، أى: من بعد «نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب» ـ عليهم السلام ـ.

* ﴿ مُّوسَىٰ ﴾ المراد به: موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ بِآيَاتِنَا ﴾، أى: بمعجزاتنا.

* ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾، أى: كفروا ولم يصدّقوا بالآيات.

* ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾، أى: آخر أمرهم.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ حَقِيقٌ ﴾، أى: واجب، وقيل: جدير وخليق.

* ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، أى: بمعجزة من ربكم لتدلّ على صدق نبوتى، وهى العصا، واليد.

* ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾، أى: خلّهم، وكان يستعملهم فى الأعمال الشاقة.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ [رقم: ١٠٥].

قرأ نافع ﴿ عليّ ﴾ بالياء المشدّدة المفتوحة، وذلك لأنّ حرف الجرّ: «على» دخل على ياء المتكلم، ثم قلبت الألف ياء، وأدغمت فى ياء المتكلم، وفتحت للتخفيف.

وقرأ الباقـون من القراء العشرة «على» بألف بعد اللام، وذلك أنه عـدّى «حقيق» بعلى إلى «أنْ»[(١)].

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾، أى: حيّة لا لبس فيها.

* ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾، أى: أخرجـها وأظهـرها من جيـبه، كـما قال - تعـالى - فى آية أخرى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ [النمل: ١٢].

* ﴿ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾: قال ابن عبـاس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): كان ليده نور ساطع يضىء ما بين السماء والأرض. اهـ[(٢)].

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾، أى: بالسحر.

* ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾، أى: من مُلككـم مـعـاشـر القـبط وذلك بتقديمه بنى إسرائيل عليكم.

* ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾، أى: قال فـرعون لقـومه: فـماذا تأمرون أن أفـعله بموسى، وقيل: هو من قول الملأ إلى فرعون.

* ﴿ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ ﴾: جمع مدينة.

* ﴿ حَاشِرِينَ ﴾، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: المراد الشرط. اهـ[(٣)].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ١٤٥)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٦٩)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٤٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ٢٥٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَرْجِهْ﴾ [رقم: ١١١] ـ فيها ستّ قراءات:

الأولى: لقالون، وابن وردان بخُلْف عنه ﴿أرجه﴾ بترك الهمزة، وكسر الهاء من غير صلة.

الثانية: لورش، والكسائى، وابن جمّاز، وخلف البزّار، وابن وردان فى وجهه الثانى ﴿أرجهى﴾ بترك الهمزة وكسر الهاء مع الصلة.

الثالثة: لحفص، وحمزة، وشعبة بخُلْف عنه ﴿أرجهْ﴾ بترك الهمزة، وسكون الهاء.

الرابعة: لابن كثير، وهشام بخلف عنه ﴿أرجئهو﴾ بالهمز وضم الهاء مع الصلة.

الخامسة: لأبى عمرو، ويعقوبْ، وهشام، وشعبة فى وجههما الثانى ﴿أرجئهُ﴾ بالهمز، وضم الهاء من غير صلة.

السادسة: لابن ذكوان ﴿أرجئهِ﴾ بالهمز، وكسر الهاء من غير صلة[١].

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢)﴾

* ﴿يَأْتُوكَ﴾ مجزم فى جواب الأمر وهو «وأرْسل» وعلامة جزمه حذف النون.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿سَاحِرٍ﴾ [الأعراف: ١١٢، يونس: ٧٩].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار ﴿سحّار﴾ فى الموضعين بألف بعد السين، وبفتح الحاء وتشديدها، وألف بعدها على وزن «فعّال» للمبالغة، ويقوّى ذلك أنه قد وصف به «عليم» فدلّ على التناهى فى علم السحر.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ساحر﴾ بألف بعد السين، وكسر الحاء مخففة على وزن «فاعل» اسم فاعل من «سحر»[٢].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٤٨).

﴿ وجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ﴾: عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: كان السحرة بضعة وثلاثين ألفًا ليس منهم رجل إلا معه حَبْلٌ أو عصا[١].

* ﴿ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾: قال قتادة بن دعامة السدوسىّ (ت ١١٨هـ): أئنّ لنا لعطاء وفضيلة[٢].

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) ﴾

* فاعل ﴿ قَالَ ﴾ ضمير يعود على فرعون وذلك أنّ السحرة لما قالوا له: ﴿ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ فأجابهم فرعون بقوله: ﴿ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾، أى: لمن أهل المنزلة الرفيعة لدينا، فزادهم على ما طلبوا.

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا ﴾، أى: الحبال والعصىّ.

* ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾، أى: خيّلوا لهم وقلبوها عن صحة إدراكها، بما يُتَخَيَّلُ من التمويه الذى جرى مجرى الشعوذة وخفّة اليد.

* ﴿ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾، أى: عندهم، لأنه كان كثيرًا وليس بعظيم على الحقيقة.

* عن أبى برزة قال: سحرة فرعون كانوا سبعين ألف ساحر، فألقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا، حتى جعل «موسى» ـ عليه السلام ـ يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٩/ ٥١٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٩/ ٥١٤).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١٣).

۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) ۞

✳ **المعنى:** عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ الآية، قال: فألقى «موسى» عصاه فتحولّت حيّة، فأكلت سحرهم كله وعصيهم وحبالهم. اهـ[١].

* وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) وناس من الصحابة قال: التقى «موسى» وأمير السحرة، فقال له «موسى»: أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بى، وتشهد أن ما جئتُ به حق؟ قال الساحر: لآتين غداً بسحر لا يغلبه سحر، فوالله لئن غلبتنى لأومننّ بك، ولأشهدنّ أنك حقّ، وفرعون ينظر إليهم، وهو قول فرعون: إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة إذ التقيتما لتظاهرا لتخرجا منها أهلها؟. اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ تَلْقَفُ ﴾ [الأعراف: ١١٧، طه: ٦٩، الشعراء: ٤٥].

قرأ ﴿ البزّى ﴾ بخلف عنه ﴿ تلقف ﴾ بتشديد التاء حالة وصل ﴿ تلقف ﴾ بما قبلها، وبفتح اللام، وتشديد القاف مطلقًا، وعند الابتداء بـ «تلقف» يخفف التاء ويفتح اللام، ويشدد القاف، على أنه مضارع «تلقّف» المضعف.

وقرأ حفص ﴿ تلقف ﴾ بسكون اللام، وتخفيف القاف، على أنه مضارع «لقف» يقال: لقفتُ الشيء: أخذته بسرعة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ تَلَقَّف ﴾ بفتح اللام، وتشديد القاف، مضارع «تلقّف» المضعّف، وهو الوجه الثانى للبزّى[٣].

﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٢) ﴾

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١٤).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٥٠)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٨).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ ﴾، أى: ظهر الحق.

* ﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، أى: ذهب الإفك الذى كانوا يعملون.

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾، قال: رأوا منازلهم فى الجنة تبنى لهم وهم فى سجودهم[١].

* وعن الأوزاعى قال: لما خرّ السحرة سجّدًا رفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها. اهـ[٢].

* وعن سعيد بن جبير قال: لما ألقوا ما فى أيديهم من السحر، ألقى موسى عصاه، فإذا هى ثعبان مبين فتحت فمًا لها مثل الرحى فوضعت مشفرها على الأرض، ورفعت المشفر الآخر فاستوعبت كل شىء ألقوه من حبالهم وعصيّهم، ثم جاء إليها فأخذها فصارت عصا كما كانت، فخرّت بنو إسرائيل سجّدا وقالوا: آمنا بربّ موسى وهارون[٣].

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾: هذا إنكار منه عليهم.

* ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾، أى: جرت بينكم وبينه مواطأة فى هذا لتستولوا على مصر، أى: كان هذا منكم فى مدينة مصر قبل أن تبرزوا إلى هذه الصحراء.

* ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾: هذا تهديد لهم.

* ﴿ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كان فرعون أوّل من صلب، وقطع الأيدى والأرجل من خلاف الرجل اليمنى واليد اليسرى، واليد اليمنى والرجل اليسرى[٤].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١٥). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١٥).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ٢٦١).

﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾:

هذا تسليم من مؤمنى السحرة لقضاء الله ـ تعالى ـ وقدره، واتكال صادق منهم على الله ـ تعالى ـ، وثقة بما عند الله من الثواب.

* ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ﴾:

✻ **المعنى:** قال السحرة لفرعون: لستَ تكره منّا سوى أن آمنا بالله الواحد القهار، لما جاءتنا آياته وبيناته.

* ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾: الإفراغ: الصب، وحينئذ يكون المعنى: يقول السحرة: ربنا اصبب علينا الصبر عند القطع والصَلب.

* ﴿ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾: ذكر القرطبى فى تفسيره: إن فرعون أخذ السحرة وقطّعهم على شاطئ النهر، وإنه آمن «بموسى» عند إيمان السحرة ستمائة ألف(١).

* أخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: ذكر لنا أنهم كانوا أوّل النهار سحرة وآخره شهداء. اهـ(٢).

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾: وذلك بإيقاع الفتنة والفرقة وتشتيت الشمل.

* ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾: عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: ليس يعنون به الأصنام، إنما يعنون تعظيمه. اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ٢٦١).　　(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١٦).

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾، قال: وعبادتك. اهـ[(١)].

* ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾: أى: نستبقى الإناث من أولادهم، فلا تخافوا جانبهم.

* ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾، أى: فى المنزلة والتمكّن من الدنيا، وهذا يقتضى تحقير أمرهم، أى: هم أقلّ من أن يُهتم بهم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [رقم: ١٢٧].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر ﴿ سَنَقْتُلُ ﴾ بفتح النون، وإسكان القاف، وضمّ التاء مخففة، مضارع «قَتَل يقتُل» نحو: «نصَر ينصُر» وذلك على أصل الفعل الذى يدلّ على القلّة والكثرة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ سَنُقَتِّل ﴾ بضم النون، وفتح القاف، وكسر التاء مشدّدة، مضارع «قتّل» مضعّفُ العين الذى يدلّ على معنى التكثير مرّة بعد مرّة[(٢)].

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) ﴾

معانى المفردات:

* لما قال فرعون: سنقتّل أبناءهم... إلخ، وتوعدّهم، قال «موسى» ـ عليه السلام ـ لبنى إسرائيل يثبتهم ويعدهم بما عند الله:

* ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ ﴾: المراد: أرض الدنيا.

* ﴿ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾: أطمعهم فى أن يورثهم الله ـ تعالى ـ أرض مصر، ليشتدّ صبرهم، والاستعانة بالله.

* ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾، أى: الجنّة ستكون للمتقين دون غيرهم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١٦).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٥١)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٩).

وصدق الله إذْ قال: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣) ﴾ [مريم: ٦٣].

﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا ﴾: وذلك فى ابتداء ولادتك بقتل الأبناء، واسترقاق النساء.

* ﴿ وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾، أى: والآن أعيد علينا ذلك، والمراد: الوعيد الذى كان من فرعون، وتسخيرهم جميع النهار بلا طعام ولا شراب. وقيل: تسخيرهم لبنى إسرائيل فى أعمالهم إلى نصف النهار، وإرسالهم بقيته ليكتسبوا لأنفسهم.

* ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾:

﴿ عسى ﴾ من الله ـ تعالى ـ واجبة، وقد تحقق ما وعدهم به «موسى» ـ عليه السلام ـ: فقد استخلفوا فى «مصر» فى زمن «داود وسليمان» ـ عليهما السلام ـ، وفتحوا بيت المقدس مع «يوشَع بن نون».

* ﴿ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾، أى: ليرى الله العمل الذى يجب به الجزاء، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إنما يجازى كل إنسان على العمل الذى يقع ويصدر منه، وصدق الله إذْ قال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) ﴾

✳ **المعنى:** يلقى الضوء على معنى هذه الآية الأخبار التالية:

* أولا: عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾، قال: الجوائح.

* ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾، قال: دون ذلك. اهـ[(١)].

* ثانيًا: عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٥١٨/٣).

أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾، قال: أخذهم الله بالسنين عامًا فعامًا، وكان ذلك فى باديتهم وأهل مواشيهم، وأمّا نقص الثمرات: فكان فى أمصارهم وقراهم(١).

﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٣١) ﴾

معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ قال: العافية والرخاء.

وفى قوله - تعالى -: ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾، أى: نحن أحقّ بها.

وفى قوله - تعالى -: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ قال: بلاء وعقوبة.

وفى قوله - تعالى -: ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ قال: يتشاءمون بهم(١).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ قال: الأمر من قِبَل الله(٢).

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ قال: الأمر من قِبَل الله، ما أصابكم من أمر الله فمن الله بما كسبت أيديكم(٣).

﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾، أى: لتصرفنا عما نحن فيه.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١٩).

* ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾ الآية:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: أرسل الله على قوم فرعون الطوفان ـ وهو المطر ـ فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل، فدعا ربه فكشف عنهم، فأنبت الله لهم فى تلك السنة شيئًا لم ينبته قبل ذلك من الزرع والكلأ، فقالوا: هذا ما كنّا نتمنّى، فأرسل الله عليهم الجراد فسلطه عليهم، فلمّا رأوه عرفوا أنه لا يبقى الزرع قالوا: مثل ذلك، فدعا ربه فكشف عنهم الجراد، فداسوه وأحرزوه فى البيوت، فقالوا: قد أحرزنا، فأرسل الله عليهم القمّل: وهو السوس الذى يخرج من الحنطة، فقالوا مثل ذلك، فكشف عنهم فأبوا أن يرسلوا معه بنى إسرائيل، فبينا «موسى» عند «فرعون» إذْ سمع نقيق ضفدع من نهر فقال: يا فرعون ما تلقى أنت وقومك من هذا الضفدع؟ فقال: وما عسى أن يكون عند هذا الضفدع؟ فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه فى الضفادع، وما منهم من أحد يتكلم إلا وثب ضفدع فى فيه، وما من شىء من آنيتهم إلا وهى ممتلئة من الضفادع، فقالوا مثل ذلك، فكشف عنهم فلم يفوا، فأرسل الله عليهم الدم، فصارت أنهارهم دمًا، وصارت آبارهم دمًا، فشكوا إلى فرعون ذلك فقال: ويحكم قد سحركم، فقالوا: ليس نجد من مائنا شيئًا فى إناء، ولا بئر، ولا نهر إلا ونجده طعم الدم، فقال فرعون: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنهم الدّم فلم يفوا. اهـ[1].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ﴾، قال: يتبع بعضها بعضًا، تمكث فيهم سَبْتًا إلى سبْتٍ، ثم ترفع عنهم شهرًا. اهـ[2].

* ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾، أى: ترفعوا عن الإيمان بالله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٢٠).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٢٤).

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾:

* أخرج ابن مردويه عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٩هـ - رضى الله عنها) عن النبىّ ﷺ قال: «الرجز: العذاب»[1].

* ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ ﴾، قال قتادة بن دعامة السدوسى (١١٨هـ): الرجز: العذاب[2].

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (١٣٥) ﴾

معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ ﴾ قال: العذاب.

وفى قوله - تعالى -: ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ ﴾ : قال: عدد مسمى معهم من أيامهم[3].

* وعن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ قال: ما أعطوا من العهود[4].

﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) ﴾

المعنى: أخرج أبو الشيخ عن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى الآية قال: فانتقم الله منهم بعد ذلك فأغرقهم فى اليمّ[5]. واليمّ: هو: البحر.

(١ - ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٢٥).

(٣ - ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٢٦).

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ ﴾: المراد: بنو إسرائيل.

* ﴿ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ ﴾، أي: يستذلّون بالخدمة.

* ﴿ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، وزيد بن أسلم (ت ١٣٠هـ) قالوا: المراد: أرض الشام[(١)].

* ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾:

* عن مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ) قال: المراد: ظهور قوم «موسى» على فرعون، وتمكين الله لهم فى الأرض وما ورّثهم منها[(٢)].

ويصدّق هذه المعانى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥ ـ ٦].

* ﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾، أى: بسبب صبرهم على أذى فرعون، وعلى تنفيذ أوامر الله ـ تعالى ـ بعد أن آمنوا بموسى.

* ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): إن الله ـ تعالى ـ لا يملى للكافر إلا قليلاً حتى يوبقه بعمله. اهـ[(٣)].

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾ [هود: ١٠٢].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٢٦).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٢).

* ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾: يقال: عَرَش يعرش: إذا بنى.

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): أى: ما كانوا يبنون من القصور وغيرها. اهـ[١].

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): هو تعريش الكرم[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ﴾ [النحل: ٦٨].

قرأ شعبة، وابن عامر ﴿ يعْرُشون ﴾ معًا بضم الراء.

وقرأ الباقون بكسرها، وهما لهجتان فى مضارع «عرش»[٣].

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة السدوسى: هم: لَخْم. اهـ[٤].

* ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى حينئذ قال «موسى» ـ عليه السلام ـ: يا سبحان الله قوم أنجاهم الله من العبوديّة، وأقطعهم البحر، وأهلك عدوّهم، وأراهم الآيات العظام، ثم سألوا الشرك صراحة. اهـ[٥]. * ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾.

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ٢٧٢).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٥٢).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٣). (٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ [رقم: ١٣٨].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار بخُلْف عن إدريس ﴿ يعكفون ﴾ بكسر الكاف، وهى لهجة أسد.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الكاف، وهو الوجه الثانى عن إدريس وهو لهجة بقيّة العرب(١).

﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): متبّر، أى: هالك(٢).

* ﴿ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾:

* قال عبد الرحمن بن زيد بن أسْلم (ت حوالى ١٧٠هـ): المتبّر والباطل سواء كله واحد كهيئة غفور رحيم(٣).

﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ﴾، أى: اطلب لكم إلها غير الله ـ تعالى ـ يقال: بغيته وبغيت له.

* ﴿ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾، أى: عالمى زمانكم.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٥٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٩)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٥٠)، والمستنير فى تخريج القراءات (١/ ٢٣٦).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٤).

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾: «وإذْ» متعلق بفعل محذوف والتقدير: واذكر يا «محمد» لليهود الموجودين وقت أن أنجا الله آباءهم من تعذيب آل فرعون، وفى ذلك نجاة لهم، ثم أخذ الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعدّد نعمه التى أنعم بها على اليهود السابقين فقال:

* ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾، أى: يحملونكم ويكلفونكم، ثم فسّر الله سوء العذاب بقوله: * ﴿ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾: الذكور.

* ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾، أى: يتركون نساءكم أحياء.

* ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم ﴾: إشارة إلى التنجية من سوء العذاب.

* ﴿ بَلَاءٌ ﴾، أى: ابتلاء واختبار. * ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم ﴾ [رقم: ١٤١].

قرأ ابن عامر ﴿ أنجاكم ﴾ بألف بعد الجيم من غير ياء، ولا نون، بلفظ الواحد، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على الله ـ تعالى ـ المتقدّم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ﴾ [رقم: ١٤٠].

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ أنجيناكم ﴾ بياء، ونون، وألف بعدها، على لفظ الجماعة إخبار عن الله على طريق التعظيم لله، والإكبار له[1].

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) ﴾

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٥٥)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٧٩)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٧٥).

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾: قال: ذو القعدة، وعشر من ذى الحجة. اهـ[١].

* وعن أبى العالية الرياحىّ (ت ١٩٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وواعدْنا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ﴾ الآية. قال: يعنى ذا القعدة، وعشرًا من ذى الحجة، خَلّف «موسى» أصحابه واستخلف عليهم «هارون» فمكث على الطور أربعين ليلة، وأنزل عليه التوراة فى الألواح، فقرّبه الربّ نجيًا وكلمه وسمع صريف الأقلام[٢].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ﴾ الآية، قال: إن «موسى» قال لقومه: إن ربى وعدنى ثلاثين ليلة أن ألقاه وأخلّف «هارون» فيكم، فلمّا فصل «موسى» إلى ربّه زاده الله عشرًا، فكانت فتنتهم فى العشر التى زاده الله، فلمّا مضى ثلاثون ليلة كان السَّامرىّ أبصر «جبريل» فأخذ من أثر الفرس قبضة من تراب، فقال حين مضى ثلاثون ليلة: يا بنى إسرائيل إن معكم حليًا من حلىِّ آل فرعون وهو حرام عليكم فهاتوا ما عندكم لنحرقه، فأتوه بما عندهم من حليهم، فأوقد نارًا ثم ألقى الحلىّ فى النار فلما ذاب الحلىّ ألقى تلك القبضة من التراب فى النار فصار عجلاً جسدًا له خُوَار، فخار خورة واحدة لم يثنّ، فقال السامرى: إن «موسى» ذهب يطلب ربكم وهذا إله موسى، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [طه: ٨٨].

يقول: انطلق يطلب ربّه فضلّ عنه وهو هذا، فقال الله ـ تبارك وتعالى ـ لموسى وهو يناجيه: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾ [طه: ٨٥ ـ ٨٦][٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ﴾ [رقم: ١٤٢].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٤).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٥).

قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿ ووعدنا ﴾ بحذف الألف التى قبل العين، على أنّ الوعد من الله ـ تعالى ـ وحده.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ وواعدنا ﴾ بإثبات الألف، من المواعدة، فالله وعد «موسى» الوحْى، وموسى وعد الله المجىء[1].

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا ﴾، أى: فى الوقت الموعود.

* ﴿ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾، أى: أسمعه كلامه من غير واسطة.

* ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾: سأله النظر إليه، واشتاق إلى رؤيته لما أسمعه كلامه.

* وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): لما سمع كلام الله طمع فى رؤيته. اهـ[2].

* وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، وأبو نعيم فى الحلية، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ قال: «قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: يا موسى إنه لا يرانى حىٌّ إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، ولا رطب إلا تفرّق، وإنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم، ولا تبلى أجسادهم». اهـ[3].

* ﴿ وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾: ضرب الله له مثالا: أى: فإن ثبت الجبل وسكن فسوف ترانى، وإن لم يسكن فإنك لا تطيق رؤيتى، كما أنّ الجبل لا يطيق رؤيتى.

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٥١).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٤٣).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٤٤).

* ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾: ﴿ تَجَلَّى ﴾ معناه: ظهر، ﴿ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ مصدر «دككتُ الأرض دكا» أي: جعلتها مستوية لا ارتفاع فيها، ولا انخفاض.

* ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾، أي: مغشيًا عليه.

* ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾:

* قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): أي: من مسألة الرؤية فى الدنيا[١].

* ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، قال مجاهد بن جبر: أى: أوّل قومى إيمانًا[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [رقم: ١٤٣].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار ﴿ دكاءَ ﴾ بالهمزة المفتوحة بعد الألف، وحذف التنوين ممنوعًا من الصرف، وحينئذ يكون المدّ متصلا فكلٌّ يمدّ حسب مذهبه، ووجه هذه القراءة أنها أُخِذَت من قول العرب: «هذه ناقة دكاء» للتى لا سنام لها، فهى مستوية الظهر، وحينئذ يكون التقدير: جعل الجبل مثل «ناقة دكاء» أى: مستويًا لا ارتفاع فيه، وتعظيمًا لله، وخضوعًا له.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ دكا ﴾ بحذف الهمزة مع التنوين، على أنه مصدر «دككتُ الأرض دكا» أي: جعلتها مستوية لا ارتفاع فيها، ولا انخفاض، ويقوّى هذه القراءة قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) ﴾ [الفجر: ٢١][٣].

﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾:

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٧٧). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٤٧).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٥٨)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٧٥)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ١٩٨).

* الاصطفاء: الاجتباء، أى فضلتك، ولم يقل: اصطفيتك على الخلق، لأنّ من هذا الاصطفاء أنه كلّمه، وقد كلّم الله الملائكة، ومنه أن الله أرسله، كذلك أرسل غيره.

* ﴿ عَلَى النَّاسِ ﴾، أى: المرسل إليهم.

* ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ ﴾: هذا إشارة إلى القناعة، أى: اقنع بما أعطيتك.

* ﴿ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾، أى: من المظهرين لإحسانى إليك، وفضلى عليك، والشاكر معرّض للمزيد من الله ـ تعالى ـ، يدلّ على ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) ﴾ [إبراهيم: ٧].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي ﴾ [رقم: ١٤٤].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر، وروح ﴿ برسالتى ﴾ بحذف الألف التى بعد اللام، على التوحيد، والمراد به المصدر، أى بإرسالى إيّاك.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ برسالاتى ﴾ بإثبات الألف، على الجمع، والمراد: أسفار التوراة(١).

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥) ﴾

معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المفسر (ت ١١٠هـ)، والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ قالا: مما أمروا به، ونهوا عنه(٢).

* وأخرج ابن مردويه، وأبو نعيم فى الحلية، وابن لال فى مكارم الأخلاق عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «كان فيما أعطى الله موسى فى الألواح الأول فى أوّل ما كتب عشرة أبواب:

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٦٠)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٥٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥٠).

يا موسى لا تـشرك بى شيـئًا فـقد حقّ القول منّى لـتلْفحنّ وجوه المشـركين النار، واشكر لى ولوالديك أقِك المتالف، وأنسأ فى عمرك، وأحييك حياة طيبة، وأقْلبْك إلى خيـر منهـا، ولا تقتل النَفسَ التى حـرّمتُ إلا بالحقّ فتـضيقُ عليـك الأرضُ برحَبـها، والسمـاءُ بأقطارها، وتبوءَ بـسخطى والنار، ولا تحلفْ باسـمى كاذبًا ولا آثمـا فإنّى لا أطهّر ولا أزكّى من لم يُنزّهْنى ويعظّمْ أسمائى، ولا تحـسد الناسَ على ما أعطيتهم من فضلى، ولا تحسدْ عليهم نعمتى ورزقى فإن الحـاسد عدوّ نعمتى، رادٌّ لقضائى، ساخط لقسمتى التى أُقَسِمُ بين عـبادى، ومن لم يكن كذلك فلستُ منه وليس منِّى، ولا تشهدْ بما لم يَعِ سمعُك ويحـفَظْ عقلك وتَعْقدْ عليه قلبَك، فـإنى واقفٌ أهل الشهادات على شهـاداتهم يومَ القيـامة ثم سـائلُهم عنها سـؤالا حثيثا، ولا تَزْن، ولا تـسْرقْ، ولا تزْن بحليلة جـارك فأحْـجُبْ عنك وجهى، وتُغْلَقْ عنك أبوابُ السـماء، وأحبَّ للـناس ما تُحبُّ لنفـسك، ولا تذبحنّ لغيـرى فإنى لا أقـبلُ من القُرْبان إلا مـا ذُكر عليـه اسمى، وكان خالصًا لوجهى، وتفرّغْ لِىَ يومَ السبت وفرِّغ لِىَ نَفْسَك وجميعَ أَهْلِ بيتك، فقال رسول الله ﷺ: إن الله جعل السبت لموسى عـيداً، واختار لنا الجمعة فجـعلها لنا عيداً». اهـ(١).

* وعن السّـدّى إسمـاعيـل بن عبـد الرحمـن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعـالى ـ: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ يعنى بجدّ واجتهاد.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾: قال: بأحسن ما يجدون منها. اهـ(٢).

* وفـى قولـه ـ تعالــى ـ: ﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾: قـال مجاهــد بـن جبـر (ت ١٠٤هـ) قال: مصيرهم فى الآخرة(٣).

وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: منازلهم فى الدنيا. اهـ(٤).

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥٠).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٦١).
(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٦٢).

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧هـ)، وابن جريج = عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ قالا: سأصرفهم عن أن يتفكروا فى آياتى أو يعتبروا بها. اهـ(١).

* ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾:

✳ **المعنى:** هؤلاء المتكبرون أخبر الله عنهم أنهم يتركون طريق الرشاد، ويتّبعون سبيل الغىّ والضلال، ثم ذكر علّة ذلك فقال:

* ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾، أى: فعلت ذلك بهم بسبب تكذيبهم.

* ﴿ وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾، أى: كانوا فى تركهم تدبّر الحقّ غافلين عمّا يُجَازون به.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ [رقم: ١٤٦].

قرأ حمزة والكسائى، وخلف البزار ﴿ الرَّشَد ﴾ بفتح الراء والشين.

وقرأ الباقون بضم الراء، وسكون الشين.

وهما لهجتان فى المصدر، والرُّشْدُ: خلاف الغى(٢).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٦٢).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٦١)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٠)، وإتحاف فضلاء البشر ص ٢٣٠.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧) وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾، أى: كفروا بها.

* ﴿ وَلِقَاءِ الآخِرَةِ ﴾، أى: ينكرون البعث، والحساب، والجزاء، والعقاب.

* ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾، أى: بطل ثواب أعمالهم بسبب كفرهم وإنكارهم البعث والنشور.

* ﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، أى: لا يجزون إلا عقاب أعمالهم.

* ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ ﴾، أى: من بعد خروجه إلى الطور لمناجاة ربه.

* ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ﴾، أى: صياح. يقال: خار يخور خُواراً: إذا صاح.

* قال القرطبى فى تفسيره: رُوى فى قصص العجْل: أنّ السَّامرىَّ، واسمه «موسى ابن ظَفَر» يُنْسب إلى قرية تُدعَى سامرة، وُلد عام قتل الأبناء، واستحياء البنات، وأخفته أمّه فى كهْف جَبَلٍ فغذّاه «جبريل» فعرفه لذلك، فأخذ حين عبر البَحْرَ على فرس وَديق، أى: تشتهى الفحل، ليتقدّم فرعون فى البحر: قَبْضَةً من أثر حافر الفرس، وهو معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) ﴾ [طه: ٩٦].

وكان «موسى» وعد قومه ثلاثين يومًا، فلمّا أبطأ فى العشر الزائدة ومضت ثلاثون ليلة قال لبنى إسرائيل وكان مطاعًا فيهم: إنّ معكم حليًا من حلىٍّ آل فرعون، وكان لهم عيدٌ يتنزهون فيه ويستعيرون من القبْط الحُلىّ فاستعاروا لذلك اليوم، فلمّا أخرجهم الله من مصر وغرّق القبْط بَقِىَ ذلك الحلىُّ فى أيديهم، فقال لهم السامرىُّ: إنه حرام عليكم فهاتوا ما عندكم فنحرقه.

وقيل: استعاروا الحليَّ ليلة أرادوا الخروجَ من مصْرَ، وأوهموا القبْط أنّ لهم عُرْسًا أو مجتمعًا، وكان السامرىُّ سمعَ قولهم: ﴿ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وكانت تلك الآلهةُ على مثال البقر، فصاغ لهم عجْلا جَسَدًا أى: مُصْمَتًا، غير أنهم كانوا يسمعون منه خُوارًا. وقيل: إنه لما ألقى تلك القبضة من التراب فى النار على الحُلىّ صار عجْلا له خُوَار، فخار خَوْرةً واحدة ولم يُثَنِّ، ثم قال للقوم: ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [طه: ٨٨]، يقول: نَسِيَه هاهنا وذهب يطلبه فضلّ عنه، فتعالوا نعبدُ هذا العجْلَ، فقال الله «لموسى» وهو يناجيه: ﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ [طه: ٨٥]. فقال «موسى»: يا ربِّ هذا السامرىّ أخرج لهم عجْلا من حُلّيهم، فمن جعل له جسدًا؟ ـ يريد اللحم والدّم ـ ومن جعل له خوارًا؟ فقال الله ـ سبحانه ـ: «أنا». اهـ[١].

* ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً ﴾، أى: طريقًا إلى حجّة.

* ﴿ اتَّخَذُوهُ ﴾، أى: إلهًا. * ﴿ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾، أى: لأنفسهم فيما فعلوا من اتخاذه، وقيل: صاروا ظالمين، أى: مشركين لجعلهم العجل إلهًا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ حُلِيِّهِمْ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ [رقم: ١٤٨].

قرأ يعقوب ﴿ حَلْيِهم ﴾ بفتح الحاء، وإسكان اللام، وكسر الياء مخففة وهو إمّا مفرد أريد به الجمع، وإما اسم جَمْع مفرده «حَلْية» مثل «قمْح وقَمْحَة».

وقرأ حمزة، والكسائى ﴿ حِلِيِّهم ﴾ بكسر الحاء، وتشديد الياء المكسورة، على أنه جَمْع «حَلْيًا» على «حُلُوى» على وزن «فعول» مثل «كعب وكعوب» ولما أرادوا إدغام الواو فى الياء للتخفيف أبدلوا من ضمة اللام كسرة ليصحّ انقلاب الواو إلى الياء، وليصحّ الإدغام، ثم كسرت الحاء إتباعًا لكسرة اللام ليعمل اللسان عملا واحدًا فى الكسرتين.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٨١).

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿حُلِيِّهم﴾ بضم الحاء، وكسر اللام، وكسر الياء مشدّدة، وتوجيه هذه القراءة كتوجيه قراءة حمزة ومن معه، إلا أن ضمة الحاء بقيت على أصلها[(١)].

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾، أي: ندموا، يقال للنادم المتحيّر: قد سُقِط فى يده.

قال الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ): يقال: سُقط فى يده، وأسقط[(٢)].

* ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾، أي: انقلبوا بمعصية الله ـ تعالى ـ.

* ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: أخذوا فى الإقرار بالعبوديّة، والاستغفار.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ [رقم: ١٤٩].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار ﴿ترحمنا، وتغفر﴾ بالتاء فى الفعلين، على الخطاب لله ـ عزّ وجلّ ـ، وفيه معنى الاستغاثة والتضرّع، والابتهال فى الدعاء، وبنصب باء «ربنا» على النداء وهو أبلغ فى الدعاء والتضرع.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿يرحمنا، ويغفر﴾ بالياء فى الفعلين على الخبر عن غائب، وفيه معنى الإفراد بالعبوديّة، وبرفع باء «ربُّنا» على أنه فاعل[(٣)].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٦٢)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨١)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٧٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٨٢).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٦٣)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨١)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٧٧)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها(١/ ٢٥٣).

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾: ﴿ غَضْبَانَ ﴾ منصوب على الحال، وهو ممنوع من الصرف لزيادة الألف والنون. ﴿ أَسِفًا ﴾، أي: شديد الغضب.

* ﴿ قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾، أي: بئس العمل عملتم بعدي.

* ﴿ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾، أي: سبقتموه، والعجلة: التقدّم بالشيء قبل وقته، وهي مذمومة، والمراد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾: أي: وعد ربكم أربعين ليلة، وقيل: تعجلتم سخط ربكم.

* ﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ ﴾، أي: بسبب ما اعتراه من الغضب والأسف حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل.

* ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾، أي: بلحيته وذؤابته.

يؤيد هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ يَا ابْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ [طه: ٩٤].

* ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ ﴾ وكان ابن أمّه وأبيه، ولكنها كلمة لين وعطف، وكان «هارون» أكبر من «موسى» بثلاث سنين.

* ﴿ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي ﴾، أي: استذلّوني، وعدّوني ضعيفًا.

* ﴿ وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ﴾، أي: قاربوا قتلي.

* ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ﴾، أي: لا تسرّهم، والشماتة: إظهار السّرور بما يصيب الغير من المصائب، وهي محرّمة شرعًا ومنهيّ عنها، ففي الحديث: عن النبي ﷺ قال: «لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك».

* ﴿ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾، أي: الذين عبدوا العجل.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أُمَّ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي﴾ [طه: ٩٤].

قرأ ابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار ﴿أمّ﴾ فى الموضعين بكسر الميم.

والأصل: «يا ابن أمّي» ثم حذفت الياء تخفيفًا لدلالة الكسرة عليها ولكثرة الاستعمال.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿أمّ﴾ فى الموضعين بفتح الميم، ووجه ذلك أنه جعل الاسمين اسمًا واحدًا لكثرة الاستعمال، بمنزلة خمسة عشر فهو مبنىّ على فتح الجزءين، مثل بناء خمسة عشر[1].

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢)﴾

معانى المفردات:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: الغضب من الله ـ تعالى ـ: العقوبة.

* ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾، أى: مثل ما فعلنا بهؤلاء نفعل بالمفترين.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾، أى: الكفر والمعاصى.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٦٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨١).

* ﴿ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا ﴾، أى: من بعد فعلها.

* ﴿ وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾، أى: من بعد التوبة. * ﴿ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

* ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ ﴾، أى: سكن. وأصل السكوت: السكون والإمساك.

* ﴿ أَخَذَ الأَلْوَاحَ ﴾: التى ألقاها.

* ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾، أى: هدًى من الضلالة، ورحمة من العذاب.

والنسخ: نقل ما فى الكتاب إلى كتاب آخر، ويقال للأصل الذى كتبت منه: نسخة، والفرع نسخة.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): لما تكسّرت الألواح صام «موسى» أربعين يومًا، فَرُدَّت عليه، وأعيدت له تلك الألواح فى لوحين، ولم يفقد منها شيئًا. اهـ(١).

* قال القشيرىّ: فعلى هذا يكون معنى ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾، أى: وفيما نُسِخ من الألواح المتكسِّرة، ونُقِل إلى الألواح الجديدة هدًى ورحمةٌ.

* ﴿ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾، أى: يخافون.

* قال الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ): اللام فى ﴿ لِرَبِّهِمْ ﴾ هى لام أجْل، وحينئذ يكون المعنى: والذين هم من أجل ربّهم يرهبون، لا رياء ولا سمعة. اهـ(٢).

﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا ﴾:

(١ - ٢) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٨٦).

* قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): أى لتمام الموعد[1].

* ﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾، أي: الزلزلة الشديدة فماتوا ثم أحياهم الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ﴾، أي: لو شئت أمتّنا من قبل أن نخرج إلى الميقات.

* ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ ﴾:

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: أى مشيئتك[2].

* وقال أبو العالية الرياحىّ (ت ١٩٠هـ): أى بليتك[3].

* ﴿ تُضِلُّ بِهَا ﴾، أي: الفتنة.

* ﴿ مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا ﴾، أي: ناصرنا، ومتولّى جميع أمورنا.

* ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾.

﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ الآية، عدد من الروايات وقد اخترت الرواية التالية طلبًا للاختصار:

* أخرج البيهقى فى الشعب عن سفيان بن عيينة (ت: ١٩٨هـ) قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ مدّ إبليس عنقه فقال: أنا من الشىء، فنزلت ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾. اهـ[4].

معانى المفردات:

* ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾، أي: وفقنا للأعمال الصالحة التى تكتب لنا بها الحسنات.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٦٩).　　(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧٣).

* ﴿ وَفِي الآخِرَةِ ﴾، أي: جزاء عليها. * ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾، أي: تبنا.

* ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾، أي: المستحقين له، وذلك بمخالفتهم أوامرى، والكفر، أو الإشراك بى.

* ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾، أي: لا نهاية لها، أى من دخل فيها لم تعجز عنه، وقيل: وسعت كل شىء من الخلق حتى البهيمة لها رحمة وعطف على ولدها.

* أخرج ابن أبى شيبة عن سلمان موقوفًا، وابن مردويه عن سلمان قال: قال النبى ﷺ: «إن الله خلق مائة رحمة يوم خلق السموات والأرض، كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض، فأهبط منها رحمة إلى الأرض فبها تتراحم الخلائق، وبها تعطف الوالدة على ولدها، وبها يشرب الطير والوحوش من الماء، وبها تعيش الخلائق، فإذا كان يوم القيامة انتزعها من خلقه ثم أفاضها على المتقين، وزاد تسعًا وتسعين رحمة، ثم قرأ ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾». اهـ(١).

* ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾: فقالت اليهود والنصارى: نحن متقون. فقال الله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ [رقم: ١٥٧]، فخرجت الآية عن العموم.

* روى حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كتبها الله ـ عزّ وجلّ ـ لهذه الأمّة. اهـ(٢).

* ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾، أي: يؤدّونها لمستحقيها بشروطها.

* ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾، أي: يصدقون تصديقًا جازمًا.

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٨٩).

* عن قتادة بن دعـامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: هو نبيكم «محـمد» ﷺ كان أميًا لا يكتب[١].

* وعن عبـد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهـما) قال: قـال رسول الله ﷺ: «إنّا أمّة أمـيّة لا نكتب ولا نحـسب، وإن الشهر كـذا وكذا، وضرب بيـده ست مرّات وقبض واحدة». اهـ[٢].

* وعن قتـادة بن دعامـة السدوسى فى قولـه ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾ قال: يجدون نعته وأمره ونبوّته مكتوبًا عندهم[٣].

* وعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرنى عن صفة رسـول الله ﷺ، قال: أجل، والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفـته فى القرآن: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحرزًا للأميّين، أنت عبدى ورسولى، سميـتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب فى الأسواق، ولا يجزئ بـالسيئـة السيـئة، ولكن يعـفو ويصـفح، ولن يقبضـه الله حتى يقـيم به الملّة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفا[٤].

* وأخرج الزبير بن بكار فى أخبار المدينـة، وأبو نعيم فى الدلائل عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قـال: قال رسول الله ﷺ: «صـفتى أحـمد المتـوكّل، مولده بمكة، ومهـاجره إلى طيـبة، ليس بفظّ، ولا غليظ، يجـزئ بالحسنة الحـسنة، ولا يكافئ بالسيـئة، أمّتـه الحمّادون يأتـزرون على أنصافهم، ويوضـئون أطرافهم، أنـاجيلهم فى صـدورهم، يُصَفّـون للصـلاة كمـا يُصَـفّون للقـتـال، قربانهم الـذى يتقـرّبون به إلىّ دماؤهـم، رهبان بالليل ليوث بالنهار». اهـ[٥].

* ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ الآية:

* أخرج الطبرانىّ عن حبيب بن سليمان عن أبيه، عن جدّه أنّ النبىّ ﷺ أتاه رجل من الأعراب يستفتيه عن الرجل: ما الذى يحلّ له والذى يحرم عليه فى ماله، ونسكه، ومـاشيـته، وعنزه، وفـرعـه من نتاج إبله وغنـمه؟ فـقال له رسـول الله ﷺ: «أحلّ لك

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧٤).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧٥).

الطيبات، وحرّم عليك الخبائث إلا أن تفتقر إلى طعام فتأكل منه حتّى تستغنى عنه» قال: ما فقرى الذى آكل ذلك إذا بلغته؟ أمْ ما غناى الذى يغنينى عنه؟ قال: «إذا كنت ترجو نتاجًا فتبلغ بلحوم ماشيتك إلى نتاجك، أو كنت ترجو عَشَاء تصيبه مدركًا فتبلغ إليه بلحوم ماشيتك، وإذا كنت لا ترجو من ذلك شيئًا فأطعم أهلك ما بدا لك حتى تستغنى عنه».

قال الأعرابى: وما عشائى الذى أدعه إذا وجدته؟ قال: «إذا رويت أهلك غبوقًا من اللبن فاجتنب ما حَرُم عليك من الطعام، وأمّا مالُكَ فإنه ميسور كله ليس منه حرام غير أنّ فى نتاجك من إبلك فرعًا، وفى نتاجك من غنمك فرعًا تغذوه ماشيتك حتى تستغنى، ثم إن شئت فأطعمه أهلك، وإن شئت تصدّق بلحمه، وأَمَرَهُ أن يعقر من الغنم فى كل مائة عشرًا». اهـ[1].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾ قال: الحلال[2].

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ قال: كلحم الخنزير، والربا، وما كانوا يستحلّون من المحرمات من المآكل التى حرّمها الله.

وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾، قال: هو ما كان أخذ الله عليهم من الميثاق فيما حرّم عليهم[3].

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾، قال: ما غلظ على بنى إسرائيل من قرض البول من جلودهم إذا أصابهم ونحوه. اهـ[4].

* وعن ابن شوذب فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ قال: الشدائد التى كانت عليهم[5].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَزَّرُوهُ ﴾ قال: عظّموه ووقّروه[6].

* وعن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَصَرُوهُ ﴾، أى: بالسيف[7].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٢). (٤ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٣).

* ﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ﴾، أي: القرآن الكريم.

* ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾، أي: الفائزون بالجنة الناجون من النار.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ [رقم: ١٥٧].

قرأ ابن عامر ﴿ آصارهم ﴾ بفتح الهمزة ومدّها، وفتح الصاد وألف بعدها، بالجمع، على وزن «أعمالهم».

وقرأ الباقون ﴿ إصرهم ﴾ بكسر الهمزة من غير مدّ، وإسكان الصاد، على الإفراد، واكتفوا بالواحد لأنه مصدر يدلّ على القليل والكثير من جنسه مع إفراد لفظه(١).

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾:

تضمنت هذه الآية الأمر من الله ـ عزّ وجلّ ـ لنبيه «محمد» ﷺ بإشهار الدعوة والحضّ على الدخول فى الدين الحنيف.

* قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): هذه الآية خاصّة بنبينا «محمد» ﷺ من بين الرسل فإن نبينا ﷺ بُعث إلى الناس كافة وإلى الجنّ(٢).

* ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﴾:

تضمنت هذه الآية الحثّ على اتباع نبينا «محمد» ﷺ.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٦٥)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٢)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٧٩)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٥٥).

(٢) انظر: المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٢/ ٤٦٥).

* ﴿ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴾: المراد بالكلمات هنا: الآيات المنزّلة من عند الله - تعالى - كالتوراة والإنجيل.

* ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾: الضمير فى «واتبعوه» عائد على نبينا «محمد» ﷺ، وهذا أمر من الله - تعالى - باتباعه ﷺ إذ فى اتباعه الهداية إلى الصراط المستقيم.

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم عن على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ - رضى الله عنه) قال: افترقت بنو إسرائيل بعد «موسى» إحدى وسبعين فرقة كلها فى النار إلا فرقة.

وافترقت النصارى بعد «عيسى» على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار إلا فرقة.

وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا فرقة. فأمّا اليهود فإن الله يقول: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾، وأمّا النصارى فإن الله يقول: ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ [المائدة: ٦٦]، فهذه التى تنجو من النصارى. وأمّا نحن فإن الله يقول: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١) ﴾ [الأعراف: ١٨١]. فهذه التى تنجو من هذه الأمّة. اهـ[1].

* ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾:

تضمنت هذه الآية بيان نعم الله - تعالى - على بنى إسرائيل منها: أن الله - سبحانه وتعالى - جعلهم اثنى عشر سبطًا، ليكون كل سبط معروفًا من جهة رئيسهم، قال - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ [المائدة: ١٢].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٥).

* ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ ﴾، أي: طلبوا منه السقيا.

* ﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾: لكل سبط عين يشربون منها.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ [البقرة: ٦٠].

* ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ ﴾: وهم فى التيه.

* ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾، وقلنا لهم:

* ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾، المراد بالطيبات: الحلالات التى أحلها الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾: لأن عاقبة ظلمهم ستعود عليهم بغضب الله عليهم، والعذاب الأليم يوم القيامة.

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ﴾، أي: واذكر يا «محمد» لليهود الموجودين ﴿ إِذْ قِيلَ لَهُمُ ﴾، والمراد: من سلف من بنى إسرائيل، وذلك أنهم لما خرجوا من التّيه قيل لهم:

* ﴿ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾، قال الطبرى محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): الإشارة هنا إلى بيت المقدس. اهـ[١]. وقيل: إلى «أريحا».

* ﴿ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾، أي: ونعيمها مباح لكم، قال ـ تعالى ـ فى آية أخرى: ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدًا ﴾ [البقرة: ٥٨].

* ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾، أي: حطّ عنا خطايانا.

* ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾، أي: منحنين على الركب كهيئة الساجد لله ـ تعالى ـ خشوعًا وتطوعًا.

(١) انظر: تفسير ابن عطية (٢/ ٤٦٦).

* ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ﴾، وذلك بطاعتكم وامتثالكم أوامر الله.

* ﴿ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾: أجرًا وثوابًا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ﴾ [رقم: ١٦١].

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿ تُغفر ﴾ بتاء التأنيث مبنيًا للمفعول.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ نَغفر ﴾ بالنون مبنيًا للفاعل.

وقرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿ خطيئاتكم ﴾ بالجمع ورفع التاء، على أنها نائب فاعل لـ «تُغْفَر».

وقرأ ابن عامر ﴿ خطيئتكم ﴾ بالإفراد، ورفع التاء، على أنها نائب فاعل لـ «تُغفَر» أيضًا.

قرأ أبو عمرو ﴿ خطاياكم ﴾ جمع تكسير، على أنها مفعول به لـ «نَغْفِر».

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ خطيئاتِكم ﴾ بجمع السلامة ونصب التاء بالكسرة، على أنها مفعول به لـ «نَغْفِر»[(١)].

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾، أي: قالوا حبّة فى شعرة، ودخلوا يزحفون على أستاههم.

* ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾، المراد بالرجز الذى أرسله الله عليهم هو الطاعون، فمات منهم في يوم واحد سبعون ألفًا.

* ﴿ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾، أي: بسبب ظلمهم ومخالفتهم تعاليم الله.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٦٦).

﴿ واسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) ﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ واسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ الآية، قال: هى قرية على شاطئ البحر يقال لها «أَيْلَة» فحرّم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم، فكانت تأتيهم يوم سبتهم شرّعا ـ أى: ظاهرة على الماء ـ فى ساحل البحر، فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها، فمكثوا كذلك ما شاء الله. اهـ(١).

* ﴿ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم ﴾، أى: نشدّد عليهم فى العبادة، ونختبرهم.

* ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾، أى: بسبب فسقهم.

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ الآية: قال جمهور المفسرين: إن بنى إسرائيل افترقت ثلاث فرق: فرقة عصت وصادت يوم السبت، وفرقة نهت واعتزلت الصيد، وفرقة اعتزلت الصيد، ولم تنه ولم تعص، فقالت الفرقة التى لم تنه ولم تصد للفرقة الناهية: لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا، يقصدون بذلك الفرقة التى عصت وصادت، قالوا معذرةً إلى ربكم، أى نعتذر من فعلهم اعتذارًا إلى ربكم، «فمعذرة» مفعول لأجله.

* ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾، أى: رجاء أن يتقوا الله، ويتركوا الصيد يوم السبت لأن الله نهى عن ذلك.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٧).

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [رقم: ١٦٤].

قرأ حفص ﴿معذرةً﴾ بنصب التاء، على المصدر، وهو مفعول لأجله، كأنه لما قيل لهم: لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا قالوا: لنعتذر من فعلهم إلى ربكم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿معذرةٌ﴾ برفع التاء، على أنه خبر لمبتدأ محذوف دلّ عليه الكلام، والتقدير: موعظتنا معذرةٌ إلى ربكم(١).

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، أي: تركوه قصدًا.
* ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾، أي: شديد.
* ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، أي: بسبب فسقهم، وهو خروجهم عن تعاليم الله ـ تعالى ـ.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [رقم: ١٦٥].

قرأ نافع، وأبو جعفر، وهشام بخُلْف عنه ﴿بيس﴾ بكسر الباء الموحّدة وبعدها ياء ساكنة من غير همز، علىٰ أن أصلها «بَئِس» على وزن «حَذِر» نقلت كسرة الهمزة إلى الباء، ثم أبدلت الهمزة ياء.

وقرأ ابن ذكوان، وهشام في وجهه الثاني ﴿بِئْس﴾ بكسر الباء الموحّدة، وبعدها همزة ساكنة من غير ياء.

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ١٦٨)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٢)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٨١)، والمهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٥٦).

وقرأ شعبة في أحد وجهيه ﴿ بَيْئَس ﴾ بباء مفتوحة، ثم ياء ساكنة، ثم همزة مفتوحة من غير ياء، على وزن «ضَيْغَم».

وقرأ الباقون ﴿ بَئِيس ﴾ بفتح الباء، وكسر الهمزة، وياء ساكنة، على وزن «رئيس» وهو الوجه الثاني لشعبة[1].

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ ﴾، أى: فلما تجاوزوا الحدّ بفعلهم ما نهاهم الله عنه.

* ﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾: فكانوا كذلك.

* ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ الآية، أى: أعلم أسلافهم أنهم إن غيروا ولم يؤمنوا بالنبىّ الأمىّ بعث الله عليهم من يعذبهم.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: الذين يسومونهم سوء العذاب «محمد» ﷺ وأمته إلى يوم القيامة، وسوء العذاب: الجزية[2].

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾: قال: هم اليهود بسطهم الله فى الأرض، فليس فى الأرض بقعة إلا وفيها عصابة منهم وطائفة. اهـ[3].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٧٠)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٢)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٥٦).

(٢ - ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٩٢).

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) في قوله - تعالى -: ﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾، قال: هم مسلمة أهل الكتاب.

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾، قال: اليهود.

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ﴾، قال: الرخاء والعافية.

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾، قال: البلاء والعقوبة. اهـ[١].

* ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، أي: فعلنا بهم ذلك لكي يتوبوا ويرجعوا عمّا هم عليه من الكفر وعصيان أوامر الله - تعالى -.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩)﴾

معاني المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله - تعالى -: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾، قال: هم النصارى.

* وفي قوله - تعالى -: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾، قال: ما أشرف لهم شيء من الدنيا حلالا أو حرامًا يشتهونه أخذوه ويتمنون المغفرة، وإن يجدوا آخر مثله يأخذونه. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ قال: فيما يوجّهون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون إليها، ولا يتوبون منها. اهـ[٣].

* ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾، قال ابن زيد عبد الرحمن بن زيد (ت حوالي ١٧٠هـ): علموا ما في الكتاب ولم يأتوه بجهالة. اهـ[٤].

* ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

(١ - ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٩٣).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٩٤). (٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤٩٥).

﴿ والَّذين يمسِّكُون بِالْكِتَاب وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِين (١٧٠) ﴾

✳ المعنى:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ﴾ الآية، قالا: هى لأهل الإيمان من اليهود والنصارى(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ﴾ [رقم: ١٧٠].

قرأ شعبة ﴿ يُمْسِكون ﴾ بسكون الميم، وتخفيف السين، على أنه مضارع «أمسك».

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ يُمَسِّكون ﴾ بفتح الميم، وتشديد السين، على أنه مضارع «مسّك» مضعف العين بمعنى «تمسّك» اهـ(٢).

﴿ وإِذْ نَتَقْنَا الْجبل فوْقهمْ كأَنَّه ظُلَّةٌ وظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا ما آتيناكم بِقُوَّةٍ واذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾، أى: رفعناه واقتلعناه من أصله، وكأنه لارتفاعه سحابة تظلهم.

* ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾، أى: بجدّ واجتهاد.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ قال: رفعته الملائكة فوق رءوسهم فقيل لهم: ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾ فكانوا إذا نظروا إلى الجبل قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا: سمعنا وعصينا. اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٩٥).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٧١).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٩٥).

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) ﴾

معاني المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ ﴾ الآية، قال: خلق الله آدم وأخذ ميثاقه أنه ربّه، وكتب أجله ورزقه، ومصيبته، ثم أخرج ولده من ظهره كهيئة الذرّ، فأخذ مواثيقهم أنه ربهم، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم. اهـ(١).

* وفي رواية عنه قال: لما خلق الله آدم أخذ ذرّيته من ظهره كهيئة الذرّ، ثم سمّاهم بأسمائهم فقال: هذا فلان ابن فلان يعمل كذا وكذا، وهذا فلان ابن فلان يعمل كذا وكذا، ثم أخذ بيده قبضتين فقال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار. اهـ(٢).

* وعن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضي الله عنه) في الآية قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرّية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرّية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون»، فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال: «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الله الجنّة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار»(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَن تَقُولُوا ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [رقم: ١٧٢].

* ﴿ أَوْ تَقُولُوا ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ [رقم: ١٧٣].

قرأ أبو عمرو ﴿ أن يقولوا، أو يقولوا ﴾ بياء الغيبة فيهما، لموافقة نسق ما قبله وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدرالمنثور للسيوطي (٣/ ٥٩٨).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٠١).

أَنفُسِهِمْ ﴾ وبعده أيضًا لفظ غيبة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ ﴾ فحمل على ما قبله، وما بعده من لفظ الغيبة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ أن تقولوا، أو تقولوا ﴾ بتاء الخطاب فيهما، لموافقة لفظ الخطاب المتقدم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ أو على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب[١].

﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾، الآية: قال ابن عطيّة فى تفسيره: المعنى: إنّ الكفرة لو لم يؤخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول بما تضمنه العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم حجتان: إحداهما: كنا غافلين، والأخرى كنا تُبّاعًا لأسلافنا فكيف نهلك، والذنب إنما هو لمن أضلّنا، فوقعت شهادة بعضهم على بعض، أو شهادة الملائكة عليهم لتنقطع لهم هذه الحجج.. اهـ[٢].

* ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ ﴾:

✵ **المعنى:** وكما فعلنا هذه الأمور، وأنفذنا هذه المقادير فكذلك نفصّل الآيات ونبينها لمن عاصرك يا «محمد» وبعثت إليه.

* ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾: إلى طاعة الله ـ تعالى ـ، ويدخلون فى توحيده وعبادته.

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾: قال: هو رجل من مدينة الجبارين يقال له «بلعم

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٧٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٤)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٨٣)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٥٨).

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (٢/ ٤٧٦).

بن باعوراء» تعلّم اسم الله الأكبر، فلما نزل بهم موسى أتاه بنو عمّه وقومه فقالوا: إن موسى رجل جديد ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يردّ عنّا «موسى» ومن معه، قال: إنّى إن دعوت الله أن يردّ «موسى» ومن معه مضت دنياى وآخرتى، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فانسلخ مما كان فيه.. اهـ(١).

* وفى رواية عنه قال: هو رجل أعطى ثلاث دعوات يستجاب له فيهنّ، وكانت له امرأة له منها ولد، فقالت: اجعل لى منها واحدة، قال: فلك واحدة فما الذى تريدين؟ قالت: ادع الله أن يجعلنى أجمل امرأة فى بنى إسرائيل، فدعا الله فجعلها أجمل امرأة فى بنى إسرائيل، فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه، وأرادت شيئًا آخر، فدعا الله أن يجعلها كلبة فصارت كلبة، فذهبت دعوتان، فجاء بنوها فقالوا: ليس بنا على هذا قرار، قد صارت أمّنا كلبة يعيّرنا الناس بها، فادع الله أن يردّها إلى الحال التى كانت عليه، فدعا الله فعادت كما كانت، فذهبت الدعوات الثلاث. اهـ(٢).

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال: نزع منه العلم. اهـ(٣).

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ قال: لو شئنا لرفعناه بإيتائه الهدى فلم يكن للشيطان عليه سبيل، ولكنّ الله يبتلى من يشاء من عباده.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، قال: أبى أن يصحب الهدى.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ الآية، قال: هذا مثل الكافر ميت الفؤاد كما أميت فؤاد الكلب. اهـ(٤).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٠٨).
(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٠).

* وعن مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ ﴾ قال: سكن إلى الأرض.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ قال: إن تطرده بدابتك، ورجليك وهو مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعمل به.. اهـ[١].

﴿ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾، أى: قبح مثل جميع الكفّار.

* ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ﴾ الآية:

* عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ يقول فى خطبته: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله» اهـ[٢].

* وعن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان رسول الله ﷺ يقول فى خطبته: «نحمد الله ونثنى عليه بما هو أهله ثم يقول: من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى «محمد» وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، ثم يقول: بعثت أنا والساعة كهاتين» اهـ[٣].

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ قال: ولقد خلقنا لجهنم.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١١).

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٢).

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾، قال: لا يفقهون شيئًا من أمر الآخرة.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾، قال: الهدى.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾، قال: الحق، ثم جعلهم كالأنعام، ثم جعلهم شرًا من الأنعام فقال: ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ ثم أخبر أنهم الغافلون.. اهـ(١).

﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾

معانى المفردات:

* عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة، إن الله وتر يحب الوتر» اهـ(٢).

* وفى رواية عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله مائة اسم غير اسم، من دعا بها استجاب الله له دعاءه»(٣).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: الإلحاد: التكذيب(٤).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: الذين يشركون فى أسمائه أى يدخلون فيها ما ليس منها(٥).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ﴾ [النحل: ١٠٣].

ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ [فصلت: ٤٠].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٣).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٤). (٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٦).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٧).

قرأ حمزة ﴿ يَلحَدون ﴾ فى السور الثلاث بفتح الياء والحاء، مضارع «لحد» الثلاثى.

وقرأ الكسائى، وخلف البزّار موضع النحل بفتح الياء والحاء.

وموضعَيْ: الأعراف وفصّلت بضم الياء، وكسر الحاء، مضارع «ألحد» الرباعى.

وقرأ الباقون بضم الياء، وكسر الحاء فى السور الثلاث.

ولحد وألحد لهجتان بمعنى واحد وهو: العدول عن الاستقامة ومنه قيل: «اللحد» لأنه إذا حُفِر يُمال به إلى جانب القبر(١).

﴿ وممَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وبه يَعْدِلُونَ (١٨١) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾ الآية، قال: ذكر لنا أنّ النبى ﷺ قال: «هذه أمتى بالحق يحكمون ويقضون، ويأخذون ويعطون» اهـ(٢).

* وعن يحيى بن المثنى فى قوله - تعالى -: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾ قال: كلما أحدثوا ذنبًا جددنا لهم نعمة تنسيهم الاستغفار(٣).

* ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾، أى: أطيل لهم المدّة، وأمهلهم، وأأخر عقوبتهم.

* ﴿ إِنَّ كَيْدِي ﴾، أى: مكرى. * ﴿ مَتِينٌ ﴾، أى: شديد قوىّ.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١٨٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾، أى: فيما جاءهم به نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾، أى: جنون، وهذا ردّ لقولهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) ﴾ [الحجر: ٦].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٧٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٤)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٨٤)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٥٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٨).

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: عجب الله من إعراضهم عن النظر فى آياته ليعرفوا كمال قدرته. والملكوت: من أبنية المبالغة، ومعناه المُلْكُ العظيم.

* ﴿ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾: معطوف على ما قبله، أي: وفيما خلق الله من الأشياء.

* ﴿ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾، أي: وفى آجالهم التى عسى أن تكون قد قربت، وهو فى موضع خفض معطوف على ما قبله.

* ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾، المعنى: فبأى قرآن غير ما جاء به النبى «محمد» ﷺ يصدّقون.

* ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ ﴾ الآية:

* عن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) أنه خطب بالجابية فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادى له، فقال له فتًى بين يديه كلمة بالفارسيّة، فقال عمر لمترجم يترجم له ما يقول؟ قال: يزعم أن الله لا يضلّ أحدًا، فقال عمر: كذبت يا عدوّ الله، بل الله خلقك وهو أضلك، وهو يدخلك النار إن شاء الله، فتفرّق الناس وما يختلفون فى القدر. اهـ[1].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ [رقم: ١٨٦].

قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر ﴿ وَنَذَرُهم ﴾ بنون العظمة، ورفع الراء، وجه قراءة النون، أنه عدول عن لفظ الغيبة إلى الإخبار، ووجه الرفع أنه على الاستئناف.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٩).

وقرأ أبو عمرو، وعاصم، ويعقوب ﴿ ويَذرُهم ﴾ بالياء على الغيب، ورفع الراء، وجه قراءة الياء جريًا على لفظ الغيبة قبله في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ ﴾ ووجه الرفع أنه على الاستئناف.

وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزّار ﴿ ويَذرْهم ﴾ بالياء على الغيب، وجزم الراء، وجه الغيبة أنه جريًا على نسق ما قبله، ووجه الجزم أنه عطف على محلّ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلا هَادِيَ لَهُ ﴾ لأنه في محلّ جزم جواب الشرط[١].

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (١٨٧) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾، أي: متى قيامها[٢].

* وعن حذيفة بن اليمان قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة قال: «علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن أخبركم بما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنة وهرجًا»، قالوا: يا رسول الله الفتنة قد عرفناها، الهرج ما هو؟ قال: «بلسان الحبشة: القتل». اهـ[٣].

* وعن السدي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ قال: لا يرسلها لوقتها إلا هو.

* وعنه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ يقول: خفيت في السموات والأرض، فلم يعلم قيامها متى تقوم: مَلَكٌ مقرّب ولا نبيّ مرسل.

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ١٧٦)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٤)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٥٩)، والمهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٤٨٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦١٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٢٠).

* ﴿ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً ﴾: قال: تبغتهم تأتيهم على غفلة[١].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ يقول: كأنك عالم بها أى لست تعلمها[٢].

﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن جريج فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا ﴾، قال: الهدى والضلال.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾، أى: متى أموت.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾، قال: العمل الصالح[٣].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾، قال: لعلمت إذا اشتريت شيئًا ما أربح فيه فلا أبيع شيئًا إلا ربحتُ فيه.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾، قال: ولا يصيبنى الفقر[٤].

* وعن ابن زيد فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾، قال: لاجتنبت ما يكون من الشرّ قبل أن يكون[٥].

ودلّ على المعانى التى تقدمت فى الآية قوله ـ تعالى ـ على لسان نبينا «محمد» ﷺ: «إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون».

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) ﴾

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢١).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى(٣/ ٦٢٣).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٢).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٣).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾: المراد بالنفس الواحدة «آدم» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾: المراد: حوّاء.

* ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾: ليأنس بها ويطمئن، وكل هذا كان فى الجنة.

* ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ هذا كناية عن الجماع، أى: جامع آدم حوّاء.

* ﴿ حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ﴾، المراد: المنىّ ـ أى استمدت بذلك الحمل الخفيف، تقوم وتقعد، ولا تكترث بحمله إلى أن ثقل فى بطنها.

* ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَت ﴾، أى: صارت ذات ثقل.

* ﴿ دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾: الضمير فى «دعوا» عائد على آدم وحوّاء.

* ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا ﴾، أى: ولدًا سويًا. * ﴿ لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾.

* ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾، قال المفسّرون: كان شركًا فى التسمية والصفة، لا فى العبادة والربوبيّة.

ومن الأدلة على صحة هذا المعنى الحديث التالى:

* أخرج أحمد، والترمذى وحسّنه، وابن جرير، وابن أبى حاتم وأبو الشيخ، وابن مردويه، والحاكم وصححه عن سمرة بن جندب (ت ٦٠ هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمّته عبد الحارث فعاش، فكان ذلك من أمر الشيطان». اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ [رقم: ١٩٠].

قرأ نافع، وشعبة، وأبو جعفر ﴿ شِرْكًا ﴾ بكسر الشين، وإسكان الراء، وتنوين الكاف من غير همز، اسم مصدر أى ذا شِرك.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٣).

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ شركاء ﴾ بضم الراء وبالمد والهمز من غير تنوين، جمع شريك[١].

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا ﴾، أي: أيعبدون ما لا يقدر على خلق شيء.

* ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ وذلك لأن الأصنام مخلوقة، وهي لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عن نفسها فضلاً عن غيرها شيئًا.

* ﴿ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾، أي: إن الأصنام لا تنصر، ولا تنتصر.

* ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾، أي: وإن تدعوا الأصنام إلى الهدى لا يتبعوكم. * ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٣].

* ﴿ يتبعهم ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

قرأ نافع ﴿ لا يتْبَعوكم، يتْبَعهم ﴾ بإسكان التاء، وفتح الباء، مضارع «تبع» الثلاثي.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح التاء المشدّدة، وكسر الباء في الموضعين، مضارع «اتبع»[٢].

---

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٦٠)، والمغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ١٧٧)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٥)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٨٥).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ١٧٩)، والنشر في القراءات العشر وتوجيهها (٣/ ٨٥).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنظِرُونِ (١٩٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾: هذه محاجّة لهم فى عبادة الأصنام، وحينئذ يكون المعنى: إن الأصنام مخلوقة أمثالكم.

ولما اعتقد المشركون أن الأصنام تنفع وتضرّ، أجراها الله مجرى الناس فقال:

* ﴿ فَادْعُوهُمْ ﴾، أى: فاطلبوا منهم النفع والضرّ.

* ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾: أن عبادة الأصنام تنفع.

ثم وبّخهم الله وسفّه عقولهم فقال:

* ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ الآية. المعنى: أنتم أفضل منهم فكيف تعبدونهم.

* ﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴾، أى: الأصنام.

* ﴿ ثُمَّ كِيدُونِ ﴾، أنتم وهى. * ﴿ فَلا تُنظِرُونِ ﴾، أى: فلا تؤخرون.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَبْطِشُونَ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

* ﴿ يَبْطِشَ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ﴾ [القصص: ١٩].

* ﴿ نَبْطِشُ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ [الدخان: ١٦].

قرأ أبو جعفر يبطشون، يبطش، نبطش. بضم الطاء، مضارع «بطش يبطش» نحو: «خرج يخرج».

وقرأ الباقون الألفاظ الثلاثة بكسر الطاء، مضارع «بطش يبطش» نحو: «ضرب يضرب»[(١)].

﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ﴾، أى: الذى يتولى نصرى وحفظى الله ـ تعالى ـ الذى نزّل القرآن.

* ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾، أى: يحفظهم بعنايته ورعايته.

﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٧) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ (١٩٨) خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ ﴾ الآية: أى: ما يعبدونه من دون الله ـ تعالى ـ لا ينفع ولا يضر.

* ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَسْمَعُوا ﴾: شرط وجواب.

* ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾: المعنى: وترى الأصنام كالناظرين إليك والحال أنهم لا يبصرون.

* ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾:

* قال القرطبى فى تفسيره:

هذه الآية تضمنت قواعد الشريعة فى المأمورات والمنهيّات:

فقوله: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٣/ ١٨١)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٥).

وقوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ دخل فيه: صلة الأرحام، وتقوى الله فى الحلال والحرام، وغضّ الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ دخل فيه: الحضّ على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزّه عن منازعة السفهاء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، والأفعال الرشيدة. اهـ(١).

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن جرير عن ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) قال: لما نزلت ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [رقم: ١٩٩]، قال رسول الله ﷺ: «كيف يا ربّ والغضب»، فنزلت: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ الآية(٢).

معانى المفردات:

* ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾: أى: يصيبنك ويعرض لك عند الغضب وسوسة من الشيطان بما لا يجوز شرعًا.

* ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أى: اطلب النجاة من ذلك بالله أى بالالتجاء إليه والاستعاذة به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١)﴾

معانى المفردات:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أى: الشرك والمعاصى.

* ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾: اسم فاعل من طاف يطوف.

* ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾، أى: منتهون.

(١) انظر: تفسير القرطبى (٤/ ٣٤٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٣٤٧)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٣١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ [رقم: ٢٠١].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب ﴿طَيْفٌ﴾ بحذف الألف، وإثبات ياء ساكنة بعدها مكان الهمزة، على وزن «ضَيْف» على أنه مصدر «طاف الخيال يطيف طيفا» مثل «كال يكيل كيلا».

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿طائف﴾ بألف بعد الطاء، وهمزة مكسورة من غير ياء، اسم فاعل من «طاف يطوف» فهو طائف، نحو: «قال يقول فهو قائل»(١).

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)﴾

* **المعنى:** وإخوان الشياطين وهم الفجّار من ضُلال الإنس تمدّهم الشياطين في الغيّ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ [رقم: ٢٠٢].

قرأ نافع، وأبو جعفر ﴿يُمِدّونهم﴾ بضم الياء، وكسر الميم، مضارع «أمدّ يمدّ» المزيد بالهمزة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح الياء، وضم الميم، مضارع «مدّ يمدّ» مضعّف الثلاثي(٢).

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)﴾

معاني المفردات:

* ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾، أي: تقرؤها عليهم.
* ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾، أي: هلا اختلقتها من نفسك.

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ١٨١).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٣/ ١٨٣)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٧).

* ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾، أى: من عند الله لا من عند نفسى.

* ﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾، أى: القرآن جمع بصيرة، وهى الدلالة والعبرة، أى هذا الذى دللتكم به على أن لله ـ عز وجلّ ـ بصائر، أى: يُستبصر بها.

* ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

* ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا ﴾ الآية:

* قيل: إن هذا نزل فى الصلاة، وقد ورد فى ذلك عدد من الروايات أذكر منها ما يلى:

* أولا: عن سعيد بن المسيّب (ت ٩٤هـ) قال: كان المشركون يأتون رسول الله ﷺ إذا صلّى فيقول بعضهم لبعض بمكة كما حكى القرآن عنهم: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) ﴾ [فصلت: ٢٦](1).

* ثانيًا: قال محمد بن كعب القرظى: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ فى الصلاة أجابه مَنْ وراءه: إذا قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» قالوا مثل قوله حتى يقضى فاتحة الكتاب والسورة، فلبث بذلك ما شاء الله أن يلبث، فنزل: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ فأنصتوا، وهذا يدلّ على أن المعنىّ بالإنصات تركُ الجهر على ما كانوا يفعلون من مجاوبة رسول الله ﷺ.. اهـ(2).

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) المراد بالذكر: القراءة فى الصلاة(3).

وحينئذ يكون المعنى: اقرأ القرآن بتأمّل وتدبّر.

* ﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ ﴾، أى: دون الرفع فى القول، أى: أسمع نفسك، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١١٠) ﴾ [الإسراء: ١١٠].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٢٤٤).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٢٢٥).

أي: بين الجهر والمخافتة.

* ﴿ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾:

الغدوّ: جمع غُدْوة، والآصال: العَشيّات.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾، المراد: الملائكة، لأنهم قريبون من رحمة الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَيُسَبِّحُونَهُ ﴾، أي: يعظمونه وينزهونه من كل سوء.

* ﴿ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾، أي: يصلّون. والله أعلم.

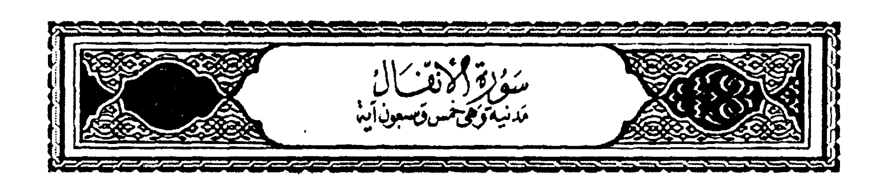
● ● ●

تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة الأعراف

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة الأنفال]

● ● ●



* أخرج ابن مردويه عن زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ)، وعبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ) قالا: نزلت سورة الأنفال بالمدينة. اهـ[١].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): سورة الأنفال مدنية إلا سبع آيات من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الآية رقم: ٣٠] إلى آخر السبع آيات. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: سورة الأنفال نزلت فى بدر، وفى لفظ: تلك سورة بدر. اهـ[٣].

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) ﴾

معانى المفردات:

* روى عُبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ قال: خرج رسول الله ﷺ إلى بدر فلقوا العدوّ، فلمّا هزمهم الله اتبعتهم طائفة من المسلمين يقتلونهم.

وأحْدَقت طائفة برسول الله ﷺ. واستولت طائفة على العسكر والنّهب. فلما نفى الله العدوّ ورجع الذين طلبوهم قالوا: لنا النّفل، نحن الذين طلبنا العدوّ وبنا نفاهم الله وهزمهم.

وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: ما أنتم أحقّ به منّا، بل هو لنا، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ لئلا ينال العدوّ منه غِرّة.

وقال الذين استولوا على العسكر والنهب: ما أنتم بأحقّ منّا هو لنا، نحن خويناه، واستولينا عليه. فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ ﴾ الآية. فقسّمه رسول الله ﷺ عن فُوَاقٍ بينهم. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٢٢٩).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٢٢٩).

* الأنفال: واحدها نَفَل بتحريك الفاء، أي: خير غنيمة.

* ﴿ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾:

* عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال: سألت عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ عن الأنفال؟: فقال: فينا أصحاب بَدْر نزلت حين اختلفنا فى النفل فساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن براءة، يقول: عن سواء. اهـ(١).

* ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾: هذا أمر من الله ـ تعالى ـ بالتقوى والإصلاح، أى كونوا مجتمعين على أمر الله فى الدعاء: اللهم أصلح ذات البين، أى: اتقوا الله فى أقوالكم، وأفعالكم، وأصلحوا ذات بينكم.

* ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾: فى الغنائم ونحوها.

* ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، أى: إنّ سبيل المؤمن أن يمتثل ما يأمره الله به.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾:

* أخرج الحكيم الترمذى عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) قالت: ما الوجل فى قلب المؤمن إلا كضرمة السَّعَفة، فإذا وجد أحدكم فليدع عند ذلك.اهـ(٢).

* ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾:

* عن الربيع بن أنس فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ قال: زادتهم خشية.اهـ(٣).

* ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١١).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٢).

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما)، وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قالا: التوكل على الله جماع الإيمان. اهـ[١].

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* أخرج أبو الشيخ عن حسّان بن عطية قال: إن الإيمان فى كتاب الله صيّرهم إلى العمل فقال الله: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٢].

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى فى قوله - تعالى -: ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ قال: استحقّوا الإيمان بحق فأحقّه الله لهم. اهـ[٣].

* وأخرج أبو الشيخ عن أبى روق فى قوله - تعالى -: ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ قال: كان قوم يسرّون الكفر ويظهرون الإيمان، وقوم يسرّون الإيمان ويظهرونه، فأراد الله أن يميّز بين هؤلاء وهؤلاء فقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ حتى انتهى إلى قوله: ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ الذين يسرّون الإيمان ويظهرونه، لا هؤلاء الذين يسرّون الكفر ويظهرون الإيمان. اهـ[٤].

* عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ قال: أهل الجنة بعضهم فوق بعض، فيرى الذى هو فوق فضله على الذى هو أسفل منه، ولا يرى الذى هو أسفل أنه فضّل عليه أحد. اهـ[٥].

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ قال: بترك الذنوب. اهـ[٦].

* وعن محمد بن كعب القرظىّ فى قوله - تعالى -: ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ قال: إذا سمعت الله يقول: ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ فهى الجنّة. اهـ[٧].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٢).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٣).

(٥ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٤).

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝٥ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن المفسّر (ت ١٢٧ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ قال: خروج النبى ﷺ إلى بدر.

* ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾، قال: لطلب المشركين.

* وقال ـ أى السدّى ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾، أى: إنك لا تصنع إلا ما أمرك الله به.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ قال: حين لقيهم المشركون. اهـ[1]. أى: كراهية لقاء المشركين.

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝٨ ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾، قال: الطائفتان إحداهما أبو سفيان أقبل بالعير من الشام.

والطائفة الأخرى أبو جهل بن هشام ومعه نفر من قريش، فكره المسلمون الشوكة والقتال، وأحبّوا أن يلتقوا بالعير، وأراد الله ما أراد. اهـ[2].

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾، قال: هى عير أبى سفيان ودّ أصحاب النبىّ «محمد» ﷺ أن العير كانت لهم، وأن القتال صرف عنهم. اهـ[3].

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾، أى: يستأصلهم. * ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦). (٢ ـ ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٨).

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) ﴾

سبب نزول الآية رقم ٩:

* روى مسلم عن عـمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) قـال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلثمـائة وسبعة عشر رجلا، فاستقـبل نبىّ الله ﷺ القبلة ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربّه: «اللـهم أنجز لى ما وعدتنى، اللهم ائتنى مـا وعـدتنى، اللهم إن تهلك هذه العـصـابة من أهل الإسـلام لا تعبدُ فى الأرض»، فما زال يهـتف بربّه مادّاً يديه مستـقبل القبلة حتى سقـط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبـيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبىّ الله كفاك مناشدتك ربك، فـإنه سينجز ما وعدك، فـأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ الآية فأمدّه الله بالملائكة. اهـ[١].

معانى المفردات:

* ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾ بكسر الدال اسم فاعل، أى: متتابـعين، تأتى فرقة بعد فرقة، وذلك أهيب فى العيون.

* ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ ﴾: المراد الإمداد.

* ﴿ ومـا النَّصـرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَـزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾: دلّ هذا على أن النصـر يكون من عند الله ـ عزّ وجلّ ـ، لا من الملائكة.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [رقم: ٩].

قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿ مردَفين ﴾ بفتح الدال على أنه اسم مفعول.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ): تأويله أن الله ـ تبارك وتعالى ـ أردف المسلمين بالملائكة. اهـ.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٢٣٥).

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ مردِفين ﴾ بكسر الدال، اسم فاعل.

قال أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) أي: أردف بعضهم بعضًا، والإرداف: أن يحمل الرجل صاحبه خلفه(١).

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ ﴾: الكاف مفعول أوّل، والنعاسَ مفعول ثان.

* ﴿ أَمَنَةً ﴾: مفعول من أجله. والنعاس: حالة الآمن الذى لا يخاف، وكان هذا النعاس فى الليلة التى كان القتال من غدها.

* ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾ الآية: ظاهر القرآن يدلّ على أنّ النعاس كان قبل المطر.

حكى الزّجّاج = إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): أنّ الكفّار يوم بدر سبقوا المؤمنين إلى ماء بدر فنزلوا عليه، وبقى المؤمنون لا ماء لهم، فوجست نفوسهم، وعطشوا وأجنبوا، فأنزل الله المطر ليلة بدر السابعة عشرة من رمضان، حتى سالت الأودية، فشربوا، وتطهروا، وسقوا الظهر، وتلبّدت السبخة التى كانت بينهم وبين المشركين حتى ثبتت فيها أقدام المسلمين وقت القتال. اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ ﴾ [رقم: ١١].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو ﴿ يَغْشاكم ﴾ بفتح الياء، وسكون الغين، وفتح الشين، وألف بعدها، مضارع «غشى يغشى» نحو «رضى يرضى» و ﴿ النعاسُ ﴾ بالرفع فاعل «يغشاكم».

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٨٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٨٦)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص٣٠٧، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٦٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٢٣٧).

وقرأ نافع، وأبو جعفر ﴿ يُغْشِيكم ﴾ بضم الياء، وسكون الغين، وكسر الشين، وياء بعدها، مضارع «أغشى يغشى» و ﴿ النعاسَ ﴾ بالنصب مفعول به، وفاعل «يغشيكم» ضمير مستتر يعود علي الله ـ تعالى ـ المتقدم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [رقم: ١٠].

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ يُغَشِّيكم ﴾ بضم الياء، وفتح الغين، وكسر الشين مشدّدة، وياء بعدها، مضارع «غشّى يغشّى» بالتشديد، و﴿ النعاسَ ﴾ بالنصب مفعول به، والفاعل ضمير يعود على الله ـ تعالى ـ(١).

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾: ﴿ إِذْ ﴾ فى موضع نصب بفعل محذوف والتقدير: اذكر إذ يوحى ربك... إلخ.

* ﴿ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾، أى: بالنصر والمعونة.

* ﴿ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾:

قال القرطبى فى تفسيره: أى بشروهم بالنصر، أو القتال معهم، أو الحضور معهم من غير قتال، فكان الملك يسير أمام الصفّ فى صورة الرجل ويقول: سيروا فإن الله ناصركم، ويظنّ المسلمون أنه منهم. اهـ(٢).

* ﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾، أى: الفزع والخوف.

* ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ ﴾: هذا أمر من الله ـ تعالى ـ للملائكة، أى: اضربوا الأعناق.

* ﴿ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾: قال الزجاج إبراهيم بن السَّرِى (ت ٣١١هـ) واحد البنان بنانة، وهى هنا الأصابع وغيرها من الأعضاء(٣).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٨٥)، والنشر فى القراءات العشر وتوجيهها (٣/ ٨٨)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٨٩)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٦٣)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص ٣٠٨.

(٢ ـ ٣) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٢٤٠).

وقيل: المراد بالبنان هنا أطراف أصابع اليدين والرجلين.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾:

* ﴿ ذَلِكَ ﴾ فى موضع رفع على الابتداء، أى: ذلك الأمر. والشقاق: المنازعة، والمجادلة، والمخالفة، والتعادى، وأصله من الشقّ وهو الجانب فكأنّ كل واحد من الفريقين فى شقّ غير شقّ صاحبه.

* ﴿ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾: أى: الأمر ذلكم فذوقوه، ومعنى الكلام التوبيخ للكافرين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ زَحْفًا ﴾: الزحف: الدّنوّ قليلا قليلا، وأصله: الاندفاع على «الأليـة» ثم سمّى كل ماش فى الحرب إلى آخر زاحفًا، والتزاحف: التدانى والتقارب. فـإذا لقيت فئة من المؤمنين فئة هى ضعْفُ المؤمنين من المشركين فالغرض ألا يفروا أمامهم، فمن فرّ من اثنين فهو فارّ من الزحف، ومن فرّ من ثلاثة فليس بفارّ من الزحف، والفرار من الكبائر.

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ قال: المراد يوم بدر خاصّة منهزمًا، وفى قوله ـ تعالى ـ:

* ﴿ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴾ قال: أىْ مستطردًا يريد الكرّة على المشركين، وفى قوله ـ تعالى ـ: * ﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ قال: المراد أن يتجاوز إلى أصحابه من غير

هزيمة، وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ قال: استوجب سخطا من الله ـ تعالى ـ، وفى قوله ـ تعالى ـ: * ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ قال: هذا يوم بدر خاصّة، كأن الله شدّد على المسلمين يومئذ ليقطع دابر الكافرين، وهو أوّل قتال قاتل فيه المسلمون المشركين من أهل مكة. اهـ[(١)].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ، وابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قالا: الفرار من الزحف من الكبائر. اهـ[(٢)].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ قال: هذا موجّه لأصحاب النبىّ محمد ﷺ حين قال هذا قتلتُ وهذا قتلتُ. اهـ[(٣)].

* أخرج ابن عساكر عن مكحول ـ رضى الله عنه ـ قال: لما كرّ علىّ وحمزة على شيبة ابن ربيعة غضب المشركون وقالوا: اثنان بواحد؟ فاشتعل القتال، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنك أمرتنى بالقتال، ووعدتنى بالنصر، ولا خُلْف لوعدك»، وأخذ قبضة من حصى فرمى بها فى وجوههم فانهزموا بإذن الله ـ تعالى ـ، فذلك قوله:

* ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ اهـ[(٤)].

* وعن عروة بن الزبير (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾، أى: لم يكن ذلك برميتك «يا محمد» لولا الذى جعل الله ـ تعالى ـ من نصرك، وما ألقى فى صدور عدوّك منها حتى هزمتهم[(٥)].

* وعن عروة بن الزبير ـ رضى الله عنه ـ فى قوله ـ تعالى ـ:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٧).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٨).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٧).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٠).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١).

* ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا ﴾ قال: أي: يُعرّف الله المؤمنين من نعمته عليهم في إظهارهم على عدوّهم مع كثرة عدوّهم وقلّة عددهم، ليعرفوا بذلك حقّه، وليشكروا بذلك نعمته.. اهـ[١].

* ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾:

✻ **المعنى**: أن الله ـ عزّ وجلّ ـ يلقى فى قلوب الكافرين الرعب حتى يتشتتوا، ويتفرّق جمعهم فيضعفوا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ [رقم: ١٨].

قرأ ابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار ﴿ موهنٌ ﴾ بسكون الواو، وتخفيف الهاء، والتنوين، اسم فاعل من «أوهن يوهن فهو موهنٌ» و﴿ كيدَ ﴾ بالنصب مفعول به.

وقرأ حفص ﴿ موهنُ ﴾ بسكون الواو، وتخفيف الهاء، من غير تنوين، اسم فاعل من «أوهن» الرباعى، وحذف التنوين للإضافة والتخفيف، و﴿ كيدِ ﴾ بالخفض على الإضافة.

وقرأ الباقون ﴿ مُوَهِّنٌ ﴾ بفتح الواو، وتشديد الهاء، والتنوين، اسم فاعل من «وهّنَ» مضعف العين[٢].

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ قال: قال كفار قريش فى قولهم: ربنا افتح بيننا وبين «محمد» ﷺ وأصحابه، ففتح بينهم يوم بدر. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤١).
(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٨٨)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٩).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٢).

* وعن السدى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال: عن قتال النبىّ «محمد» ﷺ. اهـ(١).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ﴾ أى: إن تعودوا لقتال النبى «محمد» ﷺ نعد لكم بالأسر والقتل. اهـ(٢).

* ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أى: مع نبينا «محمد» ﷺ وأصحابه بالنصر والتأييد.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [رقم: ١٩].

قرأ نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر ﴿وأَنّ﴾ بفتح الهمزة، على تقدير اللام، أىْ «ولأنّ» فلما حذفت اللام جعلت «أَنّ» مفتوحة الهمزة، والتقدير: ولأنّ الله مع المؤمنين لن تغنى عنكم فئتكم شيئًا ولو كثرت، أى: من كان الله فى نصره لن تغلبه فئة ولو كثرت، فارتباط الكلام بعضه ببعض حسن.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿وإنّ﴾ بكسر الهمزة على الابتداء والاستئناف، وفيه معنى التوكيد لنصر الله للمؤمنين، لأن «إِنَّ» إنما تكسر فى الابتداء لتوكيد ما بعدها من الخبر(٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ۝٢١﴾

معانى المفردات:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: الخطاب للمؤمنين المصدّقين، وقد أفردهم الله ـ تعالى ـ بالخطاب دون المنافقين إجلالا لهم.

* ﴿وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: التولى الإعراض، وقال عنه ولم يقل عنهما، لأن طاعة الرسول طاعة لله ـ تعالى ـ.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٢).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٣).
(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٨٩)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٩)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٦٥).

* ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾، أى: كاليهود، أو المنافقين، أو المشركين، وهو مِنْ سماع الأُذُن.

* ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، أى: لا يتدبّرون ما سمعوا، ولا يتفكرون فيه، فهم بمنزلة من لم يسمع وأعرض عن الحقّ. نهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ﴾ قال: هم نفر من قريش من بنى عبد الدار.

وعنه فى قوله - تعالى -: ﴿الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قال: لا يتبعون الحقّ. اهـ[١].

* وعن عروة بن الزبير - رضى الله عنهما - فى قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ قال: لأعد لهم قولهم الذى قالوا بألسنتهم ولكن القلوب خالفت ذلك منهم[٢].

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾، قال: بعد أن علم أن لا خير فيهم، بأنهم لا ينتفعون به. اهـ[٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ قال: هو هذا القرآن فيه الحياة، والثقة، والنجاة، والعصمة فى الدنيا والآخرة. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٣).
(٢ - ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٤).

* وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: سألت النبى ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، قال: يحول بين المؤمن والكفر، ويحول بين الكافر وبين الهدى. اهـ(١).

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قال: يحول بين المؤمن وبين معصيته التى يستوجب بها الهلكة، فلا بدّ لابن آدم أن يصيب دون ذلك، لا يدخل على قلبه الموبقات التى يستوجب بها دار الفاسقين، ويحول بين الكافر وبين طاعته ما يستوجب ما يصيب أولياءه من الخير شيئًا، وكان ذلك فى العلم السابق الذى ينتهى إليه أمر الله ـ تعالى ـ، وتستقر عنده أعمال العباد(٢).

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)﴾

* المعنى:

* عن الحسن بن علىّ (ت ٥٠هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ قال: نزلت فى علىّ، وعثمان، وطلحة، والزبير. اهـ(٣).

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى الآية قال: نزلت فى أصحاب نبينا «محمد» ﷺ خاصة(٤).

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى الآية قال: هذه نزلت فى أهل بدر خاصّة، فأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا، فكان من المقتولين: طلحة، والزبير، وهما من أهل بدر. اهـ(٥).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية قال: أمر الله المؤمنين أن لا يقرّوا المنكربين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب. اهـ(٦).

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٥).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٦).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٧).

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦) ﴾

✵ المعنى:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: كان هذا الحىّ أذلّ الناس ذلا، وأشقاه عيشا، وأجوعه بطونًا، وأعراه جلودًا، وأبينه ضلالة، معكوفين على رأس حجر بين فارس والروم، لا والله ما فى بلادهم ما يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيًا، ومن مات منهم ردى فى النار، يؤكلون ولا يأكلون، لا والله ما نعلم قبيلا من حاضر الأرض يومئذ كان أشرّ منزلا منهم حتى جاء الله بالإسلام فمكن به فى البلاد، ووسع به فى الرزق، وجعلكم به ملوكًا على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا لله نعمه فإنّ ربكم منعم. يحبّ الشكر، وأهل الشكر فى مزيد من الله ـ عزّ وجلّ ـ. اهـ[١].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن رسول الله ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ ﴾ قيل: يا رسول الله وَمَن الناس؟ قال: «أهل فارس». اهـ[٢].

* وعن السدى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَآوَاكُمْ ﴾ قال: إلى الأنصار بالمدينة. * ﴿ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ ﴾، قال: يوم بدر. اهـ[٣].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) ﴾

۞ سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها عدد من الروايات، وقد اخترت الرواية التالية طلبًا للاختصار:

* أخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن عبد الله بن قتادة قال: نزلت هذه الآية: ﴿ لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ فى أبى لبابة ابن عبد المنذر سألوه يوم قريظة ما هذا الأمر؟ فأشار إلى حلقه أنه الذبح، فنزلت، قال أبو لبابة: ما زَالت قدماى حتى علمت أنّى خنت الله ورسوله. اهـ[٤].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٧). (٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٨).

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لا تَخُونُوا اللَّهَ﴾ قال: بترك فرائضه.

* ﴿وَالرَّسُولَ﴾ قال: بترك سننه وارتكاب معصيته.

* ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ قال: لا تنقضوها، والأمانة: التى ائتمن الله عليها العباد[١].

* ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ما فى الخيانة من القبح والعار.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: قال القرطبى فى تفسيره: كان لأبى لبابة أموال وأولاد فى بنى قريظة وهو الذى حمله على ملاينتهم، فهذا إشارة إلى ذلك. اهـ[٢].

ومعنى ﴿فِتْنَةٌ﴾، أى: اختبار، امتحنهم الله بها.

* ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: فآثروا حقّه على حقكم.

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وعكرمة مولى ابن عباس فى قوله ـ تعالى ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ قالا: نجاة[٣].

* وعن مجاهد بن جبر قال: يجعل لكم مخرجًا فى الدنيا والآخرة[٤].

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)﴾

✳ المعنى:

* أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو نعيم، والبيهقى فى الدلائل، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أنّ نفرًا من قريش

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٩).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٢٥١).
(٣ـ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٠).

ومن أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، واعترضهم إبليس فى صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد سمعت بما اجتمعتم له فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم منّى رأى ونصح، قالوا: أجَلْ فادْخل فدخَلَ معهم فقال: انظروا فى شأن هذا الرجل ـ فوالله ـ ليوشكنّ أن يواتيكم فى أمركم بأمره:

فقال قائل: احبسوه فى وثاق ثم تربّصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء: زهير والنّابغة، فإنما هو كأحدهم.

فقال عدوّ الله الشيخ النجْدىّ: لا والله ما هذا لكم برأى، والله ليخرجنّ رائد من محبسه لأصحابه، فليوشكنّ أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ثم يمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم فانظروا فى غير هذا الرأى.

فقال قائل: فأخرجوه من بين أظهركم تستريحون منه، فإنه إذا خرج لم يضرّكم ما صنع وأين وقع، وإذا غاب عنكم أذاه استرحتم منه، فإنه إذا خرج لم يضركم ما صنع وكان أمره فى غيركم.

فقال الشيخ النجْدىّ: لا والله ما هذا لكم برأى، ألم تروا حلاوة قوله، وطلاقة لسانه، وأخذه للقلوب بما تستمع من حديث؟ والله لئن فعلتم ثم استعرض العربَ لتجتمعنّ إليه، ثم ليسيرنّ إليكم حتّى يخرجكم من بلادكم، ويقتل أشرافكم.

قالوا: صدق ـ والله ـ فانظروا رأيا غير هذا.

فقال أبو جهل: والله لأشيرنّ عليكم برأى ما أرى غيره، قالوا: وما هذا؟ قال: تأخذوا من كل قبيلة غلامًا وسَطًا شابًا مهداً، ثم يُعْطى كل غلام منهم سيفًا صارمًا، ثم يضربوه به ـ يعنى ضربة رجل واحد ـ فإذا قتلتموه تفرّق دمه فى القبائل كلها، فلا أظن هذا الحىّ من بنى هاشم يقدرون على حرب قريش كلهم، وإنهم إذا أرادوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنّا أذاه.

فقال الشيخ النجدىّ: هذا ـ والله ـ هو الرأى، القول ما قال الفتى لا أرى غيره.

فتفرّقوا على ذلك وهم مجتمعون له، فأتى «جبريل» ـ عليه السلام ـ رسول الله ﷺ فى بيته تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك فى الخروج، وأمرهم بالهجرة.

* وفى رواية أخرى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فبات علىّ ـ رضى الله عنه ـ على فراش النبى ﷺ وخرج النبىّ ﷺ حتّى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليّا ـ رضى الله عنه ـ يحسبونه النبىّ ﷺ، فلمّا أصبحوا ثاروا إليه، فلمّا رأوه «عليّا» ـ رضى الله عنه ـ ردّ الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدرى، فاقتصّوا أثره، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا فى الجبل، فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا: لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال. اهـ[١].

* ﴿ لِيُثْبِتُوكَ ﴾، أى: ليحبسوك، يقال: أثبتّه إذا حبسته.

* ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾: عطف على ما قبله.

* ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ كلام مستأنف، والمكر: التدبير فى الأمر فى خُفية.

* ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ مبتدأ وخبر، والمكر من الله ـ تعالى ـ هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١) ﴾

المعنى:

* قال القرطبى فى تفسيره: نزلت هذه الآية فى النضر بن الحارث: كان قد خرج إلى الحيرة فى التجارة فاشترى أحاديث كليلة ودمْنة، وكسْرى وقيْصر، فلمّا قصّ رسول الله ﷺ أخبار من مضى، قال النضر: لو شئتُ لقلتُ مثلَ هذا، وكان هذا وقاحة وكذبا[٢].

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ الآية: ﴿ الْحَقَّ ﴾ خبر ﴿ كَانَ ﴾ و﴿ هُوَ ﴾ ضمير فصل.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥١).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ٢٥٢).

* قال القرطبي في تفسيره: اختُلِفَ فيمن قال هذه المقالة:

١ - فقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): قائل هذا هو النضر بن الحارث.

٢ - وقال أنس بن مالك (ت ٩٣هـ) قائله أبو جهل. اهـ(١).

* حُكي أن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لقيه رجل من اليهود، فقال اليهوديّ: ممَّنْ أنت؟ قال: من قريش، فقال: أنت من القوم الذين قالوا: ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ الآية، فهلا عليهم أن يقولوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه، إنّ هؤلاء قوم يجهلون(٢).

* ﴿ فَأَمْطِرْ ﴾ عن أبي عبيدة معمر بن المثنّى (ت ٢١٠هـ) قال: يقال: «أمطر» في العذاب، و«مطر» في الرحمة(٣).

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال القرطبي في تفسيره: لمّا قال أبو جهل: ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ الآية، نزلت: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ كذا في صحيح مسلم(٤).

* وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لم يُعذَّب أهلُ قرية حتى يخرج النبي ﷺ منها والمؤمنون، ويلحقوا بحيث أمروا. اهـ(٥).

* ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾:

المعنى: وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفره من المسلمين، فلمّا خرجوا عذبهم الله يوم بَدْر وغيره.

* وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان فيهم أمانان: النبيّ ﷺ والاستغفار، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار(٦).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٢٥٢).

(٢ : ٥) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٢٥٣).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٥).

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٣٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ﴾:

✳ **المعنى:** وما يمنعهم من أن يعذّبوا، أى: إنهم مستحقون العذاب لما ارتكبوا من القبائح والأسباب، التى منها الصدّ عن المسجد الحرام، وما كانوا من نصراء النبى ﷺ.

* وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: سئل رسول الله ﷺ مَنْ آلك؟ فقال: كل تقىّ، وتلا رسول الله ﷺ: «﴿ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ ﴾» اهـ(١).

* ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾: أنّ المتقين أولياؤه.

﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) ﴾

✳ المعنى:

* أخرج الطستى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنّ نافعًا بن الأزرق قال له: أخبرنى عن قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ قال: المكاء: صوت القنبرة، والتصدية: صوت العصافير وهو التصفيق، وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة وهو بمكة، كان يصلّى قائمًا بين الحِجْر والركن اليمانى فيجىء رجلان من بنى سهم يقوم أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، ويصيح أحدهما كما يصيح المكاء، والآخر يصفّق بيديه تصدية العصافير ليفسد عليه صلاته.. اهـ(٢).

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ قال: المراد أهل بدر، عذبهم الله بالقتل والأسر. اهـ(٣).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٠).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦١).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٢).

✱ المعنى:

* عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ الآية، قال: نزلت في أبي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من بني كنانة يقاتل بهم رسول الله ﷺ فأنزل الله فيه هذه الآية. اهـ[١].

* وعن الحكم بن عتبة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ الآية، قال: نزلت في أبي سفيان أنفق على مشركي قريش يوم أُحُد أربعين أوقية من ذهب، وكانت الأوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالا من ذهب. اهـ[٢].

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، أي: المؤمن من الكافر، وقيل: هو عامّ في كل شيء من الأعمال، والنّفقات وغير ذلك.

* ﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾، أي: يجمعه جميعًا.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾

✱ المعنى:

* أخرج ابن أحمد، ومسلم عن عمرو بن العاص (ت ٤٣هـ ـ رضي الله عنه) قال: لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبيّ ﷺ فقلت: ابسط يدك لأبايعك، فبسط يمينه، فقبضت يدي، قال: ما لك؟ قلت: أريد أن أشترط، قال: أتشرط ماذا؟ قلت: أن يُغْفَر لي، قال: «أما علمتَ أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحجّ يهدم ما كان قبله». اهـ[٣].

* وأخرج ابن أبي حاتم عن مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) قال: لا يؤخذ الكافر بشيء صنعه في كفره إذا أسلم، وذلك أن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾. اهـ[٤].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٣).
(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٤).

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾: هذا أمر بالقتال لكل مشرك فى كل موضع.

قال النبى ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله».

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ، وقتادة بن دعامة السدوسى، والسّدى إسماعيل بن عبد الرحمن وغيرهم: الفتنة هنا: الشرك، وما تابعه من أذى المؤمنين[١].

* ﴿ فَإِنِ انتَهَوْا ﴾: عن الكفر: إمّا بالإسلام، وإمّا بأداء الجزية فى حق أهل الكتاب.

* ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ ﴾، أى: ناصركم وهو: * ﴿ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾.

الجزء العاشر: من الآية ٤١ سورة الأنفال إلى الآية ٩٢ سورة التوبة

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾

✵ المعنى:

* أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ ﴾ قال: من المشركين.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾، قال: المراد: قرابة النبى ﷺ.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾، قال: المراد: الضيف، وكان المسلمون إذا غنموا فى عهد النبى ﷺ أخرجوا خُمسه: فيجعلون ذلك الخُمس الواحد أربعة أرباع: فربعه لله وللرسول ولقرابة النبى ﷺ، فما كان لله فهو للرسول والقرابة، وكان للنبى ﷺ نصيب رجل من القرابة.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ٣٥٣).

والربع الثانى للنبى ﷺ، والربع الثالث للمساكين، والربع الرابع لابن السبيل.

ويعمدون إلى التى بقيت فيقسمونها على سهامهم. فلمّا تُوفّى النبىّ ﷺ ردّ أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ نصيب القرابة، فجعل يحمل به فى سبيل الله ـ تعالى ـ، وبقى نصيب اليتامى والمساكين وابن السبيل.. اهـ[1].

* ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: المراد: النبى محمد ﷺ، وما أنزل الله عليه فى قسمة الغنائم.

* ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: هو يوم بدر الذى فرق الله به بين الحق والباطل.

* ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: حزب الله وهم النبى ﷺ وأصحابه، وحزب الشيطان وهم كفار قريش. وكانت موقعة بدر لسبع عشرة مضت من شهر رمضان فى السنة الثانية من الهجرة. * ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾: ﴿إِذْ﴾ فى محلّ نصب بفعل محذوف، والتقدير: واذكر إذ أنتم بالعدوة الدنيا.. إلخ. والعدوة: جانب الوادى. والدنيا: تأنيث الأدنى، من «دنا يدنو» والقصوى: تأنيث الأقصى، من «قصا يقصو»: فالدنيا كانت مما يلى المدينة المنوّرة. والقصوى كانت مما يلى مكة المكرمة. أى: إذ أنتم نزول بشفير الوادى بالجانب الأدنى إلى المدينة، وعدوّكم بالجانب الأقصى.

* ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: المراد: ركب أبى سفيان وغيره من كفّار مكة، كانوا فى موضع أسفل من المسلمين إلى ساحل البحر.

* ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾: أى: لم يكن يقع الاتفاق لكثرتهم وقلّتكم، فإنكم لو عرفتم كثرتهم لتأخرتم، فوفّق الله ـ عزّ وجلّ ـ لكم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٩).

* ﴿وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾: من نصر المؤمنين، وإظهار الدّين، وحينئذ يكون المعنى: جمعهم الله ـ تعالى ـ ليقضى أمرًا كان مفعولا:

* ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ الآية: أى: جمعهم الله ـ تعالى ـ هنالك ليهلك من هلك عن بينة: والبينة: إقامة الحجة والبرهان، أى: ليموت من يموت عن بينة رآها، وعبرة عاينها، فقامت عليه الحجة، وكذلك حياة من يحيا. * ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ [رقم: ٤٢].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب ﴿بالعِدوة﴾ معًا بكسر العين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم العين: والكسر والضمّ لهجتان: فالكسر لهجة قيس والضمّ لهجة قريش وعدوة الوادى: جانبه(١).

* ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [رقم: ٤٢].

قرأ نافع، والبزّى، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف البزّار، وقنبل بخُلْف عنه ﴿حيى﴾ بكسر الياء الأولى مع فك الإدغام، وفتح الياء الثانية، ووجه ذلك أن الفعل جاء على أصله.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿حىَّ﴾ بياء واحدة مشدّدة، وهو الوجه الثانى لقنبل. وجه الإدغام أن الياء الأولى من «حيى» يلزمها الكسر فصارت كالصحيح فى نحو: «عضّ وشمّ» وأجرى هذا مجراه فأدغم(٢).

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (٤٤)﴾

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٩١)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٨٩)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٦٨).

(٢) انظر: المراجع السابقة.

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً ﴾: قال مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ): رآهم النبى ﷺ فى منامه قليلا، فقصّ ذلك على أصحابه فثبتهم الله بذلك[1].

* ﴿ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ ﴾، أى: لجبنتم عن الحرب.

* ﴿ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ ﴾، أى: اختلفتم.

* ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ﴾، أى: سلمكم من المخالفة والفشل.

* ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً ﴾: هذا فى اليقظة.

* ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾: قال القرطبى فى تفسيره: كان هذا فى ابتداء القتال حتى قال أبو جهل فى ذلك اليوم: إنما هم أَكْلَةُ جزور ـ أى: هم قليل يشبعهم لحم ناقة ـ خذوهم أخذًا، واربطوهم بالحبال، فلما أخذوا فى القتال عظم المسلمون فى أعينهم فكثروا، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ [آل عمران: ١٣].

* ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً ﴾: وهو إتمام النعمة على المسلمين، وإعزاز الدين.

* ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾، أى: مصيرها ومردّها إليه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾، أى: جماعة.

* ﴿ فَاثْبُتُوا ﴾: هذا أمر بالثبات عند قتال الكفار، وذلك للتأكيد على الوقوف للعدوّ والتجلّد له.

* ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، أى: اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإنّ ذكره يعين على الثبات فى الشدائد.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى المجلد الرابع (٨/ ١٦).

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾، أى: لا تختلفوا فتجبنوا وتذهب قوّتكم ونصركم.

* ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ هذا أمر بالصبر، وهو محمود فى جميع المواطن وبخاصة مواطن الحرب.

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾ الآية:

* أخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: كان مشركو قريش الذين قاتلوا النبىّ ﷺ يوم بدر خرجوا ولهم بَغى وفَخر، وقد قيل لهم يومئذ: ارجعوا فقد انطلقت عيركم وقد ظفرتم، فقالوا: لا والله حتى يتحدّث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا.

ومما يُرْوى أن النبى ﷺ قال يومئذ: «اللهم إن قريشًا قد أقبلت بفخرها وخيلائها لتجادل رسولك». اهـ[١].

* ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ الآية:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم وغيرهم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: جاء إبليس يوم بدر فى جند من الشياطين، ومعه راية

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٤٤).

فى صورة رجال من بنى مُدْلج فى صورة سراقة بن مالك بن جُعْشم فقال الشيطان: ﴿لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ وأقبل «جبريل» ـ عليه السلام ـ على إبليس، وكانت يده فى يد رجل من المشركين، فلمّا رأى «جبريل» انتزع يده وولّى مُدْبرًا هو وشيعته.

فقال الرجل: يا سراقة إنك جار لنا؟ فقال ـ أى إبليس ـ: ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ﴾ وذلك حين رأى الملائكة قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. اهـ[١].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: أمدّ الله نبيّه «محمدًا» ﷺ والمؤمنين ـ يوم بدر ـ بألف من الملائكة: فكان «جبريل» ـ عليه السلام ـ فى خمسمائة من الملائكة، و«ميكائيل» ـ عليه السلام ـ فى خمسمائة من الملائكة. وجاء إبليس ـ عليه لعنة الله ـ فى جند من الشياطين ومعه راية فى صورة رجال من بنى مُدْلج، وإبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جُعْشم فقال إبليس للمشركين: ﴿لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾.

فلمّا اصطفّ القومُ قال أبو جهل ـ عليه لعنة الله ـ: اللهمّ أوْلانا بالحق وانصرنا.

ورفع رسول الله ﷺ يده فقال: «يا ربّ إنك إنْ تُهْلَك هذه العصابةُ فلن تُعْبد فى الأرض أبدًا». فقال «جبريل» ـ عليه السلام ـ: خذ قبضة من تراب، فأخذ ﷺ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيْه، ومنخريْه، وفمه، فولّوْا مدبرين، وأقبل «جبريل» ـ عليه السلام ـ إلى إبليس فلما رآه كانت يده فى يد رجل من المشركين انتزع إبليس يده ثم ولّى مدبرًا وشيعتُه، فقال له الرجل: يا سُراقة ألم تزعم أنك لنا جار، فقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. اهـ[٢].

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩)﴾

معانى المفردات:

* ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾: المنافقون: هم الذين أظهروا الإيمان، وأبطنوا الكفر.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٤٤). (٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٨).

* ﴿ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾، أي: شكٌّ ونفاق، وهم دون المنافقين، لأنهم حديثوا عهد بالإسلام.

* وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن إسحاق ـ رضى الله عنه ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ الآية، قال: هم الفئة الذين خرجوا مع قريش ـ يوم بدر ـ احتبسهم آباؤهم فخرجوا وهم على الارتياب، فلما رأوا قلّة أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: ﴿ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ ﴾، حين قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم، وكثرة عدوهم وهم فئة من قريش مسمّون خمسة: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكهة بن المغيرة المخزوميان، والحارث بن زمعة، وعلى بن أميّة بن خلف، والعاص بن منبه. اهـ[1].

* ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾، أي: ومن يسلم أمره إلى الله ويثق به.

* ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ أي: قوىٌّ يفعل بأعدائه ما يشاء.

* ﴿ حَكِيمٌ ﴾، أي: لا يسوّى بين أوليائه، وأعدائه.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ، وجواب «لو» محذوف، والتقدير: لرأيت أمرًا فظيعًا.

* ﴿ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ ﴾، أي: يقبضون أرواحهم.

* ﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾: اختلف العلماء فى ذلك:

١ ـ فقيل: هذا عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار بسياط النار.

٢ ـ وقيل: أراد الذين قتلوا من المشركين ببدر كانت الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٨٦).

* قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) المراد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾: أستاههم ولكنّ الله حييّ يكنّى. اهـ[1].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كان المشركون ـ يوم بدر ـ إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف، وإذا ولّوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم. اهـ[2].

* ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾:

* قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): هذا يوم القيامة، تقول لهم خزنة جهنم: ذوقوا عذاب الحريق. اهـ[3].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَتَوَفَّى ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ﴾ [رقم: ٥٠].

قرأ ابن عامر ﴿ تتوفّى ﴾ بالتاء، على تأنيث الفعل، وذلك لأن لفظ الملائكة مؤنث، والمراد به: جماعة الملائكة، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ يتوفّى ﴾ بالياء، على تذكير الفعل، وذلك لأن تأنيث الملائكة غير حقيقىّ، والمراد: جمع الملائكة كما تقول: «جاء الرجال»، أى: جمع الرجال[4].

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٥١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ ذَٰلِكَ ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، أى: الأمر ذلك، أو مبتدأ أو الخبر محذوف، أى: ذلك جزاؤكم.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٥٦). (٣) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٠).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٩٣)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٩٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٤٩٣).

* ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾، أى: بما اكتسبتم من الآثام.

* ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾: إذْ قد أوضح السبيل، وبعث الرسل، فخالفتم وعصيتم وكفرتم.

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾: الدّأب: العادة. أى: العادة فى تعذيب هؤلاء الكفار عند قبض أرواحهم كعادة آل فرعون.

وقيل المعنى: جوزى كفار قريش بالقتل والسّبْى، كما جُوزى آل فرعون بالغرق، أى: دأبهم كدأب آل فرعون.

* ﴿ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، أى: من سائر الأمم المتقدمة.

* ﴿ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾، أى: عاقبهم بسبب ذنوبهم، وكفرهم بآيات الله.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾، أى: لا يعجزه شىء، لأنه على كل شىء قدير.

* ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾:

✳ **المعنى:** أى: هذا العقاب لأنهم غيروا وبدّلوا: ونعم على قريش لا تعدّ ولا تحصى، منها: الأمْن والعافية، قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [القصص: ٥٧].

* ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، أى: من كفار الأمم السابقة.

* ﴿ كَذَّبُوا بآيَات رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهم بِذُنُوبِهِمْ ﴾: قال - تعالى -: ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

* ﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾: قال - تعالى -: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ (٦٦) ﴾ [الشعراء: ٦٣ - ٦٦].

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ (٥٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ ﴾ الآية، أي: كل من يدبّ على وجه الأرض.

* وقال الكلبي = محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ)، ومقاتل بن حيّان البلخيّ (ت ١١٠هـ)، المراد: يهود بني قريظة منهم كعب بن الأشرف وأصحابه. اهـ[١].

* ﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ﴾ الآية، لأنهم لا يخافون الله ولا يخشون عقوبته، والله عزيز ذو انتقام.

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ ﴾، أي: إن أدركتهم بالحرب وأسرتهم.

* ﴿ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما): نكّل بهم مَنْ بعدهم. اهـ[٢].

* ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾: قال السّدي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ٣١٠هـ): لعلهم يحذرون أن ينكثوا فيُصنَع بهم مثلُ ذلك. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٢٥٧).

(٢ - ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٣٤٧).

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ ﴾، أى: تعلمنّ يا «محمد» ﷺ. * ﴿ مِن قَوْمٍ ﴾: معاهدين.

* ﴿ خِيَانَةً ﴾، أى: نقض عهد بما يظهر لكم من آثار الغدر كما ظهر من قريظة وبنى النضير.

* ﴿ فَانبِذْ إِلَيْهِمْ ﴾، أى: فاطرح إليهم عهدهم.

* ﴿ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾، أى: أعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد الذى بينك وبينهم حتّى تكون أنت وهم فى العلم بنقض العهد سواء، فلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب معهم.

قال أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ): هذا مِنْ معجز ما جاء فى القرآن مما لا يوجد فى الكلام مثله على اختصاره وكثرة معانيه.

والمعنى: وإمّا تخافنّ من قوم بينك وبينهم عهدٌ خيانةً فانبذ إليهم العهد، أى قل لهم: قد نبذت إليكم عهدكم، وأنا مقاتلكم، لتعلموا ذلك فيكونوا معك فى العلم سواء، ولا تقاتلهم وبينك وبينهم عهد وهم يثقون بك، فيكون ذلك خيانة وغدرًا، ثم بيّن الله هذا بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾. اهـ[١].

•• فائدة علميّة عظيمة:

* أخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن ميمون بن مهران ـ رضى الله عنه ـ قال: ثلاثة المسلم والكافر فيهنّ سواء:

١ ـ من عاهدته فوفِّى بعهده مسلمًا كان أو كافرًا فإنما العهد لله.

٢ ـ ومن كان بينك وبينه رحم فَصِلْها مسلمًا كان أو كافرًا.

٣ ـ ومن ائتمنك على أمانة فأدِّها إليه مسلمًا كان أو كافرًا. اهـ[٢].

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٤٨).

﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ (٥٩) ﴾

معانى المفردات:

* قال القرطبى فى تفسيره:
* ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ﴾، أى: مَنْ أفْلَت مِنْ وقعة بدر سبق إلى الحياة.
* ﴿ إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ ﴾، أى: فى الدنيا حتى يظفرك الله بهم يا «محمد».

وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): ﴿ إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ ﴾، أى: فى الآخرة. اهـ[(١)].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ﴾ [رقم: ٥٩].

* قرأ ابن عامر، وحفص، وحمزة، وأبو جعفر، وإدريس بخُلْف عنه ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ ﴾ بياء الغيبة، و«الذين كفروا» فاعل، والمفعول الأوّل محذوف، والتقدير: «أنفسهم» و «سبقوا» فى محل نصب مفعول ثان، وحينئذ يكون المعنى: ولا يحسبنّ الكفارُ أنفسهم سابقين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ ولا تحسبن ﴾ بتاء الخطاب، والمخاطب نبينا «محمد» ﷺ، وقد دلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ﴾ إلخ [رقم: ٥٦].

و«الذين كفروا» مفعول أوّل، و«سبقوا» مفعول ثان، وحينئذ يكون المعنى: ولا تحسبنّ يا «محمد» الكفار سابقين.

وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر بفتح السين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسرها، وهما لهجتان[(٢)].

* ﴿ إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ ﴾ [رقم: ٥٩].

قرأ ابن عامر ﴿ أنهم ﴾ بفتح الهمزة، على تقدير لام العلّة، وحينئذ يكون المعنى: ولايحسبنّ الذين كفروا أنفسهم سبقوا لأنهم لا يعجزون.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ إنهم ﴾ بكسر الهمزة، وذلك على الاستئناف، والقطع[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٣).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٩٤).

(٣) انظر: المغنى فى توجيهُ القراءات العشر (٢/ ١٩٥).

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾: الإعداد: اتخاذ الشىء لوقت الحاجة.

* ﴿ مِّن قُوَّةٍ ﴾، أى: من الآلات التى تكون لكم قوّة عليهم من الخيل والسلاح.

* وأخرج أحمد، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وابن جرير وغيرهم عن عقبة بن عامر الجهنىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت النبىّ ﷺ يقول وهو على منبره: «﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾: ألا إنّ القوة الرمْى ثلاثًا» اهـ[1].

* وأخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن مقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: * ﴿ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾، قال: المراد: المنافقين.

* ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾، يقول: الله يعلم ما فى قلوب المنافقين من النفاق الذى يُسِرُّون. اهـ[2].

* ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾، أى: فى الآخرة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف بل إلى أضعاف كثيرة. * ﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ ﴾، أى: مالوا إلى الصلح.

* ﴿ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾، أى: مِلْ إليها وصالحهم.

* ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾، أى: اعتمد على الله ـ تعالى ـ. * ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٤٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٥٩).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لِلسَّلْمِ ﴾ [رقم: ٦١].

قرأ شعبة بكسر السين، والباقون بفتحها، وهما لهجتان[١].

﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ ﴾، أي: بأن يُظهروا لك السِّلم، ويبطنوا الغدر والخيانة، فاجنح إلى السِّلم فما عليك من نيّاتهم الفاسدة.

* ﴿ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ﴾، أي: كافيك الله بأن يتولّى كفايتك وحياطتك.

* ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ ﴾، أي: قوّاك بنصره، وقد تجلّى ذلك يوم بدر.

* ﴿ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾، أي: بالأنصار.

* ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾، أي: جمع بين قلوب الأوس والخزرج: إذْ كانت بينهم إحَنٌ وتارات فى الجاهلية فصيّرهم الله إخوانًا بعد أن كانوا أعداء.

* ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾: قال القرطبى فى تفسيره: كان تألّف القلوب مع العصبية الشديدة فى العرب من معجزات النبى ﷺ، لأنهم كانوا أشدّ خلق الله حميّة، فألف الله بالإيمان بينهم. اهـ[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت ـ هذه الآية ـ فى إسلام عمر ـ رضى الله عنه ـ فإن النبى ﷺ كان أسلم معه ـ أى فى مكة ـ ثلاثة وثلاثون رجلا وستّ نسوة، فأسلم عمر ـ رضى الله عنه ـ فصاروا أربعين. اهـ[٣].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٧١).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٩).

* قال القشيرىّ: الآية مكيّة، كتبت بأمر رسول الله ﷺ فى سورة مدنيّة. اهـ[١].

✵المعنى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

قال الشعبى عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): المعنى: كافيك الله، وكافى من اتبعك من المؤمنين. اهـ[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦) ﴾

•• الناسخ والمنسوخ:

* أخرج البخارى، والنحاس فى ناسخه، وابن مردويه، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لما نزلت: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ شقّ ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفرّ واحد من عشرة، فجاء التخفيف ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ الآية. فلما خفّف الله عنهم من العدّة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. اهـ[٣].

* وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ ثقلت على المسلمين فأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائة ألفًا، فخفّف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى فقال: ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ الآية، قال: فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوّهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم، وإن كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحرّزوا عنهم. اهـ[٤].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٩).

(٣ ـ ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٦٣).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يا أَيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ على الْقِتالِ ﴾، أى: حثّهم على القتال.

* ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ ﴾: رجلا. * ﴿ صَابِرُونَ ﴾، أى: محتسبون.

* ﴿ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾: من عدوّهم ويقهروهم.

* ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ ﴾، أى: صابرة محتسبة.

* ﴿ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ﴾: أى: إنّ المشركين يقاتلون على غير احتساب، ولا طلب ثواب، ولا يثبتون إذا صدقتموهم القتال خشية أن يقتلوا، فثقل ذلك على المؤمنين، فخفف الله عنهم وأنزل:

* ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾، أى: ضعفا فى الواحد عن قتال العشرة، وفى المائة عن قتال الألف.

* ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾: من الكفار.

* ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾: فإن كان المسلمون على الشطر من عدوّهم لا يجوز لهم أن يفروا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يكُن ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [رقم: ٦٥].

قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار ﴿ يكن ﴾ بالياء، على تذكير الفعل، وذلك للفصل بين «يكن» و«مائة» لأنها اسمها.

وأيضًا فإن «مائة» وإن كان لفظها مؤنثًا إلا أن معناها مذكر، لأن المراد بها «العدد».

وقرأ الباقون من القراء العشرة «تكن» بالتاء، على تأنيث الفعل، وذلك لتأنيث لفظ «مائة»[1].

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٩٥).

* ﴿ ضَعْفًا ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ [رقم: ٦٦].

قرأ أبو جعفر ﴿ ضُعفاء ﴾ بضمّ الضاد، وفتح العين والفـاء، وبعدها ألف، وبعد الألف همزة مفتوحة بلا تنوين، جمع «ضعيف» مثل: «ظريف وظرفاء».

وقرأ عاصم، وحمزة، وخلف البزار ﴿ ضَعْفا ﴾ بفتح الضاد.

وقرأ الباقون من القراء العشرة﴿ ضُعْفا ﴾ بضم الضاد.

والضَّعْف: بفتح الضاد لهجة تميم وبضمها لهجة قريش.

والضّعف: خلاف القوّة والصحّة(١).

* ﴿ يكُن ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ [رقم: ٦٦].

قرأ عـاصم، وحمزة، والكسـائى، وخلف البزار ﴿ يكن ﴾ بالياء، على التـذكير، لأنّ تأنيث «مائة» مجازىّ، وللفصل بشبه الجملة.

وقرأ الباقون من الـقراء العشرة ﴿ تكن ﴾ بتاء التأنيث، لتـأنيث لفظ مائة، ولأنها وصفت بـ «صابرة»(٢).

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) ﴾

سبب نزول هاتين الآيتين:

* أخرج ابن أبى شيبة، وأحمـد، والترمذىّ وحسّنه، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، والحـاكم وصحّحـه، وابن مردويه، والبيـهقىّ فى الدلائل عن ابن مسـعود (ت ٣٢هـ ـ رضـى الله عنـه) قال: لما كان يـوم بـدر جـىء بالأسارى: فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ: يا رسول الله، قومك وأهلك، استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم.

وقال عمر ـ رضى الله عنه ـ: يا رسول الله كذبـوك، وأخرجوك، وقاتلوك، قدّمهم فاضرب أعناقهم.

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٩٦).
(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٩٨).

وقال عبد الله بن رواحة ـ رضى الله عنه ـ: انظروا واديًا كثير الحطب فاضرمه عليهم نارًا. فقال العباس ـ رضى الله عنه ـ وهو يسمع ما يقال: قطعت رحمك. فدخل النبىّ ﷺ ولم يردّ عليهم شيئًا. فقال أناس: يأخذ بقول أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ؟ وقال أناس: يأخذ بقول عمر ـ رضى الله عنه ـ؟ فخرج رسول الله ﷺ فقال: «إنّ الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللّبن، وإنّ الله ليشدّد قلوب رجال حتى تكون أشدّ من الحجارة، مثلك يا أبا بكر مثل «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦)﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ومثلك يا أبا بكر مثل «عيسى» ـ عليه السلام ـ قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)﴾ [المائدة: ١١٨]، ومثلك يا عمر كمثل «نوح» ـ عليه السلام ـ إذْ قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦)﴾ [نوح: ٢٦]، ومثلك يا عمر كمثل «موسى» ـ عليه السلام ـ إذْ قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨)﴾ [يونس: ٨٨]. أنتم عالةً، فلا يفلتنّ منهم أحد إلا بفداء، أو ضرب عنق».

فقال عبد الله بن رواحة ـ رضى الله عنه ـ: يا رسول الله إلا سهيل ابن بيضاء فإنى سمعته يذكر الإسلام.

فسكت رسول الله ﷺ، فما رأيتنى فى يوم أخوف من أن تقع علىّ الحجارة منّى فى ذلك اليوم، حتى قال رسول الله ﷺ: «إلا سهيل ابن بيضاء» فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآيتين. اهـ[1].

❀ معانى المفردات:

* ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ﴾: أسرى: جمع أسير، مثل: قتلى وقتيل، ويقال فى جمع «أسير» أيضًا «أسارى».

* ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾، أى: يبالغ فى قتال المشركين، وأسرهم.

* ﴿تُرِيدُونَ﴾: أيها المؤمنون. * ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾: بأخذ الفداء.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٦٤).

* ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾، أي: يريد لكم أيها المؤمنون ثواب الآخرة بقهركم المشركين، ونصركم دين الله ـ عزّ وجلّ ـ.

* ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، أي: غالب على أمره فلا يعجزه شيء.

* ﴿ لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ الآية، اختلف العلماء فى تأويل ذلك:

أولا: قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ)، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ): قالوا: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحدًا ممن شهد بدرًا مع النبى ﷺ، لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم. اهـ[١].

ثانيًا: قال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): لولا كتاب من الله سبق أنه لا يضل قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم يتقون، وأنه لا يأخذ قومًا فعلوا شيئًا بجهالة، لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم. اهـ[٢].

* ﴿ لَمَسَّكُمْ ﴾: لنالكم وأصابكم.

* ﴿ فِيمَا أَخَذْتُمْ ﴾: من الفداء قبل أن تؤمروا به.

* ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾: قال ابن إسحاق: لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر غزوة بدر إلا أحبّ الغنائم إلا عمر بن الخطاب فإنه أشار على رسول الله ﷺ بقتل الأسرى، وسعد بن معاذ قال: يا رسول الله كان الإثخان فى القتل أحبّ إلىّ من استيفاء الرجال، فقال رسول الله ﷺ: «لو نزل عذاب من السماء ما نجا منهم غير عمر ابن الخطاب، وسعد بن معاذ» اهـ[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ ﴾ [رقم: ٦٧].

قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿ أن تكون ﴾ بتاء التأنيث، لتأنيث لفظ الأسرى بألف التأنيث المقصورة.

وقرأ الباقون ﴿ أن يكون ﴾ بياء التذكير، حملا على تذكير معنى الأسرى لأن المراد بها الرجال[٤].

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٦٢).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٢٦٢).
(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٩٨).

* ﴿ أَسْرَى ﴾ [رقم: ٦٧].

قرأ أبو جعفر ﴿ أسارى ﴾ على وزن «سكارى».

وقرأ الباقون ﴿ أسرى ﴾ على وزن «سكرى»، وهما جمع «أسير»[(١)].

﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: «لم تكن الغنائم تحلّ لأحد كان قبلنا، فطيبها الله لنا لما علم الله من ضعفنا، فأنزل الله فيما سبق من كتابه إحلال الغنائم: ﴿ لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [رقم: ٦٨]» فقالوا: والله يا رسول الله لا نأخذ لهم قليلا ولا كثيرًا حتى نعلم أحلالا هو أم حرام؟ فطيبه الله لهم فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. اهـ[(٢)].

* **المعنى:** قال القرطبي في تفسيره: يقتضي ظاهر هذه الآية أن تكون الغنيمة كلها للغانمين، وأن يكونوا مشتركين فيها على السّواء، إلا أنّ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [الأنفال: ٤١].

فبين الله ـ عزّ وجلّ ـ وجوب إخراج الخمس منها وصرفه إلى الوجوه المذكورة. اهـ[(٣)].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٠) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في سننه عن «عائشة» أمّ المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضي الله عنها) قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ١٩٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٣٦٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٣٤).

رسول الله ﷺ قلادة لها في فداء زوجها، فلما رآها رسول الله ﷺ رقّ رقّة شديدة، وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها؟ وقال العباس - رضى الله عنه -: إنى كنتُ مسلمًا يا رسول الله. قال: «الله أعلم بإسلامك، فإن تكن كما تقول فالله يجزيك، فافد نفسك وابنَىْ أخويك: نوفل بن الحارث، وعقيل بن أبى طالب، وحليفك: عتبة بن عمر». فقال: ما ذاك عندى يا رسول الله، قال: «فأين الذى دفنتَ أنت وأمّ الفضل؟ فقلتَ لها: إن أُصبْتُ فإن هذا المال لبنىّ» فقال: والله يا رسول الله إن هذا لشىء ما علمه غيرى وغيرها، فاحسب لى ما أحببتم منّى عشرين أوقيّة من مال كان معى، فقال: افعلْ، ففدى نفسه وابنى أخويه وحليفه، ونزلت: ﴿قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ﴾ الآية.

فأعطانى مكان العشرين أوقيّة فى الإسلام عشرين عَبْدًا كلهم فى يده مال نصرتُ به مع ما أرجو من مغفرة الله.. اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ﴾: الذين أخذتَ منهم الفداء.

* ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾، أى: إيمانًا.

* ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾: من الفداء.

* ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: ذنوبكم. * ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: قال العباس - رضى الله عنه -: فأبدلنى الله عنها عشرين عبدًا كلهم تاجر يضرب بمال كثير، وأدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان عشرين أوقية، وأعطانى زمزم وما أحبّ أنّ لى بها جميع أموال مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربّى - عزّ وجلّ -.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿الأَسْرَىٰ﴾ من قوله - تعالى -: ﴿قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ﴾ [رقم: ٧٠].

قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر ﴿الأسارى﴾ على وزن «سكارى».

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٦٩).

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ الأسرى ﴾ على وزن «سكرى» وأسارى، وأسرى جمع «أسير»[1].

﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ ﴾: المراد الأسارى، أي: إن كان قولهم كذبًا.

قال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): أراد الله ـ عزّ وجلّ ـ بالخيانة: الكفر، أي: إن كفروا بك فقد كفروا بالله ـ تعالى ـ من قبلُ فأمكن منهم المؤمنين ببدر حتى قتلوهم وأسروهم. اهـ[2].

* ﴿ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾، أي: كفروا بالله ـ عزّ وجلّ ـ.

* ﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾: المؤمنين ببدر حتى قتلوهم وأسروهم.

* ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾: وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى قتال المؤمنين، ومعاداتهم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾، أي: هجروا قومهم وديارهم وهم: أهل مكة.

* ﴿ وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا ﴾: رسول الله ﷺ، والمهاجرين معه، أي: أسكنوهم منازلهم.

* ﴿ وَّنَصَرُوا ﴾، أي: نصروهم على أعدائهم، وهم الأنصار ـ رضى الله عنهم ـ.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ١٩٩)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٩٢)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٤٩٧).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٦٣).

* ﴿ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾: دون أقربائهم من الكفار، وذلك فى العون والنصرة.

وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، أى: فى الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة: فكان المهاجرون والأنصار يتوارثون دون ذوى الأرحام، وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر، حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة وتوارثوا بالأرحام حيث ما كانوا، وصار ذلك منسوخًا بقوله ـ تعالى ـ: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله».

* ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾، أى: فى الميراث.
* ﴿ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾.

* ﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾، أى: إن استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا.

* ﴿ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾، أى: عهد فلا تنصروهم عليهم. *﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

* وأخرج ابن أبى حاتم، وابن مردويه عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قال: إن المؤمنين كانوا على عهد رسول الله ﷺ على ثلاث منازل: منهم المؤمن المهاجر المباين لقومه فى الهجرة، خرج إلى قوم مؤمنين فى ديارهم، وعقارهم، وأموالهم.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا ﴾: وأعلنوا ما أعلن أهل الهجرة، وشهروا السيوف على من كذب وجحد: فهذان مؤمنان جعل الله بعضهم أولياء بعض.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا ﴾: قال: كانوا يتوارثون بينهم إذا توفّى المؤمن المهاجر بالولاية فى الدين.

وكان الذى آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل أنه لم يهاجر ولم ينصر، فبوأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم، وهى الولاية التى قال الله: ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾، وكان حقّا على المؤمنين الذين آووا ونصروا إذا استنصروهم فى الدين أن

ينصروهم إن قوتلوا، إلا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبى ﷺ ميثاق، ولا نصر لهم عليهم إلا على العدوّ الذى لا ميثاق لهم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [رقم: ٧٢].

قرأ حمزة ﴿وِلايتهم﴾ بكسر الواو، وقرأ الباقون بفتحها.

والولاية: بكسر الواو، وفتحها لهجتان فى مصدر «وليت إليه الأمر ولاية» ومعناها: النصرة.

والعرب تقول: نحن لكم على بنى فلان ولاية، أى: أنصار[1].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، أى: فى العون والنصرة.

* ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ﴾، قال ابن إسحاق: هو أن يتولّى المؤمنُ الكافر دون المؤمن. اهـ[2].

* ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾: فالفتنة فى الأرض: قوّة الكفر، والفساد الكبير: ضعف الإسلام.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، أى: الموصوفون بما ذكر فى الآية لا مرية، ولا ريب فى إيمانهم، لأنهم حققوا إيمانهم بالهجرة، والجهاد فى سبيل الله، وبذل الأموال من أجل الدفاع عن الدين.

(١ ـ ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٦٤).

* ﴿ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾، أى: الجنة والنعيم الدائم الذى لا ينقطع.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ﴾، أى: أنتم منهم وهم منكم، كل يتعاون مع الآخر.

* ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾: قال البغوىّ فى تفسيره: هذا نسخ التوارث بالهجرة، وأثبت الميراث إلى ذوى الأرحام. اهـ[1].

وأقول: إلى من ثبت ميراثهم من ذوى الأرحام بالكتاب والسنة.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، أى: لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء.

● ● ●

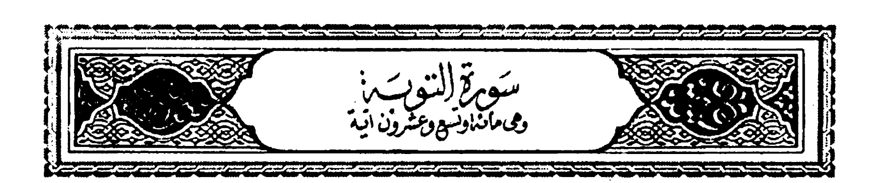
تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة الأنفال

ويليها بإذن الله - تعالى -

[تفسير سورة التوبة]

● ● ●

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٦٥).



* أخرج كل من ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)، وعبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنه)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): أن سورة التوبة نزلت بالمدينة.. اهـ[(١)].

* وقال مقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ): إن سورة التوبة مدنية كلها إلا آيتين من آخر السورة.. اهـ[(٢)].

* وقال سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ): سألت ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن سورة براءة، فقال: تلك الفاضحة، ما زال ينزل: ومنهم ومنهم، حتى خفْنا ألا تدع أحدًا.. اهـ[(٣)].

﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ بَرَاءَةٌ ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هذه براءة. و﴿ بَرَاءَةٌ ﴾ مصدر، تقول: برئتُ من الشىء أبرأ براءة فأنا منه برىء: إذا أزلته عن نفسك، وقطعت سبب ما بينك وبينه.

* ﴿ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾: لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك كان المنافقون يُرْجفون الأراجيف، وجعل المشركون ينقضون عهودًا كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمر الله ـ عزّ وجلّ ـ بنقض عهودهم وذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) ﴾ [الأنفال: ٥٨].

* قال الزجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): ﴿ بَرَاءَةٌ ﴾ أى: برئَ الله ورسوله من إعطائهم العهود، والوفاء لهم بما نكثوا.. اهـ[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٣/ ٣٧٥).
(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٦٥).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٤٠).
(٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٦٦).

* ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: إلى الذين عاهدهم رسول الله ﷺ لأنه كان هو المتولّى للعقود، وأصحابه بذلك كلهم راضون، فكأنهم عاقدوا وعاهدوا فنسب العقد إليهم.

﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾:

أي: قل لهم يا «محمد» ﷺ: سيحوا أى سيروا فى الأرض مقبلين ومدبرين، آمنين غير خائفين أحدًا من المسلمين بحرب ولا سلب ولا قتل ولا أسر.

يقال: «ساح فلان فى الأرض يسيح سياحة وسُيوحا وسَيَحانا».

* قال القرطبى فى تفسيره: اختلف العلماء فى كيفية هذا التأجيل، وفى هؤلاء الذين برئ الله منهم ورسولُه:

* أولا: قال محمد بن إسحاق (ت ٢٩٠هـ) وغيره: هما صنفان من المشركين: أحدهما كانت مدّة عهده أقل من أربعة أشهر فأُمْهِل أربعة أشهر.

والآخر: كانت مدّة عهده بغير أجل محدود فَقُصِر به على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه، ثم هو حَرْب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين، يُقتلُ حيث ما أُدرك ويُؤْسر إلا أن يتوب.

وابتداء هذا الأجل يوم الحجّ الأكبر، وانقضاؤه إلى عشر من شهر ربيع الآخر.

فأمّا من لم يكن له عهد فإنما أجله انسلاخ الأربعة الأشهر الحُرُم، وذلك خمسون يومًا: عشرون من ذى الحجة، والمحرّم.. اهـ[١].

* ثانيًا: قال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): إنما كانت الأربعة الأشهر لمن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد دون أربعة أشهر. ومن كان عهده أكثر من أربعة أشهر فهو الذى أمر الله أن يُتَمّ له عهده بقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤]. وهذا اختيار الطبرىّ وغيره.. اهـ[٢].

(١ ، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٤٢).

* ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ أى: غير فائتين ولا سابقين.

* ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾ أى: مذلّهم بالقتل والأسر فى الدنيا، والعذاب الأليم فى الآخرة.

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَأَذَانٌ ﴾ الأذان: الإعلام لغة.

* ﴿ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾:

قال القرطبى فى تفسيره: اختلف العلماء فى يوم الحج الأكبر:

١ ـ فقيل: هو يوم عرفة، روى عن عمر، وعثمان، وابن عباس، وطاووس، ومجاهد، وهو مذهب أبى حنيفة وبه قال الشافعىّ.

٢ ـ وعن علىّ، وابن عباس أيضًا، وابن مسعود، وابن أبى أوفى، والمغيرة بن شعبة: أنه يوم النّحرْ، واختاره الطبرى.. اهـ(١).

* وروى عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ وقف يوم النّحر فى الحجّة التى حجّ فيها فقال: «أىُّ يوم هذا» فقالوا: يوم النّحرْ، فقال: «هذا يوم الحجّ الأكبر» اهـ. أخرجه أبو داود(٢).

* ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾:

أى: ورسولُه أيضًا برىء من المشركين.

* ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أى: إن رجعتم عن الكفر وأخلصتم التوحيد.

* ﴿ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أى: أعرضتم عن الإيمان.

(١ ، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٤٥).

* ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ أي: فائتيه، فإنه محيط بكم ومنزل عقابه عليكم.

* ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾: وهذا على سبيل التهكم والاستهزاء لأن الأصل فى البشارة أن تكون فيما يسرّ.

﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾:

هذا استثناء متصل من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) ﴾ [رقم: ١].

وحينئذ يكون المعنى: أن الله برىء من المشركين، ورسولُه برىء منهم أيضًا إلا من المعاهدين فى مدّة عهدهم: وهم بنو ضمرة، حىّ من كنانة أمر الله ـ عزّ وجلّ ـ رسوله ﷺ بإتمام عهدهم إلى مدتهم، وكان قد بقى من مدتهم تسعة أشهر، وكان السبب فيه أنهم لم ينقضوا العهد، وهذا معنى قوله:

* ﴿ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا ﴾ أي: من عهدهم الذى عاهدتموهم عليه.
* ﴿ وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا ﴾ أي: لم يعاونوا عليكم أحدًا من عدوّكم.
* ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾ أي: فأوفوا لهم بعهدهم إلى أجلهم الذى عاهدتموهم عليه.
* ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ أي: يثيبهم على تقواهم ثوابًا عظيمًا.

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾: «انسلخ» أى: مضى وانقضى. والأشهر الحرم هى: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم.

وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ)، ومحمد بن إسحاق (ت ٢٩٠هـ): هى شهور العهد فمن كان له عهد فعهده أربعة أشهر، ومن لا عهد له فأجله إلى انقضاء المحرم خمسون يومًا.. اهـ[١].

* وقيل لها حُرُمٌ لأن الله ـ تعالى ـ حرَّم فيها على المؤمنين دماء المشركين، والتعرض لهم إلا على سبيل الخير.

* ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ أى: فى الحلّ أو الحرم.

وهذا عامّ فى كل مشرك، لكنّ السنة خصت منه: المرأة، والراهب، والصبىّ.

* واعلم أخى المسلم أنّ مطلق قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ يقتضى جواز قتلهم بأىّ وجه كان، إلا أن السنّة وردت بالنهى عن المثلة.

* وقوله ـ تعالى ـ: ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ عامّ فى كل موضع، وخصّ أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ المسجد الحرام.

* ﴿وَخُذُوهُمْ﴾: الأخذ هو الأسر. * ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ أى: احبسوهم.

وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): إن تحصّنوا فاحصروهم، أى امنعوهم من الخروج.. اهـ[٢].

* ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: المرصد: الموضع الذى يُرْقب فيه العدوّ، يقال: رصدت فلانًا أرصده: أى رقبته.

وحينئذ يكون المعنى: اقعدوا لهم فى مواضع الغِرّة حيث يرصدون.

* ﴿فَإِن تَابُوا﴾: من الشرك.

* ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾: أى: دعوهم ليتصرفوا فى أمصارهم، ويتواجدوا حيثما أرادوا.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بمن تاب توبة نصوحًا.

(١ ، ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٦٩).

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ⑥ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾ أى: إن استجارك أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم، أى سأل جوارك أى: أمانك وذمامك، بعد انسلاخ الأشهر الحرم ليسمع كلام الله. * ﴿ فَأَجِرْهُ ﴾ أى: فأعذه وآمنه.

* ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾: فيما له وعليه من الثواب والعقاب.

* ﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ أى: إن لم يُسْلم أبلغه مأمنه، أى الموضع الذى يأمن فيه وهو دار قومه، فإن قاتلك بعد ذلك فقدرت عليه فاقتله.

* ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ أى: لا يعلمون دين الله وتوحيده.

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ⑦ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ ﴾: «كيف» هنا للتعجّب، كما تقول: كيف يسبقنى فلان، أى: لا ينبغى أن يسبقنى، وحينئذ يكون المعنى: لا يكون للمشركين عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد، ثم استثنى فقال ـ عزّ وجلّ ـ: * ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾: قال محمد ابن إسحاق (ت ٢٩٠هـ): وهم بنو بكر أى ليس العهد إلا لهؤلاءالذين لم ينقضوا، ولم ينكثوا.. اهـ[١].

* ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ أى: فما أقاموا على الوفاء بعهدكم فأقيموا لهم على مثل ذلك، فأمّا من لا عهد له فقاتلوه حيث وجدتموه إلا أن يتوب.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٥١).

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ : أعاد التعجّب مِنْ أن يكـون لهم عهد مع خبث أعمالهم، أى كيف يكون لهم عـهـد وإن يظهروا عليكم لا يرقبـوا فيكم إلّا ولا ذمّة.

يقال: ظهرتُ على فلان: أى غلبته.

* ﴿ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً ﴾: «يرقبوا» يحافظوا، والرقيب الحافظ.

* ﴿ إِلاًّ ﴾ اختلف العلماء فى معنى «إلّا»:

١ ـ فعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): معنى «إلّا»: عهدًا[١].

٢ ـ وعن ابن عبـاس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهمـا) والضحـاك بن مـزاحم (ت١٠٥هـ): معنى «إلّا»: قرابة[٢].

٣ ـ وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): معنى «إلّا» جوارًا[٣].

٤ ـ وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): معنى «إلّا»: حلفًا[٤].

* ﴿ وَلا ذِمَّةً ﴾: قال ابن عبـاس ـ رضى الله عنهما ـ، والضحـاك: «ولا ذمّة» أى عهدًا.. اهـ[٥].

* ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ أى: يقولون بألسنتهـم ما يُرْضى ظاهره، وهو خلاف ما فى قلوبهم، كما قال ـ تعالى ـ: * ﴿ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ * ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ أى: ناقضون للعهد.

﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ : وذلك أن المشـركين نقـضوا العـهد الذى بينهم وبين رسول الله ﷺ، بأكْلَة أطعمهم إيّاها أبو سفيان.

(١ : ٤) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٥١). (٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٨٧).

قال مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ): أطعم أبو سفيان حلفاءه، وترك حلفاء النبيّ ﷺ.

* ﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ﴾ أي: منعوا الناس من الدخول فى دين الله.

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: إنّ أهل الطائف أمدّوهم بالأموال ليقوّوهم على حرب رسول الله ﷺ.. اهـ[1].

* ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ ﴾ أي: بئس. * ﴿ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً ﴾: قال النحّاس أبو جعفر أحمد بن محمد ابن إسماعيل (ت ٣٣٨هـ): ليس هذا تكريرًا: ولكن الأوّل لجميع المشركين، والثانى هذا لليهود خاصّة، والدليل على هذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ أى: اليهود باعوا حجج الله ـ عزّ وجلّ ـ وبيانه بطلب الرياسة.. اهـ[2].

* ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ أى: المتجاوزون الحلال إلى الحرام بنقض العهد.

* ﴿ فَإِن تَابُوا ﴾: عن الشرك، والتزموا أحكام الإسلام.

* ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾، أى: فهم إخوانكم فى الإسلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: حرّمت هذه الآية دماء أهل القبلة[3].

* ﴿ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ ﴾ أى: نبينها. * ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾: خصّهم الله بالذكر لأنهم هم المنتفعون بها دون غيرهم.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٧١).

(٢ ، ٣) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٥٢).

﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم ﴾ أى: نقضوا عهودهم.

* ﴿ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ﴾. * ﴿ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ أى: عابوا دينكم وقدحوا فيه.

* ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾: عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)، قال: هم: أبو سفيان بن حرب، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وسهل بن عمرو وهم الذين نكثوا عهد الله ـ تعالى ـ وهمّوا بإخراج الرسول ﷺ من مكة.. اهـ[1].

* ﴿ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ ﴾: عن حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ ـ رضى الله عنه) قال: لا عهود لهم.. اهـ[2].

* ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ أى: لكى ينتهوا عن الطعن فى دينكم، والمظاهرة عليكم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ ﴾ [رقم: ١٢].

قرأ ابن عامر: ﴿ لا إيمان لهم ﴾ بكسر الهمزة، على أنه مصدر «آمن» من الإيمان الذى هو التصديق، أى هم كافرون.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لا أيمان لهم ﴾ بفتح الهمزة، على أنه جمع «يمين»[3].

﴿ أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾ أى: نقضوا عهودهم، وهم الذين نقضوا عهد صُلح الحديبية، وأعانوا بنى بكر على خزاعة.

(١ ، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٨٨).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٠١)، والنشر فى القراءات العشر (٣/ ٩٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٥٠٠)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٠٣).

* ﴿ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾: من مكة حين اجتمعوا فى دار الندْوة.

* ﴿ وَهُم بَدَءُوكُمْ ﴾: بالقتال. * ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أى: يوم بدْر، وذلك أنهم قالوا حين سلمت العير: لا ننصرف حتى نستأصل «محمدًا» ﷺ وأصحابه.

* ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ أى: أتخافونهم فتتركون قتالهم.

* ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾: فى ترك قتالهم. * ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَاتِلُوهُمْ ﴾: فعل أمر، وجوابه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾.. إلخ.

وحينئذ يكون المعنى: إن تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين.

* ﴿ وَيُخْزِهِمْ ﴾ أى: يذلهم بالأسر والقهر.

* ﴿ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾:

أى: يبرئ قلوب قوم مؤمنين مما كانوا ينالونه من الأذى منهم.

* وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، حيث أعانت قريش بنى بكر عليهم، فشفى الله صدورهم من بنى بكر بالنبىّ ﷺ، وبالمؤمنين.. اهـ[(١)].

* ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾: فيهديه إلى الإسلام كما فعل بأبى سفيان، وعكرمة بن أبى جهل، وسهيل بن عمرو.

* ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٧٣).

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أى: ظننتم. * ﴿أَن تُتْرَكُوا﴾ أى: ظننتم أن تتركوا من غير أن تبتلوا بما يظهر به المؤمن والمنافق الظهور الذى يستحقّ به الثواب والعقاب.

* ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾، معنى وليجة: بطانة ومداخلة، من الولوج وهو: الدخول، يقال: ولج يلج ولوجا: إذا دخل.

* وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): كل شىء أدخلته فى شىء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون فى القوم وليس منهم فهو وليجة.. اهـ[١].

ووليجة الرجل: من يختصّ بدخيلة أمره دون الناس. يقال: هو وليجتى، وهم وليجتى للواحد وللجمع.

* ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧)﴾

❀ سبب نزول هذه الآية:

عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لمّا أُسِر العبّاس يوم بَدْر عيّره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم، وأغلظ علىّ ـ رضى الله عنه ـ له القول، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا؟ فقال له علىّ ـ رضى الله عنه ـ: ألكم محاسن؟ قال: نعم، إنّا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقى الحاجّ، فأنزل الله ـ عزّ وجل ـ ردّا على العباس هذه الآية.. اهـ[٢].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٥٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٥٧)، وتفسير البغوى (٢/ ٢٧٣).

❀ معانى المفردات:

* ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾: أى: ما ينبغى للمشركين أن يعمروا مساجد الله، لأن المساجد إنما تعمر لعبادة الله وحده، فمن كان كافرًا بالله ـ تعالى ـ فليس من شأنه أن يعمرها.

* ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾: اختلف العلماء فى تأويل ذلك:

أولا: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): لم يقولوا نحن كفّار، ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم بالكفر.. اهـ[١].

ثانيًا: قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أنّ النصرانى إذا سُئل من أنت؟ فيقول: أنا نصرانى، واليهودى يقول: أنا يهودى، ويقال للمشرك: ما دينك؟ فيقول مشرك.. اهـ[٢].

* ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: لأنها لغير الله ـ عزّ وجلّ ـ، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

* ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾: خلودًا أبديًا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [رقم: ١٧].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: ﴿مسجد﴾ الموضع الأول رقم: ١٧ بالإفراد، لأن المراد به: المسجد الحرام.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿مساجد﴾ بالجمع، على أن المراد جميع المساجد، ويدخل المسجد الحرام من باب أولى[٣].

(١ ، ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٧٤).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٠٢)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٩٤)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٥٠٠)، وحجة القراءات ص ٣١٦، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٧٤).

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾: هذه الآية من الأدلّة الواضحة على أن الشهادة بالإيمان لعمّار المساجد صحيحة.

وقد روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان»، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾.. اهـ[١].

* ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ أى: لم يخف فى الدين غير الله ـ عزّ وجلّ ـ ولم يترك أمر الله ـ تعالى ـ لخشية غيره.

* ﴿ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾: و«عسى» من الله ـ تعالى ـ واجبة، أى: فأولئك هم المهتدون، والمهتدون هم المتمسكون بطاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ التى تؤدّى إلى الجنّة.

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «مَنْ غدا إلى المسجد أو راح أعدّ الله له نُزُله من الجنة كلّما غدا أو راح» اهـ[٢].

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾

❀ سبب نزول هذه الآية:

* أخرج مسلم، وأبو داود، وابن المنذر، وابن أبى حاتم وغيرهم عن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنه ـ قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه فقال

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٥٨).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٧٤).

رجل منهم: ما أبالى أن لا أعمل لله عملا بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاجّ. وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام. وقال آخر: بل الجهاد فى سبيل الله خير مما قلتم.

فزجرهم عمر ـ رضى الله عنه ـ وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ ـ وذلك يوم الجمعة ـ ولكن إذا صليتم الجمعة دخلتُ على رسول الله ﷺ فأستفتيه فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.. اهـ[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾... إلخ.

✳ **المعنى:** أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله وجهاد من جاهد فى سبيل الله؟ والسقاية: مصدر مثل: الحماية، فجعل الاسم موضع المصدر إذْ علم معناه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ﴾ [رقم: ١٩].

قرأ ابن وَرْدان بخُلْف عنه ﴿سُقَاةَ﴾ بضم السين، وحذف الياء، و ﴿عَمَرَة﴾ بفتح العين، وحذف الألف بعد الميم[٢].

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿سِقَايَة﴾ بكسر السين، وإثبات الياء، و﴿عمارة﴾ بكسر العين، وألف بعد الميم، وهو الوجه الثانى لابن وَرْدان[٣].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٥٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٣٩٤)، وتفسير البغوى (٢/ ٢٧٥).

(٢) قراءة ابن وَرْدان هذه من طريق الدرّة فقط.

(٣) انظر: البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة ص١٣٤.

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ﴾: أى: من الذين افتخروا بسقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام.

* ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ وذلك بنجاتهم من النار.

* ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ أى: يُعْلمهم ربهم فى الدنيا بما لهم فى الآخرة من الثواب الجزيل، والنعيم المقيم الذى لا ينقطع أبدًا.

* ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ أى: حالة كونهم خالدين فيها على الدوام.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ أى: أعدّ الله لهم فى دار كرامته الثواب الجزيل، قال ـ تعالى ـ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) ﴾ [ق: ٣٥].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم ﴾ [رقم: ٢١].

قرأ حمزة: ﴿ يَبْشُرُهم ﴾ بفتح الياء، وإسكان الباء، وضمّ الشين مع تخفيفها، مضارع أَبْشَر يُبْشِر.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يُبَشِّرهم ﴾ بضم الياء، وفتح الباء، وكسر الشين وتشديدها، مضارع «بَشّر يُبَشِّر» مضعف العين(١).

* ﴿ وَرِضْوَانٍ ﴾ [رقم: ٢١].

قرأ شعبة بضم الراء، والباقون بكسرها، وهما لهجتان(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾: أى: بطانة وأصدقاء فتفشون إليهم أسراركم، وتؤثرون المقام معهم على الهجرة، والجهاد.

(١ ، ٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٧٤).

وخصّ الله ـ عزّ وجلّ ـ الآباء والإخوة: إذْ لا قرابة أقرب منهما، ولم يذكر الأبناء فى هذه الآية، إذ الأغلب أن الأبناء تبع للآباء.

* ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ أى: اختاروا. * ﴿الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾: فيطلعهم على عورة المسلمين.

* ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هو مشرك مثلهم، لأن من رضى بالشرك فهو مشرك.. اهـ[١].

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قُلْ﴾: يا «محمد» ﷺ لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة:

* ﴿إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾:

عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ قال: أصبتموها.. اهـ[٢].

* وعند السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ قال: تخشون أن تكسد فتبيعونها.. اهـ[٣].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ قال ـ أى السدّى ـ: هى القصور والمنازل.. اهـ[٤].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): بفتح مكة.. اهـ[٥].

* ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أى: الخارجين عن طاعته.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٦١).

(٢ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٠٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ [رقم: ٢٤].

قرأ شعبة: ﴿ وعشيراتكم ﴾ بألف بعد الراء، على الجمع، لأن لكلّ واحد من المخاطبين عشيرة، فجمع لكثرة عشائرهم، والعشيرة: القبيلة. والجمع: عشيرات، وعشائر.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ وعشيرتكم ﴾ بغير ألف على الإفراد، لأن العشيرة واقعة على الجمع، أى عشيرة كل واحد منكم[١].

﴿ لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ أى: مشاهد كثيرة.

* ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: «حنين» ماء بين مكة والطائف، قاتل النبى ﷺ هوازن، وثقيف، وعَلَى هوازن مالك بن عوف، وعَلَى ثقيف عَبْد يَاليل بن عمرو الثقفى.. اهـ[٢].

* ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ﴾: عن الربيع بن خثيم أبو زيد الكوفى (ت قبل ٩٠هـ) قال: كانوا اثنى عشر ألفًا منهم ألفان من أهل مكة[٣].

* وأخرج ابن المنذر عن الحسن بن على (ت ٥٠هـ - رضى الله عنه) قال: لما اجتمع أهل مكة وأهل المدينة قالوا: الآن والله نقاتل حين اجتمعنا، فكره رسول الله ﷺ ما قالوا وما أعجبهم من كثرتهم، فالتقوا فهزمهم الله حتى ما يقوم منهم أحد على أحد، حتى جعل رسول الله ﷺ ينادى أحياء العرب إلىَّ، فوالله ما يعرج إليه أحد حتى أعرى موضعه فالتفت إلى الأنصار وهم ناحية فناداهم: يا أنصار الله وأنصار رسوله إلىّ عباد الله أنا رسول الله، فعطفوا وقالوا: يا رسول الله وربّ الكعبة إليك والله، فنكّسوا رءوسهم يبكون، وقدّموا أسيافهم يضربون بين يدى رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليهم.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٠٣)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٩٥).
(٢ : ٤) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٣/ ٤٠٤).

* ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ أي: من الخوف، «والرُّحب» بضم الراء: السعة، «والرَّحب» بالفتح: الواسع. وقيل: «الباء» بمعنى «مع» أي مع سعتها. وقيل: بمعنى «على» أي: على سعتها.

* ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ أي: منهزمين.

روى مسلم عن أبي إسحاق قال: جاء رجل إلى البراء بن عازب (ت ٦٢هـ - رضي الله عنه) فقال: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على نبيّ الله ﷺ ما ولّى، ولكنه انطلق أخفّاء من الناس، وحُسَّرٌ إلى هذا الحيّ من هوازن، وهم قوم رماة فرموهم برِشْق من نَبْل كأنها رِجْل من جراد فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ، وأبو سفيان يقود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول: «أنا النبيّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزّل نصرك». قال البراء: كنا والله إذا احمّر البأس نتقى به، وإنّ الشجاع منّا للذى يحاذى به، يعنى النبى ﷺ.. اهـ[1].

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ثُمَّ أنزل اللَّهُ سَكِينتهُ علىٰ رسُولِهِ وعلى الْمُؤمِنِين ﴾: أي: أنزل عليهم ما يسكنهم، ويذهب خوفهم، حتى اجترءوا على قتال المشركين بعد أن ولّوا مدبرين.

* ﴿ وأَنزلَ جنُودًا لَّم ترَوْهَا ﴾: وهم الملائكة، يقوّون المؤمنين بما يلقون فى قلوبهم من الخواطر والتثبيت، ويضعفون الكافرين بالتجبين لهم من حيث لا يرونهم، ومن غير قتال، لأن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بَدْر.

* ﴿ وعَذَّبَ الَّذِينَ كفَرُوا ﴾ أي: بأسيافكم بالقتل، وبالأسر.

* ﴿ وذَلِكَ جزاءُ الْكافِرِينَ ﴾.

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٦٥).

* ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ من يَشَاءُ ﴾: أى: على من انهزم فيهديه إلى الإسلام. مثل: مالك بن عوف رئيس حنين، ومن أسلم معه من قومه.

* ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾: قال القرطبى فى تفسيره: اختلف العلماء فى معنى وصف المشرك بالنجس:

أولا: قال قتادة، ومَعْمر بن راشد وغيرهما: لأنه جنب إذْ غسله من الجنابة ليس بغسل.

ثانيًا: وقال ابن عباس وغيره: بل معنى الشرك هو الذى نجّسه(١).

ثم استطرد القرطبىّ قائلا: والمذهبَ كله على إيجاب الغسل على الكافر إذا أسلم، وبوجوب الغسل عليه قال أبو ثور، وأحمد.

وأسقطه الشافعىّ وقال: أحبّ إلىّ أن يغتسل.

ولمالك قول: إنه لا يعرف الغسل، رواه عنه: ابن وهب، وابن أبى أويس.. اهـ(٢).

* ﴿ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: هو العام الذى حجّ فيه أبو بكر - رضى الله عنه -، وذلك: لتسع سنين من الهجرة، نادى علىّ - رضى الله عنه - بالأذان، وحجّ رسول الله ﷺ فى العام المقبل - سنة عشر من الهجرة - حجة الوداع لم يحج قبلها ولا بعدها منذ هاجر.. اهـ(٣).

* وقال القرطبى فى تفسيره: هو سنة عشر من الهجرة، وهو الصحيح الذى يعطيه مقتضى اللفظ. وإنه من العجب أن يقال: إنه سنة تسع، وهو العام الذى وقع فيه

(١ ، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٦٦).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٠٨).

الأذان، ولو دخل غلامُ رجل داره يومًا فقـال له مولاه: لا تدخل هذه الدار بعد يومك، لم يكن المراد اليوم الذى دخل فيه.. اهـ[١].

* ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ أى: فقرا، يقال: عال الرجل يعيل: إذا افتقر.

* ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾:

* عن ابن عبـاس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهمـا) قال: كـان المشركـون يجيئـون إلى البيت، ويـجيئـون معهـم بالطعام يتَّجـرون فيـه، فلمّا نُهـوا عن أن يأتوا البيت الحـرام قال المسلمون: فمن أين لنا الطعام؟ فأنزل الله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ﴾ قال: فأنزل الله عليهم المطر وكثر خيرهم حين ذهب المشركون عنهم.. اهـ[٢].

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ:

* ﴿ قَـاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَـوْمِ الآخِرِ ﴾: يعنى الذين لا يصـدّقـون بتوحيد الله ـ عزّ وجل ـ.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ قال: يعنى الخمر والخنزير.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ﴾ قال: المراد: دين الإسلام.

* وفى قـوله ـ تـعـالى ـ: ﴿ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـابَ ﴾ قـال: المـراد: اليـهـود والنصارى، أوتوا الكتاب من قبل المسلمين أمّة نبينا «محمد» ﷺ.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ قال: أى: يذلّون.. اهـ[٣].

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٦٨).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٠٨).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤١١).

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾:

* أخرج البخارىّ فى تاريخه عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: لمّا كان يوم أُحُد شُجَّ رسول الله ﷺ فى وجهه، وكُسرت رباعيته، فقام رسول الله ﷺ يومئذ رافعًا يديه يقول: «إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ اشتدّ غضبه على اليهود أنْ قالوا: عزير ابن الله، واشتدّ غضبه على النصارى أنْ قالوا: المسيح ابن الله، وإنّ الله اشتدّ غضبه على من أراق دمى وآذانى فى عترتى» اهـ[1].

* ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ أى: بألسنتهم من غير علم.

* قال البغوى فى تفسيره: قال أهل المعانى: لم يذكر الله ـ تعالى ـ قولا مقرونًا بالأفواه والألسن: إلا كان ذلك زورًا.. اهـ[2].

* ﴿ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ﴾: عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم فقالت النصارى: المسيح ابن الله، كما قالت اليهود عزير ابن الله.. اهـ[3].

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: معنى ﴿ يُضَاهِئُونَ ﴾: يشابهون، والمضاهاة: المشابهة[4].

* ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: لعنهم الله[5].

* ﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ أى: يصرفون عن الحق بعد قيام الأدلّة عليه.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤١٤).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٨٥).

(٣) انظر: الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤١٥).

(٤ ، ٥) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٨٥).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ عُزَيْرٌ ﴾ [رقم: ٣٠].

قرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب: ﴿ عزير ﴾ بالتنوين، وكسره حال الوصل على الأصل في التخلص من التقاء الساكنين.

وعزير كان اسمًا أعجميًا إلا أنه صرف لخفّته مثل: «نوح، ولوط».

وقرأ الباقون بعدم التنوين، على أنه ممنوع من الصّرف(١).

* ﴿ يُضَاهِئُونَ ﴾ [رقم: ٣٠].

قرأ عاصم: ﴿ يضاهئون ﴾ بكسر الهاء، وهمزة مضمومة بعدها.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يضاهون ﴾ بضم الهاء وحذف الهمزة، وهما لهجتان(٢).

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾

المعنى:

* أخرج ابن سعد، وعبد بن حميد، والترمذيّ وحسّنه، وابن المنذر، والبيهقي في سننه وغيرهم عن عديّ بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيتُ النبيّ ﷺ وهو يقرأ في سورة براءة: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ فقال: «أمَا إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئًا حرموه» اهـ(٣).

* ﴿ أَحْبَارَهُمْ ﴾ قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): قراؤهم.

* ﴿ وَرُهْبَانَهُمْ ﴾ قال: علماؤهم.. اهـ(٤).

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قال: الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى.. اهـ(٥).

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٠٣).

(٢) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٧٤).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤١٥).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤١٦).

* ﴿ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ أى: اتخذوه إلهًا.

* ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: هم اليهود والنصارى.. اهـ[١].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: المراد: الإسلام بكلامهم.. اهـ[٢].

* ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ أى: يُعْلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحقّ الذى بعث به «محمدًا» ﷺ.

* ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾.

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن السدّى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ قال: أىْ بالتوحيد والقرآن والإسلام[٣].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ قال: ليظهر الله نبيّه ﷺ على أمر الدين كله، فيعطيه إيّاه كله، ولا يخفى عليه شىء منه، وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك.. اهـ[٤].

* وعن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ قال: لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودى ولا نصرانى

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤١٦).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤١٧).

صاحب ملّة إلا الإسلام، حتّى تأمن الشاةُ الذئبَ، والبقرةُ الأسدَ، والإنسانُ الحيَّةَ، وحتّى لا تقرض فأرةٌ جرابًا، وحتى توضع الجزية، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، وذلك إذا نزل «عيسى ابن مريم» ـ عليه السلام ـ(١).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ قال: الأديان ستّة: أى أهل الأديان: الذين آمنوا، والذين هادوا، والصابئين، والنصارى، والمجوس والذين أشركوا، فأهل الأديان كلها تدخل فى دين الإسلام، والمسلمون لا يدخلون فى شىء منها، فإن الله قضى فيما حكم، وأنزل أن يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون.. اهـ(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ ﴾ قال: الأحبار: علماء اليهود، والرهبان: علماء النصارى.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ قال: الباطل كتب كتبوها لم ينزلها الله ـ تعالى ـ، فأكلوا بها أموال الناس، وذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) ﴾ [البقرة: ٧٩](٣).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ الآية قال: هم الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم، وكل مال لا تؤدّى زكاته كان على ظهر الأرض أو فى بطنها فهو كنز، وكل مال أدّى زكاته فليس بكنز كان على ظهر الأرض أو فى بطنها.. اهـ(٤).

(١ ، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤١٧).

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

✵ المعنى:

* أخرج البخارى، ومسلم، وأبو داود، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه): أن رسول الله ﷺ قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدّى حقّها إلا جعلت له يوم القيامة صحائف، ثم أُحْمى عليها فى نار جهنم، ثم يكوى بها جبينه وجبهته وظهره فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس، فيرى سبيله إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار» اهـ[١].

* وأخرج أبو يعلى، وابن مردويه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يوضع الدينار على الدينار ولا الدرهم على الدرهم، ولكن يوسع الله جلده ﴿ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾» اهـ[٢].

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه عن ابن عمر (ت ٧٣هـ - رضى الله عنهما) قال: خطب رسول الله ﷺ فى حجّة الوداع بمنى فى أوسط أيام التشريق فقال: «أيها الناس إنّ الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، أوّلهنّ رجب مضر بين جمادى وشعبان، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم» اهـ[٣].

(١ ، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤١٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٢٢).

* وأخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ قال: ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهنّ حرمًا وعظّم حرماتها، وجعل الذنب فيهنّ أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم، * ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: فى كلهنّ. * ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ أى: جميعًا.. اهـ(١).

* وعن ابن زيد فى قوله - تعالى -: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: الظلم: العمل لمعاصى الله، والترك لطاعته.. اهـ(٢).

* ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ أى: جميعًا.

* ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: بالنصر والتأييد.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦].

* ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤].

* ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠].

قرأ أبو جعفر ﴿اثنا عشر﴾ بإسكان العين ومدّ الألف مدًا مشبعًا لأجل الساكن، لأنه حينئذ من باب المدّ اللازم.

وقرأ أيضًا «أحد عشر، تسعة عشر» بإسكان العين أيضًا، كل هذا حالة وصل «اثنا، أحد، تسعة» بـ «عشر» أمّا إذا أراد الابتداء بـ «عشر» فإنه يبتدئ بفتح العين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة كلّ ذلك بفتح العين وصلا، وبَدْءا. والإسكان، والفتح لهجتان فصيحتان، وقد سمع عن العرب التقاء الساكنين فى قولهم: «التقت حلقتا البطان» بإثبات ألف «حلقتا»(٣).

(١ ، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٢٤).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٠٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٩٥).

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧) ﴾

* المعنى:

* أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: وقف رسول الله ﷺ بالعقبة فقال: «إنّ النسىء من الشيطان ﴿ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ﴾ فكانوا يحرّمون المحرّم عاما، ويحرّمون صفر عامًا، ويستحلون المحرم وهو النسىء» اهـ[١].

* وأخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم عن أبى وائل ـ رضى الله عنه ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ قال: نزلت فى رجل من بنى كنانة ـ يقال له: جنادة بن عوف يكنى أبا أمامة كان ينسىء الشهور ـ: يجعل المحرّم صفرا ليستحلّ فيه الغنائم[٢].

* وأخرج ابن أبى حاتم عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى الآية قال: كان رجل من بنى كنانة يقال له: جنادة بن عوف يكنى أبا أمامة ينسىء الشهور، وكانت العرب يشتدّ عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر لا يَغير بعضهم على بعض، فإذا أراد أن يَغير على أحد قام يومًا بمنى فخطب فقال: إنّى قد أحللتُ المحرّم وحرّمتُ صفر مكانه، فيقاتل الناس فى المحرم، فإذا كان صفر عمدوا ووضعوا الأسنّة، ثم يقوم فى قابل فيقول: إنّى قد أحللت صفر وحرّمت المحرم، فيواطئوا أربعة أشهر[٣].

* ﴿ لِّيُوَاطِئُوا ﴾ أى: ليوافقوا، يقال: تواطأ القوم على كذا، أى: اجتمعوا عليه، أى لم يحلّوا شهرًا إلا حرّموا شهرًا مكانه.

(١ ، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٢٦).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٢٧).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [رقم: ٣٧].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ يُضَلّ ﴾ بضم الياء، وفتح الضاد، مضارع «أضل» مبنى للمفعول، و﴿ الذين كفروا ﴾ نائب فاعل.

وقرأ يعقوب: ﴿ يُضِلّ ﴾ بضم الياء، وكسر الضاد، على البناء للفاعل مضارع «أضل» والفاعل ضمير عائد على الله ـ تعالى ـ المتقدم ذكره في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ [رقم: ٣٦]، و﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ مفعول به.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يَضِلّ ﴾ بفتح الياء، وكسر الضاد، مضارع «ضلّ» الثلاثى مبنى للفاعل، و﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فاعل، وأضيف الفعل إلى الكفار لأنهم هم الضالون فى أنفسهم بهذا النسىء، لأنهم يحلّون ما حرّم الله(١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) ﴾

* المعنى:

يلقى الضوء على معنى هذه الآية الأخبار والأحاديث التالية:

أولا : أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية قال: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحُنين، أمرهم بالنفير فى الصيف حين حرقت الأرض فطابت الثمار واشتهوا الظلال، وشق عليهم المخرج، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) ﴾ [التوبة: ٤١].. اهـ(٢).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٠٥)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٢٧٧)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٠٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٢٧).

ثانيًا: أخرج الحاكم وصححه عن المستورد بن شدّاد ـ رضى الله عنه ـ قال: كنا عند النبى ﷺ فتذاكروا الدنيا والآخرة، فقال بعضهم: إنما الدنيا بلاغ للآخرة، فيها العمل وفيها الصلاة وفيها الزكاة.

وقالت طائفة منهم: الآخرة فيها الجنة، وقالوا ما شاء الله. فقال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يمشى أحدكم إلى اليمّ فأدخل أصبعه فيه فما خرج منه فهو الدنيا» اهـ(١).

ثالثًا: أخرج أحمد، والترمذىّ وحسّنه، وابن ماجه عن المستورد بن شدّاد ـ رضى الله عنه ـ قال: كنت فى ركب مع رسول الله ﷺ إذْ مرّ بسَخَلة ميتة فقال: «أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها؟» قالوا: من هوانها ألقوها يا رسول الله، قال: «فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها» اهـ(٢).

رابعًا: أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: دخل عمر ـ رضى الله عنه ـ على النبى ﷺ وهو على حصير قد أثّر فى جنبه فقال: يا رسول الله لو اتخذت فرشًا أوثر من هذا؟ فقال: «ما لى وللدنيا، وما للدنيا وما لى والذى نفسى بيده ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف فاستظلّ تحت شجرة ساعة، ثم راح وتركها» اهـ(٣).

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ﴾: «ما» حرف استفهام معناه: التقرير والتوبيخ، والتقدير: أىّ شىء يمنعكم عن كذا.

* ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾: معناه اثاقلتم إلى نعيم الأرض، أو إلى الإقامة بالأرض، وهو توبيخ على ترك الجهاد، وعتاب على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج للجهاد.

* ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾ أى: بدلا، والتقدير: أرضيتم بنعيم الدنيا بدلا من نعيم الآخرة.

(١ ، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٢٧).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٢٨).

* ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ ثم أوعدهم على ترك الجهاد فقال ـ تعالى ـ:

﴿ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ قال: إنّ رسول الله ﷺ استنفر حيّا من أحياء العرب فتثاقلوا عنه، فأمسك عنهم المطر، فكان ذلك عذابهم.. اهـ(١).

* ﴿ وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ أى: خيرًا منكم وأطوع، قيل: هم أهل اليمن.

* ﴿ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ﴾ أى: بترككم النفير. * ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) ﴾

✳ المعنى:

يلقى الضوء على معنى هذه الآية الأخبار التالية:

أولا: أخرج ابن سعد، وابن أبى شيبة، وأحمد، والبخارى، ومسلم، وابن أبى حاتم عن البراء بن عازب (ت ٦٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: اشترى أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ من عازب رجلا بثلاثة عشر درهمًا، فقال لعازب: مُرْ البراء فليحمله إلى منزلى، فقال: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت حيث خرج رسول الله ﷺ وأنت معه؟

فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ: خرجنا فأدلجنا فأحثثنا يومًا وليلة حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة فضربت ببصرى هل أرى ظلا فآوى إليه، فإذا أنا بصخرة فأهويتُ إليها فإذا بقيّت ظلّها فسوّيته لرسول الله ﷺ وفرشتُ له فروة وقلتُ اضطجع يا رسول الله

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٣٠).

فاضطجع، ثم خـرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب فإذا أنا بـراعى غنم، فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل مـن قريش، فسمّاه فعرفـته فقلتُ: هل فى غنمك من لبن؟ قال: نعم، فـقلت: وهل أنت حالب لى؟ قـال: نعم، فأمرته فـاعتقل لى شـاة منها، ثم أمرته فنفض ضـرعها من الغبـار، ثم أمرته فنفض كفّيْـه ومعى إداوة على فمهـا خرقة فحلب لى كـثبـة من اللبن، فصببت على القدح مـن الماء حتّى برد أسـفله، ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتّى رضيت ثم قلت: هل آن الرحيل؟ قال: فارتحلنا والقوم يطلبونا، فلم يدركنا منهم إلا سراقة على فرس له، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا، فقال: «لا تحزن إن الله معنا» حتّى إذا دنا فكان بيننا وبينه قَـدْر رُمْح أو رمْحين أو ثلاثة، فـقلت: يا رسول الله هذا الطلب قـد لحقـنا وبكيت، قال: «لـم تبك» قلت: أمـا والله لا أبكى على نفسى ولكنّى أبكى عليك، فدعا رسول الله ﷺ وقـال: «اللهمّ أكفناه بما شئت» فساخت فـرسه إلى بطنها فى أرض صلد، ووثب عنها وقال: يا«مـحمد» إنّ هذا عملك فادع الله أن ينجـينى مما أنا فيه، فوالله لأعمّينّ على مَنْ ورائى من الطلب، وهذه كنانتـى وخذ منها سهمًا فإنك ستمرّ بإبلى وغنمى فى موضع كذا وكذا فـخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لى فيها» ودعا رسول الله ﷺ فأطلق، ورجع إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتّى قدمنا المدينة فتلقاه الناس فخرجوا على الطرق وعلى الأجاجير، واشتدّ الخدم والصبيان فى الطرق يقولون: الله أكبر جاء رسول الله ﷺ «محمد».

وتنازع القوم أيـهم ينزل عليه، فقـال رسول الله ﷺ: «أنزل الليلة على بـنى النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك» فلمّا أصبح غدا حيث أمر.. اهـ[1].

ثانيًا: أخرج البـخارى عن سراقة بن مالك ـ رضـى الله عنه ـ قال: خرجت أطلب النبىّ ﷺ وأبا بكر ـ رضي الله عنه ـ، حتى إذا دنوتُ منهما عـثرت بى فرسى، فـقمت فركبت، حـتى إذا سمعتُ قراءة رسـول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يكثر الالتفات، سـاخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتـين، فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلمـا استوت قائمة إذْ لأثر يديها عنان ساطع

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٣٠).

فى السمـاء مثل الدخان، فناديتهـما بالأمان، فوقـفا لى ووقع فىَ نفسى حين لقـيتُ ما لقيتُ من الحبس عنهما أنه سيظهر رسول الله ﷺ.. اهـ[١].

ثالثًا: أخـرج ابن سعد عن ابن عـباس، وعلىّ، وعائشـة بنت أبى بكر ـ رضى الله عنهم ـ وعائشة بنت قدامة، وسراقة بن جعشم دخل حديث بعضهم فى بعض قالوا:

* خرج رسول الله ﷺ والقـوم جلوس على بابه، فأخذ حفنة من البطحـاء فجعل يذرهـا علـى رءوســهـم ويتلو ﴿ يسٓ ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢ ﴾ الآيات ومضى، فقـال لـهـم قـائـل: ما تنتظـرون؟ قالـوا: «مـحمدًا» قال: قَدْ ـ والله ـ مـرّ بكم، قالوا: والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رءوسهم، وخرج رسول الله ﷺ وأبو بكر ـ رضى الله عنه ـ إلى غار ثور فدخـلاه، وضربت العنكبوت على بابه بعشاش بعـضها على بعض، وطلبته قـريش أشدّ الطلب حتّى انتهت إلى باب الغار، فقـال بعضهم: إنّ عليه لعنكبوتًا قبل ميلاد «محمد» ﷺ.. اهـ[٢].

رابعًا: أخرج أبو نعـيم فى الدلائل عن عائشة بنت قدامـة: أن النبى ﷺ قال: «لقد خرجتُ من الخوخـة متنكرًا فكان أوّل من لقينى أبو جهل فـعمّى الله بصره عنّى وعن أبى بكر حتى مضينا» اهـ[٣].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾:

✳ **المعنى:** هذا إعلام من الله ـ عـزّ وجلّ ـ أنه المتكفّل بنصر رسـوله ﷺ وإعزاز دينه أعانـوه أو لم يعينوه، وأنه ـ سبـحانه وتعـالى ـ قد نصـره عند قلّة النصراء وكـثرة الأعداء فكيف به اليوم وهو فى كثرة من العَدَد والعُدَد.

* ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾: من مكّة حين مكروا به وهمّوا بقتله.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٢٣١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٣١).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٣٢).

* ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ ﴾ أي: هو أحد الاثنين، والاثنان أحدهما رسول الله ﷺ والآخر أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ.

* ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾: وهو ثقب فى جبل ثَوْر بمكة.

* ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾: قال الشعبىّ عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): عاتب الله ـ عزّ وجلّ ـ أهل الأرض جميعًا فى هذه الآية غير أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ.. اهـ[١].

* وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ لم يكن حزن أبى بكر جُبْنًا منه، وإنما كان إشفاقًا على رسول الله ﷺ.

* وروى أنّه حين انطلق مع رسول الله ﷺ إلى الغار جعل يمشى ساعة بين يديه، وساعة خلفه، فقال له رسول الله ﷺ: «ما لَكَ يا أبا بكر؟» قال: أذكر الطلب فأمشى خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك، فلمّا انتهيا إلى الغار قال: مكانك يا رسول الله حتّى استبرئ الغار، فدخل فاستبرأه ثم قال: انزل يا رسول الله.

* ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ أى: على النبى ﷺ.

* ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾: وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

* ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ﴾: إلى يوم القيامة، لأنّ كلمتهم هى الشرك بالله الواحد القهار.

* ﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾: إلى يوم القيامة، وهى قول لا إله إلا الله.

* ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أى: غالب على أمره فلا يعجزه شىء.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ [رقم: ٤٠].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٩٣).

قرأ يعقوب: ﴿ وكلمةَ الله ﴾ بالنصب، عطفًا على «كلمةَ» الأولى الواقعة مفعولا لـ «جعل» وجملة «هى العليا» فى محل نصب مفعولٌ ثان.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ وكلمةُ الله ﴾ بالرفع، على الابتداء، وجملة «هى العليا» فى محلّ رفع خبر المبتدأ(١).

﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك على أقوال كثيرة، أذكر بعضها فيما يلى:

أولا: عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: نشاطًا وغير نشاط(٢).

ثانيًا: قال الحسن البصرى، والضحّاك بن مزاحم، ومجاهد بن جبر، وقتادة بن دعامة السدوسى، وعكرمة مولى ابن عباس، قالوا: شبّانًا وشيوخًا(٣).

ثالثًا: قال عطية العوفى: ركبانًا، ومشاة(٤).

رابعًا: قال مرّة الهمذانى: أصحاء ومرضى(٥).

* ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾:

قال الزهرى محمد بن أسلم (ت ١٢٤هـ): خرج سعيد بن المسيّب (ت ٩٤هـ): إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل، فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكننى الحربُ كثّرتُ السواد، وحَفظت المتاع.. اهـ(٦).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٠٦)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٩٦)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٧٧).

(٢ : ٥) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٩٦).

(٦) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٩٦).

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن جرير عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: إنّ رسول الله ﷺ قيل له: ألا تغزو بني الأصفر لعلك أن تصيب ابنة عظيم الروم؟ فقال رجلان: قد علمتَ يا رسول الله إن النساء فتنة، فلا تفتنّا بهنّ فأذَن لنا، فأذن لهما، فلما انطلقا قال أحدهما: إنْ هو إلا شحْمة لأوّل آكل، فسار رسول الله ﷺ ولم ينزل عليه في ذلك شيء، فلمّا كان ببعض الطرق نزل عليه وهو على بعض المياه: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ ﴾[1].

معانى المفردات:

* ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ﴾: اسم «كان» مضمر، والتقدير: لو كان ما تدعوهم إليه عرضًا قريبًا، أي: غنيمة قريبة المتناول.

* ﴿ وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾ أي: قريبًا هيّنا.

* ﴿ لَّاتَّبَعُوكَ ﴾ أي: لخرجوا معك.

* ﴿ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ أي: المسافة، والشقّة: السفر البعيد لأنه يشقّ على الإنسان.

* ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾: أي: باليمين الكاذبة.

* ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾: فى أيمانهم لأنهم كانوا مستطيعين الخروج إلى القتال.

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) ﴾

معانى المفردات:

* أخرج عبد الرزّاق فى المصنّف، وابن جرير عن عمرو بن ميمون الأوديّ ـ رضى الله عنه ـ قال: اثنان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤١).

للمنافقين - بعدم الخروج للقتال - وأخذه الفداء من أسارى بدر، فعاتبه الله كما تسمعون: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ الآية.. اهـ[١].

* وأخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن مورق العجلىّ - رضى الله عنه - قال: أسمعتم بمعاتبة أحسن من هذا: بدأ بالعفو قبل المعاتبة فقال: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ ﴾[٢].

وقيل: إن الله - عزّ وجلّ - وقّره، ورفع محلّه بافتتاح الكلام بالدعاء له، كما يقول الرجل لمن يخاطبه إذا كان كريمًا عنده: عفا الله عنك ما صنعتَ فى حاجتى، ورضى الله عنك ألا زرتنى.

* ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾: فى أعذارهم.

* ﴿ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: لم يكن رسول الله ﷺ يعرف المنافقين يومئذ[٣].

﴿ لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم والنحاس فى ناسخه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ الآيتين، قال: هذا تفسير للمنافقين حين استأذنوا فى القعود عن الجهاد بغير عذر.. اهـ[٤].

* ﴿ لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾: أى: فى القعود عن الجهاد، فكان الاستئذان فى ذلك الوقت لغير عذر من علامات النفاق، ولذلك قال - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ أى: يتحيرون.

(١ ، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤١).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٩٧).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤٢).

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ ﴾ إلى الجهاد. * ﴿ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾: ليهيّؤوا له.

* ﴿ وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ ﴾: عن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قال: خروجهم[١].

* ﴿ فَثَبَّطَهُمْ ﴾، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أى: حبسهم[٢].

* ﴿ وَقِيلَ اقْعُدُوا ﴾: فى بيوتكم. * ﴿ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ أى مع المرضى، وقيل: مع النسوة، والصبيان.

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ﴾: فى هذا تسلية للنبىّ ﷺ وللمؤمنين فى تخلّف المنافقين عنهم. والخبال: الفساد، والنميمة، وإيقاع الاختلاف، والأراجيف.

* ﴿ وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ ﴾ أى: لأسرعوا فيما بينكم بالإفساد. والإيضاع: سرعة السير، يقال: وضع يضع وضعًا ووضوعًا: إذا أسرع السير، وأوضعتُه: حملته على العَدْو.

* ﴿ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾ أى: يطلبون لكم ما تفتتنون به. يقولون: إنكم مهزومون، وسيظهر عليكم عدوكم، ونحو ذلك.

* ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾: قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): معناه: وفيكم مخبرون لهم يؤدّون إليهم ما يسمعون منكم وهم الجواسيس.. اهـ[٣].

وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): معناه: وفيكم مطيعون لهم أى: يستمعون كلامهم.. اهـ[٤]. * ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤٢).

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٩٨).

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨)﴾

معانى المفردات:

* ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أى: طلبوا صدّ أصحابك عن الدّين وردّهم إلى الكفر، وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم: كفعل عبد الله بن أبيّ ابن سلول رأس المنافقين، يوم أُحُد حين انصرف عنك بأصحابه.

* ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾ أى: أجالوا الرأى فى إبطال ما جئتَ به.

* ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾ أى: النصر، والظفر.

* ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أى: دينه. * ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها عدد من الروايات وقد اخترت منها هذه الرواية:

* أخرج ابن المنذر، والطبرانى، وابن مردويه، وأبو نعيم فى المعرفة عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: لما أراد النبى ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك، قال لجدّ بن قيس السّلمى: «ما تقول فى مجاهدة بنى الأصفر؟» فقال: إنى أخشى إن رأيتُ نساء بنى الأصفر أن أفتتن فأذن لى ولا تفتنى، فأنزل الله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ الآية.. اهـ[1].

معانى المفردات:

* ﴿وَمِنْهُم﴾ أى: من المنافقين. * ﴿مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ أى: فى التخلّف عن جهاد بنى الأصفر وهو: جدّ بن قيس السلمى المنافق.

* ﴿ائْذَن لِّي﴾: فعل أمْر من «أذِن يأذن» وإذا أمرتَ زدت همزة مكسورة وبعدها همزة هى فاء الفعل ساكنة، فأبدلت الهمزة الثانية ياء مكسورة من جنس حركة ما قبلها، فإذا وصلتَ زالت العلّة فى الجمع بين همزتين فقيل: ﴿ائْذَن لِّي﴾.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤٣)، تفسير البغوى (٢/ ٢٩٩)، وتفسير القرطبى (٨/ ١٠١).

* ﴿ وَلا تَفْتِنِّي ﴾: عن قتـادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قـال معنى ﴿ وَلا تَفْتِنِّي ﴾: ولا تؤثمنى.

* ﴿ أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ قال: ألا فى الإثم سقطوا: وهو مخالفتهم أمر الرسول ﷺ.

* ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ أى: مطبقة عليهم، وجامعة لهم فيها.

﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ (٥٠) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن أبـى حاتم عن جـابر بن عبد الله (ت ٧٨هــ ـ رضى الله عنهمـا) قال: جعل المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة ـ عن جـهاد بنى الأصفر ـ يخبرون عن النبى ﷺ أخبار السـوء يقولون: إنّ «محمدًا» وأصحـابه قد جهدوا فى سفـرهم وهلكوا، فبلغهم تكذيـب حـديثـهـم وعافـيـة النبيّ ﷺ وأصحـابه، فسـاءهم ذلك، فأنزل الله ـ تعـالى ـ: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾.. اهـ[(١)].

معانى المفردات:

* ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾: ورد فى تأويل ذلك عدد من الأقوال:

أولا: عن ابن عبـاس (ت ٦٨هــ ـ رضى الله عنهما) قال: مـعنى ذلك: إن تصبك فى سفـرك هذا حسنة تـسؤهم[(٢)]. والضـمـيـر فى «تسؤهم» عـائد على جدّ بن قـيس السلمى المنافق ومن كان على شاكلته.

ثانيًـا: عن مجـاهد بن جبـر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قـال: معنى ذلك: إن تصـبك العافية والرخاء والغنيمة تسؤهم[(٣)].

ثالثًا: عن قتـادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: مـعنى ذلك: إن كان فتح للمسلمين كبر ذلك عليهم وساءهم[(٤)].

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤٥).

رابعًا: عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: معنى ذلك: إن أظفرك الله وردّك سالمًا ساءهم ذلك(١).

* ﴿ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ ﴾: قتل أو هزيمة.

* ﴿ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا ﴾: حذرنا، أى: أخذنا بالحزم فى القعود عن الغزو.

* ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أى: من قبل هذه المصيبة. * ﴿ وَيَتَوَلَّوْا ﴾ أى: ويدبروا.

* ﴿ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ أى: مسرورون بما نالك من المصيبة.

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ أى: فى اللوح المحفوظ، لأن كل شىء بقضاء وقدر.

* وعن مطرّف ـ رضى الله عنه ـ قال: ليس لأحد أن يصعد فوق بيت فيلقى نفسه ثم يقول: قدّر لى، ولكن نتّقى ونحذر، فإن أصابنا شىء علمنا أنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.. اهـ(٢).

* وأخرج أحمد عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ عن النبىّ ﷺ قال: «لكل شىء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه» اهـ(٣).

* ﴿ هُوَ مَوْلانَا ﴾ أى: ناصرنا، وحافظنا.

* ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾: والتوكل تفويض الأمر إلى الله.

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢) ﴾

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤٥).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤٦).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا ﴾: التربّص: الانتظار، وحينئذ يكون المعنى: تنتظرون بنا أيها المنافقون. واللفظ استفهام، إلا أنّ المراد به: التوبيخ.

* ﴿ إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ﴾: الحسنى: تأنيث الأحسن، وواحد الحسنيين: حسنى، والمراد بالحسنيين: الغنيمة والشهادة، روى ذلك عن: ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ومجاهد بن جبر وغيرهما[١].

* ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ ﴾: إحدى المصيبتين: إمَّا * ﴿ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ ﴾ فيهلككم كما أهلك الأمم الخالية التى سبقتكم.

* ﴿ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾: عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قال: القتل بالسيوف[٢].

* ﴿ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾:

قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): فتربّصوا مواعيد الشيطان، إنا متربصون مواعيد الله من إظهار دينه، واستئصال من خالفه.

﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) ﴾

❁ سبب نزول هذه الآية:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت هذه الآية فى جدّ بن قيس السلمى المنافق، عندما قال للنبى ﷺ: ائذن لى فى القعود عن الجهاد وهذا مالى أعينك به.. اهـ[٣].

✷ المعنى:

إن أنفقتم طائعين، أو مكرهين فلن يُتقبل منكم لأنكم ﴿ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٠٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤٦).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٠٣)، وتفسير البغوى (٢/ ٣٠٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤٦).

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﴾: المعنى: وما منعهم من أن تقبل منهم نفقاتهم إلا كفرهم بالله ـ عزّ وجلّ ـ، وبرسوله «محمد» ﷺ.

* ﴿ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: إن كان فى جماعة صلّى، وإن انفرد لم يصلّ لأن النفاق يورث الكسل فى العبادة لا محالة.. اهـ(١).

* ﴿ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾: لأنهم يعتبرون الإنفاق مغرمًا، وعدم الإنفاق مغنمًا، وما دامت عقيدتهم ذلك فنفقاتهم غير مقبولة عند الله ـ تعالى ـ، ويترتب على ذلك عدم الثواب عليها.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَن تُقْبَلَ ﴾ [رقم: ٥٤].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزار: ﴿ أن يقبل ﴾ بالياء، على تذكير الفعل، لأن «نفقاتهم» التى هى نائب فاعل تأنيثها غير حقيقىّ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ أن تقبل ﴾ بالتاء، على التأنيث، وذلك لتأنيث لفظ «نفقات»(٢).

﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥) ﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٠٤).

(٢) انظر: المغنى: فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٠٧)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٥٠٣)، وحجة القراءات ص٣١٩.

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ ﴾: الإعجاب: هو السرور بما يتعجب منه، وحينئذ يكون المعنى: لا تستحسن ما أعطيناهم من الأموال والأولاد، ولا تمل إليه فإنه استدراج.

* ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾:

* عن ابن زيد قال: بالمصائب فيهم، فهى لهم عذاب.. اهـ[(١)].

* وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤ هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): فى الآية تقديم وتأخير تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة.. اهـ[(٢)].

* ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ ﴾ أى: تخرج أنفسهم بالموت.

* ﴿ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾: الواو للحال، أى يموتون حالة كونهم على الكفر.

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾: أى: على دينكم، إذْ من أخلاق المنافقين الحلف كذبًا بأنهم مؤمنون، ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) ﴾ [المنافقون: ١].

* ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾: الفَرَق: الخوف، أى: يخافون أن يظهروا ما هم عليه من نفاق فيقتلوا.

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ رضى الله عنهما) فى الآية قال: «الملجأ»: الحرز فى الجبال، و«المغارات»: الغيران فى الجبال، و«المدّخل»: السرب.. اهـ[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤٧). (٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٠٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤٧).

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً ﴾ يقول: محرزًا لهم يفرّون إليه منكم.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ ﴾ يقول: لفرّوا إليه منكم.. اهـ(١).

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ قال: يسرعون.. اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَوْ مُدَّخَلاً ﴾ [رقم: ٥٧].

قرأ يعقوب: ﴿ أو مَدْخلا ﴾ بفتح الميم، وإسكان الدال مخفّفة على أنه اسم مكان من «دخل يدخل» الثلاثى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ أو مُدّخلا ﴾ بضم الميم، وفتح الدال مشدّدة، اسم مكان من «ادّخل» على وزن «افتعل» والأصل «مدتخلا» فأدغمت الدال فى التاء(٣).

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج البخارى، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر وغيرهم عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم مالاً إذْ جاءه حُرْقُوص بن زهير أصل الخوارج، ويقال له: ذو الخُوَيْصرة التميمى فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: «ويلك ومَنْ يعدل إذا لم أعدل؟».

فقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ: يا رسول الله ائذن لى فيه فأضرب عنقه، فقال: «معاذ الله أن يتحدّث الناس أنّى أقتل أصحابى إنّ هذا وأصحابه يقرءون القرآن

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤٧).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٠٨)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٩٧)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٧٩).

لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة». فنزلت: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ اهـ(١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ يقال: لمزه يلمزه: إذا عابه. واللمز فى اللغة: العيب فى السّرّ.

قال الجوهرىّ إسماعيل بن حماد الفارابى (ت ٣٩٣هـ): اللمز: العيب، وأصله الإشارة بالعين ونحوها.. اهـ(٢).

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾: أى: يعيبك.. اهـ(٣).

* ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴾ [التوبة: ٥٨].

* ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ ﴾ [التوبة: ٧٩].

* ﴿ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [الحجرات: ١١].

قرأ يعقوب: ﴿ يلمزك، يلمزون، تلمزوا ﴾ بضم الميم، مضارع «لمز يلمُز» من باب «نصر ينصُر».

وقرأ الباقون من القراء العشرة الكلمات الثلاث بكسر الميم، مضارع «لمز يلمز» من باب «ضرب يضرب»(٤).

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٠٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٤٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٠٦).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٠٦).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٠٩)، وشرح طيبة النشر ص٣٠٧، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٧٩).

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (٥٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾: جواب «لو» محذوف، والتقدير: لكان خيرا لهم.

* ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾: كافينا الله.

* ﴿ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾: ما نحتاج إليه.

* ﴿ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾: فى أن يوسع علينا من فضله، فيغنينا عن الصدقة وغيرها من أموال الناس.

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ الآية: بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى هذه الآية أهل الصدقات وجعلها لثمانية أصناف.

* وأحد أصناف الصدقة: الفقراء، والثانى المساكين: وقد اختلف العلماء فى صفة الفقير والمسكين على عدد من الأقوال وبيانها فيما يلى:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) والزهرى محمد بن أسلم (ت ١٢٤هـ) قالوا: الفقير الذى لا يسأل، والمسكين الذى يسأل.. اهـ[(١)].

ثانيًا: قال ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): ليس بفقير من جمع الدرهم إلى الدرهم، والتمرة إلى التمرة، ولكن من أنقى نفسه وثيابه لا يقدر على شىء يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، فذلك الفقير.. اهـ[(٢)].

(١، ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٠٢).

ثالثًا: قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قـول آخر: الفقير: المحتاج الزَّمِن، والمسكين: الصحيح المحتاج.. اهـ[١].

رابعًا: قال الإمام الشافعى محـمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ): الفقير من لا مال له، ولا حرفة تقع منـه موقعًا: زَمِنًا كان أو غـير زَمِن، والمسكين من كان له مـال أو حرفة ولا يغنيه، سائلا كان أو غير سائل، فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير.. اهـ[٢].

* وقد اختلف العلماء فى حدّ الغنى الذى يمنع أخذ الصدقة:

أولا: قال الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) والإمام الشـافعى محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ) والأكثرون من أهل العلم: حدّه أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة.. اهـ[٣].

ثانيًا: قال الأحناف: حدّه أن يملك مائتى درهم.. اهـ[٤].

* ﴿ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾: عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: العاملون عليها: السعاة أصحاب الصدقة.. اهـ[٥]. فقراء كانوا أو أغنياء، يعطون من مال الصدقة مثل أجر عملهم.

* وقال مـجاهد بن جبـر (ت ١٠٤هـ) والضحاك بـن مزاحم (ت ١٠٥هـ): لهم الثُّمن من الصدقة.. اهـ[٦].

* ﴿ وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾: عن الحـسن البـصـرى (ت ١١٠هـ) قـال: المؤلفـة قلوبهم: الذين يدخلون فى الإسلام إلى يوم القيامة.. اهـ[٧].

وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: ليس اليوم مؤلفة قلوبهم.. اهـ[٨].

* ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾: هم المكاتبـون، لهم سـهم من الصـدقـة، وهو قـول أكثـر الفقهاء، وبه قـال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) والزهـرى محمد بن أسلم (ت ١٢٤هـ) والنخعـىّ إبراهيم بن يزيد بن قيس الكوفى (ت ٩٥هـ) والإمـام الشافـعىّ محـمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ)[٩].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٠٢).
(٢ : ٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٠٣).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥٠).
(٦) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٠٣).
(٧، ٨) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥١).
(٩) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٠٤).

* ﴿ وَالْغَارِمِينَ ﴾ قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): هو من احترق بيته، أو ذهب السيل بماله، وادَّان على عياله.. اهـ[١].

* وقال مقاتل بن حيّان البلخيّ (ت ١١٠هـ): هو الذى يسأل فى دم، أو جائحة تصيبه.. اهـ[٢].

* وأقول هؤلاء الغارمون يعطون من مال الصدقة ما يقضون به ديونهم، وإن كانوا أغنياء، والله أعلم.

* ﴿ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾: قال مقاتل بن حيّان البلخيّ (ت ١١٠هـ): هم المجاهدون.. اهـ[٣]. وبه قال ابن زيد.

* ﴿ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: هو المسافر.. اهـ[٤].

* وقال قتادة بن دعامة السدوسيّ: «ابن السبيل» هو الضيف، والمسافر إذا قطع به وليس له شيء[٥].

* وأقول: كل من يريد سفراً مباحًا ولم يكن له ما يقطع به المسافة يُعطى من الصدقة بقدر ما يقطع به تلك المسافة سواء كان له فى البلد المنتقل إليه مال أو لم يكن، والله أعلم.

* ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ أى: فرض الله ذلك فريضة واجبة.

* ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: يضع جميع أحكامه بحكمة.

• أحكام مهمة لها صلة وثيقة بكيفية تقسيم الصدقات:

أولا: عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: فرض رسول الله ﷺ الصدقة فى ثمانية أسهم: ففرض فى الذهب، والوَرِق، والإبل، والبقر، والغنم، والزرع، والكَرْم، والنخل، ثم توضع فى ثمانية أسهم، فى أهل هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ الآية.. اهـ[٦].

(١ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥٢).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥٣).

ثانيًا: أخرج ابن أبى شيبة، وأبو داود، والترمذى، عن عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ قال: لا تحلّ الصدقة لغنىّ، ولا لذى مرّة سوىّ».. اهـ[١].

ثالثًا: عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: لا يُعطى المشركون من الزكاة، ولا من شىء من الكفّارات[٢].

رابعًا: عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: يُعطى من الزكاة مَنْ له الدّار، والخادم، والفرس.. اهـ[٣].

خامسًا: اختلف العلماء، والفقهاء فى كيفية قسم الصدقات:

١ ـ فقال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) والإمام الشافعى محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ) وغيرهما من العلماء، قالوا: لا يجوز صرف الزكاة كلها إلى صنف واحد مع وجود سائر الأصناف.. اهـ[٤].

٢ ـ ذهب جماعة من العلماء إلى أنه لو صرف الكلّ إلى صنف واحد من هذه الأصناف، أو إلى شخص واحد منهم يجوز، وإنما سمّى الله ـ تعالى ـ هذه الأصناف الثمانية إعلامًا منه أنّ الصدقة لا تخرج عن هذه الأصناف: وهو قول عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) وابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وسعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) وسفيان الثورى (ت ١٦١هـ) وأصحاب الرأى ـ أى الأحناف، والإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)[٥].

٣ ـ قال الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ): يتحرّى موضع الحاجة منهم، ويقدّم الأولى فالأولى من أهل الخلّة والحاجة: فإن رأى الخلّة فى الفقراء فى عام أكثر قدّمهم، وإن رآها فى عام آخر فى صنف غيرهم حوّلها إليهم[٦].

سادسًا: قال القرطبى فى تفسيره: اختلف العلماء فى نقل الزكاة عن موضعها على ثلاثة أقوال:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥٣).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥٠).

(٤ : ٦) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٠٥).

القول الأول: قال سُحْنون، وابن القاسم: لا تنقل. وروى عن سُحْنون أنه قال: لو بلغ الإمام أن ببعض البلاد حاجة شديدة جاز له نقل بعض الصدقة المستحقّة لغيره إليه، فإن الحاجة إذا نزلت وجب تقديمها على من ليس بمحتاج.

وقال ابن القاسم أيضًا: إن نُقِلَ بعضها لضرورة رأيتُه صوابًا.. اهـ(١).

القول الثاني: قال الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ): تنقل.. اهـ(٢).

القول الثالث: هو أنّ سهم الفقراء والمساكين يقسّم فى الموضع، وسائر السهام تنقل باجتهاد الإمام.. اهـ(٣).

سابعًا: لا يجوز أن يُعْطِيَ من الزكاة من تلزمه نفقته وهم: الوالدان، والولد، والزوجة، والغنيّ بمال أو كسب.

﴿ ومنهُمُ الَّذين يُؤْذُونَ النَّبيَّ ويقُولُون هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمنُ باللَّه ويُؤْمنُ للْمُؤْمنين ورحْمةٌ لّلَّذين آمنُوا منكُمْ والَّذين يُؤْذُون رسُول اللَّه لهُمْ عذابٌ أليمٌ (٦١) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن أبى حاتم عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) قال: اجتمع ناس من المنافقين فيهم: جلاس بن سويد بن الصامت، وجحش بن حمير، ووديعة بن ثابت فأرادوا أن يقعوا فى النبى ﷺ فنهى بعضهم بعضًا وقالوا: إنّا نخاف أن يبلغ «محمدًا» فيقع بكم، فقال بعضهم: إنما «محمد» أذن نحلف له فيصدّقنا، فنزل: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﴾ الآية.. اهـ(٤).

معانى المفردات:

* ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾: بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى هذه الآية أن فى المنافقين مَنْ كان يبسط لسانه بالوقيعة فى أذيّة النبى ﷺ ويقول: إن عاتبنى حلفتُ له بأنّى ما قلتُ هذا فيقبله، فإنه أذن سامعة.

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١١١).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١١٢).

(٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٠٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥٣).

قال الجوهرى إسماعيل بن حماد الفارابى (ت ٣٩٣هـ): يقال: رجل أذن إذا كان يسمع مقال كل أحد، يستوى فيه الواحد والجمع.. اهـ[١].

* ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ أى: هو أذن خير لا أذن شرّ، أى: يسمع الخير، ولا يسمع الشر.

* ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾: عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ قال: يصدّق الله بما أنزل إليه.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال: يصدّق المؤمنين فيما بينهم فى شهاداتهم وإيمانهم على حقوقهم وفروجهم وأموالهم.. اهـ[٢].

* ﴿ ورحمةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ ﴾ أى: هو رحمة للمؤمنين لأنه كان سبب إيمانهم، وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

* ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾: بأىّ شىء من أنواع الأذى.

* ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أى: مؤلم وهو عذاب جهنم وبئس المصير.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أُذُنُ ﴾ معًا [رقم: ٦١].

قرأ نافع بإسكان الذال للتخفيف، والباقون بضمها على الأصل، وهما لهجتان[٣].

* ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ﴾ [رقم: ٦١].

قرأ حمزة: ﴿ ورحمةٍ ﴾ بالخفض، عطفًا على «خيرٍ» أى هو أذن خير وأذن رحمة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ورحمةٌ ﴾ بالرفع، على أنه معطوف على «أذن» وحينئذ يكون المعنى: قل يا مخاطب: «محمد» ﷺ أذن خير لكم ورحمة، أى: هو رحمة[٤].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٢٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥٤).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٨٠).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٠٩).

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: ذكر لنا أنّ رجلا من المنافقين قال: والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا، وإن كان ما يقول: «محمد» حقًا لهم أشرّ من حُمَيْر، فسمعها رجل من المسلمين: - هو عامر بن قيس من الأنصار - فقال: و الله ما يقول «محمد» ﷺ لحقّ، ولأنت أشر من الحمار، فسعى بها الرجل إلى نبىّ الله ﷺ فأخبره، فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال: «ما حملك على الذى قلتَ؟» فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك، وجعل الرجل المسلم يقول: اللهمّ صدّق الصادق، وكذّب الكاذب، فأنزل الله فى ذلك: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ ﴾ الآية.. اهـ[1].

معانى المفردات:

* ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾: مبتدأ وخبر، وحينئذ يكون المعنى: والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه، فحذف من الثانى لدلالة الأوّل عليه. وصدق الله إذْ قال: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٦٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا ﴾: أى: المنافقون. * ﴿ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾: عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قال: معنى ذلك يعادى الله ورسوله.. اهـ[2].

* ﴿ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾، أى: الفضيحة العظيمة.

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤) ﴾

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥٤).

معانى المفردات:

* ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ ﴾ أى: يخشى المنافقون.

* ﴿ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ﴾ أى: تنزل على المؤمنين.

* ﴿ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أى: بما فى قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين، كانوا يقولون فيما بينهم ويسرّون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن فى شأنهم.

قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): هذه السورة تسمّى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة أثارت مخازيهم ومثالبهم.. اهـ[١].

* ﴿ قُلِ اسْتَهْزِءُوا ﴾: هذا أمر وعيد وتهديد.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ﴾ أى: مظهر.

* ﴿ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾: قيل: إخراج الله أنه عرّف نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أحوالهم، وأسماءهم، لا أنها نزلت فى القرآن، وهو نوع إلهام، ومن الأدلّة على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد: ٣٠].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: بينما رسول الله ﷺ فى غزوته إلى تبوك وبين يديه أناس من المنافقين، فقالوا: يرجو هذا الرجل أن تفتح له قصور الشام وحصونها هيهات هيهات؟ فأطلع الله نبيّه ﷺ على ذلك، فقال نبىّ الله ﷺ: «احبسوا علىّ هؤلاء الركب» فأتاهم فقال: «قلتم كذا» قالوا: يا نبىّ الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله فيهم ما تسمعون.. اهـ[٢].

● **تنبيه:** سبب نزول هذه الآية ألقى الضوء على معناها.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٠٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥٦).

﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين (٦٦)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: هذا على جهة التوبيخ، كأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: لا تفعلوا ما لا ينفع، ثمّ حكم عليهم بالكفر، وعدم قبول الاعتذار من الذنب. والاعتذار: مَحْو أثر المَوْجِدة.

يقال: اعتذرتُ إليه: قطعت ما في قلبه من المَوْجِدة.

* ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ أي: نتب على طائفة منكم، وأراد بالطائفة واحدًا، لأنه قد يطلق لفظ الجمع على الواحد.

* ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: قال القرطبي في تفسيره: كانوا ثلاثة نفر، هَزِئ اثنان، وضحك واحد، فالمعفوّ عنه هو الذي ضحك ولم يتكلّم.. اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿نَّعْفُ، نُعَذِّبْ، طَائِفَةً﴾ [رقم: ٦٦].

قرأ عاصم: ﴿نَعْفُ﴾ بنون العظمة مفتوحةً، وضم الفاء، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن» يعود على الله ـ تعالى ـ المتقدّم ذكره في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [رقم: ٦٤].

وقرأ ـ أي عاصم ـ: ﴿نُعذّب﴾ بنون العظمة مضمومةً، وكسر الذال مشدّدةً، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر يعود على الله ـ تعالى ـ، و«طائفةً» بالنصب، مفعول به.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿يُعفَ﴾ بياء تحتية مضمومة، وفتح الفاء، على البناء للمفعول، ونائب الفاعل الجارّ والمجرور: «عن طائفة».

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ١٢٦).

و«تُعذَّب» بتاء فوقية مضمومة، وفتح الذال مشدّدة، على البناء للمفعول. و«طائفةٌ» بالرفع نائب فاعل[1].

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾: أى: أمرهم واحد بالاجتماع على النفاق، أى: هم كالشىء الواحد فى الخروج عن الدين.

* وعن حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ ـ رضى الله عنه) أنه سئل عن المنافق فقال: هو الذى يصف الإسلام ولا يعمل به.. اهـ[2].

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): النفاق نفاقان:

١ ـ نفاق تكذيب بنبينا «محمد» ﷺ فذاك كفر.

٢ ـ ونفاق خطايا وذنوب فذاك يرجى لصاحبه.. اهـ[3].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ ﴾ قال: هو التكذيب، وهو أنكر المنكر.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما أنزل الله، وهو أعظم المعروف.. اهـ[4].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ قال: لا يبسطونها بنفقة فى حقّ الله ـ تعالى ـ.. اهـ[5].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ قال: تركوا الله فتركهم من كرامته وثوابه.. اهـ[6].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢١٠)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٩١)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٥٠٤)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٨١)، وحجّة القراءات لابن زنجلة ص٣٢٠.

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥٧).

(٥، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥٨).

* ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾: هذا خبر من الله ـ تعالى ـ بفسق المنافقين، وخبر الله ـ تعالى ـ متمحض دائمًا للصدق.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ ﴾ أى: كافيتهم جزاء على كفرهم. يُقال: وعد الله بالخير وعدا، ووعد بالشرّ وعيدًا.

* ﴿ خَالِدِينَ ﴾ نصب على الحال، والعامل محذوف، والتقدير: يصلونها حالة كونهم خالدين فيها.

* ﴿ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ أى: أبعدهم الله من رحمته.

* ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ أى: دائم لا ينقطع أبدًا.

﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾: قال القرطبى فى تفسيره: فعلتم كأفعال الذين من قبلكم فى الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف.. اهـ[١]. والخطاب فى الآية للمنافقين.

* ﴿ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً ﴾: أى: بطشًا ومنعة.

* ﴿ وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ ﴾:

* عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: الخلاق الدين.. اهـ[٢].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ ﴾ قال: بنصيبهم من الدنيا.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٢٨). (٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥٨).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ قال: لعبتم كالذى لعبوا.. اهـ(١).

وحينئذ يكون المعنى: وخضتم فى الباطل والكذب على الله ـ تعالى ـ وتكذيب رسله، والاستهزاء بالمؤمنين، كالذى خاضوا.

* ﴿ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ أى: كما حبطت أعمالهم وخسروا، كذلك حبطت أعمالكم وخسرتم أيها المنافقون.

* فى صحيح البخارى عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «لتتبعنّ سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» اهـ(٢).

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ ﴾ أى: المنافقون. * ﴿ نَبَأُ ﴾ أى: خبر.

* ﴿ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾: حين عصوا رسل الله ـ صلى الله عليهم وسلم ـ، وخالفوا أمره، كيف عذبهم الله وأهلكهم، ثم ذكرهم فقال:

* ﴿ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ أهلكوا بالطوفان. * ﴿ وَعَادٍ ﴾ أهلكوا بالريح العقيم.

* ﴿ وَثَمُودَ ﴾ أخذوا بالرجفة. * ﴿ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ بسلب النعمة، وهلاك نمرود بن كنعان. ﴿ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ ﴾، أى: قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلّة.

* ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾ أى: المنقلبات التى جعل الله عاليها سافلها، وهى قرى قوم لوط.

* ﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أى: بالمعجزات الدالة على صدق نبوتهم، فكذبوهم وعصوهم، كما فعلتم أيها المنافقون فاحذروا تعجيل العقوبة من الله العزيز الحكيم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٢٨).

* ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾: وذلك بكفرهم، وتكذيبهم أنبياءهم.

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾

معانى المفردات:

* عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ قال: يدعون إلى الإيمان بالله ورسله، والنفقات فى سبيل الله، وما كان من طاعة الله.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ قال: ينهون عن الشرك والكفر بالله ـ تعالى ـ.. اهـ[1].

* قال القرطبى فى تفسيره، فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ قال: أى: قلوبهم متّحدة فى التّوادّ، والتّحاب، والتعاطف.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ قال: أى بعبادة الله ـ تعالى ـ وحده، وكل ما أُتْبِع ذلك.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ قال: عن عبادة الأوثان، وكل ما أُتبع ذلك.. اهـ[2].

* ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ أى: المفروضة يؤدونها تامّة بشروطها وأركانها، وآدابها، وسننها.

* ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ أى: زكاة أموالهم المفروضة، وزكاة الفطر.

* ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ ﴾ فى أداء الفرائض، واجتناب النواهى.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٥٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٢٩).

* ﴿ وَرَسُولَهُ ﴾ فيما سنّ لهم، وبيّن لهم.

* ﴿ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

* أخرج الحاكم عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقى مصارع السوء والآفات والمهلكات، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة».. اهـ[1].

* وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، ثم أمر مناديا ينادى: ألا ليقم أهل المعروف فى الدنيا، فيقومون حتى يقفوا بين يدى الله ـ تعالى ـ فيقول الله: «أنتم أهل المعروف فى الدنيا؟» فيقولون: «نعم». فيقول: «وأنتم أهل المعروف فى الآخرة، قوموا مع الأنبياء والرسل فاشفعوا لمن أحببتم فأدخلوه الجنّة حتّى تُدخِلوا عليهم المعروف فى الآخرة كما أدخلتم عليهم المعروف فى الدنيا».. اهـ[2].

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ﴾ أى: بساتين.

* ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ أى: من تحت أشجارها، وقصورها.

* ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً ﴾ أى: قصور من الزبرجد، والدرّ والياقوت يفوح طيبها من مسافات بعيدة.

* ﴿ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ أى:فى دار إقامة. يقال: عَدَنَ بالمكان: إذا أقام به.

* ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أى: رضا الله عنهم أكبر من ذلك النعيم الذى هم فيه.

* ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾:

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٦٠).

* أخرج أحمد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى والبيهقى فى الأسماء والصفات، عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة: فيقولون: لبيك يا ربنا وسعديك والخير فى يديك، فيقول: «هل رضيتم؟» فيقولون: ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحدًا من خلقك؟ فيقول: «ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟» قالوا: يا ربّ وأىّ شىء أفضل من ذلك؟ قال: «أحلّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا».. اهـ(١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ ﴾ قال: بالسيف.

* ﴿ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ قال: باللسان.

* ﴿ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ قال: أذهب الفرق عنهم.. اهـ(٢).

* وعن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: لما نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ أمر رسول الله ﷺ أن يجاهد بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، فإن لم يستطع فليلقهم بوجه مكفهر.. اهـ(٣).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: أمر الله نبيه ﷺ أن يجاهد الكفار بالسيف، ويغلظ على المنافقين فى الحدود.. اهـ(٤).

* ﴿ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ أى: فى الدار الآخرة.

* عن عطاء بن يسار (ت ١٠٢هـ) قال: نسخت هذه الآية كل شىء من العفو والصفح.. اهـ(٥).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٦٢).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٦٣).

(٥) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣١١).

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها عدد من الروايات، وقد اخترت الرواية التالية طلبًا للاختصار:

* أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان الجُلاس بن سويد بن الصامت ممن تخلّف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك، وقال: لئن كان هذا الرجل صادقًا لنحن شرّ من الحَمير، فرفع عمير بن سعد مقالته إلى رسول الله ﷺ فحلف الجلاس بالله لقد كَذب عَلَيّ وما قلتُ، فأنزل الله: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ﴾ الآية.. اهـ(١).

معانى المفردات:

* ﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): كان الجُلاس لما قال له صاحبه ـ عمير بن سعد ـ: إنّي سأخبر رسول الله ﷺ بقولك همّ بقتله ثم لم يفعل.. اهـ(٢).

* ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾:

وذلك أنّ مَوْلى الجُلاس قُتِلَ فأمر رسول الله ﷺ بديته اثنى عشر ألف درهم فاستغنى.

وقال الكلبى محمد بنَ السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): كانوا قبل قدوم النبى ﷺ المدينة فى ضنك من العيش، فلما قدم عليهم النبى ﷺ استغنوا بالغنائم.. اهـ(٣).

* ﴿ فَإِن يَتُوبُوا ﴾: من نفاقهم وكفرهم. * ﴿ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾.

* ﴿ وَإِن يَتَوَلَّوْا ﴾: يعرضوا عن الإيمان.

* ﴿ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا ﴾: بالخزى.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٦٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٣١).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣١٢).

* ﴿ وَالْآخِرَةِ ﴾: بالنار والعذاب الأليم الدائم الذى لا ينقطع.

* ﴿ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ ﴾ أى: مانع يمنعهم.

* ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ أى: معين.

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج الحسن بن سفيـان، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وغيرهم عن أبى أمامة البـاهلىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: جاء ثعلبـة بن حاطب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا.

قال: «ويحك يا ثعـلبة، أما ترضى أن تكون مـثلى؟ فلو شئتُ أن يسيّر ربّى هذه الجبال معى لسارت». قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا، فوالذى بعثك بالحقّ إن آتانى الله مـالا لأعطينّ كل ذى حقّ حقّـه. قال: «ويحك يا ثعلبـة قليل تطيق شكره خير من كثير لا تطيق شكره».

فقال: يا رسول الله ادع الله ـ تعالى ـ. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزقه مالا».

فاتّجـر واشتـرى غنمًا فـبورك له فيـها ونمت كـما ينمـو الدّود حتّى ضـاقت بها المدينة، فتنحّى بها، فكان يشهد الـصلاة بالنهار مع رسول الله ﷺ ولا يشهدها بالليل، ثم نمت كما ينمـو الدّود فتنحّى بها، فكان لا يشهد الصـلاة بالنهار ولا بالليل إلا من جمعة إلى جمعة مع رسول الله ﷺ، ثم نمت كـما ينمو الدّود فضاق بها مكانه فتنحّى بها، فكان لا يشهد جمعة ولا جنازة مع رسـول الله ﷺ فجعل يتلقّى الركبان ويسألهم عن الأخبار.

وفقـده رسـول الله ﷺ فسأل عنه، فأخبـروه أنه اشترى غنمًا، وإنّ المدينة ضاقت بـه، وأخبروه بخبره، فقال رسول الله ﷺ: «ويح ثعلبة بن حاطب». ثمّ إنّ الله ـ تعالى ـ

أمر رسول الله ﷺ بأخذ الصدقات، وأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [التوبة: ١٠٣] الآية، فبعث رسول الله ﷺ رجلين: رجلا من جُهَيْنة ورجلا من بنى سلمة يأخذان الصدقات، فكتب لهما أسْنانَ الإبل والغنم كيف يأخذانها على وجهها، وأمرهما أن يمرّا على ثعلبة بن حاطب وبرجل من بنى سليم فخرجا فمرّا بثعلبة فسألاه الصدقة، فقال: أريانى كتابكما، فنظر فيه فقال: ما هذا إلا جزية، انطلقا حتى تفرغا ثمّ مرًّا بى.

قال: فانطلقا وسمع بهما السليمىّ فاستقبلهما بخيار إبله، فقالا: إنما عليك دون هذا، فقال: ما كنتُ أتقرب إلى الله إلا بخير مالى، فقبلاه، فلما فرغا مرًّا بثعلبة، فقال: أريانى كتابكما، فنظر فيه، فقال: ما هذا إلا جزية، انطلقا حتى أرى رأيى، فانطلقا حتى قدما المدينة فلما رآهما رسول الله ﷺ قال قبل أن يكلمهما: «ويح ثعلبة بن حاطب» ودعا للسّليمى بالبركة، وأنزل الله: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ الثلاث آيات.

قال: فسمع بعض من أقارب ثعلبة فأتى ثعلبة فقال: ويحك يا ثعلبة أنزل الله فيك كذا وكذا. قال: فقدم ثعلبة على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هذه صدقة مالى. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ تعالى ـ قد منعنى أن أقبل منك». قال: فجعل يبكى ويحثى التراب على رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا عملك بنفسك، أمرتك فلم تطعنى» فلم يقبل منه رسول الله ﷺ حتّى مضى.

ثم أتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر اقبل منّى صدقتى، فقد عرفتَ منزلتى من الأنصار. فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله ﷺ وأقبلها؟ فلم يقبلها أبو بكر.

ثم ولّى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فأتاه فقال: يا أبا حفص يا أمير المؤمنين اقْبلْ منّى صدقتى وتوسّل إليه بالمهاجرين والأنصار وأزواج النبىّ ﷺ فقال عمر: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر أقبلها أنا؟ فأبى أن يقبلها.

ثم ولّى عثمان ـ رضى الله عنه ـ فهلك ـ أى ثعلبة ـ فى خلافة عثمان.. اهـ[1].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٦٧، ٤٦٨).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ومنهم ﴾ أى: من المنافقين. * ﴿ من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ﴾ أى: لنؤدين حق الله منه.

* ﴿ ولنكونن من الصالحين ﴾ أى: نعمل بعمل أهل الصلاح فيه: من صلة الرحم، والنفقة فى الخير.

* ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به ﴾ أى: بخلوا بإعطاء الصدقة وبإنفاق المال فى الخير، وبالوفاء بما ضمنوا والتزموا.

* ﴿ وتولوا ﴾ أى: عن طاعة الله.

* ﴿ وهم معرضون ﴾ أى: عن الإسلام.

* ﴿ فأعقبهم نفاقا في قلوبهم ﴾ أى: أخلفهم الله نفاقًا فى قلوبهم، أى: صيّر عاقبة أمرهم النفاق. يقال: أعْقب فلانًا ندامةً إذا صيّر عاقبة أمره ذلك.

* ﴿ إلى يوم يلقونه ﴾ أى: حرمهم الله التوبة إلى يوم القيامة.

* ﴿ بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾، أى: بنقضهم العهد، وتركهم الوفاء بما التزموا به.

* أخرج البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» اهـ[١].

﴿ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب (٧٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم ﴾ الآية: أى: ما أضمروا فى قلوبهم من الكفر والنفاق، وما تناجوا به بينهم، وما دام الأمر كذلك فإن الله سيعاقبهم، وهذه الآية مسوقة للتوبيخ والتهديد.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٦٨).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الْغُيُوبِ ﴾ [رقم: ٧٨].

قرأ شعبة، وحمزة بكسر الغين، والباقون بضمها، وهما لهجتان فصيحتان[١].

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

جاء في سبب نزولها عدد من الروايات، وقد اخترت الرواية التالية طلبًا للاختصار:

* أخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: أمر رسول الله ﷺ بالصدقة، فجاء عبد الرحمن بن عوف بصدقته ـ فقال: يا رسول الله عندى أربعة آلاف، ألفين أقرضتهما ربى، وألفين لعيالى، فقال ـ أى النبىّ ﷺ ـ: «بارك الله لك فيما أعطيت، وبارك لك فيما أمسكت» ـ وجاء المطوّعون من المؤمنين، وجاء أبو عقيل بصاع، فقال: يا رسول الله بعت أجر الحرير فأصبتُ صاعين من تمر، فجئتك بأحدهما وتركت الآخر لأهلى قوتهم.

فقال المنافقون: ما جاء عبد الرحمن بن عوف وأولئك إلا رياء وإنّ الله لغنىّ عن صدقة أبى عقيل.

فأنزل الله: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ الآية.. اهـ[٢].

معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾: هذا أيضًا من صفات المنافقين.

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ ﴾ أى: يطعنون على المطوعين ويعيبون عليهم.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٨٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٦٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٣٧).

* ﴿ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ ﴾: هو أبو عقيل واسمه الحَبْحَاب، قال القتيبيّ: الجُهْد بالضم: الطاقة، وبالفتح: المشقة[1].

* ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ﴾ أي: يستهزءون منهم.

* ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ أي: جازاهم الله على سخريتهم. * ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ ﴾: لفظ أمر ومعناه الخبر: والتقدير: استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم.

* ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾: قال العلماء: ذكر السبعين في العدد للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة للمنافقين.

* وقد أخرج أحمد، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم وغيرهم عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: سمعتُ عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول: لمّا توفّي عبد الله بن أبيّ ابن سلول رأس المنافقين، دُعِيَ رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام عليه فلمّا وقف ـ أي النبي ﷺ ـ قلت ـ القائل عمر ـ رضي الله عنه ـ: أعلى عدوّ الله: عبد الله بن أبيّ القائل كذا وكذا، والقائل كذا وكذا؟ أعدّد أيّامه، ورسول الله ﷺ يبتسم، حتى إذا أكثرتُ قال: «يا عمر أخّر عنّي إنّي قد خُيِّرتُ، قد قيل لي: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ فلو أعلم أنّي إن زدت على السبعين غُفِر له لزدت عليها» ثم صلّى عليه رسول الله ﷺ ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه.

فعجبتُ لي ولجراءتي على رسول الله ﷺ ـ والله ورسوله أعلم ـ فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان: ﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾ [التوبة: ٨٤] الآية.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٣١٥).

* وقوله ـ تعالي ـ: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) ﴾ [المنافقون: ٦] فما صلّى رسول الله ﷺ على منافق بعده حتى قبضه الله ـ عزّ وجلّ ـ.. اهـ[١].

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾: وكان ذلك فى غزوة تبوك، وهى آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ، وتسمّى غزوة الحرّ، وغزوة العسرة.

* و﴿ الْمُخَلَّفُونَ ﴾ أى: المتروكون، خلّفهم رسول الله ﷺ والمؤمنون لمّا علموا تثاقلهم عن الجهاد، وهم المنافقون.

* ﴿ بِمَقْعَدِهِمْ ﴾ أى: بقعودهم، يقال: قعد قعوداً ومقعداً: أى: جلس.

* ﴿ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾: الخلاف: المخالفة، والمراد: التأخر عن الجهاد فى غزوة تبوك.

* ﴿ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾: عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: هذا قول المنافقين يوم غزا رسول الله ﷺ تبوك[٢].

* ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾: أى: قل لهم يا نبىّ الله ذلك، لأن من ترك أمر الله تعرض لتلك النار.

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينبعثوا معه ـ فى غزوة تبوك ـ وكان ذلك فى الصيف، فقال رجال ـ من المنافقين ـ: يا رسول الله الحرّ شديد، ولا نستطيع الخروج فلا تنفروا فى الحرّ، فقال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ فأمره بالخروج.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٧٣). (٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٧٤).

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) ﴾

✲ المعنى:

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً ﴾ قال: هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا، يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً ﴾ فى الدنيا. ﴿ وَلْيَبْكُوا كَثِيراً ﴾ فى الآخرة.. اهـ(١).

* ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾: «جزاءً» مفعول من أجله، أى: للجزاء بما كانوا يكسبون فى الدنيا بمخالفتهم أوامر الله ـ تعالى ـ وتعاليم نبيّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

* أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّى أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء وحقّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا ومَلَك واضع جبهته لله ساجدًا، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا وما تلذذتم بالنساء على الفُرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله»(٢).

* وأخرج ابن أبى الدنيا فى صفة النار عن زيد بن رفيع رفعه قال: إنّ أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زمانًا، ثم بكوا القيح زمانًا، فتقول لهم الخزنة: يا معشر الأشقياء تركتم البكاء فى الدار المرحوم فيها أهلها فى الدنيا، هل تجدون اليوم مَنْ تستغيثون به؟ فيرفعون أصواتهم: يا أهل الجنّة، يا معشر الآباء والأمهات والأولاد خرجنا من القبور عطاشًا، وكنّ طول الموقف عطاشًا، ونحن عطاشًا، فأفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، فيدعون أربعين سنة لا يجيبهم، ثم يجيبهم أنكم ماكثون، فييأسون من كل خير.. اهـ(٣).

وصدق الله إذْ قال: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) ﴾ [الأعراف: ٥٠].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٧٤).

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ قال: ذكر لنا أنهم كانوا اثنى عشر رجلا من المنافقين، وفيهم قيل ما قيل.. اهـ(١).

* ﴿ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ﴾: عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى الآية يقول: أرأيت إن نفرت فاستأذنوك أن ينفروا معك؟ فقل: لن تخرجوا معى أبدًا.. اهـ(٢).

* ﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أى: فى غزاة أخرى، ولعلها غزوة تبوك والله أعلم.

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ قال: هم الرجال الذين تخلفوا عن النفور.. اهـ(٣).

والخالفون: جمع خالف، لأنهم خالفوا الخارجين للغزو فى سبيل الله.

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ الآية: هذه الآية نزلت فى شأن عبد الله ابن أبىّ ابن سلول كبير المنافقين لمّا صلّى عليه النبى ﷺ.

وقد قال بعض العلماء: إنما صلى النبى ﷺ على عبد الله ابن أبىّ ابن سلول مع أنه كان من المنافقين، بناء على ما كان يظهره من الإسلام.

وأجمع العلماء على أنه لم يثبت أن النبىّ ﷺ صلّى على منافق بعد ابن سلول وبعد نزول هذه الآية.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٧٥).

* ﴿ وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾: جاء فى تفسير القرطبى: أن النبىّ ﷺ كان إذا دُفن الميت وقف على قبره ودعا له بالتثبيت.. اهـ(١).

* ﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾: هذا بيان السبب فى منع الصلاة على المنافقين والكفار.

﴿ وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥) ﴾(٢)

﴿ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ (٨٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ أُولُوا الطَّوْلِ ﴾ قال: أهل الغنى.. اهـ(٣).

* ﴿ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ أى: العاجزين عن الخروج، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ (٩٢) ﴾ [التوبة: ٩١، ٩٢].

﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ (٨٧) ﴾

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ أى بأن يقعدوا عن الجهاد كما قعدت النساء(٤).

والخوالف: جمع خالفة، أى مع النساء، والصبيان، وأصحاب الأعذار.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٤١).
(٢) تقدم تفسير هذه الآية فى الآية رقم/ ٥٥ من سورة التوبة.
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٧٦).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٧٧).

﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ﴾: أى الحسنات.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: إن الخير لا يعلم معناه إلا الله كما قال - جلّ ذكره -: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) ﴾ [السجدة: ١٧][(١)].

﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾: قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: هم قوم من غفَار اعتذروا فلم يعذرهم النبى ﷺ لعلمه أنهم غير محقّين. وقعد قوم بغير عذر أظهروه جُرْأة على رسول الله ﷺ وهم الذين أخبر الله - تعالى - عنهم فقال: ﴿ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ والمراد بكذبهم قولهم: إنا مؤمنون.. اهـ[(٢)].

* وقال أبو عمرو بن العلاء البصرى (ت ١٥٤هـ): كلا الفريقين كان مسيئًا وهما:

١ - قوم تكلفوا عذرا بالباطل وهم الذين عناهم الله - تعالى - بقوله: ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾.

٢ - وقوم تخلّفوا عن غير تكلّف عذر، فقعدوا جرأة على الله - تعالى - وهم المنافقون.

فأوعدهم الله - أى كلا الفريقين - بقوله: ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.. اهـ[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣١٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٤٣).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣١٨).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ ﴾ [رقم: ٩٠].

قرأ يعقوب: ﴿ المعْذِرون ﴾ بسكون العين، وكسر الذال مخففة على أنه اسم فاعل من «أعذر» الرباعى.

وقرأ الباقون من القراءالعشرة: «المعَذّرون﴾ بفتح العين، وكسر الذال مشدّدة، وهذه القراءة يحتمل توجيهها أحد أمرين:

الأول: أن يكون اسم فاعل من «عذّر» مضعف العين.

والثانى: أن يكون اسم فاعل من «اعتذر» فأدغمت التاء فى الذال(١).

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ (٩٢) ﴾

سبب نزول الآية رقم ٩١:

* أخرج ابن أبى حاتم، والدارقطنى، وابن مردويه، عن زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ ـ رضى الله عنه) قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ براءة، فكنت أكتب ما أنزل اللهُ عليه، فإنّى لواضع القلم على أذنى إذْ أُمِرنا بالقتال فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه، إذْ جاء أعْمى فقال: كيف بى يا رسول الله وأنا أعْمى؟ فنزلت: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ ﴾ الآية.. اهـ(٢).

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم وأبو الشيخ، عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ:﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ ﴾ الآية قال: نزلت فى عائذ بن عمرو وفى غيره.. اهـ(٣).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢١١)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٩١)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٨٣)، وشرح طيبة النشر فى القراءات العشر ص٣٠٨.

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٧٨).

سبب نزول الآية رقم ٩٢ :

* أخرج ابن جرير، عن محمد بن كعب قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يستحملونه فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه» فأنزل الله: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ الآية قال: وهم سبعة نفر: من بني عمر بن عوف: سالم بن عمير، ومن بني واقن: حرمىّ بن عمر، ومن بني مازن بن النجار: عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليلى، ومن بني المعلى: سلمان بن صخر، ومن بني حارثة: عبد الرحمن بن زيد أبو عبلة، ومن بني سلمة: عمرو بن غنمة، وعبد الله بن عمرو المزني.. اهـ[1].

معاني المفردات:

* ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ الآية: قال القرطبي في تفسيره: هذه الآية أصل في سقوط التكليف عن العاجز، فكل من عجز عن شيء سقط عنه: فتارة إلى بدل هو فعل، وتارة إلى بدل هو غرم. ولا فرق بين العجز من جهة القوّة، أو العجز من جهة المال، ونظير هذه الآية قوله ـ تعالى ـ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

وروى أبو داود، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضي الله عنه): أن رسول الله ﷺ قال: «لقد تركتم بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا، ولا أنفقتم من نفقة، ولا قطعتم من وادٍ إلا وهم معكم فيه».

قالوا: يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ قال: «حبسهم العذر».

قال القرطبي: فبيّنت هذه الآية مع ما ذكرنا من نظائرها أنه لا حرج على المعذورين وهم: قوم عُرِفَ عذرهم كأرباب الزمانة، والهرم، والعمى، والعرجة، وأقوام لم يجدوا ما ينفقون.. اهـ[2].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤٧٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ١٤٤).

* ﴿ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي: إذا عرفوا الحقّ، وأحبوا أولياءه، وأبغضوا أعداءه. والنصح: إخلاص العمل من الغشّ.

وفي صحيح مسلم عن تميم الدّاريّ أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» ثلاثًا، قلنا لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامّتهم» اهـ[١].

* ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾: ﴿ مِن سَبِيلٍ ﴾ أي: من طريق إلى العقوبة. قال القرطبي في تفسيره: وهذه الآية أصل في رفع العقاب عن كل محسن.. اهـ[٢].

* ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾: قيل: هذه الآية نزلت في سبعة نفر من بطون شتّى، وهم البكاؤون أتوا رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ليحملهم فلم يجد ما يحملهم عليه.

* ﴿ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾: فسُمُّوا البكائين وهم: سالم بن عمير، من بني عمرو بن عوف، وعُلْبَة بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، من بني مازن بن النجّار، وعمرو بن الحُمَام، من بني سلمة، وعبد الله بن المغفّل المزنيّ، وقيل: بل هو عبد الله بن عمرو المزنيّ، وهَرَميّ بن عبد الله أخو بني واقف، وعِرْباض بن سارية الفزاري.

قالوا: يا رسول الله قد ندبتنا للخروج معك، فاحملنا على الخفاف المرفوعة، والنعال المخصوفة نَغْزُ معك، فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه» فتولّوا وهم يبكون.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: سألوه أن يحملهم على الدوابّ، وكان الرجل يحتاج إلى بعيرين: بعير يركبه، وبعير يحمل ماءه وزاده لبعد الطريق.. اهـ[٣].

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ١٤٤).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ١٤٥).

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩٣) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ ﴾ أى: العقوبة والمأثم.

* ﴿ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ﴾:

والمراد: المنافقون، وكرر الله ذكرهم للتأكيد فى التحذير من سوء أفعالهم.

* ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ أى: مع النساء والصبيان.

* ﴿ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

* ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ أى: المنافقون الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك، لما رجع رسول الله ﷺ جاءوا يعتذرون بالباطل، فقال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ أى: قل لهم يا «محمد» لا تعتذروا لأننا لن نصدقكم.

* ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ أى: أخبرنا بسرائركم.

* ﴿ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ أى: فيما تستأنفون.

* ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أى: فيجازيكم بأعمالكم، ونفاقكم، وكذبكم.

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٩٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ أى: من غزوة تبوك، والمحلوف عليه محذوف دلّ عليه المقام: أى يحلفون أنهم ما قدروا على الخروج.

* ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ أى: لتصفحوا عن لومهم وتأنيبهم.

* ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ أى: عملهم قبيح.

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ قال: لما رجع النبى ﷺ من تبوك قال: «لا تكلموهم، ولا تجالسوهم، فأعرضوا عنهم كما أمر الله ـ تعالى ـ» اهـ(١).

* ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: أى: منزلهم ومكانهم جهنم.

قال الجوهرى إسماعيل بن حماد الفارابى (ت ٣٩٣هـ): المأوى: كل مكان يأوى إليه: ليلا كان أو نهارًا.. اهـ(٢).

* قال مقاتل بن حيّان البلخى (ت ١١٠هـ): حلف عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول رأس المنافقين، للنبى ﷺ بالله الذى لا إله إلا هو لا يتخلف عنه بعدها ـ أى بعد غزوة تبوك ـ وطلب من النبى ﷺ أن يرضى عنه، فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ هذه الآية:

* ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾(٣).

﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾: لما ذكر الله ـ عزّ وجلّ ـ أحوال المنافقين بالمدينة ذكر مَنْ كان خارجًا منها ونائيًا عليها من الأعراب فقال: كفرهم أشدّ، قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): لأنهم أبعد عن معرفة السُّنن.. اهـ(٤).

وقيل: لأنهم أقسى قلبًا، وأجفى قولا، وأغلظ طبعًا، وأبعد عن سماع التنزيل. والنسبة إلى «الأعراب»: أعرابىّ. وجمع «الأعرابىّ»: أعراب، وأعاريب.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٨١).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٤٧).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٢٠).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٤٧).

* ﴿ وَأَجْدَرُ ﴾ أى: أخلق، وأحرى.

* ﴿ أَلاَّ يَعْلَمُوا ﴾: «أنْ» فى موضع نصب بحذف الباء، تقول: أنت جدير بأن تفعل، وأن تفعل. فإذا حذفت الباء لم يصلح إلا بـ «أنْ». وإن أتيت بالباء صلح بـ «أنْ» وغيرها: تقول: أنت جدير أن تقوم، وجدير بالقيام، ولو قلت: أنت جدير القيام كان خطأ.

وإنما صلح مع «أنْ» لأن «أنْ» تدلّ على الاستقبال فكأنها عوض عن المحذوف.

* ﴿ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾ أى: فرائض الشرع، وذلك لبعدهم عن فهم القرآن، ومعرفة السّنن.

* ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾: بما فى قلوب خلقه.

* ﴿ حَكِيمٌ ﴾: فيما فرض من فرائضه.

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ﴾: أى: غرمًا وخسرانًا، وأصله لزوم الشىء، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) ﴾ [الفرقان: ٦٥]: أى لازمًا. أى: يرون ما ينفقونه فى جهاد وصدقة غرمًا، ولا يرجون عليه ثوابًا، وإنما يعطى ما يعطى من صدقات ماله كرهًا.

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ﴾ قال: يعدّ ما ينفق فى سبيل الله غرامة يغرمها.. اهـ[1].

* ﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ﴾: «التربّص»: الانتظار.

والدّوائر: جمع دائرة، وهى الحالة المنقلبة عن النعمة إلى البليّة، أى يجمعون إلى الجهل بالإنفاق سوء الدخلة وخبث القلب.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٨٢).

* ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: قال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ): أي عليهم دائرة العذاب والبلاء، والسَّوْء: بالفتح مصدر سُؤْته سَوْءًا[١].

أمّا «السُّوء» بالضم فهو اسم لا مصدر.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٨].

* ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو «السُّوء» في الموضعين بضم السين. وقرأ الباقون من القراءالعشرة «السَّوء» في الموضعين بفتح السين[٢].

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٩)﴾

معاني المفردات:

* ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾:

١ - قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): هم بنو مقرن مِنْ مُزَيْنة.. اهـ[٣].

٢ - وقال الكلبي محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): هم: أسلم، وغِفار، وجهينة.. اهـ[٤].

* وعن أبي هريرة (ت ٥٩هـ - رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «أسلم، وغفار، وشيءٌ مِنْ جُهَينة، ومُزَينة خير عند الله يوم القيامة مِنْ تميم، وأسد بن خزيمة، وهوازن، وغطفَان» اهـ[٥].

* ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ﴾: ﴿قُرُبَاتٍ﴾: جمع قربة، وهي ما يتقرب به إلى الله - تعالى -.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ١٤٩).

(٢) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٢١٢)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٩٩)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٥٠٥)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص٣٢١.

(٣ : ٥) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٣٢١).

* ﴿ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: ﴿ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ﴾: استغفار النبى.. اهـ[١].

وقال قتادة بن دعامة السدوسى: ﴿ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ﴾: دعاء الرسول ﷺ.. اهـ[٢].

* واعلم أخى المسلم أن الصلاة يراد بها معان مختلفة:

١ ـ فالصلاة من الله ـ تعالى ـ، يراد بها: الرحمة والخير والبركة.

٢ ـ ومن الملائكة: الدعاء، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

٣ ـ ومن النبىّ ﷺ: الدعاء أيضًا؛ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣].. اهـ.

* ﴿ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ﴾ أى: نفقاتهم تقربهم من رحمة الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ أى: فى جنته.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَلا إِنَّهَا قُرُبَةٌ لَّهُمْ ﴾ [رقم: ٩٩].

قرأ ورش: «قرُبة» بضم الراء، والباقون بإسكانها: والإسكان، والضم لهجتان فى كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم: والإسكان هو الأصل، وهو لهجة: تميم وأسد. والضمّ لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لهجة: الحجازيين[٣].

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ﴾:

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٨٢).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢١٣)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٢/ ٤٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤٢.

اختلف العلماء فى السابقين:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هم أبو بكر، وعمر، وعلىّ، وسلمان، وعمّار بن ياسر ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ.. اهـ[١].

٢ ـ وقال أبو موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ وسعيد بن المسيَّب (ت ٩٤هـ) ومحمد بن سيرين (ت ١١٠هـ): هم الذين صلوا إلى القبلتين.. اهـ[٢].

٣ ـ وقال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): هم أهل بَدْر.. اهـ[٣].

* ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾: اختلف العلماء فيهم:

١ ـ فقيل: هم بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأوّلين.

٢ ـ وقيل: هم من بقى من أهل الإسلام إلى أن تقوم الساعة[٤].

* ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

* أخرج ابن مردويه من طريق الأوزاعى: حدثنا يحيى بن أبى كُثَير، والقاسم، ومكحول، وعبدة بن أبى لبابة، وحسّان بن عطية: أنهم سمعوا جماعة من أصحاب النبىّ ﷺ يقولون: لما أنزلت هذه الآية: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هذا لأمّتى كلهم وليس بعد الرضا سخط» اهـ[٥].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾ [رقم: ١٠٠].

قرأ يعقوب: ﴿والأنصارُ﴾ برفع الراء، مبتدأ، خبره قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿والأنصارِ﴾ بالخفض، عطفا على «المهاجرين»[٦].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٨٣). (٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٢١).

(٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٢٢)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٨٥).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٨٦).

(٦) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢١٤).

* ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قرأ ابن كثير بزيادة «مِنْ» قبل «تحتها» موافقة لرسم المصحف المكى.

وقرأ الباقون بحذف «مِنْ» وفتح تاء «تحتها» موافقة لرسم المصاحف غير المصحف المكى(١).

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾: أى: قوم منافقون وهم: من مُزَينة، وجُهينة، وأشْجع، وأسْلَم، وغِفار، كانت منازلهم حول المدينة.

* ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾: أى: قوم مردوا على النفاق: من الأوس، والخزرج.

ومعنى ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ أى: مرنوا على النفاق.

يقال: مَرَد فلان على ربِّه: أى عتَا.

وقال ابن زيد: أقاموا عليه ولم يتوبوا كما تاب آخرون.. اهـ(٢).

وقال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): ماتوا عليه مثل: عبد الله ابن أُبَىّ ابن سلول، وأبى عامر الراهب، والجدّ بن قيس.. اهـ(٣).

* ﴿لا تَعْلَمُهُمْ﴾: أنتَ يا نبىّ الله.

* ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾: أى: لا تعلم يا «محمد» عاقبة أمورهم، وإنما نختصّ نحن بعلمها.

وهذا دليل على أنه لا يجوز أن يحكم أحدٌ على أحد بجنة أو نار.

* وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ قال:

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢١٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٥٣). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٨٦).

فما بال أقوام يتكلمون على الناس يقولون: فلان في الجنّة، وفلان في النار؟ فإذا سألتَ أحدهم عن نفسه قال: لا أدري. لعمري لأنتَ بنفسك أعلم منك بأعمال الناس، ولقد تكلفتَ شيئًا ما تكلفه نبيّ: قال نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢)﴾ [الشعراء: ١١٢].

وقال شعيب ـ عليه السلام ـ: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤)﴾ [الأنعام: ١٠٤].

وقال الله ـ تعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ: ﴿لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١].. اهـ[١].

* ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: اختلف العلماء في هذين العذابين:

١ ـ فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: بالأمراض في الدنيا، وعذاب الآخرة.. اهـ[٢].

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): عذاب في القبر، وعذاب في النار.. اهـ[٣].

٣ ـ وقال ابن زيد: الأول بالمصائب في أموالهم وأولادهم، والثاني: عذاب القبر.. اهـ[٤].

* ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: إلى عذاب جهنم يخلدون فيها.

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَآخَرُونَ﴾ أي: ومن أهل المدينة، أو من الأعراب آخرون غير المنافقين.

* ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أقروا بذنوبهم.

* قال ابن زيد: هم الثمانية الذين ربطوا أنفسهم بالسّواري، منهم: كُرْدم، ومرداس، وأبو لبابة.. اهـ[٥].

* ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾: هو إقرارهم بذنوبهم، وتوبتهم، والعمل السّيء هو: تخلفهم عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤٨٦).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ١٥٣).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤٨٧).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ١٥٣).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٤٨٩).

* ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية قال: كانوا عشرة رهط تخلّفوا عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك، فلما رجع رسول الله ﷺ أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد، وكان ممرّ النبىّ ﷺ إذا رجع عليهم، فلما رآهم قال: «مَنْ هؤلاء الموثوقون أنفسهم؟». قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلّفوا عنك يا رسول الله، أوثقوا أنفسهم وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحدٌ حتى يطلقهم النبىّ ﷺ ويعذرهم.

قال ـ أى النبى ﷺ ـ: «وأنا أقسم بالله لا أطلقهم، ولا أعذرهم حتى يكون الله ـ تعالى ـ هو الذى يطلقهم، رغبوا عنّى، وتخلّفوا عن الغزو مع المسلمين».

فلما بلغهم ذلك قالوا: ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذى يطلقنا».

فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ فلما نزلت أرسل إليهم النبىّ ﷺ فأطلقهم وعذرهم. فجاءوا بأموالهم فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنّا واستغفر لنا.

قال: «ما أمرت أن آخذ أموالكم»، فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ يقول: استغفر لهم ﴿ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ يقول: رحمة لهم، فأخذ منهم الصدقة واستغفر لهم.

وكان ثلاثة نفر منهم لم يوثقوا أنفسهم بالسوارى، فأُرْجئوا سنة لا يدرون أيعذبون، أو يُتاب عليهم، فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ﴾ [التوبة: ١١٧] إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ إلى قوله: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ [التوبة: ١١٨].. اهـ[١].

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) ﴾

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٨٧، ٤٨٨).

سبب نزول هذه الآية:

* عن ابن جرير الطبرى، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: لما أطلق رسول الله ﷺ: أبا لبابة والذين ربطوا أنفسهم بالسّوارى، انطلق أبو لبابة بأموالهم، فأتوا بها رسول الله ﷺ، فقالوا: خذ من أموالنا فتصدّق بها عنّا، وصلِّ علينا: أى استغفر لنا وطهِّرنا.

فقال رسول الله ﷺ: «لا أخذ منها شيئًا حتى أومر». فأنزل الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ الآية. فلمّا نزلت هذه الآية، أخذ رسول الله ﷺ جزءًا من أموالهم فتصدّق بها عنهم.. اهـ[١].

معانى المفردات:

* عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ قال: من ذنوبهم التى أصابوا.. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله - تعالى -: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: قال: استغفر لهم من ذنوبهم التى أصابوها.. اهـ[٣].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ قال: إنّ استغفارك لهم يسكن قلوبهم[٤].

* وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله - تعالى -: ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: قال: أمن لهم.. اهـ[٥].

* ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ أى: الله - عزّ وجلّ - سميع لدعائك إذا دعوت لهم، ولغير ذلك من كلام خلقه.

* ﴿عَلِيمٌ﴾ أى: بدعائك ربّك لهم، وبغير ذلك من أمور عباده.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [رقم: ١٠٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٦٣).
(٢) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٦٤).
(٣، ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٩٢).

قرأ حفص، وحمـزة والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ صلاتَك ﴾ بالتوحيد، ونصب التاء، على أن المراد بها الجنس.

وقيل: الصلاة معناها الدعاء، والدعـاء صنف واحد، وهو مصدر، والمصدر يقع للقليل والكثير بلفظه.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ صلواتكِ ﴾ بالجمع، وكسر التاء، ووجه ذلك: أن الدعاء تختلف أجناسه وأنواعة فجمع لذلك[1].

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* عـن ابـن جـريـر الطبـرى، قـال: حدثنى يونس، قـال: أخبـرنا ابن وهـب، قال ابن زيد: قـال الآخرون: هؤلاء كـانوا معنا بالأمس لا يُكلَّمـون، ولا يُجالَسـون، فـما لهم؟ فأنزل الله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ الآية.. اهـ[2].

معانى المفردات:

* عن أبى هـريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) فـى قـوله ـ تعـالى ـ: ﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ قال: إن الله هو يقبل الصدقة إذا كـانت من طيِّب ويأخذها بيـمينه، وإن الرجل ليصـّدق بمثل اللقمة فـيربيها لـه كما يربّى أحدكم فـصيله أو مهره، فـتربو فى كفّ الله حتى تكون مثل أحد.. اهـ[3].

* وأخـرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشـيخ، وابن مردويه، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قـال: قال رسـول الله ﷺ: «والذى نفسى بيـده ما من عـبـد يتصـدّق بصدقة طيبة من كسب طيب، ـ ولا يقبل الله إلا طيبا، ولا يصعد إلى السماء إلا طيب ـ

---

(١) انظر: المـغنى فى توجيـه القراءات العـشر (٢/ ٢١٥)، والنشـر فى القراءات العـشر بتـحقيـقنا (٣/ ١٠٠)، والكشف عن وجوه الـقراءات (١/ ٥٠٥)، والمهـذب فى القراءات العشـر وتوجيـهها (١/ ٢٨٤)، وحـجة القراءات لابن زنجلة ص٣٢٢.

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٩٢).

فيضعها فى حقّ إلا كانت كأنما يضعها فى يد الرحمن، فيربّيها له كما يربّى أحدكم فلوّه أو فصيله، حتّى إن اللقمة أو التمرة لتأتى يوم القيامة مثل الجبل العظيم، وتصديق ذلك فى كتاب الله العظيم: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾.. اهـ(١).

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ:﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ قال: إن استقاموا.. اهـ(٢).

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴾

معانى المفردات:

* أخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن سلمة بن الأكوع قال: مُرَّ بجنازة فَأُثنى عليها، فقال رسول الله ﷺ: «وجبت» ثم مُرَّ بجنازة أخرى فأُثنى عليها، فقال: «وجبت». فسئل عن ذلك فقال: «إن الملائكة شهداء الله فى السماء، وأنتم شهداء الله فى الأرض، فما شهدتم عليه من شىء وجب، وذلك قول الله: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.. اهـ(٣).

* وقال أبو جعفر الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى تفسيره: يقول الله ـ تعالى ذكره ـ لنبيه «محمد» ﷺ: ﴿ قُلِ﴾ يا«محمد»، لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك: ﴿ اعْمَلُوا﴾ لله بما يرضيه من طاعته، وأداء فرائضه، ﴿ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ يقول: فسيرى الله عملكم، ويراه رسوله والمؤمنون فى الدنيا ﴿ وَسَتُرَدُّونَ﴾ يوم القيامة إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم، فلا يخفى عليه شىء من باطن أموركم وظواهرها، ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: فيخبركم بما كنتم تعملون: ما منه خالصًا، وما منه رياء، وما منه طاعةً، وما منه لله معصية، فيجازيكم على ذلك كله: المحسن بإحسانه، والمسىء بإساءته.. اهـ(٤).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٩٣).
(٢) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٦٧).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٩٢).
(٤) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٧٠).

﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴾ أى: ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين خرجتم لعدوكم أيها المؤمنون آخرون.

فـ «آخـرون»، معطوف على قـوله ـ تعالى ـ قـبلُ: ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ [رقم: ١٠٢].

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴾ قالا: هم الثلاثة الذين خُلِّفوا: هلال بن أميّة، ومرارة بن ربعىّ، وكعب بن مالك. من الأنصار: الأوس، والخزرج.. اهـ(١).

* ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ﴾ أى: إمّا أن يحجـزهم الله عن التوبة بسبب تخلفهم، فـيعذبهم بذنوبهم التى ماتوا عليها يوم القيامة.

* ﴿ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ أى: وإما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم، فيغفر لهم.

* ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ أى: والله ـ سبـحانه وتعالى ـ ذو علم بأمرهم ومـا هم صائرون إليه: من التوبة، أو المقام على الذنب.

* ﴿ حَكِيمٌ ﴾: فى تدبيرهم، وتدبير من سواهم من خلقه، لا يدخل حكمه أى خلل.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مُرْجَوْنَ ﴾ [رقم: ١٠٦].

قرأ ابن كثـير، وأبو عمرو، وابن عـامر، وشعبـة، ويعقوب: ﴿ مرجئون ﴾ بهمزة مضمومة ممدودة بعد الجيم، وهىْ لهجة تميم، وسُفْلى قيس.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ مرجَوْن ﴾ بواو ساكنة بعد الجيم من غير همز، وهى لهجة قريش.

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٦٨، ٤٦٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٩٤).

والقراءتان ترجعان إلى أصل الاشتقاق:

فالأولى: من «أرجأ» مثل «أنبأ». والثانية: من «أرجى» مثل «أعطى».

ومعنى القراءتين واحد وهو التأخير عن التوبة(١).

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد في سبب نزولها عدد من الروايات، وقد اخترتُ الرواية التالية طلبًا للاختصار:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: لما بني رسول الله ﷺ مسجد قباء خرج رجال من الأنصار منهم: بَحْزَج جدّ عبد الله بن حنيف ووديعة بن حزام، ومجمع بن جارية الأنصاري، فبنوا مسجد النفاق، فقال رسول الله ﷺ لبحْزَج: «ويلك ما أردتَ إلى ما أرى؟» فقال: يا رسول الله، والله ما أردت إلا الحسنى، وهو كاذب، فصدّقه رسول الله ﷺ، وأراد أن يعذره، فأنزل الله: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾.. اهـ(٢).

معاني المفردات:

* عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ﴾: قال: هم ناس من المنافقين، بنوا مسجدًا بقباء يضارّون به نبيّ الله والمسلمين.

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾: قال الضحاك: كانوا يقولون: إذا رجع أبو عامر الراهب من عند قيصر الروم صلّى فيه، وكانوا يقولون: إذا قدم ظهر على نبيّ الله ﷺ.. اهـ(٣).

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٢١٦)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ٣٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٥٠٦)، والمهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٨٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٤٧١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٤٧٢).

* وأخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن إسحاق قال: كان الذين بنوا مسجد الضرار اثنى عشر رجلا وهم:

١ ـ جذام بن خالد بن عبيد بن زيد. ٢ ـ وثعلبة بن حاطب.

٣ ـ وهزال بن أمية. ٤ ـ ومعتب بن قشير.

٥ ـ وأبو حبيبة بن الأزعر. ٦ ـ وعباد بن حنيف.

٧ ـ وجارية بن عامر. ٨ ـ وابناه: مجمع بن جارية، وزيد بن جارية.

١٠ ـ ونبتل بن الحارث. ١١ ـ وبحزج بن عثمان.

١٢ ـ ووديعة بن ثابت وكلهم من الأنصار.. اهـ[١].

* وقال الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى تفسيره:

«والذين ابتنوا مسجداً ضرارا» لمسجد رسول الله ﷺ، وكفراً بالله لمحادّتهم بذلك رسول الله ﷺ، ويفرّقوا به بين المؤمنين، ليصلّى فيه بعضهم دون مسجد رسول الله ﷺ، وبعضهم فى مسجد رسول الله ﷺ فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يقول: وإعداداً له لأبى عامر الكافر الذى خالف الله ورسوله وكفر بهما، وقاتل رسول الله «من قبل» أى: من قبل بنائهم ذلك المسجد، وذلك أن أبا عامر هو الذى كان حزّب الأحزاب لقتال رسول الله ﷺ، فلما خذله الله، لحق بالروم يطلب النّصْر من ملكهم على نبىّ الله ﷺ، ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فى حلفهم ذلك.. اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ [رقم: ١٠٧].

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿الذين﴾ بحذف الواو، وهذه القراءة موافقة لرسم مصحف المدينة، والشام[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٩٥). (٢) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٧٠).

(٣) قال الخراز فى منظومته: والذين بعد المدنى والشام لا واو بها فاستبن

و«الذين» مبتدأ، وخبره جملة ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [رقم: ١٠٨].

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ والذين ﴾ بإثبات الواو، وهذه القراءة موافقة لرسم مصحف: مكة، والبصرة، والكوفة، و«الذين» معطوف على ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴾ [رقم: ١٠٦]، وهما معطوفان على ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ ﴾ إلخ [رقم: ٧٥].

أي: من المنافقين من عاهد الله، ومنهم من يلمزك في الصدقات، ومنهم الذين يؤذون النبي، ومنهم آخرون مرجون لأمر الله، ومنهم الذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا، لأن هذه الآيات كلها صفات للمنافقين[1].

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾:

✳ المعنى:

يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ لنبيه «محمد» ﷺ: يا «محمد» لا تقم في المسجد الذي بناه هؤلاء المنافقون ضرارًا وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل، ثم أقسم جلّ ثناؤه فقال: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾: أنت يا «محمد».

* وعن أبي رافع قال: سألت ابن عمر عن المسجد الذي أسِّس على التقوى من أوّل يوم، قال: هو مسجد الرسول ﷺ ـ بالمدينة ـ. اهـ[2].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ﴾ بعث رسول الله ﷺ إلى عويمر بن ساعدة قال:

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٢١٧)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ١٠٠)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٥٠٧)، والمهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٨٤)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص٣٢٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٤٧٣).

«ما هذا الطهور الذى أثنى الله عليكم؟». فقال: يا رسول الله ما خرج منّا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه، أو قال: مقعدته، فقال النبى ﷺ: «هو هذا» اهـ[١].

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ ﴾:

* عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قال: مسجد الرضوان أوّل مسجد بنى بالمدينة فى الإسلام.. اهـ[٢].

* ﴿ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾: قال زيد بن أسلم (ت ١٣٠هـ): هذا مسجد الضرار.. اهـ[٣].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: بنى قواعده فى نار جهنم.. اهـ[٤].

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ قال: والله ما تناهى أن وقع فى النار، ذكِر لنا أنه حُفِرت فيه بقعة فرؤى منها الدخان.. اهـ[٥].

* وعن جابر بن عبد الله الأنصارى (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لقد رأيتُ الدخان يخرج من مسجد الضرار حيث انْهار على عهد رسول الله ﷺ.. اهـ[٦].

* ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾: قال الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى تفسيره: الله لا يوفق للرشاد من كان بانيًا بناءه فى غير حقّه وموضعه، ومن كان منافقًا مخالفًا بفعله أمر الله وأمر رسوله ﷺ.. اهـ[٧].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٤٩٧).

(٢ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور (٣/ ٤٩٩).

(٧) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٧٩).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ ، ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ ﴾ [رقم: ١٠٩].

قرأ نافع، وابن عامر: ﴿أُسِّس﴾ في الموضعين بضم الهمزة، وكسر السين، على البناء للمفعول، و﴿بنيانُه﴾ بالرفع نائب فاعل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿أَسَّس﴾ في الموضعين بفتح الهمزة والسين، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر يعود على: «مَنْ» و«بنيانَه» بالنصب مفعول به[١].

* ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [رقم: ١٠٩].

قرأ ابن ذكوان، وشعبة، وحمزة، وخلف البزّار، وهشام بخُلْف عنه ﴿جُرْف﴾ بإسكان الراء.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الراء، وهو الوجه الثاني لهشام. والإسكان، والضمّ لهجتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوّله مضموم، والإسكان هو الأصل، وهو لهجة: تميم، وأسد.

والضم لمجانسة ضمّ الحرف الأوّل، وهو لهجة الحجازيين[٢].

قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) في المفردات: يقال للمكان الذي يأكله السيل فيجرفه أي يذهب به: جرف.. اهـ[٣].

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)﴾

معاني المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: قال: المراد: الشك.

* ﴿إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾: قال: إلى أن يموتوا.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٢١٨)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ١٠١).

(٢) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٨٥)، وإتحاف فضلاء البشر ص١٤٢.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٩١.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٤٨٠).

* وقال الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: أى بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار، من شكّهم فى دينهم، وما قصدوا فى بنائهم، وما إليه صائر فى الآخرة، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم.

* ﴿حَكِيمٌ﴾: فى تدبيره إياهم، وتدبير جميع خلقه.. اهـ[1].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [رقم: ١١٠].

قرأ يعقوب: ﴿إِلَى﴾ بتخفيف اللام، على أنها حرف جرّ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿إلا﴾ بتشديد اللام، على أنها حرف استثناء، والمستثنى منه محذوف، أي: لا يزال بنيانهم ريبة فى كل وقت إلا وقت تقطيع قلوبهم بحيث لا يبقى لها قابليّة للإدراك[2].

* ﴿تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [رقم: ١١٠].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿تُقطع﴾ بضم التاء، على البناء للمفعول، و«قلوبهم» نائب فاعل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة «تَقطع» بفتح التاء، على البناء للفاعل، مضارع «تقطع» والأصل «تتقطع» فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا، و«قلوبهم» فاعل[3].

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن جرير (ت ٣١٠هـ) عن محمد بن كعب القرظى وغيره قالوا: قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ: اشترط لربِّك ولنفسك ما شئت[4].

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٨٠).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢١٩)، وشرح طيبة النشر لابن الناظم ص٣٠٩.

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٢٠).

(٤) وكان ذلك فى بيعة العقبة.

قال: «أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم» قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: «الجنّة» قالوا: ربح البيع لا نُقيل ولا نَسْتقيل، فنزلت: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ ﴾ الآية.. اهـ[١].

✻ معنى هذه الآية:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) أنهما قرآ هذه الآية فقال كل منهما: بايعهم الله فأغلى لهم الثمن.. اهـ[٢].

* وقال الطبرى فى تفسيره: يقول الله - تعالى ذكره -: إن الله ابتاع من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ أى وعدهم الجنّة - جلّ ثناؤه - وعدًا عليه حقًّا أن يوفّى لهم به فى كتبه المنزّلة: التوراة، والإنجيل، والقرآن، إذا هم وفّوا بما عاهدوا الله: فقاتلُوا فى سبيله، ونصرةِ دينه أعداءَه فَقَتَلوا وقُتِلُوا.

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ أى: ومن أحسن وفاءً بما ضمن وشرط من الله، ﴿ فَاسْتَبْشِرُوا ﴾ أى: فاستبشروا أيها المؤمنون الذين صدقوا الله فيما عاهدوا ببيعكم أنفسكم وأموالكم بالذى بعتموها به من ربكم، فإن ذلك ﴿ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.. اهـ[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [رقم: ١١١].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار ببناء الفعل الأول للمفعول، والثانى للفاعل.

وقرأ الباقون ببناء الأول للفاعل، والثانى للمفعول[٤].

﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٨٢)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٠١).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٨٢).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٨١، ٤٨٢).

(٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٨٧).

❀ معانى المفردات:

* عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠ هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿التَّائِبُونَ﴾ قال: الذين تابوا من الذنوب ثم لم يعودوا فيها.. اهـ[١].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠ هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿الْعَابِدُونَ﴾: قال: الذين عبدوا الله على أحايينهم كلها: فى السّراء والضراء.. اهـ[٢].

* وعن الحسن البصرى فى قوله - تعالى -: ﴿الْحَامِدُونَ﴾ قال: الذين حمدوا الله على أحايينهم كلها: فى السّراء والضراء.. اهـ[٣].

* وعن عبيد بن عمير (ت ٧٤هـ) قال: سئل النبى ﷺ عن «السائحين» فقال: «هم الصائمون» اهـ[٤].

* وعن الحسن البصرى فى قوله - تعالى -: ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ قال: الراكعون فى صلاتهم المفروضة، والساجدون فيها.. اهـ[٥].

* وعن الحسن البصرى فى قوله - تعالى -: ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال: بقول لا إله إلا الله، وفى قوله - تعالى -: ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ قال: عن الشرك بالله - عزّ وجلّ -.. اهـ[٦].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ قال: القائمون على حدود الله.. اهـ[٧].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ قال: لفرائض الله التى افترض.. اهـ[٨].

* وقال الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أى: وبشّر المصدّقين بما وعدهم الله إذا هم وفّوا الله بعهده، أنّه موفٍ لهم بما وعدهم من إدخالهم الجنّة.. اهـ[٩].

(١ : ٣) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٨٣).
(٤ : ٦) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٨٦).
(٧) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٨٧).
(٨) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٠٤).
(٩) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٨٧).

﴿ ما كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* عن سعيد بن المسيّب (ت ٩٤هـ) عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاء رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبى أميّة بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ: «يا عمّ قل: لا إله إلا الله، كلمةً أشهد لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أميّة: يا أبا طالب أترغب عن ملّة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملّة عبد المطلب، وأَبَى أن يقول: «لا إله إلا الله».

فقال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرنّ لك ما لم أُنه عنك» فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية.

وأنزل الله فى أبى طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦](١).

معانى المفردات:

* قال الطبرى (ت ٣١٠هـ): يقول ـ تعالى ذكره ـ: ما كان ينبغى للنبى «محمد» ﷺ، والذين آمنوا به ﴿ أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ أى: يدعوا بالمغفرة للمشركين، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم ﴿ أُولِي قُرْبَىٰ ﴾ أى: ذوى قرابة لهم ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾: أى: من بعدما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان، وتبيّن لهم أنهم من أهل النار، لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك، فلا ينبغى لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله.. اهـ(٢).

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٨٨).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٨٧).

سبب نزول هذه الآية:

* عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠ هـ ـ رضى الله عنه) قال: سمعتُ رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان، فقلت: أيستغفر الرجل لوالديه وهما مشركان؟ فقال: أولم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ قال ـ أى علىّ ـ: فأتيت النبى ﷺ فذكرت ذلك له، فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ ﴾ إلى ﴿ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾.. اهـ[١].

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ قال: استغفر له ما كان حيّا، فلما مات أمسك عن الاستغفار له.. اهـ[٢].

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥ هـ) قال: كان إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ يرجو أن يؤمن أبوه ما دام حيّا فلما مات على شركه تبرأ منه.. اهـ[٣].

* ﴿ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾: هى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) ﴾ [مريم: ٤٧].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾:

* عن زرّ بن حبيش بن أبى مريم (ت ٨٢هـ) قال: سألت عبد الله[٤] عن «الأوّاه» فقال: هو الدَّعّاء.. اهـ[٥].

* وقال ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه): «الأوّاه»: الرحيم[٦].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ قال: كان من حلْمه أنه كان إذا أذاه الرجل من قومه قال له: هداك الله.. اهـ[٧].

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥) ﴾

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٩٠).
(٢) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٩٢).
(٣) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٩٣).
(٤) أقول: لعله عبد الله بن عامر الشّامى (ت ١١٨ هـ).
(٥) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٩٤).
(٦) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٤٩٥).
(٧) انظر: الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١٠).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾: أى: ما كان الله ليحكم عليكم بالضلالة بترك الأوامر بالاستغفار للمشركين.

* قال مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ): بيان الله للمؤمنين فى ترك الاستغفار للمشركين خاصّة. وبيانه لهم فى معصيته وطاعته عامّة، فافعلوا وذروا.. اهـ[(١)].

* وقال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): ما كان الله ليعذّب قومًا حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون.. اهـ[(٢)].

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أى: لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء. وعليم بذات الصدور.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (١١٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾: أى: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ له سلطان السموات والأرض وملكهما، وبيده حياتهم ومماتهم.

* ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ ﴾: أى: ليس لكم من أحد هو لكم حليف من دون الله ـ عزّ وجلّ ـ يستنقذكم من عقابه إن أنتم خالفتم أمره.

* ﴿ وَلا نَصِيرٍ ﴾ أى: ينصركم من الله إن أراد بكم سوءًا، فبالله ثقوا، وإيّاه فارهبوا.

﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ... ﴾ الآية: قال: الذين اتبعوا رسول الله ﷺ فى

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٥٠٠).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٣٣).

غزوة تبوك قِبَلَ الشام فى لَهَبان الحرّ، على مـا يعلم الله من الجهد الذى أصابهم فيها: حتى لقـد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقـان التمرة بينهمـا، وكان النفر يتداولـون التمرة بينهم، يمصّها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصـها هذا ثم يشرب عليها. فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوهم.. اهـ(١).

* وأخرج ابن جـرير، وابن حبان، والحـاكم وصححـه، وغيرهم عن ابن عـباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أنه قـال لعمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه): حـدِّثنا عن شأن سـاعة العـسرة، فـقال: خـرجنا مع رسـول الله ﷺ إلى تبوك فى قـيظ شديد، فنزلنا منزلا فأصابنا فيه عطش حتى ظننا إنّ رقابنا ستقطع، حتى إن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقى على كبده.

فقال أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ: يا رسـول الله إن الله قد عوّدك فى الدعاء خيـرًا فادع لنا، فـرفع يديه فلم يرجعـهمـا حتى قالت السـماء فـأهطلت، ثم سكبت، فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر.. اهـ(٢).

* وعـن جابـر بـن عـبـد الله الأنـصـارى (ت ٧٨هـ ـ رضـى الله عنهـمـا) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ قال: عسرة الظَّـهْر، وعسرة الزاد، وعسرة الماء.. اهـ(٣).

* ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾: «الزيغ»: الميل، أى من بعد ما كادت تميل قلوب بعضهم، والمراد: الميل إلى التخلف والانصراف للشدّة التى عليهم.

* ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أى: قبل توبتهم. * ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿الْعُسْرَةِ﴾ [رقم: ١١٧].

قرأ أبو جعفر بضم السين، والباقون بإسكانها، وهما لهجتان(٤).

(١، ٢) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٥٠٢)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١١).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٥٠٢)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١٢).

(٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٨٧).

* ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ ﴾ [رقم: ١١٧].

قرأ حفص، وحمزة: ﴿ يزيغ ﴾ بياء التذكير، واسم «كاد» ضمير الشأن، وجملة «يزيغ قلوب» خبر «كاد».

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تزيغ ﴾ بتاء التأنيث، وجاز تذكير الفعل وتأنيثه لأن الفاعل مؤنث غير حقيقى[(١)].

* ﴿ رَءُوفٌ ﴾ [رقم: ١١٧].

قرأ أبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ رؤف ﴾ بقصر الهمزة، على وزن «فَعُل».

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ رءوف ﴾ بمدّ الهمزة، على وزن «فعول» وهما لهجتان[(٢)].

﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾: أى: لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار، وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا، وهؤلاء الثلاثة هم الذين قال الله فيهم: ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦) ﴾ [التوبة: ١٠٦]، فتاب عليهم.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وجابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ:

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٨٨).
(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٨٧).

﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ قالوا هم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية وكلهم من الأنصار. اهـ[١].

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾:

قال الطبرىّ (ت ٣١٠هـ): بسعتها: غمًا، وندمًا، على تخلّفهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾: قال الطبرىّ: بما نالهم من الوَجْد والكرْب بذلك.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ﴾: قال الطبرىّ: وأيقنوا بقلوبهم أن لا شىء لهم يلجأون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء، ولا ممّا يحذرون من عذاب الله إلا الله.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾: قال الطبرىّ: ثم رزقهم الله الإنابة إلى طاعته، والرجوع إلى ما يرضيه عنهم، لينيبوا إليه، ويرجعوا إلى طاعته.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾: قال الطبرىّ: إن الله هو الوهّاب لعباده الإنابة إلى طاعته، الموفِّق من أحبّ توفيقه منهم لما يرضيه عنه، الرحيم بهم أنْ يعاقبهم بعد التوبة.. اهـ[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن نافع فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ قال: نزلت فى الثلاثة الذين خُلِّفوا قيل لهم: كونوا مع النبى «محمد» ﷺ وأصحابه.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٥٠٣، ٥٠٤)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١٢).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٥٠٣).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١٦).

* وعـن سعـيد بن جبير (ت ٩٥هـ) والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ قالا: مع أبى بكر، وعمر ـ رحمة الله عليهما ـ.. اهـ[١].

﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* أخرج ابن أبى حاتم من طريق عمرو بن مالك عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ ﴾ قال رسـول الله ﷺ: «والذى بعثنى بالحق لولا ضـعفاء الناس مـا كانت سرية إلا كنت فيها» اهـ[٢].

* عن عـبد الرحـمن بن زيد بن أسلم (ت حـوالى ١٧٠هـ) في قوله ـ تعـالى ـ: ﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ ﴾: قال: هذا حين كـان الإسلام قليلا، فلما كـثر الإسلام وفشـا قال الله: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ﴾ [التوبة: ١٢٢].. اهـ[٣].

* وقـال أبو جـعـفـر الطبـرى (ت ٣١٠هـ) فى تفسـيـره: لم يكن لأهل مـدينة رسول الله ﷺ ﴿ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ ﴾ وهم سكان البوادى. * ﴿ أَن يَتَخَلَّفُوا ﴾ فى أهاليهم. * ﴿ عَن رَّسُولِ اللَّهِ ﴾: فى غزوة تبوك. * ﴿ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾: أى: فـى صحبتـه فـى سفـره، والجـهـاد مـعـه، ومعاونته على ما يعانيه فى غزوه. * ﴿ ذَلِكَ ﴾ أى: لم يكـن لـهـم هـذا. * ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ أى: مـن أجـل أنـهـم. * ﴿ لا يُصِيبُهُمْ ﴾ فى سفرهم إذا كانوا معه. * ﴿ ظَمَأٌ ﴾ أى: عطش.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥١٧)، وتفسير الطبرى (٦/ ٥٠٩).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٢٠).

* ﴿ وَلا نَصبٌ ﴾ أى: ولا تعب. * ﴿ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أى: ولا مجاعة فى إقامة دين الله ونصرته. * ﴿ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا ﴾ أى: أرضًا. * ﴿ يَغِيظُ الْكُفَّارَ ﴾ أى: وطؤهم إيّاها. * ﴿ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾.
* ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾: بل يثيبهم ويجازيهم على إحسانهم.. اهـ[1].

﴿ وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* قال الطبرىّ (ت ٣١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً ﴾ أى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾، وسائر ما ذكر ﴿ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً ﴾، ﴿ وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً ﴾: فى سبيل الله: ﴿ وَلا يَقْطَعُونَ ﴾ مع رسول الله ﷺ ﴿ وَادِيًا ﴾.

* ﴿ إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾: أى: إلا كتب لهم أجر عملهم ذلك، كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم التى كانوا يعملونها، وهم مقيمون فى منازلهم.. اهـ[2].

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) ﴾

•• الناسخ والمنسوخ:

* أخرج أبو داود فى ناسخه، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نسخ هؤلاء الآيات: ﴿ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [التوبة: ٣٩]، و﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ [التوبة: ٤١]، قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ﴾ الآية.. اهـ[3].

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٥١٠).
(٢) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٥١٢).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٢١).

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ قال: وما كان المؤمنون لينفروا جميعًا ويتركوا النبى ﷺ وَحْده.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾: قال ابن عباس: يعنى عصبة أى: السرايا فلا يسيرون إلا بإذنه، فإذا رجعت السرايا وقد نزل قرآن تعلّمه القاعدون من النبىّ ﷺ، قالوا: إن الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآنا وقد تعلمناه، فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم ﷺ بعدهم. ويبعث سرايا أخر، فذلك قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ أى: يتعلمون ما أنزل الله على نبيه ويعلمونه السرايا إذا رجعت إليهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.. اهـ[1].

* وأخرج ابن أبى حاتم، وأبو الشيخ عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: كان المؤمنون لحرصهم على الجهاد إذا بعث رسول الله ﷺ سريّةً خرجوا فيها وتركوا النبى ﷺ بالمدينة فى رقّة من الناس. فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ الآية: أمروا إذا بعث النبى ﷺ سريّة أن تخرج طائفة وتقيم طائفة، فيحفظ المقيمون على الذين خرجوا ما أنزل الله من القرآن، وما يسنّ من السّنن فإذا رجع إخوانهم أخبروهم بذلك وعلّموهم.. اهـ[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ قالا: الأدنى فالأدنى.. اهـ[3].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٢١).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٢٢).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ قال: شدّة.. اهـ[١].

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ ﴾ قال: كان الذين يلونهم من الكفار: العرب، فقاتلهم حتى فرغ منهم. فلما فرغ قال الله: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ حتى بلغ: ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

قال: فلما فرغ من قتال من يليه من العرب، أمره بجهاد أهل الكتاب، قال: وجهادهم أفضل الجهاد عند الله.. اهـ[٢].

* وقال الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾: أى: وأيقنوا عند قتالكم إيّاهم، أن الله معكم وهو ناصركم عليهم[٣].

﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ﴾: قال: من المنافقين من يقول ذلك.. اهـ[٤].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ قال: كانت إذا نزلت سورة آمنوا بها، فزادهم الله إيمانًا وتصديقًا وكانوا بها يستبشرون.. اهـ[٥].

* وعن السدّى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ قال: شكًا إلى شكهم.. اهـ[٦].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٢٣).

(٢، ٣) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٥١٨).

(٤ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٢٣).

* وعن ابن عباس في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ قال: يبتلون[١].

* وعن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ قال: يبتلون بالغزو في سبيل الله.. اهـ[٢].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ قال: يبتلون بالسنة والجوع.. اهـ[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ [رقم: ١٢٦].

قرأ حمزة، ويعقوب: ﴿ترون﴾ بتاء الخطاب، والمخاطب المؤمنون على جهة التعجب، والتنبيه لهم على ما يعرض للمنافقين من الفتن، وهم لا يزدجرون بها عن نفاقهم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿يرون﴾ بياء الغيبة، جريًا على نسق ما قبله من الإخبار عن المنافقين في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [رقم: ١٢٥] وفي الكلام معنى التوبيخ لهم، والتقريع على تماديهم على نفاقهم مع ما يرون من الفتن والمحن في أنفسهم فلا يتوبون من نفاقهم[٤].

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٢٧)﴾

معاني المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ قال: هم المنافقون.. اهـ[٥].

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: كراهية أن يغصّنا بها.. اهـ[٦].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٢٣).

(٤) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٢٢).

(٥، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٢٤).

* وعن ابن عباس قال: لا تقولوا انصرفنا من الصلاة، فإن قومًا انصرفوا فصرف الله قلوبهم، ولكن قولوا: قضينا الصلاة.. اهـ[١].

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قال: ليس من العرب قبيلة إلا وقد ولَدَت النبى ﷺ: مضريّها، وربيعيّها، ويمانيّها.. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ قال: شديد عليه ما شقّ عليكم.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ قال: أن يؤمن كفّاركم.. اهـ[٣].

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾:

* أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: قال رسول الله ﷺ: «جاء جبريل ـ عليه السلام ـ فقال لى: يا «محمد» إن ربك يقرئك السلام، وهذا مَلَكُ الجبال قد أرسله الله إليك وأمره أن لا يفعل شيئًا إلا بأمرك، فقال له مَلَكُ الجبال: إنّ الله أمرنى أن لا أفعل شيئًا إلا بأمرك، إن شئتَ دمْدمتُ عليهم الجبال، وإن شئتَ رميتُهم بالحصباء، وإن شئتَ خسفتُ بهم الأرض، قال ـ أى النبى ﷺ ـ: يا مَلَك الجبال فإنّى أتأنّى بهم لعله أن يخرج منهم ذرية يقولون: لا إله إلا الله، فقال مَلَك الجبال: أنت كما سمّاك ربك رءوف رحيم» اهـ[٤].

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ قال: يعنى الكفار تولّوا عن النبى ﷺ.. اهـ[٥].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٢٤).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٢٩).

* وفي قوله ـ تـعالى ـ: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾:

* قال أبو الدرداء (ت ٣٢هـ ـ رضي الله عـنه) قال رسول الله ﷺ: «من قـال حين يصبح وحين يمسي: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ سبع مرّات، كفاه الله ما أهمّه من أمر الدنيا والآخرة» اهـ[1].

* وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: إنما سمّي العرش عرشًا لارتفاعه.. اهـ[2].

● ● ●

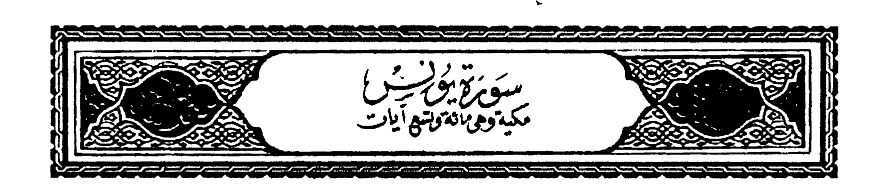
تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة التوبة

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة يونس ـ عليه السلام ـ]

● ● ●

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٣٠).



* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: سورة يونس ـ عليه السلام ـ مكيّة إلا ثلاث آيات من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ... ﴾ [رقم ٩٤، ٩٥، ٩٦] فإنهن نزلن بالمدينة[١].

* وقال محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ): هى مكية إلا قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ [رقم: ٤٠] فإنها مدنية.. اهـ[٢].

* وقال كل من جابر بن عبد الله الأنصارى (ت ٧٨هـ) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): سورة يونس ـ عليه السلام ـ مكية.. اهـ[٣].

﴿ الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَر ﴾:

* قال الشعبى عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): ﴿ الَر ﴾ وسائر حروف الهجاء من أوائل السور: من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه، وهى سرّ القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله ـ تعالى ـ. وفائدة ذكرها: طلب الإيمان بها.. اهـ[٤].

* وقال أبو بكر الصديق (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه): فى كل كتاب سرّ، وسر الله فى القرآن أوائل السور.. اهـ[٥].

* ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾: مبتدأ وخبر. و ﴿ تِلْكَ ﴾ بمعنى: هذه، أى: هذه آيات الكتاب الحكيم. والمراد: القرآن الكريم.

* ﴿ الْحَكِيمِ ﴾: اختلف علماء التفسير فى تأويل ذلك:

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٩٤).

(٤ ، ٥) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤).

١ - فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): ﴿الْحَكِيمِ﴾ بمعنى: المحكَم بالحلال والحرام، والحدود، والأحكام.. اهـ(١).

٢ - وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): ﴿الْحَكِيمِ﴾ بمعنى: الحاكم، أى إنه حاكم بالحلال والحرام، وحاكم بين الناس بالحق، فهو «فعيل» بمعنى فاعل، ودليله قوله ـ تعالى ـ: ﴿وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ [البقرة: ٢١٣](٢).

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ (٢)﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: لما بعث الله «محمدًا» ﷺ أنكرت العرب ذلك، ومن أنكر منهم قالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا مثل «محمد» ﷺ فأنزل الله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ الآية.. اهـ(٣).

معانى المفردات:

* ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾:" استفهام معناه التقرير والتوبيخ. و ﴿عَجَبًا﴾ خبر «كان» والعجب: حالة تعترى الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة.

* ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ فى محلّ رفع اسم كان مؤخرًا، والتقدير: أكان إيحاؤنا عجبًا للناس.

* ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ المراد به نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾: الإنذار: إعلام مع تخويف.

* ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾:

اختلف العلماء فى تأويل ذلك:

(١ ، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٩٥).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٩٥)، وتفسير البغوى (٢/ ٣٤٣)، وتفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٥).

١ ـ فقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: أجرًا حسنًا بما قدموا من أعمالهم.. اهـ(١).

٢ ـ وقال عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قال: هو العمل الذى قدموا عليه، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)﴾ [يس: ١٢].. اهـ(٢).

٣ ـ وقال كل من علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) وأبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قالوا: «محمد» ﷺ شفيع صدق لهم يوم القيامة.. اهـ(٣).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩)﴾ [طه: ١٠٩].

* ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾: يعنون به نبينا «محمدًا» ﷺ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [رقم: ٢]

قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار ﴿لساحر﴾ بفتح السين وألف بعدها، وكسر الحاء، اسم فاعل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿لسِحْر﴾ بكسر السين، وحذف الألف وإسكان الحاء، على أنه مصدر(٤).

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٦).

(٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٩٠).

معانى المفردات:

* قال الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾: إن ربكم الله الذى له عبادة كل شىء، ولا تنبغى العبادة إلا له. هو الذى خلق السموات السبع، والأرضين السبع فى ستة أيام، وانفرد بخلقهنّ من غير شريك ولا ظهير.

ثم استوى على عرشه مدبراً للأمور، وقاضيًا فى خلق ما أحبّ، لا يضادّه فى قضائه أحد، ولا يتعقّب تدبيره متعقّب، ولا يدخل أموره خلل.. اهـ(١).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾ قال: لا يشركه فى تدبير خلقه أحد.. اهـ(٢).

* وعن الطبرى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾: قال: لا يشفع عنده شافع يوم القيامة فى أحد إلا من بعد أن يأذن الله له فى الشفاعة.. اهـ(٣).

ومثل هذه الآية فى المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً (١٠٩) ﴾ [طه: ١٠٩].

* والآيات فى هذا المعنى متعدّدة، وهذا ردّ على الكفار فى قولهم فيما عبدوهم من دون الله ـ عزّ وجلّ ـ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨].

* وعن القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ قال: ذلكم الذى فعل هذه الأشياء من خلق السموات والأرض هو ربكم لا ربّ لكم غيره ﴿ فَاعْبُدُوهُ ﴾ أى: وحّدوه وأخلصوا له العبادة.

* ﴿ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ أى: أنها من مخلوقاته فتستدلون بها عليه(٤).

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٥٣٠).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٩٦).
(٣) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٥٣٠).
(٤) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٩٧).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [رقم: ٣].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿تذكرون﴾ بتخفيف الذال، على حذف إحدى التائين لأن الأصل «تتذكرون».

وقرأ الباقون من القراء العشرة بتشديد الذال، وذلك على إدغام التاء في الذال[١].

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤)﴾

معاني المفردات:

* ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ مبتدأ وخبر، وقدم الخبر للاهتمام به، والاختصاص، أي: إليه لا إلى غيره.

* ﴿جَمِيعًا﴾ نصب الحال، أي: لا يتخلّف عن الرجوع إليه أحد من خلقه، وذلك للحساب.

* ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ أي: صدقًا لا خُلف فيه، و: ﴿حَقًّا﴾ نصب على المصدر، أي وعدكم الله وعداً حقا.

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ قال: ينشئه ثم يميته ثم يحييه للبعث.. اهـ[٢].

* وعن الطبري (ت ٣١٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ قال: ليثيب من صدّق الله ورسوله، وعملوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم عنه. * ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل والإنصاف.. اهـ[٣].

* وعن القرطبي (ت ٦٧١هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ قال: أي: ماء حارّ قد انتهى حرّه.

---

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ١٩٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ١٩٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٥٣١).

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ـ أى القرطبى ـ: أى: موجع، يَخْلُص وجعه إلى قلوبهم.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ قال: أى بكفرهم.. اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [رقم: ٤].

قرأ أبو جعفر ﴿أنّه﴾ بفتح الهمزة، على حذف لام الجرّ، أى: لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿إنّه﴾ بكسر الهمزة، على الاستئناف[٢].

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ⑤﴾

معانى المفردات:

* ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ أى: مضيئة، ولم يؤنث لأنه مصدر، والضياء: ما يضىء الأشياء.

والضياء: جمع ضوء، كالسياط والحياض، جمع سوط وحوض.

* ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ أى: منيرا، أو ذا نور، والنور: ما يَبين ويخفى.

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ قال: لم يجعل الله الشمس كهيئة القمر كى يعرف الليل من النهار، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢][٣].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٩٧).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٢٣)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ١٠٢)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٩٠)، وشرح طيبة النشر لابن الناظم ص ٣١٠.

(٣) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٧).

* ﴿ وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾: الضمير فى ﴿ وَقَدَّرَهُ ﴾ عائد على القمر وحده، إذْ به تحصى الشهور التى عليها العمل فى المعاملات ونحوها. ويشهد لصحة هذا قوله - تعالى -: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس: ٣٩].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ قال: لو جعل شمسين: شمسًا بالنهار وشمسًا بالليل ليس فيهما ظلمة ولا ليل لم يُعْلم عدد السنين وحساب الشهور.. اهـ[1].

* وواحد «السنين»: سنة. ومن العرب من يجمع «سنة» على سنوات، وسنهات. وتُصغّر «سنة» على سُنيَّة، وسنيهة.

* وعن القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ قال: ما أراد الله - عزّ وجلّ - بخلق ذلك إلا لحكمة، وإظهارًا لصنعته، ودلالة على قدرته وعلمه، ولتُجزى كل نفس بما كسبت، فهذا هو الحق.

* وعنه فى قوله - تعالى -: ﴿ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ قال: تفصيل الآيات تبيينها ليُستدلّ بها على قدرته، لاختصاص الليل بظلامه، والنهار بضيائه، من غير استحقاق لهما ولا إيجاب، فيكون هذا لهم دليلاً على أن ذلك بإرادة مُريد.. اهـ[2].

* ويشهد لصحة هذا قوله - تعالى -: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) ﴾ [غافر: ٦١].

وقوله - تعالى -: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣) ﴾ [القصص: ٧٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً ﴾ [رقم: ٥].

قرأ قنبل بقلب الياء همزة.

وقرأ الباقون بالياء، جمع ضوء[3].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٩٨).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٢٩١).

* ﴿ يُفَصِّلُ الآيَاتِ ﴾ [رقم: ٥].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص، ويعقوب: ﴿ يفصّل ﴾ بالياء التحتية، على الغيب، لمناسبة قوله - تعالى - قبلُ فى الآية: ﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿ نفصّل ﴾ بنون العظمة، وذلك على الالتفات من الغيبة إلى التكلم[1].

﴿ إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦) ﴾

✳ المعنى:

* قال الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى تأويل هذه الآية: يقول - تعالى ذكره - منبّهًا عباده على موضع الدّلالة على ربوبيته، وأنه خالق كل ما دونه: إنّ فى اعتقاب الليل النهار: إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب هذا، وفيما خلق الله فى السموات من الشمس والقمر والنجوم، وفى الأرض من عجائب الخلق الدالّة على أن لها صانعًا ليس كمثله شىء، ﴿ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ الله، فيخافون وعيده، ويخشون عقابه[2].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ قال: لا يخافون عقابًا، ولا يرجون ثوابًا. ثم استطرد قائلا: وقال بعض العلماء: لا يقع الرجاء بمعنى الخوف إلا مع الجحد، كقوله - تعالى -: ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) ﴾ [نوح: ١٣].

* وعنه فى قوله - تعالى -: ﴿ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قال: أى: رضوا بها عوضًا عن الآخرة فعملوا لها.

* وعنه فى قوله - تعالى -: ﴿ وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ﴾ قال: أى فرحوا بها وسكنوا إليها.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٢٤)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ١٠٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٥١٣)، وحجة القراءات لابن زنجلة ص٣٢٨.

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٥٣٢).

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ قال: أى عن أدلتنا.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿غَافِلُونَ﴾ قال: لا يعتبرون، ولا يتفكرون.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ قال: أى مثواهم ومقامهم.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال: أى من الكفر والتكذيب.. اهـ(١).

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) وابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ الآية. قالا: هؤلاء أهل الكفر.. اهـ(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ قال: حدّثنا الحسن ـ أى الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) ـ قال: بلغنا أن النبىّ ﷺ قال: «المؤمن إذا خرج من قبره صُوِّر له عملُه فى صورة حسنة وريح طيبة، فيقول له: ما أنت، فوالله إنّى لأراك عين امرئ صدق. فيقول له: أنا عملك، فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنة. وأمّا الكافر فإذا خرج من قبره صُوِّر له عملُه فى صورة سيئة وريح منتنة، فيقول له: ما أنتَ فوالله إنّى لأراك عين امرئ سوء، فيقول: أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار» اهـ(٣).

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ قال: يُمثّل له عملُه فى صورة حسنة وريح طيبة يعارض صاحبه ويبشره بكل خير. فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيجعل له نورا من بين يديه حتى يدخله الجنة. والكافر يُمثّل له عملُه فى صورة سيئة، وريح منتنة، فيلازم صاحبه حتى يقذفه فى النار.. اهـ(٤).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ١٩٩).

(٢) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٧).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٨).

* وعن القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾ قال: قيل: فى الكلام واو محذوفة، أى وتجرى من تحت بساتينهم. وقيل: وتجرى من تحت أسرّتهم، وهذا أحسن فى النزهة والفرحة.. اهـ[١].

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾: الدعْوى مصدر دعا يدعو، كالشكوى مصدر شكا يشكو. أى: دعاؤهم فى الجنة أن يقولوا: سبحانك اللهمّ.

* وأخرج ابن مردويه عن أُبَيّ بن كعب (ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قالوا سبحانك اللهم أتاهم ما اشتهوا من الجنة من ربهم» اهـ[١].

* وقال الربيع بن خثيم أبو زيد الكوفى (ت قبل ٩٠هـ): إنّ أهل الجنة إذا اشتهوا شيئا قالوا: سبحانك اللهمّ، فإذا هو عندهم، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾[٢].

* وعن مقاتل بن حيّان البلخىّ (ت ١١٠هـ) قال: إن أهل الجنة إذا دعوا بالطعام قالوا: سبحانك اللهم.. اهـ[٣].

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) قال: أُخبِرتُ أن قوله ـ تعالى ـ: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ قال: إذا مرّ بهم الطير يشتهونه قالوا: «سبحانك اللهم» وذلك دعواهم، فيأتيهم الملَك بما اشتهوا، فيسلّم عليهم، فيردّون عليه، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾ قال: فإذا أكلوا حمدوا ربهم، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٨).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٩).

(٤) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٥٣٥).

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ ﴾ قال: هو قول الإنسان لولده، وماله إذا غضب عليه: اللهم لا تبارك فيه والعنه.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ قال: لأهلك من دعا عليه ولأماته.. اهـ(١).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: هودعاء الرجل على نفسه وماله بما يكره أن يستجاب له.. اهـ(٢).

وقال البغوىّ أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾: أى: لا يخافون البعث والحساب.. اهـ(٣).

* ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أى: يتحيرون، والطغيان: العلوّ والارتفاع.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ [رقم: ١١].

قرأ ابن عامر، ويعقوب: ﴿ لَقَضَى ﴾ بفتح القاف، والضاد، وقلب الياء ألفًا، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر يعود على الله ـ تعالى ـ، و ﴿ أجلَهم ﴾ بالنصب مفعول به.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لقُضِىَ ﴾ بضم القاف، وكسر الضاد، وفتح الياء، على البناء للمفعول، و ﴿ أجلُهم ﴾ بالرفع نائب فاعل(٤).

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٥٣٧).
(٢) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٣/ ٥٣٩).
(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٤٦).
(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٢٤).

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن القرطبى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر (ت ٦٧١هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ﴾ قال: المراد بالإنسان هنا الكافر، قيل: هو أبو حذيفة بن المغيرة المشرك.. اهـ(١).

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ قال: مضطجعًا.. اهـ(٢).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ قال: على كل حال.. اهـ(٣).

* وعن القرطبى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ قال: استمرّ على كفره ولم يشكر ولم يتعظ.

ثم استطرد قائلا: وهذه صفة كثير من المخلطين الموحّدين، إذا أصابته العافية مرّ على ما كان عليه من المعاصى، فالآية تعمّ الكافر وغيره.

* وعنه ـ أى القرطبى ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال: كما زين لهذا: ـ أى أبو حذيفة بن المغيرة ـ الدعاء عند البلاء، والإعراض عند الرخاء، زيِّن للمشركين أعمالهم من الكفر والمعاصى.. اهـ(٤).

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن القرطبى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ قال: المراد الأمم الماضية من قَبْل أهل مكة أهلكناهم لمّا ظلموا: أى كفروا وأشركوا بالله ـ تعالى ـ.. اهـ(٥).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٠٢).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدرّ المنثور للسيوطى (٣/ ٥٤٠).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٠٢).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٠٣).

* وصدق الله إذ قال: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)﴾ [العنكبوت: ٤٠].

* وعن القرطبى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ قال: بالمعجزات الواضحات، والبراهين النيرات.. اهـ[1].

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ قال: أهلكناهم لعلمنا أنهم لا يؤمنون، ونحن قادرون على إهلاك هؤلاء بتكذيبهم نبينا «محمد» ﷺ، ولكن نمهلهم لعلمنا بأنّ فيهم من يؤمن، أو يخرج من أصلابهم من يؤمن.. اهـ[2].

* وعن الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ قال: يقول الله ـ تعالى ـ: كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم أيها المشركون، بظلمهم أنفسهم، وتكذيبهم رسلهم، وردّهم نصيحتهم، كذلك أفعل بكم فأهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم «محمدًا» ﷺ.. اهـ[3].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ﴾: الكاف مفعول أوّل، و﴿خَلائِفَ﴾ مفعول ثان، والخلائف: جمع خليفة، أى جعلناكم سكانًا فى الأرض.

* ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أى: من بعد القرون المهلكة.

* ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: اللام لام كَىْ، أى ليقع منكم ما تستحقون به الثواب، أو العقاب. و ﴿كَيْفَ﴾ نصب بقوله ـ تعالى ـ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله.

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه)

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٠٣).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٦/ ٥٣٨).

قرأ هذه الآية فقال: صدق ربنا، ما جـعلنا خلائف فى الأرض إلا لينظر إلى أعمالنا، فأروا الله خير أعمالكم: بالليل والنهار، والسرّ والعلانية.. اهـ(١).

* وعن ابن جريج عـبد الملك بن عبـد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قـوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ ﴾ قال: الخطاب لأمّة نبينا «محمد» ﷺ.. اهـ(٢).

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ﴾:

﴿ بَيِّنَاتٍ ﴾ نصب على الحال، وحينئذ يكون المعنى: وإذا تقرأ عليهم آياتنا حالة كونها واضحات لا لبس فيها ولا إشكال.

* وعن قتادة بن دعامـة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ قال: هم مشركو أهل مكة قالوا للنبى ﷺ: ﴿ ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾.. اهـ(٣).

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ): وفى قولهم ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهـم سألوه أن يحوّل الوعـد وعيـدًا، والوعيد وعـدًا، والحلال حـرامًا، والحرام حلالا، قاله ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ).

والثانى: سألوه أن يُسقط ما فى القرآن من عيب لآلهـتهم، وتسفيه أحلامهم، قاله ابن عيسى.

والثالث: سألـوه إسقاط ما فيـه من ذكر البعث والنشور، قـاله الزّجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ)(٤).

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٨/ ٥٣٩).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٤٠).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٠٣).

* وعن القرطبي في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ قال: أي قل لهم يا «محمد» ما كان لي أن أبدله من عندي، كما ليس لي أن ألقاه بالردّ والتكذيب.

* وعنه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ قال: أي لا أتبع إلا ما أتلوه عليكم من: وعد ووعيد، وتحريم وتحليل، وأمر و نهي.

* وعنه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قال: أي: إن خالفتُ في تبديله، أو تغييره، أو في ترك العمل به، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يوم القيامة.. اهـ[1].

﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٦)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لو شاء الله ـ تعالى ـ ما أرسلني إليكم فتلوتُ عليكم القرآن.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا أَدْرَاكُم بِهِ﴾ قال: ولا أعلمكم بالقرآن[2].

يقال: دريتُ الشيء، وأدراني الله به، ودريتُه، ودريتُ به.

* وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾ قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه، ثم أُمِر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين.. اهـ[3].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَلا أَدْرَاكُم بِهِ﴾ [رقم: ١٦].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٢٠٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٤٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٤١).

قـرأ ابن كثير بخلف عن البـزّيّ: ﴿ولأدراكم﴾ بحذف الألف التى بعد اللام، على أن اللام لام الابتداء، قصد بها التوكيد.

وقرأ الـباقون من الـقراء العـشرة: ﴿ولا أدراكم﴾ بإثبات ألف بـعد اللام، وهو الوجه الثانى للبزّيّ على أنها «لا» النافية مؤكدة[١].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (١٧) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨)﴾

سبب نزول هاتين الآيتين :

* أخـرج ابن أبى حـاتم عن عكرمـة مـولى ابن عـباس (ت ١٠٥هـ) قـال: قـال النضر: إذا كـان يوم القيـامة شفـعت لى اللات والعزّى، فـأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (١٧) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾.. اهـ[٢].

معانى المفردات:

* ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: هذا استـفهام بمـعنى النفى، أى لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب، وبدّل كلامه، أو زعم أن لله شريكًا أو ولدا.

* ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: وكذلـك لا أحد أظلم مـمن أنكر القرآن وقـال ليس هذا كـلام الله، قـال ـ تـعـالـى ـ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٥) قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٦)﴾ [الفرقان: ٤ ـ ٦].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٢٥)، والنشر فى القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ١٠٣)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٥١٤)، وحجة القراءات لابن زنجلة ٣٢٨.

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٤١).

* ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: لا ينجون من عذاب الله ـ تعالى ـ. وصدق الله إذ قال: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠].

* ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ﴾: إن عصوه وتركوا عبادته.

* ﴿وَلا يَنفَعُهُمْ﴾: إن عبدوه، والمراد: الأصنام، وكل ما يُعبد من دون الله ـ تعالى ـ.

* ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾: وهذا منتهى الجهالة من الكفار حيث ينتظرون الشفاعة من هذه الأصنام التى لا تنفع ولا تضر، بل لا تغنى عن نفسها شيئًا.

وصدق الله إذ قال على لسان نبيه «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ: ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢].

* ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾: أى: أتخبرون الله أن له شريكًا فى ملكه أو شفيعًا بغير إذنه، والله لا يعلم لنفسه شريكًا فى السموات ولا فى الأرض، لأنه لا شريك له.

ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ [الرعد: ٣٣].

وصدق الله إذ قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢].

* ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أى الله ـ عزّ وجلّ ـ أعظم من أن يكون له شريك.

وصدق الله إذ قال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩١، ٩٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٣].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٤٠].

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ تشركون ﴾ في المواضع الأربعة بتاء الخطاب، جريًا على نسق ما قبله.

أمّا في سورة يونس فلمناسبة الخطاب في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ ﴾.

وأمّا في النحل فلمناسبة الخطاب في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾.

وأمّا في الروم فلمناسبة الخطاب في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ﴾ . . . إلخ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يشركون ﴾ في المواضع الأربعة بياء الغيبة، وذلك على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة(١).

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩) ﴾

معاني المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ قال: على الإسلام.. اهـ(٢).

* ويشهد لصحة هذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩].

* وعن السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ الآية: قال: كان الناس أهل دين واحد على دين آدم ـ وهو الإسلام ـ فكفروا، فلولا أن ربك أجلهم إلى يوم القيامة لقضى بينهم.. اهـ(٣).

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٢٥)، والنشر في القراءات العشر بتحقيقنا (٣/ ١٠٤).

(٢ ، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٤٢).

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ قال: ولولا كلمة سبقت من ربك أنه لا يقضى بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون القيامة، لقضى بينهم فى الدنيا فأدخل المؤمن الجنة والكافر النار، ولكنه سبق من الله الأجل فجعل موعدهم يوم القيامة.. اهـ[١].

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٢٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾: قائل ذلك هم كفّار أهل مكة، قالوا: هلا أنزل على «محمد» ﷺ معجزة غير هذه المعجزة، وفقًا لما نقترحه.

ومن مقترحاتهم ما أخبرنا الله بـه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً (٩٣) ﴾ [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣].

* ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾: هذا توجيه من الله ـ تعالى ـ لنبيه «محمد» ﷺ ليردّ به على مفتريات كفار مكّة، أى: قل لهم إنما الغيب لله، ولا يعلمه أحد من خلقه، كما قال ـ تعالى ـ فى آية أخرى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾ [الجن: ٢٦].

* عن البغوىّ (ت ٥١٦ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ قال: يقول النبى ﷺ ضمن ردّه على كفار مكة: فانتظروا قضاء الله بيننا بالحق: بإظهار المحق على المبطل، إنى معكم من المنتظرين.. اهـ[٢].

﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١) ﴾

(١ ، ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٤٨).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ ﴾: المراد بهم: الكفار.

* ﴿ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ ﴾ أى: رخاء من بعد شدّة، وخصب بعد جَدْب.

* وعن مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾ قال: تكذيب واستهزاء.. اهـ(١).

* وقال مقاتل بن حيّان البلخىّ: لا يقولون هذا من رزق الله، إنما يقولون: سُقينا بِنَوْء كذا.. اهـ(٢).

* ﴿ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾ قال البغوىّ (ت ٥١٦هـ) أى: الله ـ تعالى ـ أعجل عقوبة، وأشدّ أخذًا، وأقدر على الجزاء، يريد عذابه فى إهلاككم أسرع إليكم مما يأتى منكم فى دفع الحق(٣).

* ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾: المراد بالرسل: الحفظة.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [رقم: ٢١].

قرأ روح: ﴿ ما يمكرون ﴾ بياء الغيبة، جريًا على ما قبله.

وقرأ الباقون: ﴿ ما تمكرون ﴾ بتاء الخطاب، على الالتفات(٤).

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾: أى: يحملكم فى البرّ على الدوابّ، وفى البحر على الفلك.

(١ : ٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٤٩).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٢٦).

* ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ أى: السفن، والفلك: اسم جنس يقع على الواحد والجمع.

* ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: فى الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة، وهو أسلوب بلاغى فصيح.

ومن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢)﴾ [الإنسان: ٢١، ٢٢]. والمراد بالريح الطيبة: اللينة.

* ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾ أى: بهذه الريح الطيبة.

* ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: الضمير فى «جاءتها» عائد على «الفلك» ومعنى «عاصف» بالتذكير، لأن الريح يذكّر ويؤنث.

* ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أى: جاء ركبان السفينة «الموج»: وهو حركة الماء المرتفع «من كل مكان» أى: من جميع الجهات.

* ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أى: أيقن ركبان السفينة أن الهلاك أحاط بهم.

وأصل هذا أن العدوّ إذا أحاط بموضع فقد هلك أهله. ويقال لمن وقع فى بليّة: قد أحيط به.

* ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أى: دعوا الله وحده، وتركوا ما كانوا يعبدون من دون الله.

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ): وفى هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله ـ تعالى ـ فى الشدائد، وأن المضطر يجاب دعاؤه، لانقطاع الأسباب ورجوعه إلى الواحد ربّ الأرباب.. اهـ[١].

* ويشهد لصحة هذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

* ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾:

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٠٧).

أي: يدعون مخلصين ويقولون يا ربنا لئن أنجيتنا من هذه الريح العاصف لنكونن من الشاكرين لك بالإيمان والطاعة.

* عن عروة بن الزبير (ت ٩٣هـ) قال: «فرّ» عكرمة بن أبي جهل يوم الفتح، فركب البحر فأخذته الريح، فنادى باللات والعزّى، فقال أصحاب السفينة: لا يجوز ههنا أحد يدعو شيئًا إلا الله وحده مخلصا، فقال عكرمة: والله لئن كان فى البحر وحده، إنه لفى البرّ وحده، فأسلم.. اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ ﴾ [رقم: ٢٢].

قرأ ابن عامر، وأبو جعفر: ﴿ ينشركم ﴾ بياء مفتوحة، وبعدها نون ساكنة، وبعد النون شين معجمة مضمومة، من النشر، والمعنى: هو الذى يبثكم ويفرقكم فى البر والبحر.

وقرأ الباقون من القراءالعشرة: ﴿ يسيركم ﴾ بياء مضمومة، وبعدها سين مهملة مفتوحة، وبعدها ياء مكسورة مشدّدة، من التسيير، أى يحملكم على السير، ويمكنكم منه(٢).

﴿ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ ﴾: أى: خلّصهم وأنقذهم مما هم فيه.

* ﴿ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾: أى: يظلمون، ويعملون فى الأرض بالفساد، والمعاصى، وبغير ما أمر الله به. والبغى: الفساد، من بغى الجرح: إذا فسد. ومنه بغت المرأة: أى طلبت غير زوجها.

* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ﴾:

أى: وباله عائد عليكم، وهنا تمّ الكلام، ثم ابتدأ فقال:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٤٢).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٢٧).

* ﴿ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾: وهذا خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هذا متاعُ الحياة الدنيا، ولا بقاء له لأن الدنيا فانية[١].

* عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث هنّ رواجع على أهلها: ١ ـ المكر. ٢ ـ والنكث. ٣ ـ والبغى».

ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ﴾ [يونس: ٢٣].

* ﴿ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر: ٤٣].

* ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ [الفتح: ١٠].. اهـ[٢].

* وأخرج ابن المنذر، والبيهقى عن رجاء بن حَيْوة (ت ١٢٠هـ): أنه سمع قاصًا فى مسجد منًى يقول: ثلاث خلال هنّ على من عمل بهنّ:

١ ـ البغى. ٢ ـ والمكر. ٣ ـ والنكث، قال الله: ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ﴾.

* ﴿ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه. ثم قال: ثلاث خلال لا يعذبكم الله ما عملتم بهنّ:

١ ـ الشكر. ٢ ـ والدعاء. ٣ ـ والاستغفار، ثم قرأ ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ﴾ [النساء: ١٤٧]. ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ ﴾ [الفرقان: ٧٧]. ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) ﴾ [الأنفال: ٣٣][٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [رقم: ٢٣].

قرأ حفص: ﴿ متاعَ ﴾ بالنصب، على أنه مصدر مؤكد لعامله، أى تتمتعون متاعَ الحياة الدنيا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ متاعُ ﴾ بالرفع، على أنه خبر مبتدأ محذوف، أى: ذلك متاع الحياة الدنيا[٤].

---

(١) اعلم أن «متاع» فيها قراءتان متواترتان: الرفع، والنصب كما سيأتى.

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٤٣).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٤٤).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٣٨).

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾:

أى: صفة الحياة الدنيا فى فنائها وزوالها، وقلة خطرها، والملاذ بها كماء، أى: مثل ماء.

* ﴿ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ﴾ أى: اختلط نبات الأرض بالماء، فنبت بالماء كل لون، والاختلاط: تداخل الشىء بعضه فى بعض.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ ﴾ قال: كالحنطة والشعير، وسائر الحبوب، والبقول والثمار، وما تأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعى(١).

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾: أى: حسنها وزينتها، وبهجتها، وظهر الزهر أخضر. والزخرف: كمال حسن الشىء.

* ﴿ وَازَّيَّنَتْ ﴾ أى: تزينت بالحبوب، والثمار، والأزهار.

* ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾: أى: أيقن أهلها أنهم قادرون على جذاذها وقطافها وحصادها.

* ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا ﴾: أى: قضاؤنا بإهلاكها ليلا أو نهارًا.

* ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا ﴾ أى: محصودة مقطوعة لا شىء فيها.

* ﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾ أى: كأن لم تكن بالأمس.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٤٥).

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) ﴾ [الكهف: ٤٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) ﴾ إلى قوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) ﴾ [القلم: ١٩ : ٢٦].

* ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ ﴾ أى: نبينها.

* ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فى آيات الله ـ تعالى ـ، فيؤمنوا، ولا يشركوا به أحدًا.

﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ﴾ قال: يدعو الله إلى عمل الجنّة، والله السلام، والجنة داره.. اهـ[1].

وسُمّيت الجنّة دار السلام لأن من دخلها سلم من الآفات.

* وقيل المعنى: والله يدعو إلى دار السلامة، لأن السلام والسلامة بمعنى، مثل: الرضاع والرضاعة.

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: الجنان سبع:

١ ـ دار الجلال. ٢ ـ ودار السلام. ٣ ـ وجنّة عدن. ٤ ـ وجنة المأوى.

٥ ـ وجنة الخلد. ٦ ـ وجنة الفردوس. ٧ ـ وجنة النعيم.. اهـ[2].

* ﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾: الصراط المستقيم: هو الإسلام.

* وقال علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه): سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الصراط المستقيم: كتاب الله ـ تعالى ـ» اهـ[3].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٤٥).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٥١٠).

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن أبي موسى الأشعريّ - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ: «أنّ الله يبعث يوم القيامة مناديًا ينادي: يا أهل الجنة - بصوت يسمعه أولهم وآخرهم - إن الله وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى الجنّة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن» اهـ[١].

* وعن أُبَيّ بن كعب (ت ٣٠هـ - رضي الله عنه) أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله - تعالى -: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال: «الذين أحسنوا: أهل التوحيد، والحسنى: الجنّة، والزيادة: النظر إلى وجه الله».. اهـ[٢].

* وعن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ - رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال: «ينظرون إلى ربهم بلا كيفية، ولا حدود، ولا صفة معلومة»[٣].

* وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله - تعالى -: ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ ﴾ قال: القتر سواد الوجوه.. اهـ[٤].

* وعن صهيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى - رضي الله عنهما - في قوله - تعالى -: ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ قالا: بعد نظرهم إلى ربهم.. اهـ[٥].

* ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾: خلودًا أبديًا

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) في قوله - تعالى -: ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ قال: الذين عملوا الكبائر.. اهـ[٦].

(١ : ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٤٧).

* ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ أي: لهم مثلها وهو: عذاب الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١٦٠) ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

* ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أي: يغشاهم هوان وخزى، وهو الذلّ.

* ﴿ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ أي: ليس لهم من عذاب الله من مانع يمنعهم منه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا ﴾ [الأحزاب: ١٧].

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ قال: من نصير.. اهـ(١).

* وعنه ـ أى قتادة ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ قال: أى: ظلمة من الليل.. اهـ(٢).

* ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾: قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) ﴾ [الجن: ٢٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ [رقم: ٢٧].

قرأ ابن كثير، والكسائى، ويعقوب: ﴿ قِطْعًا ﴾ بسكون الطاء، على أنها جمع «قطعة» نحو «سِدْر» جمع «سِدْرة».

والمراد: ظلمة آخر الليل، أو: سواد الليل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ قِطَعًا ﴾ بفتح الطاء، جمع «قِطْعة» نحو: «خِرَق» جمع «خِرْقة»(٣).

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ أى: نجمعهم، والحشر: الجمع، و«جميعًا» حال.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٤٧).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٢٩).

* ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ أى: الذين اتخذوا مع الله شريكًا.

* ﴿ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ﴾ أى: اثبتوا مكانكم، وقفوا مواضعكم.

* وعن ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ قال: فرّقنا بينهم.. اهـ[1].

يقال: زيّلته فتزيّل، أى: فرقته فتفرق.

* ﴿ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾.

﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾: ﴿ شَهِيدًا ﴾ يصح أن تكون مفعولا، أى كفى الله شهيدًا. ويصحّ أن تكون تمييزًا، أى اكتف بالله شهيدًا بيننا وبينكم.

* ﴿ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾: «إنْ»: نافية بمعنى «ما» أى: ما كنّا عن عبادتكم إلا غافلين، لأنّا ما كنّا نسمع ولا نبصر ولا نعقل، لأنّا كنا جمادًا لا روح لنا.

* وعن مجاهد بن جبر المكى المفسر (ت ١٠٤هـ) فى الآية قال: ثم يأتى على الناس يوم القيامة ساعة فيها شدّة، تُنصب لهم الآلهة التى كانوا يعبدونها من دون الله فيقال لهم: هؤلاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله؟ فيقولون: نعم، هؤلاء الذين كنّا نعبد، فتقول لهم الآلهة: والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا فيقولون: بلى والله لإياكم كنا نعبد، فتقول لهم الآلهة: ﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾.. اهـ[2].

* ويشهد لصحة هذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥٠).

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾ قال: معنى تبلو: تختبر(١).

أى: فى ذلك الوقت وهو يوم القيامة تبلو كل نفس ما أسلفت، أى: جزاء ما قدمت وعملت: إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة: ٦ ـ ٨].

* ﴿ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾: أى: بطل عنهم ما كانوا يفترون فى الدنيا من الكذب وتكذيب الرسل.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾ [رقم: ٣٠].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ تتلو ﴾ بتاءين، من التلاوة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ تبلو ﴾ بالتاء المثناة من فوق ثم باء موحدة من الابتلاء وهو الاختبار(٢).

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾: أى: من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات.

* ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ ﴾: أى: من جعلهما وخلقهما لكم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢١٣)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥١).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٣٠).

* ﴿ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾، أى: النبات من الأرض، والإنسان من النطفة، والسنبلة من الحبّة، والطير من البيضة، والمؤمن من الكافر.

* ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾ أى: يقدّره ويقضيه.

* ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ أى: هو الذى يفعل هذه الأشياء، لأنهم كانوا يعتقدون أن الخالق هو الله.

* ﴿ فَقُلْ ﴾ لهم أى: يا «محمد». * ﴿ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ أى: أفلا تخافون عقاب الله فى شرككم، ونقمته فى الدنيا والآخرة.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الْمَيِّتِ ، الْمَيِّتَ ﴾ معًا [رقم: ٣١].

قرأ نافع، وحفص، وحمزة، والكسائى، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف البزّار بتشديد الياء، والباقون بتخفيفها، وهما لهجتان[١].

﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ﴾: أى: هذا الذى يفعل هذه الأشياء هو ربكم الحقّ، لا ما أشركتم معه.

* ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ ﴾: أى: ما بعد عبادة الإله الحقّ إذا تُرِكت عبادتُه إلا الضلال.

* ﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ أى: فأين تصرفون عن عبادته وأنتم مقرون به؟

* ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾: أى: هكذا وجبت كلمت ربك، أى: قضاؤه وحكمه السابق.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٩٦).

* ﴿ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا ﴾ أى: خرجوا عن الطاعة، وكفروا بالله ـ تعالى ـ.
* ﴿ أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ أى: لا يصدّقون.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ [رقم: ٣٣].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ كلمت ﴾ بحذف الألف التى بعد الميم، على الإفراد.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ كلمات ﴾ بإثبات الألف على الجمع، وهى مرسومة بالتاء، وقد وقف عليها بالهاء ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائى، ويعقوب. ووقف عليها الباقون بالتاء، وأمالها الكسائى وقفًا[1].

﴿ قُلْ هَلْ من شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ من شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم ﴾: أى: آلهتكم ومعبوداتكم التى تعبدونها من دون الله ـ تعالى ـ.
* ﴿ مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾: أى: ينشئ الخلق من العدم وعلى غير مثال سبق، ثم يحييه بعد الموت.

أى: قل لهم يا «محمد» ذلك على جهة التوبيخ والتقريع، فإن أجابوا وإلا فقل لهم أنت يا رسول الله:

* ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾: وليس غيره يستطيع فعل ذلك.
* ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ أى: فكيف تنقلبون وتنصرفون عن الحقّ إلى الباطل؟.
* ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ﴾: أى: هل من شركائكم من يرشد إلى الحق وهو الإسلام؟ فإذا قالوا: «لا» ولابدّ لهم من ذلك.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٩٦).

* ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ أى: قل لهم أنت يا رسول الله ذلك.

ثم قل لهم موبّخًا ومقرّرًا: * ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾: أى: يرشد إلى الحق وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

* ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: أى: الله وحده هو الذى يهدى إلى الحق، إذًا فهو الأحقّ بالاتباع.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَمَّن لاَّ يَهِدِّي﴾ [رقم: ٣٥].

القراء فيها على سبع مراتب:

الأولى: لحمزة، والكسائى، وخلف البزار: ﴿يَهْدِى﴾ بفتح الياء، وإسكان الهاء، وتخفيف الدال.

والثانية: لشعبة: ﴿يِهِدِّى﴾ بكسر الياء والهاء، وتشديد الدال.

والثالثة: لحفص، ويعقوب: ﴿يَهِدِّى﴾ بفتح الياء، وكسر الهاء، وتشديد الدال.

والرابعة: لابن وردان: ﴿يَهْدِّى﴾ بفتح الياء، وإسكان الهاء، وتشديد الدال.

والخامسة: لورش، وابن كثير، وابن عامر: ﴿يَهَدِّى﴾ بفتح الياء والهاء، وتشديد الدال.

والسادسة: لقالون، وابن جماز: ﴿يَهدِّى﴾ بفتح الياء، وتشديد الدال، ولهما فى الهاء: الإسكان، واختلاس فتحتها.

والسابعة: لأبى عمرو: ﴿يَهدِّ﴾ بفتح الياء، وتشديد الدال، وله فى الهاء: الفتح والاختلاس.

وجه كسر الهاء التخلّص من الساكنين، لأن أصلها «يهتدى» فلما سكنت التاء لأجل الإدغام، والهاء قبلها ساكنة كسرت الهاء للتخلص من الساكنين. ومن فتح الهاء نقل فتحة التاء إليها. ومن كسر الياء أتبع حركة الياء للهاء[1].

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٣١، ٢٣٢).

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا﴾: أى: ما يتبعون إلا حَدْسًا وتخريصًا فى أنها آلهة، وأنها تشفع لهم، ولا حجة معهم فى ذلك.

ولعلّ المراد بالأكثر الرؤساء منهم، وأمّا أتباعهم فيتبعونهم تقليدًا.

* ﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾: أى: لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئًا.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: من الكفر والتكذيب، وخرجت مخرج التهديد.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن أبى زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: وما ينبغى لهذا القرآن أن يفترى من دون الله، كقوله ـ تعالي ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢][(١)].

* ﴿وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أى: ولكن هو تصديق الذى بين يديه: من التوراة والإنجيل، وغيرهما من الكتب السماوية.

* ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أى: ما بين فى القرآن من الأحكام لا شك فى نزوله من قبل الله ـ تعالى ـ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: «أم» هنا يجوز أن تكون فى موضع همزة الاستفهام.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٥٤)، وتفسير القرطبى (٨/ ٢١٩).

ويجوز أن تكون منقطعة بمعنى «بَلْ» كقوله ـ تعالى ـ: ﴿الٓمٓ ① تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ② أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [السجدة: ١ ـ ٣]، أى: بل يقولون افتراه.

وحينئذ يكون المعنى: الكفار يقولون إن «محمداً» ﷺ اختلق القرآن من عند نفسه، وهو استفهام معناه التقريع.

* ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾:

✳ **المعنى:** أفادت الآية التى قبل هذه أن القرآن من عند الله، وأنه مصدق لجميع الكتب التى تقدمت عليه.

وأفادت هذه الآية تحدّى الكفار والمكذبين بأن القرآن من عند الله بأن يأتوا بسورة مثل القرآن، وأن يستعينوا فى ذلك بجميع الآلهة التى يعبدونها من دون الله، ولكنهم ـ ولله الحمد ـ عجزوا عن ذلك.

ويشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ㉓ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ㉔﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ㊴﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾: أى: كذبوا بالقرآن وهم جاهلون بمعانيه وتفسيره.

* ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أى: ولم يأتهم حقيقة عاقبة التكذيب من نزول العذاب بهم.

* وقال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): كذّبوا بما فى القرآن من ذكر البعث والجنة والنار، ولم يأتهم حقيقة ما وعدوا فى الكتاب.. اهـ(١).

* ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أى: كما كذّب هؤلاء الكفار بالقرآن، كذلك كذّب الذين من قبلهم من كفار الأمم الماضية.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٤٠).

* ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾: أي: آخر أمر الكفار والمشركين: الهلاك والعذاب، ثم يوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (٤٠)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي: من الكفار من يؤمن بالقرآن.

* ﴿وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي: ومنهم من يُصرّ على كفره حتى يموت، مثل: أبى طالب، وأبى لهب، ونحوهما.

* ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾: الذين لا يؤمنون، ويصرون على الكفر حتى الموت، وهذا تهديد لهم.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٤١)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ أي: ثواب عملى فى التبليغ، والإنذار، والطاعة لله ـ تعالى ـ.

* ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: جزاؤه من الكفر والشرك، وعدم الإيمان بالله ـ تعالى ـ.

* ﴿أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أي: لا يؤاخذ أحد بذنب الآخر.

ويشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢) وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (٤٣)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾:

أى: بأسماعهم الظاهرة فقط، ولكن قلوبهم لا تعى شيئًا، مما تقوله لهم يا رسول الله، وما تتلوه من القرآن.

* ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ ﴾:

المراد: صمم القلب، أى لا تسمعهم، وهذا الاستفهام معناه النفى، أى لا تقدر على هداية من أصمّه الله عن سماع الهدى.

* ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴾: أى: بأبصارهم الظاهرة فقط.

* ﴿ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ ﴾: المراد: عمى القلوب.

وصدق الله إذ قال: ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) ﴾ [الحج: ٤٦].

* ﴿ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ ﴾: أخبر الله ـ عز وجلّ ـ أن أحدًا لا يؤمن إلا بتوفيقه وهدايته، وصدق الله إذ قال: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ﴾: لأنه ـ عزّ وجلّ ـ فى جميع أفعاله متفضل على عباده، وعادل فى حكمه.

وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) ﴾ [النساء: ٤٠].

وإذ قال: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة: ٦ ـ ٨].

* ﴿ وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾: بالكفر والمعصية ومخالفة أوامر الله ـ تعالى ـ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلَكِنَّ النَّاسَ ﴾ [رقم: ٤٤].

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ ولكن ﴾ بتخفيف النون وإسكانها، ثم كسرها تخلصًا من الساكنين، على أن «ولكن» مخففة من الثقيلة. وهي مهملة لا عمل لها، و﴿ الناسُ ﴾ بالرفع مبتدأ، وجملة يظلمون خبر.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ولكنّ ﴾ بتشديد النون، و﴿ الناسَ ﴾ بالنصب اسم «لكنّ» و«يظلمون» خبرها[1].

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥) ﴾

معاني المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾ قال: كأنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار.. اهـ[2].

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) في الآية قال: كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار.. اهـ[3].

* ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: يعرف بعضهم بعضًا حين بعثوا من القبور كمعرفتهم في الدنيا، ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال القيامة.

* وعن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) قال: يعرف الرجل صاحبه إلى جنبه فلا يستطيع أن يكلمه.. اهـ[4].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ ﴾ [رقم: ٤٥].

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٣٢).

(٢، ٣) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٣٥٥).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٥٢).

قرأ حفص: ﴿ يحشرهم ﴾ بالياء، والفاعل ضمير يعود على الله ـ تعالى ـ فى قوله: ﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئا ﴾ [رقم: ٤٤].

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ نحشرهم ﴾ بنون العظمة[١].

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (٤٦) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٤٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ.

* وعن مجاهد بن جبر المكى المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى معنى ذلك قال: أى: سوء العذاب فى حياتك.. اهـ.

* ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ أى: قبل تعذيبهم.

* ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ أى: فى الآخرة.

* ﴿ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾: فيجزيهم على أفعالهم.

وصدق الله إذْ قال: ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

* ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ﴾: فيشهد عليهم يوم القيامة.

* ﴿ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ ﴾ أى: يوم القيامة.

* ﴿ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾ أى: بالعدل. * ﴿ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢) ﴾ [النساء: ٤٠ ـ ٤٢].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٩٨).

﴿ ويَقُولُونَ متىٰ هذا الْوعْدُ إن كُنتُمْ صادقين (٤٨) قُل لاَّ أَمْلكُ لنفْسي ضرًا ولا نفْعًا إلاَّ ما شاءَ اللَّهُ لكُلِّ أُمَّةٍ أَجلٌ إذا جاءَ أجلُهُمْ فلا يسْتأْخرُون ساعةً ولا يسْتقْدمُون (٤٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ويَقُولُونَ متَىٰ هَذَا الْوعْدُ إن كُنتُمْ صادقين ﴾: ظاهر السياق يفيد أن هذا عام فى كل أمة كذبت رسولها: أى: متى العقاب، أو متى القيامة التى يعدنا بها هؤلاء الرسل. وقيل: هو خاصٌ بكفار مكة، وذلك لفرط كفرهم واستعجالهم العذاب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ ويَسْتَعْجِلُونَكَ بالْعذاب ولوْلا أجلٌ مُسمًّى لَّجاءهُمُ الْعذابُ وليأْتينَّهُم بغْتةً وهُمْ لا يشْعُرُونَ (٥٣) ﴾ [العنكبوت: ٥٣].

* ﴿ قُل لاَّ أمْلكُ لنفْسي ضرًا ولا نفْعًا إلاَّ ما شاءَ اللَّهُ ﴾: لما استعجل الكفار النبىَّ ﷺ أن ينزل بهم العذاب الذى يخوفهم به، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ له: قل لهم يا «محمد»: ﴿ لاَّ أمْلكُ لنفْسي ضرًا ولا نفْعًا إلاَّ ما شاءَ اللَّهُ ﴾، أى: ليس ذلك لى ولا لغيرى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ ويَسْتَعْجِلُونَكَ بالْعذاب ولَن يُخْلفَ اللَّهُ وعْدَهُ ﴾ [الحج: ٤٧].

* ﴿ لكُلِّ أُمَّةٍ أجلٌ ﴾ أى: لهلاكهم وعذابهم وقت معلوم فى علمه ـ تعالى ـ ولن يخلف الله وعده، قال الله ـ تعالى ـ على لسان النبى ﷺ: ﴿ ما عندي ما تسْتعْجلُون به إن الْحُكْمُ إلاَّ للَّه يقُصُّ الْحقَّ وهُو خيْرُ الْفاصلين (٥٧) قُل لَّوْ أنَّ عندي ما تسْتعْجلُون به لقُضي الأمْرُ بيْني وبيْنكُمْ ﴾ [الأنعام: ٥٧، ٥٨].

* ﴿ إذا جاءَ أجلُهُمْ فلا يسْتأْخرُون ساعةً ولا يسْتقْدمُون ﴾.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ ولَن يُؤخّر اللَّهُ نفْسًا إذا جاءَ أجلُها ﴾ [المنافقون: ١١].

﴿ قُلْ أرأيْتُمْ إنْ أتاكُمْ عذابُهُ بياتًا أوْ نهارًا مَّاذا يسْتعْجلُ منْهُ الْمُجْرمُون (٥٠) أثُمَّ إذا ما وقع آمنتُم به آلآن وقدْ كُنتُم به تسْتعْجلُون (٥١) ثُمَّ قيل للَّذين ظلمُوا ذُوقُوا عذاب الْخُلْد هلْ تُجْزوْن إلاَّ بما كُنتُمْ تكْسبُون (٥٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ أرأيْتُمْ إنْ أتاكُمْ عذابُهُ بياتًا أوْ نهارًا ﴾: «بياتًا أو نهارًا» ظرفان، أى: إن أتاكم العذاب فى الليل أو النهار فما نفعكم به، كما أنه لا ينفعكم حينئذ الإيمان.

* ﴿ مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾: هذا استفهام معناه التهويل والتعظيم، أى: ما أعظم ما يستعجلون به، كما يقال لمن يطلب شيئًا عاقبته وخيمة: ماذا تجنى على نفسك، أى: لا تطلب إلا شيئًا عاقبته سيئة.

* ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ﴾ أى: إذا نزل بكم العذاب صدقتم به.

* ﴿ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾: هذا معناه التقريع والتوبيخ، أى: هذا العذاب الذى نزل بكم هو الذى كنتم تستعجلون نزوله.

* ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾ أى: تقول لهم خزنة جهنم ذوقوا العذاب الذى لا ينقطع أبدًا، ولا نهاية له.

* ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ أى: هذا العذاب جزاء كفركم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧].

﴿ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٥٣) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٥٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَسْتَنبِئُونَكَ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ، أى: ويستخبرونك يا رسول الله:

* ﴿ أَحَقٌّ هُوَ ﴾ أى: ما تعدنا من العذاب وقيام الساعة.

* ﴿ قُلْ إِي ﴾: «إى»: كلمة تحقيق وإيجاب وتأكيد بمعنى نعم.

* ﴿ وَرَبِّي ﴾: قسم. * ﴿ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ جواب القسم، أى كائن لا شك فيه.

* ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ أى: فائتين من عذاب الله ومجازاته.

* ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ﴾ أى: أشركت وكفرت بالله ـ تعالى ـ.

* ﴿ مَا فِي الأَرْضِ ﴾ أى: ملكًا.

* ﴿ لافْتَدَتْ بِهِ ﴾ أي: من عذاب الله يوم القيامة، والافتداء: هو بذل ما ينجو به من العذاب. و«لو» حرف امتناع لامتناع، حتى ولو أنها ملكت ما في الأرض فلا يُقبل منها كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ﴾ [آل عمران: ٩١].

* ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ﴾: قال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): معناه: أظهروا الندامة لأنه ليس ذلك اليوم يوم تصبّر وتصنّع.. اهـ[1].

وعلى قول أبي عبيدة تكون كلمة «وأسروا» من الأضداد. والندامة: الحسرة لوقوع شيء تكرهه النفس، أو فَوْت شيء محبوب.

* ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم ﴾ أي: بين الرؤساء والتابعين لهم.

* ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل.

* ﴿ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

﴿ أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٥٥) هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ أَلا ﴾: كلمة تنبيه للسامع ترد في أوّل الكلام، أي: انتبهوا لما يُقال لكم.

* ﴿ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي: له ملك السموات والأرض.

* ﴿ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ أي: واقع لا محالة.

* ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾: ذلك.

* ﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾: يوم القيامة بالبعث للحساب، والجزاء، والعقاب.

---

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٣٥٧).

وصدق الله إذْ قال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾:

أى: وعظ، وهو القرآن لأنه مشتمل على المواعظ والحكم.

* ﴿ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ أى: من الشك والنفاق، والشقاق.

* أخرج أبو الشيخ عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل القرآن شفاء لما فى الصدور، ولم يجعله شفاء لأمراضكم.. اهـ[١].

* وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: فى القرآن شفاءان: القرآن، والعسل: فالقرآن شفاء لما فى الصدور، والعسل شفاء من كل داء.. اهـ[٢].

* ﴿ وَهُدًى ﴾: من الضلالة. * ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾: والرحمة: هى النعمة على المحتاج، وخصّ المؤمنينَ بالذكر لأنهم هم المنتفعون بالقرآن دون غيرهم.

• قضية مهمة جدًا ومضمونها ما يلى:

هذه الآية الكريمة فسَّرت وخصّصت الآية التالية وهى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا (٨٢) ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وهذا هو تفسير القرآن بالقرآن، لأن الخاصّ يفسّر العامّ ويخصّصه. وكلام كل من:

١ ـ أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ ٢ ـ والحسن البصرى ـ رحمه الله ـ فى تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [رقم: ٥٧].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥٣).

واضح كل الوضوح فى أنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل القرآن شفاء لما فى الصدور، ولم يجعله شفاء للأمراض الجسمانية. كما يفعله الدجّالون، والمشعوذون، الذين اتخذوا القرآن تمائم، وعزائم، وأبخرة... إلخ. ليشتروا بذلك عرض الحياة الدنيا باسم القرآن والدين.

وللأسف الشديد يوجد بعض المحرّفين لكتاب الله من الذين يدّعون العلم، يشجعون هؤلاء الدجّالين.

فيا أيها المسلمون ثوبوا إلى رشدكم، ودعوا هذا الدَّجَل ـ رحمكم الله ـ ولا تكونوا ممّن قال الله فيهم:

* ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦)﴾ [البقرة: ٨٦].

ولا ممّن قال فيهم: ﴿وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤١، ٤٢].

أسأل الله لكم جميعًا الهداية والتوفيق إنه سميع مجيب. وما توفيقى إلا بالله، اللهم قد بلّغت اللهم فاشهد.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ قال: «فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلهم من أهله» اهـ[١].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ قال: فضله الإسلام، ورحمته القرآن[٢].

* وفى رواية عن ابن عباس قال: فضل الله: العلم، ورحمته: نبينا «محمد» ﷺ، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء: ١٠٧][٣].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥٤).

* وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من هداه الله للإسلام، وعلّمه القرآن، ثم شكا الفاقة، كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم القيامة، ثم تلا النبيّ ﷺ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: من عرض الدنيا بالأموال» اهـ(١).

* وعن محمد بن كعب بن مسلم (ت ١١٧ ـ أو ١٢٠هـ) فى الآية قال: إذا عملتَ خيراً فحمدت الله عليه فافرح فهو خير مما يجمعون من الدنيا.. اهـ(٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [رقم: ٥٨].

قرأ رويس: ﴿فلتفرحوا﴾ بتاءالخطاب، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [رقم: ٥٧].

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿فليفرحوا﴾ بياء الغيبة، لمناسبة الغيبة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [رقم: ٥٧](٣).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾

معانى المفردات:

* ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم﴾: هذا الخطاب لكفار مكة.

* ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هم أهل الشرك كانوا يحلّون من الحرث والأنعام ما شاءوا، ويحرمون ما شاءوا.. اهـ(٤).

* وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): هو ما حكموا به من تحريم البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.. اهـ(٥).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥٥).
(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٣٣).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥٥).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٢٧).

* ﴿ قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ أى: فى التحليل والتحريم.

* ﴿ أَمْ ﴾: بمعنى «بل». * ﴿ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾: فى قولهم إن الله أمرنا بهذا.

﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ (٦٠) وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾: «ما» نافية، و«يومَ» منصوب على الظرفية، أو بظنّ.

✻ **والمعنى:** أيحسبون أنّ الله لا يؤاخذهم به ولا يعاقبهم عليه يوم القيامة، بَلْ لا بدّ من حسابهم، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار.

* ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ أى: فى تأخير العذاب عنهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [فاطر: ٤٥].

* ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ ﴾ أى: لا يشكرون الله على نعمه التى لا تحصى ومنها تأخير العذاب عنهم.

* ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾: «ما» نافية، أى: لستَ فى شأن. والشأن: الخَطْبُ والأمر، وجمعه شئون.

أى: لست فى أمر من عبادة أو غيرها إلا والله ـ سبحانه وتعالى ـ مطلع عليك وعالم بك، لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين.

* ﴿ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾: ومعنى «تفيضون»: أى: تأخذون وتندفعون فيه.

يقال: أفاض فلان فى الحديث والعمل: إذا اندفع فيه.

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ قالا: أى ما يغيب عن الله ـ تعالى ـ شىء من ذلك[1].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ قال: هو الكتاب الذى عند الله ـ تعالى ـ.. اهـ[2].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩)﴾ [الأنعام: ٥٩].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿يَعْزُبُ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ [يونس: ٦١].

ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣].

قرأ الكسائى: ﴿يعزب﴾ فى الموضعين بكسر الزاى.

والباقون من القراء العشرة: بضمها، وهما لهجتان فى المضارع[3].

* ﴿وَلا أَصْغَرَ، وَلا أَكْبَرَ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

قرأ حمزة، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ولا أصغرُ، ولا أكبرُ﴾ برفع الراء فيهما، عطفًا على محلّ «مثقال» لأن «مثقال» مرفوع محلا، لأنه فاعل «يعزب».

وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح الراء فيهما، عطفًا على لفظ «مثقال» أو «ذرّه» فهما مجروران بالفتحة نيابة عن الكسرة لمنعهما من الصرف[4].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥٦).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٣٥).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٣٦).

●● تنبيه: اتفق القراء العشرة على رفع الراء من ﴿وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٣)﴾ بسورة [سبأ: ٣] وذلك لرفع «مثقال» وهما معطوفان عليه.

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فى الآخرة.

* ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: لأن من تولاه الله ـ تعالى ـ، ورضى عنه فلا يخاف يوم القيامة ولا يحزن، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣].

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قيل: يا رسول الله مَنْ أولياء الله؟ قال: «الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله» اهـ[1].

* وعن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ من عباد الله ناسًا يغبطهم الأنبياء والشهداء» قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «قوم تحابّوا فى الله من غير أموال ولا أنساب، لا يفزعون إذا فزع الناس، ولا يحزنون إذا حزنوا، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾»[2].

* وعن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ من عباد الله عبادًا يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله». قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «قوم تحابّوا فى الله من غير أموال ولا أنساب، وجوههم نور على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس» ثم قرأ ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.. اهـ[3].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥٦).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥٧).

* وعن أبى الدرداء (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ـ تعالى ـ: حقّت محبتى للمتحابّين فىّ، وحقّت محبتى للمتزاورين فىّ، وحقّت محبتى للمتجالسن فىّ، الذين يعمرون مساجدى بذكرى، ويعلّمون الناس الخير، ويدعونهم إلى طاعتى، أولئك أوليائى الذين أظلهم فى ظلّ عرشى، وأسكنهم بجوارى، وآمنهم من عذابى، وأُدخلهم الجنة قبل الناس بخمسمائة عام، يتنعمون فيها، وهم فيها خالدون، ثم قرأ نبىّ الله ﷺ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾» اهـ[١].

* وعن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) وجابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قالا: سُئل النبىّ ﷺ عن قول الله ـ تعالى ـ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: فقال: «هم الذين يتحابون فى الله» اهـ[٢].

* ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: يجوز أن يكون ذلك فى موضع نصب، على البدل من اسم «إنّ» وهو: أولياءَ الله.

ويجوز أن يكون ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مبتدأ، وخبره قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾.

ومعنى ﴿يَتَّقُونَ﴾ أى: يتقون الشرك بالله وسائر المعاصى.

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) وأبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) وجابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قالوا: قال رسول الله ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ قال: «هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرَى له» اهـ[٣].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥٨).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥٩، ٥٦٠).

* وعن عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) عن رسول الله ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قال: « الرؤيا الصالحة يُبَشَّر بها المؤمن، وهى جزء من ستّة وأربعين جزءًا من النبوّة، فمن رأى ذلك فليخبر بها وادّا، ومن رأى سوى ذلك فإنما هو من الشيطان ليحزنه، فلينفث عن يساره ثلاثًا وليسكت، ولا يخبر بها أحدًا» اهـ[1].

* ﴿ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ أى: لا خُلْف لوعده، ولا تبديل لأخباره، لأنه لا ينسخها شىء، ولا تكون إلا كما قال ـ تعالى ـ.

* ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ أى: ما يصير إليه أولياؤه وأحباؤه.

﴿ وَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾: تمّ الكلام، وهو من الوقوف اللازمة.

وهذا تسلية من الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ. أى: لا يحزنك افتراؤهم وتكذيبهم لك يا رسول الله.

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ حكاية عنهم: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٥) ﴾ [الفرقان: ٤ ـ ٥].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (٤٣) ﴾ [سبأ: ٤٣].

* ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ أى: القوّة الكاملة، والغلبة الشاملة، والقدرة التامّة لله وحده، فهو ناصرك يا رسول الله، ومعينك، وحافظك منهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٥٩).

* ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أى: السميع لأقوالهم، العليم بأفعالهم. كما أنه ـ عزّ وجلّ ـ سميع لكل صوت، وعليم بكل شىء.

و«سميع وعليم» من صيغ المبالغة.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [رقم: ٦٥].

قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاى، مضارع «أحزن».

وقرأ الباقون بفتح الياء، وضم الزاى، مضارع «حزن»(١).

﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (٦٦) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧)﴾

معانى المفردات:

* ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ﴾: أى: يحكم فيهم بما يريد، ويفعل فيهم ما يشاء ـ سبحانه ـ.

* ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾: «ما» يجوز أن تكون نافية، وحينئذ يكون المعنى: أى لا يتبعون من دون الله إلا شركاء لا يسمعون ولا يبصرون.

قال ـ تعالى ـ حكاية عن نبيّه إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢)﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٢].

* ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ أى: يظنون أنها تقربهم إلى الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٠٤).

* ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ أي: يكذبون.

* ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ أي: مضيئًا.

* ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ أي: سماع قبول واعتبار.

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾: القائل هم الكفار والمشركون.

* ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾: نزّه الله نفسه عن الصاحبة والأولاد، وعن الشركاء والأنداد، قال ـ تعالى ـ: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا (٣) ﴾ [الجن: ٣].

* ﴿ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ مبتدأ وخبر، أي: هو الغنىّ غناء مطلقًا، ومن الأدلّة على ذلك قوله ـ تعالى ـ:

* ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾: أي: مُلكًا وخلقا وعبيدًا، قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) ﴾ [مريم: ٩٣ ـ ٩٥].

* ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا ﴾: «إنْ» حرف نفى بمعنى «ما» أى: ما عندكم من حجة على دعواكم الباطلة.

* ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ أى: أنتم أيها الكفار تقولون على الله ما لا تعلمون من إثبات الولد له، والولد يقتضى المجانسة والمشابهة، والله لا يجانسه ولا يشابهه شىء، لأنه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير.

* ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ ﴾ أى: يختلقون.

* ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾ أي: لا يفوزون، ولا يأمنون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨].

* ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: لهم متاع فى الدنيا.

* ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ أي: رجوعهم بعد الموت فى الدار الآخرة.

* ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ أي: الغليظ.

* ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠].

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾: أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه «محمدًا» ﷺ أن يذكر للكفار والمشركين أخبار الأنبياء السابقين مع أممهم، ويخوفهم العذاب الأليم الذى نزل على الأمم السابقة بسبب كفرهم. أى: اقرأ عليهم يا «محمد» خبر نبىّ الله نوح ـ عليه السلام ـ مع قومه.

والقرآن الكريم اشتمل على سورة تُسمّى سورة نوح.

كما أن أخبار نبىّ الله نوح مع قومه جاء فى عدد من سور القرآن الكريم. منها ما جاء فى هذه السورة أى سورة يونس ـ عليه السلام ـ.

* ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾: «إذْ» فى موضع نصب بفعل محذوف، أى: اذكر... إلخ.

* ﴿ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي ﴾ أى: عظم وثقل عليكم مقامى، أى: طول عمرى ومكثى فيكم، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت: ١٤].

* ﴿ وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ أى: وتخويفى إياكم بآيات الله.

* ﴿ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ أى: عليه اعتمدت وسلمت أمرى إليه، وهذا جواب الشرط المتقدم وهو «إِنْ».

* عن الأعرج عبد الرحمن بن هرمز (ت ١١٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ قال: فأحكموا أمركم، وادعوا شركاءكم(١).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ قال: لا يكبر عليكم أمركم، ثم اقضوا ما أنتم قاضون.. اهـ(٢).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ قال: انهضوا إلىّ ولا تؤخرون.. اهـ(٣).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ ﴾ [رقم: ٧١].

قرأ رويس بخُلْف عنه: ﴿ فاجمَعوا ﴾ بهمزة وصل، وفتح الميم، على أنه فعل أمر من «جمع» الثلاثى ضدّ فرق.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ فأجمِعوا ﴾ بهمزة قطع مفتوحة، وكسر الميم، وهو الوجه الثانى لرويس على أنه فعل أمر من «أجمع» الرباعى، يقال: أجمع فى المعانى، نحو: أجمعت أمرى، وجمع فى الأعيان مثل: جمعت القوم، وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر(٤).

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٦٣).
(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٦٤).
(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٣٧).

* ﴿ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ [رقم: ٧١].

قرأ يعقوب: ﴿ وشركاؤكم ﴾ برفع الهمزة، عطفًا على الضمير المرفوع المتصل فى «فأجمعوا».

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ وشركاءكم ﴾ بالنصب، عطف نسق على «أمركم»[١].

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ﴾ أى: فإن أعرضتم عما جئتكم به، فليس ذلك لأنى سألتكم أجرًا فتثقل عليكم مكافأتى.

* ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﴾ فى تبليغ رسالته. * ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾: الضمير عائد على نبىّ الله نوح ـ عليه السلام ـ، أى: كذّبه قومه.

* ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ ﴾: من المؤمنين. * ﴿ فِي الْفُلْكِ ﴾ أى: السفينة.

* ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ ﴾ أى: سكان الأرض، وخلفًا ممّن غرق.

* ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾ أى: أخر أمر الذين أنذرهم الرسل فلم يؤمنوا، قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

* ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أى: من بعد نوح ـ عليه السلام ـ.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٣٨).

* ﴿ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾: مثل هود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وغيرهم، عليهم جميعًا وعلى نبينا الصلاة والسلام.

* ﴿ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أى: المعجزات.

* ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ ﴾ أى: بما كذّب به قوم نوح من قبل.

* ﴿ كَذَلِكَ نَطْبَعُ ﴾ أى: نختم. * ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾: أى: المتجاوزين الحدّ فى الكفر والتكذيب، فلن يؤمنوا.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم ﴾ أى: من بعد الرسل والأمم المتقدم ذكرهم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾ [رقم: ٧٤].

* ﴿ مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا ﴾: المراد الآيات التسع المشار إليها بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [الإسراء: ١٠١].

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): الآيات التسع هى: ١ ـ العصا. ٢ ـ واليد. ٣ ـ واللسان. ٤ ـ والبحر. ٥ ـ والطوفان. ٦ ـ والجراد. ٧ ـ والقمّل. ٨ ـ والضفادع. ٩ ـ والدّم.. اهـ[1].

* ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾: عن اتباع الحقّ. * ﴿ وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ أى: كافرين.

* ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا ﴾: فاعل «جاء» نبى الله موسى ـ عليه السلام ـ والهاء والميم فى «جاءهم» تعودان على فرعون وملأه.

* ﴿ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أى: قالوا عن المعجزات سحر.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢١٧).

* ﴿ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ أي: لا يفلح من أتى بالسحر.

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِتَلْفِتَنَا ﴾ قال: لتلوينا.. اهـ.

* وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): معنى ﴿ لِتَلْفِتَنَا ﴾: لتصدنا عن آلهتنا.. اهـ.

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾ قال: العظمة والملك والسلطان.

* ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أى: بمصدّقين.

* ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ أى: قال فرعون ذلك لما رأى العصا، واليد البيضاء، واعتقد أنهما سحر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ ﴾ [الشعراء: ٣٢ ـ ٣٥].

* ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾: أى: اطرحوا ما معكم من حبالكم وعصيكم على الأرض.

وفى سورة طه قال ـ تعالى ـ: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) ﴾ [طه: ٦٥ ـ ٦٦].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ ﴾ [رقم: ٧٨].

قرأ شبعة بخُلْف عنه: ﴿ ويكون ﴾ بياء التذكير، لأن اسم «يكون» جمع تكسير، وتأنيثه غير حقيقى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ وتكون ﴾ بتاء التأنيث، وهو الوجه الثانى لشعبة وذلك لتأنيث اسم «وتكون»(١).

* ﴿ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ [رقم: ٧٩].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ سحّار ﴾ بلا ألف بعد السين وفتح الحاء وتشديدها وألف بعدها، على وزن «فعّال» للمبالغة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ساحر ﴾ بألف بعد السين، وكسر الحاء مخففّة على وزن «فاعل»(٢).

﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ﴾ الآية:

المعنى: فلما ألقى السحرة عصيّهم وحبالهم، قال لهم نبيّ الله موسى ـ عليه السلام ـ على سبيل التوبيخ، والتصغير لما جاءوا به: ﴿ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ أى السحرة.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ﴾ [رقم: ٨١].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٣٨).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٠٦).

قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر بزيادة همزة استفهام قبل همزة الوصل، وحينئذ تكون مثل «ءالذكرين» فيكون لكل منهما وجهان:

الأول: إبدال همزة الوصل ألفًا مع المدّ المشبع للساكنين.

والثانى: تسهيلها بَيْن بَيْن.

وتوجيه هذه القراءة: أنّ «مَا» استفهاميّة مبتدأ، و «جئتم به» خبر المبتدأ.

وقرأ الباقون من القراءالعشرة بحذف همزة الاستفهام وإبقاء همزة الوصل فتثبت فى حالة الابتداء وتسقط حالة الوصل، وحينئذ يتعين حذف ياء الصلة فى «به» نظرًا لاجتماع الساكنين(١).

﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢) فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾: أى: يوضحه ويبينه بحججه وبراهينه.

* ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ أى: من كفر من آل فرعون، ويجوز أن يكون عامًا فيشمل جميع المجرمين.

* ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كانت الذرّية التى آمنت بموسى من أناس بنى إسرائيل من قوم فرعون، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه.. اهـ(٢).

* وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): كانت الذرّية أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم.. اهـ(٣).

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٠٦).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٦٥).

* ﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ ﴾: لأنه كان مسلطًا عليهم عاتيًا.

* ﴿ وَمَلَئِهِمْ ﴾ قال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ): إن فرعون لما ذُكِر عُلِم أن معه غيره، فعاد الضمير عليه وعليهم.. اهـ(١).

* ﴿ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾: فاعل «يفتنهم» ضمير يعود على فرعون، أى: يصرفهم عن دينهم بالتعذيب والعقوبات.

* ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ ﴾ أى: عات متكبر.

* ﴿ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أى: المجاوزين الحدّ فى الكفر.

ومن الأدلّة على أنه ادّعى الربوبية قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ (٢٤) ﴾ [النازعات: ٢٣ ـ ٢٤].

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ ﴾ أى: صدقتم بأنه هو الله الواحد القهار، الذى ليس كمثله شىء، وهو السميع البصير.

* ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ أى: اعتمدوا عليه وثقوا أنه سينصركم وينجيكم من فرعون وقومه، ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ أى: لا تعذبنا بأيدى فرعون وقومه. فيقولون: لو كانوا على الحق ما عُذِّبوا، ولا سلطنا عليهم فيُفتنون بنا.

﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٨٦) ﴾

المعنى: أى: خلّصنا من فرعون وقومه، لأنهم كانوا يستعملونهم فى الأعمال الشاقّة.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٣٦).

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ قال: كانوا لا يُصلّون إلا في البِيَع، حتى خافوا من آل فرعون، فأمروا أن يصلّوا في بيوتهم.. اهـ[1].

* وعن قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ الآية: قال: ذلك حين منعهم فرعون الصلاة، وأمروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم، وأن يوجهوها نحو القبلة.. اهـ[2].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ ﴾ أي: دمّر أموالهم وأهلكها.

* وعنه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ قال: اطبع عليها.

* وعنه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ قال: هو الغرق.. اهـ[3].

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ ﴾ قال: صارت دنانيرهم، ودراهمهم، ونحاسهم حجارة منقوشة.. اهـ[4].

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ قال: فاستجاب له ربّه وحال بين فرعون وبين الإيمان.. اهـ[5].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٦٦).

(٤، ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٦٧).

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: كان موسى ـ عليه السلام ـ يدعو، ويؤمّن هارون ـ عليه السلام ـ، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾.. اهـ[١].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: يزعمون أنّ فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة.. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاسْتَقِيمَا ﴾، قال: فامضيا لأمرى، وهى الاستقامة.. اهـ[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَلا تَتَّبِعَانِّ ﴾ [رقم: ٨٩].

قرأ ابن ذكوان، وهشام بخُلف عنه: ﴿ ولا تتبعانِ ﴾ بتخفيف النون.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بتشديد النون المكسورة، وهو الوجه الثانى لهشام[٤].

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) ﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «لمّا أغرق الله فرعون ﴿ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ قال لى «جبريل»: يا «محمد» لو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر فأدسّه فى فيه مخافة أن تدركه الرحمة» اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٦٧).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٦٨).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٣٩).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٦٨).

* وعن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال لى «جبريل»: ما أبغضتُ شيئًا من خلق الله ما أبغضتُ إبليس يوم أُمِر بالسجود ـ أى لآدم ـ فأَبَى أن يسجد، وما أبغضت شيئًا أشدّ بغضًا من فرعون، فلمّا كان يوم الغرق خفْت أن يعتصم بكلمة الإخلاص فينجو، فأخذتُ قبضة من حمأة فضربت بها فى فيه، فوجدت الله عليه أشدَّ بغضًا منّى، فأمر «ميكائيل» فأنبه وقال: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾» اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [رقم: ٩٠].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿إنّه﴾ بكسر الهمزة لأنها بعد القول.

وقرأ الباقون بفتحها، على تقدير حذف حرف الجرّ أى: بأنّه[٢].

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢)﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ قال: أنجى الله فرعون لبنى إسرائيل من البحر فنظروا إليه بعدما غرق.. اهـ[٣].

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ الآية. قال: لمّا أغرق الله فرعونَ لم تصدّق طائفة من الناس بذلك، فأخرجه الله ليكون عظة وآية.. اهـ[٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [رقم: ٩٢].

قرأ يعقوب: ﴿ننجيك﴾ بإسكان النون الثانية وتخفيف الجيم، مضارع «أنجى».

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٦٩).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٤٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٦٩).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧٠).

وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح النون الثانية وتشديد الجيم، مضارع «نجّى» مضعف العين[١].

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣) فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٥) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ قال: بوّأهم الله الشام وبيت المقدس.. اهـ[٢].

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ قال: منازل صدق: مصر والشام.. اهـ[٣].

* ﴿ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ أى: من الثمار وغيرها.

* ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا ﴾ أى: فى نبوّة سيدنا «محمد» ﷺ.

* ﴿ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾: قال ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ): المراد: القرآن ونبينا «محمد» ﷺ، والعلم بمعنى المعلوم، لأنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه.. اهـ[٤].

ويشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) ﴾ [البقرة: ١٤٦].

* ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ ﴾ أى: يحكم ويفصل بينهم.

* ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ أى: فى الدنيا، فيثيب الطائع، ويعاقب العاصى.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٠٩).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧٠).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٤٤).

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ قال: ذُكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل» اهـ[١].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾: قال: التوراة والإنجيل الذين أدركوا نبينا «محمدًا» ﷺ من أهل الكتاب فآمنوا به، يقول: سلهم إن كنت فى شكّ بأنك مكتوب عندهم.. اهـ[٢].

ويشهد لصحة هذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

قال عبد الله بن سَلام ـ رضى الله عنه ـ: لقد عرفتُه حين رأيتُه كما أعرف ابنى، ومعرفتى «لمحمد» أشد. فقال له عمر ـ رضى الله عنه ـ: كيف ذلك؟ قال: إنه رسول الله حقّ من الله، وقد نعته الله فى كتابنا ولا أدرى ما تصنع النساء، فقال له عمر: وفّقك الله يا ابن سَلام.. اهـ[٣].

* وقال القرطبى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر (ت ٦٧١هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: قال: الخطاب للنبىّ ﷺ والمراد غيره، أى: لستَ فى شكّ ولكن غيرك شك.. اهـ[٤].

والشكّ فى اللغة: أصله الضّيق، فالشكّ يقبض الصدر ويضمّه حتى يضيق.

* ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: أى: الشاكين المرتابين.

* وعن القرطبى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ قال: الخطاب فى هاتين الآيتين للنبىّ ﷺ والمراد غيره.. اهـ[٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)﴾

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧١).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (١/ ٢٧١).

(٤، ٥) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٤٤).

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: أى: الذين حقّ عليهم غضب الله وسخطه بمعصيته لا يؤمنون(١).

* ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ أى: ولو جاءتهم الآيات.

* ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾: فحينئذ يؤمنون، ولكن لا ينفعهم إيمانهم.

ويشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)﴾ [غافر: ٨٤ ـ ٨٥].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [رقم: ٩٦].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿كلمت﴾ بالتوحيد، والمراد بها الجنس.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿كلمات﴾ بالجمع، لأن كلمات الله ـ تعالى ـ متنوعة أمرًا ونهيا، وغير ذلك.

وهى مرسومة بالتاء المفتوحة فى جميع المصاحف العثمانية، فمن قرأها بالجمع وقف عليها بالتاء، ومن قرأها بالإفراد فمنهم من وقف بالتاء وهم عاصم، وحمزة، وخلف البزار ومنهم من وقف بالهاء وهم الباقون(٢).

﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (٩٨)﴾

(١) انظر: تفسير القرطبى (٨/ ٢٤٤).
(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٣٠٩).

❁ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾ الآية. قال: لم تكن قرية آمنت فنفعها الإيمان إذا نزل بها بأس الله، إلا قرية: يونس.. اهـ(١).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾ الآية. قال: لم يكن هذا فى الأمم قبل قوم يونس لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين عايَنَتْ العذابَ إلا قوم يونس ـ عليه السلام ـ فاستثنى الله قوم يونس. وذُكرَ لنا أنّ قومَ يونس كانوا (بنينوى) من أرض الموصل، فلما فقدوا نبيهم ـ عليه السلام ـ قذف الله ـ تعالى ـ فى قلوبهم التوبة، فلبسوا المسوح، وأخرجوا المواشى، وفرّقوا بين كل بهيمة وولدها، فعجّوا إلى الله أربعين صباحًا، فلمّا عرف الله الصدقَ من قلوبهم، والتوبَةَ، والندامةَ على ما مضى منهم، كشف الله عنهم العذاب بعدما تدلّى عليهم، ولم يكن بينهم وبين العذاب إلا مَيْل.. اهـ(٢).

•• فائدة مهمة وجليلة:

فى أنّ الدعاء يردّ القدر، والقضاء، ويدفع البلاء.

ومن الأدلة على ذلك ما يلى:

أولا: عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ ـ رضى الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا ينجّى حذر من قدر، وإنّ الدعاء يدفع من البلاء، وقد قال الله فى كتابه: ﴿إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾» اهـ(٣).

ثانيًا: عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: إنّ الحذر لا يردّ القدر، وإنّ الدعاء يردّ القدر، وذلك فى كتاب الله: ﴿إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.. اهـ(٤).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧٣).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧٢).

ثالثًا: عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: إنّ الدعاء ليردّ القضاء، وقد نزل من السماء، اقرءوا إن شئتم: ﴿إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فدعوا فصرف الله عنهم العذاب.. اهـ(١).

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (١٠٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ الآية: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ. وهذا تسلية للنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، لأنه كان حريصًا على أن يؤمن جميع الناس، فأخبره الله ـ عزّ وجلّ ـ: أنه لا يؤمن إلا من سبقت له السعادة، ولا يضل إلا من سبقت له الشقاوة ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

* ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾ أى: وما ينبغى لنفس.

* ﴿أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) إلا بأمر الله.. اهـ(٢).

* ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾ أى: العذاب، والسخط.

* ﴿عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾: أمر الله ـ عزّ وجلّ ـ ونهيه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾ [رقم: ١٠٠].

قرأ شعبة: ﴿ونجعل﴾ بنون العظمة.

وقرأ الباقون: ﴿ويجعل﴾ بياء الغيبة لمناسبة قوله ـ تعالى ـ فى نفس الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(٣).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧٢).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٧٠).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٤١).

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ (١٠١) فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾: أى: قل يا نبىّ الله للمشركين والكفار الذين يسئلونك الآيات: انظروا ما فى السموات والأرض من الآيات والدلالات والعبر: ففى السموات: الشمس، والقمر، والنجوم، وغيرها.

وفى الأرض: الجبال، والأنهار، والبحار، والأشجار، وغيرها.

* ﴿ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾: «ما» نافية، أى: لا تغنى الآيات والنذر عن قوم علم الله أنهم لا يؤمنون.

* عن الربيع بن خثيم أبى زيد الكوفى (ت قبل ٩٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ﴾ قال: خوّفهم الله عذابه، ونقمته، وعقوبته.. اهـ[1].

* ﴿ قُلْ فَانتَظِرُوا ﴾ أى: تربصوا، وهذا تهديد ووعيد لهم.

* ﴿ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ أى: المتربصين لموعد ربّى.

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾: أى: من سنتنا إذا أنزلنا بقوم عذابًا أخرجنا من بينهم الرسل والمؤمنين.

* ﴿ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى: كما نجّينا رسلنا والذين آمنوا واجب علينا ننج المؤمنين.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧٤).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا ﴾ [رقم: ١٠٣].

قرأ يعقوب: ﴿ ننجى ﴾ بإسكان النون الثانية وتخفيف الجيم مضارع «أنجى».

وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح النون وتشديد الجيم مضارع «نجّى»[١].

* ﴿ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [رقم: ١٠٣].

قرأ حفص، والكسائى، ويعقوب: ﴿ ننجى ﴾ بإسكان النون، وتخفيف الجيم مضارع «أنجى».

وقرأ الباقون بفتح النون وتشديد الجيم مضارع «نجّى»[٢].

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ أى: قل يا «محمد» لكفار مكة. * ﴿ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي ﴾ أى: فى ريب من دين الإسلام الذى أدعوكم إليه.

* ﴿ فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾: من الأوثان.

* ﴿ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ أى: يميتكم.

* ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى: المصدّقين بآيات الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ أى: استقم على ما أمرتَ به من الدين القويم المائل عن كل دين غير الإسلام.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣١٠).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣١١).

* ﴿ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾: الخطاب للنبى ﷺ، والمراد غيره، لأن جميع الأنبياء معصومون من الشرك.

* ﴿ وَلا تَدْعُ ﴾ أى: لا تعبد. * ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ ﴾: إن عبدته.

* ﴿ وَلا يَضُرُّكَ ﴾: إن تركت عبادته.

* ﴿ فَإِن فَعَلْتَ ﴾ أى: عبدت غير الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾: الضارّين لأنفسهم، الواضعين العبادة فى غير موضعها.

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ أى: يصبك بشدّة وبلاء.

* ﴿ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ﴾ أى: لا دافع له إلا الله ـ عزّ وجلّ ـ.

* ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ﴾ أى: رخاء، ونعمة، وسعة.

* ﴿ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ أى: لا مانع لجوده، وعطائه، ونعمه.

* ﴿ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ أى: بكل ما أراد من الشر والخير.

* ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ ﴾: لذنوب عباده، وخطاياهم.

* ﴿ الرَّحِيمُ ﴾: بأوليائه فى الدنيا والآخرة.

* ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾: أى: القرآن والإسلام.

* ﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ أى: صدّق بما جاء به نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾: لأن ثواب ذلك سيعود عليه.

* ﴿ وَمَن ضَلَّ ﴾ أى: عبد الأصنام والأوثان، وترك ما جاء به النبى ﷺ.

* ﴿ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾: لأن وبال ذلك سيعود عليه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦) ﴾ [فصلت: ٤٦].

* ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ أي: بحفيظ أحفظ أعمالكم، إنما أنا رسول، وبشير ونذير.

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ﴾: أي: بنصرك، وإظهار دينه، وقهر عدوك.

* ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾: مبتدأ وخبر، لأنه ـ عزّ وجلّ ـ لا يحكم إلا بالحق.

والله أعلم.

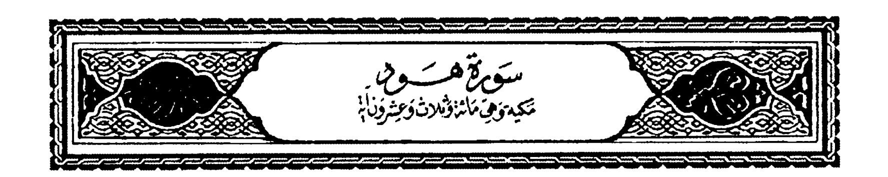
● ● ●

تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة يونس ـ عليه السلام ـ

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة هود ـ عليه السلام ـ]

● ● ●



* قال جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وعطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ) قالوا: سورة هود ـ عليه السلام ـ مكيّة.. اهـ[1].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): سورة هود ـ عليه السلام ـ مكيّة إلا آية واحدة وهى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ [هود: ١١٤] ـ فمدنية[2].

* وأخرج ابن المنذر، والطبرانى، وأبو الشيخ، وابن مردويه، وابن عساكر من طريق مسروق عن أبى بكر (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قلتُ يا رسول الله لقد أسرع إليك الشيب. قال ﷺ: «شيبتنى هود، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتساءلون، وإذا الشمس كوِّرت» اهـ[3].

* وعن كعب ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا هود يوم الجمعة» اهـ[4].

قال ـ تعالى ـ:

﴿ الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَر ﴾:

* قال الشعبىّ عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): ﴿ الَم ﴾ وسائر حروف الهجاء من أوائل السّور: من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه، وهى سرّ القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله ـ تعالى ـ. وفائدة ذكرها: طلب الإيمان بها.. اهـ[5].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٣).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧٦).

(٥) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤).

* وقال أبو بكر الصدِّيق (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه): فى كلّ كتاب سرّ، وسرّ الله فى القرآن أوائل السور.. اهـ[١].

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ قال: أحكمها الله من الباطل ثم فصّلها بعلمه فبين حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته.. اهـ[٢].

﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾:

✳ **المعنى:** أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه «محمداً» ﷺ أن يقول للناس: ألا تعبدوا إلا الله، ولا تشركوا به شيئًا.

* ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ﴾ أى: من الله ـ تعالى ـ.

* ﴿نَذِيرٌ﴾ أى: مخوّف من عذابه وسطوته لمن عصاه.

* ﴿وَبَشِيرٌ﴾ أى: لمن أطاعه بالجنة، والرضوان.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ (٥٠)﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠].

* ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾: عطف على ما قبله.

* ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أى: ارجعوا إلى الله ـ تعالى ـ بالطاعة والعبادة.

قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: قيل: إنما قدم ذكر الاستغفار ـ على التوبة ـ لأن المغفرة هى الغرض المطلوب، والتوبة هى السبب إليها.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٥).

* ﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا ﴾: أي: يمتعكم بالمنافع، ثم سعة الرزق، ورغد العيش، ولا يستأصلكم بالعذاب.

* ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾: وهو الموت.

* ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ أي: يؤت كل ذى عمل من الأعمال الصالحات جزاء عمله، وصدق الله إذْ قال: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) ﴾ [يوسف: ٩٠].

* ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: أعرضوا، فقل لهم يا رسول الله: ﴿ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾: وهو يوم القيامة، وهو كبير لما فيه من الأهوال.

* ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ أي: بعد الموت.

* ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾: من الثواب، والعقاب، وغير ذلك.

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ﴾:

✵ **المعنى:** كان بعض المنافقين إذا مرّ بالنبى ﷺ ثَنَى صدره وظهره، وطأطأ رأسه، وغطّى وجهه لكيلا يراه النبى ﷺ فيدعوه إلى الإيمان(١).

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾: قال: كان المنافقون يحنون صدورهم، لكيلا يسمعوا كتاب الله، وذلك أخفى ما يكون ابن آدم إذا حنى ظهره واستغشى بثوبه وأضمر همّه فى نفسه، فإن الله لا يخفى ذلك عليه.. اهـ(٢).

وصدق الله إذْ قال: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) ﴾ [آل عمران: ٢٩].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٧٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٠).

﴿ وَمَا من دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا من دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ قال: ما جاءها من رزق فمن الله ـ تعالى ـ.. اهـ[١].

* وعن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ قال: مستقرّها فى الأرحام، ومستودعها حيث تموت.. اهـ[٢].

* ﴿ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ أى: فى اللوح المحفوظ.

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾:

* قال البغوى أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ): أراد به فى مقدار ستة أيام، لأن اليوم من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، ولم يكن يومئذ يوم، ولا شمس ولا سماء. وقيل: ستة أيام كأيام الآخرة، وكل يوم كألف سنة. وقيل: كأيام الدنيا.. اهـ[٣].

* وقال سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ): كان الله ـ عزّ وجلّ ـ قادراً على خلق السموات والأرض فى لمحة ولحظة، فخلقهنّ فى ستة أيام تعليمًا لخلقه التثبت والتأنّى فى الأمور.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٠).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨١).

(٣، ٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ١٦٤).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أنه سئل عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ على أىِّ شىء كان؟ قال: على متن الريح.. اهـ(١).

* وعن الربيع بن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: كان عرشه على الماء، فلما خلق السموات والأرض قسّم ذلك الماء قسمين، فجعل النصف تحت العرش وهو البحر المسْجور، فلا تقطر منه قطرة حتى ينفخ فى الصور فينزل منه مثل الطّلّ فتنبت منه الأجسام. وجعل النصف الآخر تحت الأرض السفلى.. اهـ(٢).

* وعن عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ فقلت: ما معنى ذلك يا رسول الله؟ قال: «ليبلوكم أيكم أحسن عَقْلا»، ثم قال: «وأحسنكم عقلاً أورعكم عن محارم الله، وأعلمكم بطاعة الله» اهـ(٣).

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء» اهـ(٤).

* وعن عمران بن حصين ـ رضى الله عنه ـ فى الآية قال: قال أهل اليمن: يا رسول الله أخبرنا عن أوّل هذا الأمر كيف كان؟ قال: «كان الله قبل كل شىء، وكان عرشه على الماء، وكتب فى اللوح المحفوظ ذِكْرَ كل شىء، وخلق السموات والأرض» اهـ(٥).

* ﴿ وَلَئِن قُلْتَ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾: يَعْنون: القرآن الكريم.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٢).

(٤، ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [رقم: ٧].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ ساحر ﴾ بفتح السين، وألف بعدها، وكسر الحاء، اسم فاعل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ سِحْر ﴾ بكسر السين، وحذف الألف، وإسكان الحاء، على أنه مصدر(١).

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٨) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: لما نزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ [الأنبياء: ١]، قال ناس: إن الساعة قد اقتربت فتناهوا، فتناهى القوم قليلاً ثم عادوا إلى أعمالهم أعمال السوء، فأنزل الله: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل: ١]، فقال أناس: أهلُ الضلالة هذا أمر الله قد أتى، فتناهى القوم، ثم عادوا إلى مكرهم مكر السوء، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ اهـ(٢).

معانى المفردات:

* عن ابن جرير، وابن المنذر فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ قالا: إلى أجل معدود.. اهـ(٣).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ﴾ قال: إنه ليس بشىء لأنه مكذّب به(٤).

* ﴿ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ أى: سيأتيهم العذاب وحينئذ لا يكون مصروفًا عنهم.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣١٢).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٣).

* و عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ قال: قد وقع العذاب الذى كانوا يستهزءون به.. اهـ[1].

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾: الإنسان اسم يشتمل جميع الكفار. والمراد بالرحمة: النعمة والسعة.

* ﴿ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ﴾ أى: سلبناها منه.

* ﴿ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ ﴾ أى: يائس من رحمة الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ كَفُورٌ ﴾ أى: جاحد لنعم الله ـ تعالى ـ.

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ ﴾ أى: صحة ورخاء وسعة فى الرزق وغير ذلك من النعم التى لا حصر لها، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

* ﴿ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ﴾ أى: بعد ضرّ وفقر وشدّة وغير ذلك من أنواع الابتلاء والاختبار، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

* ﴿ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ﴾: أى: زالت الشدائد عنّى.

* ﴿ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾: أى: أشر بطر، وينسى شكر الله على ذلك. والفرح: لذّة فى القلب بنيل المشتهى.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٣).

والفخر: هو التطاول على الناس بتعديد المناقب، وذلك منهىٌّ عنه.

* ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾: وهم المؤمنون، مدحهم الله بالصبر على الشدائد. قال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) هذا استثناء منقطع معناه: لكن الذين صبروا.. اهـ[١].

* ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فإنهم إذا نالتهم شدّة صبروا، وإذا نزلت بهم نعمة شكروا.

* ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾: لذنوبهم. * ﴿ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾: وهو الجنة.

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٢) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* قال كل من البغوى أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ) والقرطبى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر (ت ٦٧١هـ): إنّ كفّار مكة لما قالوا للنبى ﷺ: لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سبّ آلهتنا لاتبعناك، فهمّ النبى ﷺ أن يدع سبّ آلهتهم فنزلت هذه الآية.. اهـ[٢].

معانى المفردات:

* ﴿ فَلَعَلَّكَ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾: فلا تبلغه إياهم، وهو سبّ آلهتهم.

* ﴿ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾: معطوف على ما قبله.

ولعلّ الحكمة من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ضَائِقٌ ﴾ ولم يقل: «ضيّق»: ليشاكل «تارك» الذى قبله، ولأن «الضائق» عارض، والضيّق ألزم منه.

* ﴿ أَن يَقُولُوا ﴾ أى: لأن يقولوا. * ﴿ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ ﴾: لينفق منه.

* ﴿ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾: يصدقه، فقال الله ـ تعالى ـ: يا «محمد».

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٧٥).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٧٥)، وتفسير القرطبى (٩/ ١٠).

* ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ أى: إنما عليك أن تنذرهم، لا بأن تأتيهم بما يقترحونه من الآيات. * ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أى: حافظ وشهيد.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: «أم» بمعنى «بل» وحينئذ يكون المعنى: بل يقول الكفار إنّ «محمداً» ﷺ اختلق القرآن.

* ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾: فإن قيل: فقد قال الله ـ تعالى ـ فى سورة يونس ـ عليه السلام ـ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ وقد عجزوا.

وهنا أى فى سورة هود ـ عليه السلام ـ قال: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ نريد بيان الحكمة من ذلك.

أقول: قد أجاب على هذا التساؤل المبرّد محمد بن يزيد (ت ٣٨٥هـ) فقال: معنى قوله ـ تعالى ـ فى [سورة يونس: ٣٨]: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ أى: مثله فى الخبر عن الغيب، والأحكام، والوعد والوعيد، فعجزوا، فقال لهم فى سورة هود: إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثله فى الأخبار والأحكام والوعد والوعيد، فأتوا بعشر سور مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد، إنما المراد مجرّد البلاغة.. اهـ[1].

* ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أى: استعينوا بمن استطعتم من الكهنة والأعوان. * ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: فعجزوا.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٤) مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾: لفظه جمع والمراد به الرسول ﷺ، لأنه يتمشى مع سياق ما قبله فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ إلخ. إذ المخاطب بقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ﴾ إلخ. نبينا «محمد» ﷺ.

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٧٦).

* ﴿ فاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾: يجوز أن يكون قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاعْلَمُوا ﴾ إلخ، موجه للمؤمنين أصحاب النبى ﷺ.

ويجوز أن يكون المراد المشركين والكفار، وحينئذ يكون المعنى:

إن لم تستطيعوا أيها الكفار الإتيان بعشر سور مثل القرآن الكريم، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أنزله الله على نبيه ﷺ، ليكون معجزة له، ودليل صدق على نبوّته.

* ﴿ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾: لفظة استفهام، ومعناه أمر، أى: أسلموا.

* ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ﴾ أى: بعمله ﴿ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾: ولا يريد به وجه الله ـ تعالى ـ وابتغاء مرضاته.

* ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾: وذلك بسعة الرزق وغير ذلك.

* ﴿ وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴾ أى: هم فى الدنيا لا ينقص شىء من رزقهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) ﴾ [البقرة: ١٢٦].

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا ﴾: أى: فى الدنيا.

* ﴿ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾: اختلف العلماء فى المعْنِىّ بهذه الآية:

١ ـ فقال مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ): هم أهل الرياء[١].

٢ ـ وقيل: هذا فى الكفار[٢].

* وأخرج البيهقى أحمد بن الحسين بن علىّ (ت ٤٥٨هـ) عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة صارت أمتى ثلاث فرق:

(١، ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٧٧).

١ - فرقة يعبدون الله خالصًا. ٢ - وفرقة يعبدون الله رياء.

٣ - وفرقة يعبدون الله يصيبون به دنيا:

فيقول للذى كان يعبد الله للدنيا: بعزّتى وجلالى ما أردت بعبادتى؟ فيقول: الدنيا، فيقول: لا جرم لا ينفعك ما جمعتَ ولا ترجع إليه، انطلقوا به إلى النار.

ويقول للذى يعبد الله رياء: بعزّتى وجلالى ما أردت بعبادتى؟ فيقول: الرياء، فيقول: إنما كانت عبادتك التى كنتَ ترائى بها لا يصعد إلىّ منها شىء ولا ينفعك اليوم انطلقوا به إلى النار.

ويقول للذى كان يعبد الله خالصًا: بعزّتى وجلالى ما أردت بعبادتى؟ فيقول: بعزتك وجلالك أنت أعلم به منّى كنتُ أعبدك لوجهك، ولدارك، قال: صدق عبدى انطلقوا به إلى الجنة» اهـ[١].

* وأخرج الترمذى وحسّنه، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أوّل من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن، يقول الله - تعالى - له: ألم أعلّمك ما أنزلتُ على رسولى؟ فيقول: بلى يا ربّ. فيقول: فماذا عملتَ فيما علمتك؟ فيقول: يا ربّ كنتُ أقوم به الليل والنهار. فيقول الله له: كذبتَ، وتقول الملائكة: كذبتَ، بل أردتَ أن يقال فلان قارئ فقد قيل، اذهب فليس لك اليوم عندنا شىء.

ثم يدعى صاحبُ المال فيقول الله: عبدى ألم أنعم عليك. ألم أوسّع عليك. فيقول: بلى يا ربّ. فيقول: فماذا عملتَ فيما آتيتك؟ فيقول: يا ربّ كنتُ أصل الأرحام، وأتصدّق، وأفعل. فيقول الله له: كذبتَ، بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك، اذهب فليس لك اليوم عندنا شىء.

ويدعى المقتول فيقول الله له: عبدى فيم قُتلتَ؟ فيقول: يا ربّ فيك وفى سبيلك. فيقول الله له: كذبتَ، وتقول الملائكة: كذبتَ، بل أردتَ أن يقال فلان جرىء فقد قيل ذلك، اذهب فليس لك اليوم عندنا شىء.

ثم قال رسول الله ﷺ: أولئك الثلاثة شرّ خلق الله تسعّر بهم النار يوم القيامة» اهـ[٢].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٥). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٤).

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾: «أنا» ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾: قال: «علىّ».. اهـ[١].

* وعن علىّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فى الآية قال: رسول الله ﷺ على بينة من ربّه، وأنا شاهد منه.. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾: قال «محمد» ﷺ، ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾: قال جبريل ـ عليه السلام ـ، فهو شاهد من الله بالذى يتلو من كتاب الله الذى أنزل على «محمد» ﷺ، ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾: قال: ومن قبله تلا التوراة على لسان «موسى» ـ عليه السلام ـ كما تلا القرآن على لسان «محمد» ﷺ.. اهـ[٣].

* وعن البغوى (ت ٥١٦هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾: قال: اختلفوا فى هذا الشاهد:

١ ـ فقال علقمة بن قيس النخعىّ (ت ٦٢هـ) وابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) وأكثر أهل التفسير: إنه جبريل ـ عليه السلام ـ.

٢ ـ وقيل: هو علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ رضى الله عنه)[٤].

* ﴿ وَمِن قَبْلِهِ ﴾ أى: ومن قبل نزول القرآن أو من قبل مجىء نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ كِتَابُ مُوسَىٰ ﴾: وهو التوراة. * ﴿ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٦).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٧).

(٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٧٧).

* ﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾: المراد: الذين أسلموا من أهل الكتاب. وقال القشيريّ: اسم الإشارة إلى بنى إسرائيل، أى يؤمنون بما فى التوراة من البشارة بالنبىّ ﷺ، وإنما كفر بالنبى هؤلاء المتأخرون فهم الذين موعدهم النار.. اهـ[١].

* ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ﴾: أى: بنبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ قال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): الكفار أحزاب كلهم على الكفر[٢].

* ﴿ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾:

* أخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، والطبرانى، وابن مردويه من طريق سعيد ابن جبير عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسمع بى أحد من هذه الأمّة، ولا يهودى، ولا نصرانى، فلم يؤمن بى إلا كان من أهل النار».

قال سعيد بن جبير: فقلت: ما قال النبى ﷺ إلا هو فى كتاب الله، فوجدت قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾.. اهـ[٣].

* وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفس «محمد» بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمّة، ولا يهودى، ولا نصرانى، ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» اهـ[٤].

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾: قال: الكافر والمنافق.

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٣).
(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٧).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٨).

* وعنه فى قولـه ـ تعالى ـ: ﴿ أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ قال: فيسألهم عن أعمالهم. وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ ﴾ قال: الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم فى الدنيا.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ قال: حفظوه، وشهدوا به عليهم يوم القيامة.. اهـ(١).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ ﴾ قال: الملائكة يشهدون على بنى آدم بأعمالهم.. اهـ(٢).

* وعن عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله يدنى المؤمن حتّى يضع عليه كفنه ويستره من الناس ويقرّره بذنبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: أى ربّ أعرف. حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه قد هلك قال: فإنّى قد سترتها عليك فى الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يُعْطى كتاب حسناته.

وأمّا الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: ﴿ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾» اهـ(٣).

﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩) أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قال: هو نبينا «محمد» ﷺ صدّت قريش عنه الناس.. اهـ(٤).

* ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾: الضمير فى يبغونها عائد على سبيل الله، وحينئذ يكون المعنى: يعدلون بالناس عنها إلى المعاصى والشرك.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٨).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٩).

* ﴿ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾: أعاد لفظ «هم» للتأكيد.

* ﴿ أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ أى: فائتين من عذاب الله.

وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): لم يعجزونى أن آمر الأرض فتنخسف بهم.. اهـ[1].

* ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أى: أنصارًا.

* ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ﴾: وذلك على قدر كفرهم ومعاصيهم.

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ قال: ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا خيرًا فينتفعون به، ولا يبصرون خيرًا فيأخذوا به.. اهـ[2].

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ (٢٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾: مبتدأ وخبر، أى: غَبَنُوا أنفسهم.

* ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أى: ضاع عنهم ما كانوا يزعمون من شفاعة الأصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله ـ عزّ وجلّ ـ.

* ﴿ لا جَرَمَ ﴾: للعلماء فيها أقوال:

١ ـ قال الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٠هـ) وسيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) قالا: ﴿ لا جَرَمَ ﴾ بمعنى: حقّ، وهى عندهما كلمة واحدة.

٢ ـ وعن الخليل أيضًا، والفراء (ت ٢٠٧هـ): معناها: لا بدّ ولا محالة.

٣ ـ وقال الزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): «لا» هاهنا نفى، وهو ردّ لقولهم: إن الأصنام تنفعهم، و«جرم» بمعنى كسب، أى كسب ذلك الفعل لهم الخسران[3].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٥).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٩).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٥).

* ﴿ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴾ أى: من غيرهم، وإن كان الكلّ فى خسارة.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٤) ﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ قال: معنى «أخبتوا»: خافوا. وفى رواية عنه قال: الإخبات: الإنابة[١].

وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: الإخبات: الخشوع والتواضع[٢].

* ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾: خبر «إنّ».

* ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾: مبتدأ وخبر، أى: خلدوا أبديًا، بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [البينة: ٧ ـ ٨].

* ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ ﴾: المؤمن والكافر.

* ﴿ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾: قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): الأعمى والأصمّ مثل للكافر، والبصير والسميع مثل للمؤمن[٣].

* ﴿ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ أى: تتعظون، وتنظرون فى الوصفين.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [رقم ٢٤، رقم ٣٠].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ تذكرون ﴾ معًا بتخفيف الذال، على حذف إحدى التاءين، لأن أصلها «تتذكرون».

وقرأ الباقون من القراء العشرة بتشديد الذال، وذلك على إدغام التاء فى الذال[٤].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٨٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٦).

(٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٣١٤).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

* المعنى:

ذكر الله - سبحانه وتعالى - قصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - للنبى ﷺ ليصبر على أذى الكفار لى أن يكفيه الله أمرهم.

قال - تعالى -: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وفى قصص الأنبياء - عليهم السلام - العبرة والعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، قال - تعالى -: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [رقم: ٢٥].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائى، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف البزار: ﴿ أنى لكم ﴾ بفتح الهمزة، على تقدير حرف الجرّ أى بأنى.

وقرأ الباقون بكسر الهمزة على إضمار القول أى: فقال: إنى لكم نذير[1].

﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾: هذا من كلام نبى الله «نوح» - عليه السلام - إلى قومه: أمرهم بعبادة الله وحده، وترك عبادة الأوثان، لأن من كفر مصيره جهنم خالدًا فيها أبدًا.

ومن الأدلّة على أنّ الكافر يخلّد فى النار خلودًا أبديا قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾ [النساء: ١٦٨ - ١٦٩].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٤٢).

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): بعث الله «نوحًا» بعد أربعين سنة، ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت: ١٤]. وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره ألفًا وخمسين سنة.. اهـ[١].

* ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ﴾: الملأ هم الأشراف والرؤساء.

* ﴿ مَا نَرَاكَ ﴾: المخاطب نبى الله «نوح» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ إِلَّا بَشَرًا ﴾ أى: آدميًا. * ﴿ مِّثْلَنَا ﴾: نصب على الحال.

* ﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ أى: سفلتنا. والرَّذْل: الدُّون من كل شىء، والجمع: (أرذُل) بضم الذال، ثم يجمع (أرذُل) على (أراذل) مثل: كلْب وأكلُب وأكالب.

وقال أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ): الأراذل: هم الفقراء، والذين لا حسب لهم، والخسيسوا الصناعات.. اهـ[٢].

* ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ أى: ظاهر الرأى، ومعناه: اتبعوه ظاهرًا من غير أن يتدبروا ويتفكّروا.

* ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ أى: فى اتباع نبىّ الله «نوح» ـ عليه السلام ـ وهذا جحد منهم لنبوّته ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾: الخطاب هنا لنبى الله «نوح» ومن آمن به.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ [رقم: ٢٧].

قرأ أبو عمرو: ﴿ بادئ ﴾ بهمزة مفتوحة بعد الدال، أى: أوّل الرأى بلا رويّة وتأمّل.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ بادى ﴾ بغير همزة، ويحتمل أن يكون فى المعنى كالقراءة الأولى، أو يكون من بدا بمعنى ظهر، أى: ظاهر الرأى من غير تدبّر وتفكّر[٣].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٧٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٧).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣١٤).

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾: فاعل «قال» نبى الله «نوح» ـ عليه السلام ـ، ومعنى ﴿ على بينة ﴾: أى: على بيان ويقين.

* ﴿ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ ﴾ أى: نبوّة ورسالة.

* ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ أى: عمّاها الله عليكم، فخفيت والتبست عليكم، فلم تهدوا.

* ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ أى: أنلزمكم النبوّة والرسالة.

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ قال: أمَا والله لو استطاع نبىّ الله «نوح» ـ عليه السلام ـ لألزمها قومه، ولكنه لم يستطع ذلك ولم يمكنه.

ومما يشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

* ﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾: الواو للحال، أى: والحال أنتم للنبوّة والرسالة كارهون.

▦ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ [رقم: ٢٨].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ فعُمِّيت ﴾ بضم العين وتشديد الميم، أى عمّاها الله عليكم.

وقرأ الباقون بفتح العين وتخفيف الميم، أى: خفيت عليكم(١).

﴿ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) ﴾

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٣١٥).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ويَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً ﴾: هذا من كلام نبى الله «نوح» إلى قومه: أى: لا أسألكم على تبليغ الرسالة، والدعوة إلى الله، والإيمان به وحده أجرًا، إنما أدعوكم امتثالا لأمر ربى، وابتغاء لمرضاته.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: ٦٧].

* ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﴾ أى: ثوابى على تبليغ الرسالة على الله ـ تعالى ـ وحده، و«إنْ» بمعنى «ما» وهذا الأسلوب البلاغىّ وهو: «ما» و«إلا» يقتضى الحصر والقصر.

* ﴿ ومَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾: هذا دليل على أنهم طلبوا منه طرد المؤمنين من مجلسه لفقرهم، والتاريخ يعيد نفسه فقد سأل كفار قريش النبى ﷺ أن يطرد الفقراء والموالى من مجلسه فقال الله له: ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) ﴾ [الأنعام: ٥٢].

* ﴿ إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ أى: لو طردتهم لخاصمونى عند الله، فيجازيهم على إيمانهم، ويعاقبنى على طردهم.

* ﴿ ولَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ أى: فى احتقاركم للفقراء، وسؤالكم طردهم من مجلسى.

﴿ ويَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٣٠) ولا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ويَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ ﴾: قال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) أى: يمنعنى من عذابه.. اهـ.

* ﴿ إن طَرَدتُّهُمْ ﴾ لفقرهم، وتلبية لرغبتكم الفاسدة.

* ﴿ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ أى: تتعظون.

* ﴿ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾: هذا الكلام من نبى الله «نوح» ـ عليه السلام ـ لقومه يدلّ دلالة واضحة على تواضعه لله ـ عزّ وجلّ ـ وأنه لا يدّعى أنه عنده خزائن الله، كما أنه لا يدّعى أنه يعلم الغيب، لأنّ الغيب لا يعلمه إلا الله ـ تعالى ـ، كما أنه لا يدّعى أنه مَلَك مقرّب، إنما هو بشر ورسول.

* ﴿ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾: أى: ولا أقول للذين تحتقرهم أعينكم وهم من آمن بى: لن يؤتيهم الله أجرًا على إيمانهم، لأن مردّ ذلك إلى الله وحده.

* ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾: من الخير والشرّ، فيجازيهم عليه: إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

* ﴿ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾: إن قلتُ أو فعلتُ شيئًا مما ذكرته لكم.

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾: أى: خاصمتنا فأكثرت خصومتنا، وبالغت فيها. والجدَل فى كلام العرب: المبالغة فى الخصومة. والجدل مشتق من الجَدْل بسكون الدال: وهو شدّة الفَتْل.

•• تنبيه:

قال القرطبى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: الجدَل فى الدين محمود، ولهذا جادل «نوح» ـ عليه السلام ـ والأنبياء قومهم حتى يظهر الحقّ، فمن قَبِله أنجح وأفلح، ومن ردّه خاب وخسر.

وأمّا الجدال لغير الحقّ حتى يظهر الباطل فى صورة الحقّ فمذموم، وصاحبه فى الدارين ملوم.. اهـ[١].

* ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ أى: من العذاب. * ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فى قولك.

* ﴿قَالَ﴾ أى: نبى الله «نوح» ـ عليه السلام ـ:

* ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ﴾ أى: إن أراد إهلاككم عذّبكم.

* ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أى: بفائتين، وقيل: بغالبين بكثرتكم.

﴿وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ أى: نصحى واجتهادى فى هدايتكم.

* ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾: وذلك لأنكم لا تقبلون نصحًا.

* ﴿إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أى: يضلكم، وقد أضاف إغواءهم إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ، لأنه هو الهادى والمضل.

قال الله ـ تعالى ـ مخاطبًا نبيه «محمدًا» ﷺ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

* ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾: فإليه الإغواء، وإليه الهداية.

* ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم بأعمالكم.

* ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هو من محاورة نبى الله «نوح» ـ عليه السلام ـ لقومه.. اهـ[٢].

وأقول: هذا القول أصحّ الأقوال، لأنه موافق للسياق، إذْ ليس قبله ولا بعده إلا ذكر نبى الله «نوح» وقومه.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٠).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٨١).

* ﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ ﴾ أى: اختلقته وافتعلته، والمراد: الوحى والرسالة.
* ﴿ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي ﴾ أى: عقاب إجرامى، والإجرام: مصدر أجرم: وهو اقتراف السيئة.
* ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ أى: من الكفر والتكذيب.

﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ ﴾: عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: إنّ «نوحًا» ـ عليه السلام ـ لم يدع على قومه حتى نزلت هذه الآية: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ ﴾ فانقطع عند ذلك رجاؤه منهم فدعا عليهم.. اهـ(١).

وكان دعاؤه عليهم كما أخبر الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) ﴾ [نوح: ٢٦ ـ ٢٧].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ:
﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾: قال: فلا تحزن(٢).
* وعن مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ:
* ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ ﴾: قال: السفينة. * ﴿ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾: أى: كما نأمرك(٣).
* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ قال: نهى الله ـ عزّ وجلّ ـ «نوحًا» ـ عليه السلام ـ أن يراجعه بعد ذلك فى أحد.. اهـ(٤).

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) ﴾

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٥٩٢).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): اتخذ «نوح» - عليه السلام - السفينة فى سنتين، وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعًا، وطولها فى السماء ثلاثون ذراعًا، وكانت من خشب الساج، وجعل لها ثلاثة بطون:

فحمل فى البطن الأسفل: الوحوش، والسباع، والهوام.

وفى البطن الأوسط: الدوابّ، والأنعام.

وركب هو ومَنْ معه فى البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد.. اهـ(١).

* ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾: لما أمر الله - عزّ وجلّ - «نوح» - عليه السلام - أن يصنع الفلك، جعل يقطع الخشب، ويضرب الحديد، ويهيئ عدّة الفلك، وجعل قومه يمرّون به وهو فى عمله ويسخرون منه ويقولون: يا نوح قد صرتَ نجّاراً بعد النبوّة؟.

* ﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾: أى: وذلك عندما تعاينون عذاب الله - تعالى -.

* ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ أى: دائم، والمراد به عذاب الآخرة.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ أى: عذابنا.

* ﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾: اختلف العلماء فى التنور على سبعة أقوال(٢).

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٨٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٤).

أذكرُأرجح هذه الأقوال من وجهة نظرى والله أعلم بالصواب:

* أولا: قال كل من عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) والزهرى محمد بن أسلم (ت١٢٤هـ): التنور: هو وجه الأرض، وذلك أنّه قيل لنوح ـ عليه السلام ـ: إذا رأيتَ الماء فار على وجه الأرض فاركب السفينة، والعرب تسمّى وجه الأرض تنورًا.. اهـ(١).

* ثانيًا: قال كل من ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ): التنرر: هو تنور الخبز الذى يخبز فيه، وكان تنورًا من حجارة، فقيل «لنوح»: إذا رأيت الماء يفور من التنّور فاركب أنت وأصحابك، وأنبع الله الماء من التنور، فعلمت به امرأته فقالت: يا «نوح» فار الماء من التنور، فقال: جاء وعد ربى حقّا(٢).

* ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: المراد بالزوجين هنا: الذكر والأنثى، لبقاء أصل النَّسْل بعد الطوفان.

قال البغوىّ أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ) فى تفسيره: إن «نوحًا» ـ عليه السلام ـ قال: يا ربّ كيف أحمل من كل زوجين اثنين؟ فحشر الله إليه الوحوش، والسباع، والهوامّ، والطير، فجعل يضرب بيديه فى كل جنس فيقع الذكر فى يده اليمنى، والأنثى فى يده اليسرى، فيحملها فى السفينة.. اهـ(٣).

* ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أى: واحمل أهلك.

* ﴿إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾: «مَنْ» فى موضع نصب بالاستثناء، أى: إلا من سبق عليه القول منهم بالهلاك، وهو ابنه كنْعان، وامرأته واسمها واعلة، كانا كافرين.

* ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾: «ومن آمن» فى موضع نصب بـ «احمل» أى: احمل معك من آمن بى، وصدّق بنبوتك.

* ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): آمن منْ قومه ثمانون إنسانًا، منهم ثلاثة من بنيه: سام، وحام، ويافث، وثلاث كنائن له.. اهـ(٤).

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٤).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٨٤).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٥).

وقال كل من قتادة بن دعامـة السدوسى (ت ١١٨ هـ) وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيـز (ت ١٥٠ هـ): ورد فى الخبر أن ممَّن كان فى السفـينة ثمانية أنفس: نوح، وزوجته غير التى عوقبت، وبنوه الثلاثة وزوجاتهم.. اهـ[١].

* ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾: «قليلُ» فاعل «آمن» ولا يجوز نصبه على الاستثناء، لأن الكلام منفى، والمستثنى منه غير مذكور.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [هود: ٤٠].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

قرأ حفص: ﴿ من كل ﴾ فى الموضعين بالتنويـن، والتنوين عوض عن المضاف إليه، أى من كل ذكر وأنثى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ من كل ﴾ فى الموضعين: بترك التنوين، وذلك على إضافة «كلّ» إلى «زوجين».

والتقدير: احمل فيها اثنين من كل زوجين[٢].

﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا ﴾ أى: قال لهم نبىّ الله «نوح» ـ عليه السلام ـ اركبوا فى السفينة.

* ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾: أى: بسم الله جـريهـا، ورسـوّها، وهمـا مصدران، و﴿ مَجْرَاهَا ﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿ مُرْسَاهَا ﴾ معطوف عليه، وخبر المبدأ مقدّم وهو «بسم الله».

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٥).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٤٤)، والكشف عن وجوه القراءات (١/ ٥٢٨)، والمهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣١٦).

* قال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): ركب «نوح» ـ عليه السلام ـ فى الفلك لعشر خَلَوْن من رجب، واستوت على الجودىّ لعشر خَلَوْن من المحرم، فذلك ستة أشهر.. اهـ[١].

* وقال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): كان «نوح» ـ عليه السلام ـ إذا أراد أن تجرى السفينة قال: بسم الله، وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله.. اهـ[٢].

* ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أى: لأهل السفينة، ولغيرهم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾ [رقم: ٤١].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿مَجْراها﴾ بفتح الميم، على أنه مصدر «جرى» الثلاثىّ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الميم، على أنه مصدر «أجرى» الرباعى[٣].

وقد قرأ بإمالة «مجراها» إمالة كبرى أبو عمرو، وحفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار.

وبالفتح والإمالة لابن ذكوان وبالتقليل للأزرق عن ورش، وبالفتح لباقى القراء العشرة.

واعلم أن حفصًا لم يمل فى القرآن الألف التى بعد الراء إلا من كلمة «مجراها» فقط[٤].

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ الموج: جمع موجة، والموج ما ارتفع من الماء إذا اشتدّت عليه الريح، وقد شُبِّه بالجبال لعظمه وارتفاعه على الماء.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٦).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٨٥).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٤٥).

(٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٣٢٠).

* ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ واسمه كنعان وكان كـافرا. وقيل: إن «نوحًا» لم يعلم إنّ ابنه كنعان كافر، ولذا قال له: ﴿ وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾.

* ﴿ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ﴾ أى: عن السفينة، ولم يركب مع نوح.

* ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾: فتهلك معهم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَا بُنَيَّ ﴾ [رقم: ٤٢].

قرأ عاصم بفتح الياء، والباقون بكسرها، وهما لهجتان[1].

وأصل ﴿ يَا بُنَيَّ ﴾ أنها بثلاث ياءات: ياء التصغير، وياء الفعل، وياء الإضـافة، فـأدغمت يـاء التصـغير فى لام الفـعل وكسـرت لام الفعل من أجـل ياء الإضافـة، وحذفت ياء الإضافة لاجتماع ثلاث ياءات، وبقيت الكسرة لتدلّ عليها.

ووجه من فتح الياء مشدّدة أنه لما أتى بالكلمة على أصلها بثلاث ياءات، استثقل اجتمـاع الياءات والكسرات، فأبدل الكسرة التـى قبل ياء الإضافة فتـحة، فانقلبت ياء الإضافة ألفًا ثم حذفت[2].

﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ ﴾ أى: كنعان ابن نوح: * ﴿ سَآوِي ﴾ أى: سألتجئ.

* ﴿ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي ﴾ أى: يمنعنى. * ﴿ مِنَ الْمَاءِ ﴾: فلا أغرق.

* ﴿ قَالَ ﴾ أى: نوح ـ عليه السلام ـ. * ﴿ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أى: من عذاب الله والـغرق. * ﴿ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾ أى: لا مانـع من عذاب الله إلا من رحـمه الله فإنه لا يعذبه، ويحفظه من الغرق.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٣١٧).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٤٧).

* ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ ﴾ أى: بين «نوح» ـ عليه السلام ـ وابنه كنعان.

* ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾: يروى أن الماء ارتفع فوق رءوس الجبال قدر أربعين ذراعًا، وقيل: قدر خمسة عشر ذراعًا، والله أعلم.

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقِيلَ ﴾ أى: بعد ما تناهى أمر الطوفان.

* ﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾ أى: اشربى ماءك.

* ﴿ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ أى: أمسكى عن إنزال المطر.

* ﴿ وَغِيضَ الْمَاءُ ﴾ أى: نقص، ونضب. يقال: غاض الماء يغيض غيضًا: إذا نقص.

* ﴿ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾: وهو هلاك القوم بالغرق.

* ﴿ وَاسْتَوَتْ ﴾ أى: السفينة. * ﴿ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾: أى: استقرت السفينة على الجودىّ: قال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): الجودىّ: جبل بالموصل[١].

* ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا ﴾ أى: هلاكًا. * ﴿ لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾.

* أخرج الإمام أحمد، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: مرّ النبىّ ﷺ بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء، فقال: «ما هذا الصوم؟» فقالوا: هذا اليوم الذى أنجى الله فيه موسى وبنى إسرائيل من الغرق، وأغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السّفينة على الجودىّ، فصامه «نوح وموسى» ـ عليهما السلام ـ شكرًا لله. فقال ﷺ: «أنا أحقّ بموسى، وأحقّ بصوم هذا اليوم» فصامه وأمر أصحابه بالصوم.. اهـ[٢].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٠٦).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٠٥).

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ ﴾ أى: دعاه.

* ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾: أى: من أهلى الذين وعدتنى أن تنجيهم من الغرق.

* ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ﴾ أى: الصدق.

* ﴿ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾: مبتدأ وخبر.

أى: حكمت على قوم بالنجاة، وعلى قوم بالغرق والهلاك.

* وعن سعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ قال: أى ليس من أهلك الذين وعد الله أن ينجيهم.. اهـ[١].

* وقال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: قال جمهور العلماء: ليس من أهل دينك، ولا ولايتك.. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ قال: إن نساء الأنبياء لا يزنين، وإنّ مسألتَك إياىَ يا «نوح» عملٌ غير صالح لا أرضاه لك.. اهـ[٣].

* ﴿ فَلا تَسْأَلْنِ ﴾ أى: يا نوح. * ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾:

قال كل من ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) وسعيد بن جبير بن هشام (ت ٩٥هـ) والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قالوا: إنه كان ابن «نوح» ـ عليه السلام ـ من صلبه.. اهـ[٤].

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: ما بغت امرأة نبىّ قط[٥].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٣٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٠٦).

(٤، ٥) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٨٧).

* ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: أى: تدعو بهلاك الكفار ثم تسأل نجاة كافر.

* وعن ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ قال: أى: تبلغ بك الجهالة أنى لا أفى بوعد وعدتك حتى تسألنى.. اهـ[1].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [رقم: ٤٦].

قرأ الكسائى، ويعقوب: ﴿عَمِلَ﴾ بكسر الميم، وفتح اللام، فعلا ماضيا، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو». يعود على ابن نوح و﴿غيرَ﴾ بالنصب مفعولا به لـ «عَمِلَ».

والتقدير: إن ابنك عَمِلَ عَمَلا غير صالح، وجملة «عمل غير صالح» فى محل رفع خبر «إنّ».

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿عَمَلٌ﴾ بفتح الميم، ورفع اللام منوّنة، خبر «إنّ» و﴿غيرُ﴾ بالرفع صفة، على معنى: إنه ذو عمل غير صالح[2].

* ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ﴾ [رقم: ٤٦].

القراء فيها على سبع مراتب:

الأولى: لقالون، والأصبهانى، وابن ذكوان: ﴿تسئلَنِّ﴾ بكسر النون مشدّدة، وحذف الياء فى الحالين، وفتح اللام.

والثانية: للأزرق وأبى جعفر: ﴿تسئلَنِّ﴾ بكسر النون مشدّدة، وإثبات الياء وصلا لا وقفًا مع فتح اللام.

والثالثة: لابن ذكوان: ﴿تسئلَنَّ﴾ بفتح النون مشدّدة، وحذف الياء فى الحالين مع فتح اللام.

والرابعة: لأبى عمرو: ﴿لتسئلْنِ﴾ بكسر النون مخففة، وإثبات الياء وصلا لا وقفًا مع إسكان اللام.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٠٧).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٤٧).

والخامسة: ليعقوب: ﴿ تسئلني ﴾ بكسر النون مخففة، وإثبات الياء في الحالين، مع إسكان الياء.

والسادسة: لهشام: ﴿ تسئلَنَّ ، تسئلَنِّ ﴾ بفتح اللام، وتشديد النون مع فتحها وكسرها.

والسابعة: للباقين من القراءالعشرة: ﴿ تسئلنِ ﴾ بكسر النون مخففة، وحذف الياء في الحالين مع إسكان اللام.

وجه من قرأ بتشديد النون، وفتحها، وفتح اللام: أن النون هي نون التوكيد الثقيلة التي تدخل فعل الأمر للتأكيد، وفتحت اللام التي قبلها، لئلا يلتقي ساكنان، ولأن الفعل المسند إلى الواحد مبنيّ على الفتح دائمًا مع النون الثقيلة والخفيفة، وعدّى الفعل إلى مفعول واحد وهو «ما».

وكذلك العلة لمن قرأ بتشديد النون، وكسرها مع فتح اللام، غير أنه عدّى الفعل إلى مفعولين وهما: «الياء وما» فحذفت الياء لدلالة الكسرة عليها.

ووجه من أسكن اللام وخفّف النون، أن الفعل لم تدخله نون التوكيد، ووصل الفعل بضمير المتكلم، وهو المفعول الأوّل، و«ما» المفعول الثاني وأسكن اللام للنهي، وحذفت الياء لدلالة الكسرة عليها، والفعل على هذه القراءة معرب، وجزم للنهي. ووجه حذف الياء أنها لهجة هذيل. ووجه إثباتها أنها لهجة «الحجازيين»[1].

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ قَالَ ﴾ أي: نبيّ الله «نوح» ـ عليه السلام ـ:

* ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي ﴾ أي: ما فرط من السؤال.

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

* ﴿ وَتَرْحَمْنِي ﴾ أى: بالتوبة. * ﴿ أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾: أعمالا.

* عن الفضيل بن عياض قال: بلغنى أن نبى الله «نوح» ـ عليه السلام ـ بكى على قول الله ـ تعالى ـ له: ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ أربعين عامًا.. اهـ[١].

* ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ ﴾ أى: انزل من السفينة بعد أن رست على الجودىّ.

* ﴿ بِسَلامٍ مِّنَّا ﴾ أى: بسلامة وأمن منّا.

* ﴿ وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ﴾ أى: نعم ثابتة، مشتق من بروك الجمل وهو ثبوته وإقامته، ومنه البِرْكة لثبوت الماء فيها.

* ﴿ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ قال محمدبن كعب القرظى: دخل فيه كل مؤمن إلى يوم القيامة.. اهـ[٢].

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ قال: المراد ممّن لم يولد، أوجب الله لهم البركات لما سبق لهم فى علم الله من السعادة.. اهـ[٣].

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قال: أى يمتعهم الله متاع الحياة الدنيا، ثم يمسهم عذاب أليم لما سبق لهم فى علم الله من الشقاوة.. اهـ[٤].

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ أى: تلك الأنباء من أنباء ما غاب عنك، والخطاب لنبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴾: لتقف عليها، وعلى تفاصيلها، وأحوالها.

* ﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ ﴾ أى: كانوا غير عارفين بأمر الطوفان.

* ﴿ مِن قَبْلِ هَذَا ﴾ أى: من قبل هذا الوحى الذى جاءك به القرآن الكريم.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٠٧).
(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٨٧).
(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٠٨).

* ﴿ فَاصْبِرْ ﴾: الأمر موجّه من الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ أى: اصبر يا «محمد» على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته، واصبر على ما تلقى من أذى العرب كما صبر «نوح» ـ عليه السلام ـ على أذى قومه.

* ﴿ إِنَّ الْعَاقِبَةَ ﴾ أى: آخر الأمر بالسعادة والفوز * ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾: أى: وأرسلنا إلى عاد أخاهم «هودًا».

وهو معطوف على قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ [رقم: ٢٥].

وقد اختلف المفسرون فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَخَاهُمْ ﴾:

١ ـ فقيل: هو أخوهم فى النسب لا فى الدين، إذْ كانت القبيلة تجمعهم، كما تقول يا أخا تميم.

٢ ـ وقيل: إنما قيل له أخوهم لأنه من بنى آدم كما أنهم من بنى آدم.

٣ ـ وقيل: هم عادان: عاد الأولى وعاد الأخرى: فهؤلاء هم الأولى، وأمّا الأخرى: فهو شدّاد المذكور فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) ﴾ [الفجر: ٦ ـ ٧]. وعادٌ اسم رجل ثم استمرّ على قوم انتسبوا إليه[1].

* ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ أى: وحدّوه فى العبادة ولا تشركوا به شيئًا.

* ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾: أى: ما أنتم فى إشراككم إلا كاذبون.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [رقم: ٥٠].

قرأ الكسائى، وأبو جعفر: ﴿ غيرِهِ ﴾ بخفض الراء وكسر الهاء، على أنها نعت أو بدل من «إله» لفظا. وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ غيرُهُ ﴾ برفع الراء وضم الهاء، على أنها نعت أو بدل من «إله» محلا، لأنّ «مِنْ» زائدة، و«إلهٌ» مبتدأ[2].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٣٥).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٢١).

﴿ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ أى: لا أسألكم على تبليغ الرسالة جعْلا.

* ﴿ إِنْ أَجْرِيَ ﴾: «إنْ» نافية بمعنى «ما» أى: ما ثوابى على تبليغ الرسالة.

* ﴿ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ أى: خلقنى.

* ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ أى: ما وقع لقوم «نوح» ـ عليه السلام ـ لما كذّبوه.

* عن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قال: أمسك عن عاد القطر ثلاث سنين، فقال لهم «هود» ـ عليه السلام ـ:

* ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ فأبوا إلا تماديا ـ أى فى الإشراك بالله تعالى ـ[1].

* ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾: أى: يرسل المطر عليكم متتابعًا مرّةً بعد أخرى فى أوقات الحاجة.

* ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): أى: يزيدكم ولد الولد.. اهـ[2].

* وقال البغوىّ أبو محمد الحسين بن مسعود (٥١٦هـ) فى تفسيره: أى: شدّة مع شدّتكم، وذلك أن الله ـ عزّ وجلّ ـ حبس عنهم المطر ثلاث سنين، وأعقم أرحام نسائهم فلم يَلِدْن، فقال لهم «هود» ـ عليه السلام ـ: إن آمنتم أرسل الله عليكم المطر فتزدادون مالا، ويعيد أرحام الأمهات إلى ما كانت فيلدْن فتزدادون قوّة بالأموال والأولاد. وقيل: تزدادون قوّة فى الدين إلى قوّة فى البَدَن.. اهـ[3].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٠٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٠).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٨٨).

* ﴿ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ أى: لا تدبروا حالة كونكم مشركين.

﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ أى: ببرهان وحجة واضحة على ما تقول.

* ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ ﴾ أى: بقولك.

* ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أى: بمصدّقين، وهذا إصرار منهم على الكفر.

﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ قالا: أصابتك ـ بعض آلهتنا ـ بجنون.. اهـ[1].

يقال: عراه الأمر واعتراه: إذا ألمّ به.

* ﴿ قَالَ ﴾ أى: نبىّ الله «هود» ـ عليه السلام ـ: * ﴿ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ ﴾: على نفسى.

* ﴿ وَاشْهَدُوا ﴾ أى: وأشهدكم. * ﴿ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾: أى: من عبادة الأصنام التى تعبدونها من دون الله الواحد القهار.

* ﴿ مِن دُونِهِ ﴾ أى: من دون الله ـ عزّ وجلّ ـ.

* ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ﴾ أى: فاحتالوا أنتم وأوثانكم فى عداوتى وضرّى.

* ﴿ ثُمَّ لا تُنظِرُونِ ﴾ أى: لا تؤخرون، ولا تمهلون.

* ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ﴾ أى: اعتمدت على الله واعتصمت به.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٠).

* ﴿ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ أى: يصرّفها كيف يشاء، ويمنعها مما يشاء، أى: فلا تصلون إلى ضرّى.

وقد خصّ الله الناصية بالذكر: لأن العرب تستعمل ذلك إذا وصفت إنسانًا بالذلّة فتقول: ناصية فلان بيد فلان.

* ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾:

قال أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ): الصراط فى اللغة: المنهاج الواضح، والمعنى: أنّ الله ـ جلّ ثناؤه ـ وإن كان يقدر على كل شىء فإنه لا يؤاخذهم إلا بالحق.. اهـ[١].

•• فائدة جليلة:

أخرج ابن أبى حاتم عن يحيى بن سعيد قال: ما من أحد يخاف لصًا عاديًا، أو سبعًا ضاريًا، أو شيطانًا ماردًا، فيتلو هذه الآية: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ إلا صرف الله عنه. اهـ[٢].

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾: الأصل «تتولّوا» فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا، وحينئذ يكون المعنى: فإن تعرضوا عمّا دعوتكم إليه.

* ﴿ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ﴾ أى: بينت لكم ما أرسلنى به الله إليكم.

* ﴿ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ أى: يهلككم الله ويستبدل قومًا غيركم أطوع منكم يوحّدونه ويعبدونه.

* ﴿ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ﴾: بتولّيكم وإعراضكم، وإنما تضرون أنفسكم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٣٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٠).

* ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾: «عَلَى» بمعنى اللام، وحينئذ يكون المعنى: إن ربّى لكل شىء حفيظ، فهو يحفظنى من أن تنالونى بأىّ سوء.

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ أى: عذاب الله بإهلاك عاد.

* ﴿ نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾: وكانوا أربعة آلاف، وقيل: ثلاثة آلاف[١].

* ﴿ وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ وهو الريح العقيم التى أرسلها الله عليهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢) ﴾ [الذاريات: ٤١، ٤٢].

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ أى: كذّبوا بالمعجزات وأنكروها.

* ﴿ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ﴾: المراد نبىّ الله «هود» ـ عليه السلام ـ، وقد ذكره الله بلفظ الجمع لأن من كذّب رسولا واحدًا كان كمن كذّب جميع الرسل.

* ﴿ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾: الجبّار: المتكبّر، والعنيد: الطاغى الذى لا يقبل الحقّ ولا يذعن له، أى اتبعوا أمر الجبارين الطاغين.

﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن السدى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾: قال: لم يُبعث نبىّ بعد «عاد» إلا لُعنتْ عادٌ على لسانه.. اهـ[٢].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٣٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٠).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾: قال: تتابعت عليهم لعنتان من الله: لعنة فى الدنيا، ولعنة فى الآخرة.. اهـ[١].

* ﴿ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴾:

قال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) أى: كفروا نعمة ربهم، ثم استطرد قائلاً: يقال كفرته وكفرتُ به، مثل: شكرته وشكرت له.. اهـ[٢].

* ﴿ أَلا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ أى: لا زالوا مبعدين عن رحمة الله، والبعد: الهلاك، والبعدُ: التباعد من الخير.

يقال بَعُد يبعُد بُعْدًا: إذا تأخّر وتباعد. ويقال بَعَد يبعَد بُعدًا: إذا هلك.

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾: أى: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا فى النسب لا فى الدّين.

* ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ أى: وحِّدوه.

* ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ أى: ابتدأ خلقكم من الأرض، وذلك أن «آدم» ـ عليه السلام ـ خُلق من الأرض.

* ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ أى: جعلكم عمّارها وسكّانها.

* وعن ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) قال: استخلفكم فيها.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٣٨).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١١).

* ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي: سلوه المغفرة من عبادة الأوثان.

* ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: ارجعوا إلى عبادته وتوحيده.

* ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ أي: قريب الإجابة لمن دعاه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [رقم: ٦١].

قرأ الكسائى، وأبو جعفر: ﴿غيرِه﴾ بالخفض، على أنها نعت أو بدل من «إله» لفظًا، وقرأ الباقون بالرفع، على أنها نعت أو بدل من «إله» محلا لأن «مِنْ» زائدة، و«إله» مبتدأ[١].

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢)﴾

معانى المفردات:

* ﴿قَالُوا﴾ أى: ثمود. * ﴿يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾: أى: كنا نرجو أن تكون فينا سيِّدًا قبل هذا، أى قبل دعوتك النبوَّة.

وقيل: كنا نرجو أن تعود إلى ديننا، وذلك أنهم كانوا يرجون رجوعه إلى دين عشيرته، فلما دعاهم إلى عبادة الله وحده قالوا: انقطع رجاؤنا منك.

* ﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: من الآلهة، والاستفهام هنا معناه الإنكار.

* ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ أى: موقع فى الريبة، والتهمة.

يقال: أربته إرابة: إذا فعلتُ به فعلا يوجب له الريبة.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٣٢١).

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً ﴾ أى: نبوّة وحكمة.

* ﴿ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾: استفهام معناه النفى، أى: لا ينصرنى ويمنعنى من عذاب الله أحد إن عصيته.

* وعن أبى زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ قال: أى: تضليل وإبعاد من الخير.. اهـ[(١)].

* وقال عطاء الخراسانى: ما تزيدوننى بما تصنعون إلا شرًا لكم وخسرانًا تخسرونه.. اهـ[(٢)].

﴿ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ ﴾: مبتدأ وخبر.

* ﴿ لَكُمْ آيَةً ﴾: نصبت «آية» على الحال، والعامل معنى الإشارة، أو التنبيه فى «هذه».

ولعل الحكمة فى قوله: ﴿ نَاقَةُ اللَّهِ ﴾ لأنه ـ عليه السلام ـ آخرجها لهم من جبل، حسبما طلبوا ليؤمنوا.

وقيل: إن قومًا طلبوا من «صالح» ـ عليه السلام ـ أن يخرج ناقة عشراء من صخرة مخصوصة لتكون دليلا على صدق نبوته، فدعا نبىّ الله «صالح» ـ عليه السلام ـ ربّه فخرجت منها ناقة عشراء وولدت فى الحال.

قال ـ تعالى ـ فى سورة الشعراء: ﴿ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٥) ﴾ [الشعراء: ١٥٤ ـ ١٥٥].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٤١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١١).

* ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ﴾: من العشب فليس عليكم مؤنتها.

* ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ﴾ أى: ولا تصيبوها بعقْر، قاله الفرّاء[1].

* ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾: إن عقرتموها.

﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾: أى عقرها بعضهم، وأضيف العَقْر إلى الكلّ لأنه كان برضا الباقين.

وقد اختلف المفسرون فى عاقر الناقة:

١ - فقيل: عقرها رجل اسمه قُدار بن سالف وكان أشقاهم.

٢ - وقيل عقرها قُدار بن سالف وكان معه ثمانية رجال، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) ﴾ [النمل: ٤٨].

وقال - تعالى - فى سورة الشمس: ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ [الشمس: ١٢ - ١٤].

* ﴿ فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ أى: قال لهم «صالح» - عليه السلام -: تمتعوا بنعم الله - عزّ وجل - قبل أن ينزل بكم العذاب ثلاثة أيام.

روى أنه قال لهم: ينزل بكم العذاب بعد ثلاثة أيام.

* ﴿ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ أى: لا كذب فيه فأتاهم العذاب فى اليوم الرابع، قال - تعالى -: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) ﴾ [الأعراف: ٧٨].

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ أى: عذاب الله العزيز الحكيم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٧/ ١٥٤).

* ﴿ نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: نجاهم الله ـ عزّ وجلّ ـ برحمة منه، ونجاهم من خزى يومئذ.. اهـ(١).

* ﴿ إِنَّ رَبَّكَ ﴾: الخطاب إلى نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ هُوَ الْقَوِيُّ ﴾: الذى لا يعجزه شىء. * ﴿ الْعَزِيزُ ﴾: الغالب على أمره.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ﴾ [هود: ٦٦].

قرأ نافع، والكسائى، وأبو جعفر: ﴿ يومَئذ ﴾ بفتح الميم، على أنها حركة بناء لإضافتها إلى غير متمكّن.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بكسر الميم، إجراء لليوم مجرى الأسماء فأعرب وإن أضيف إلى «إذْ» لجواز انفصاله عنها(٢).

﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ (٦٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾: وذلك أن «جبريل» ـ عليه السلام ـ صاح عليهم صيحة واحدة فهلكوا جميعًا.

* ﴿ فأفَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ): أى ميتين.. اهـ(٣).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ قال: كأن لم يعيشوا فيها.. اهـ(٤).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١١).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٢١).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١١).

* ﴿أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أى: كفروا نعمة ربهم. يقال: كفرته وكفرت به، مثل: شكرته وشكرت له.

* ﴿أَلا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ أى: لا زالوا مبعدين عن رحمة الله. والبعد: الهلاك.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ [رقم: ٦٨].

قرأ حفص، وحمزة، ويعقوب: ﴿ثمود﴾ بغير تنوين، على أنه ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، على إرادة القبيلة، ويقفون على الدال بلا ألف، وقرأ الباقون بالتنوين مصروفًا على إرادة الحىّ، ويقفون بالألف[١].

* ﴿أَلا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [رقم: ٦٨].

قرأ الكسائى: ﴿لثمود﴾ بكسر الدال مع التنوين مصروفًا.

وقرأ الباقون بفتح الدال من غير تنوين ممنوعًا من الصرف[٢].

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾، المراد بالرسل الملائكة ـ عليهم السلام ـ.

وقد اختلف العلماء فى عددهم على أربعة أقوال:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كانوا ثلاثة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل.. اهـ.

٢ ـ وقال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): كانوا تسعة.. اهـ.

٣ ـ وقال مقاتل بن حيّان البلَخىّ (ت ١١٠هـ): كانوا اثنى عشر.. اهـ.

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٢٢).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٥٢).

٤ ـ وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): كانوا أحد عشر مَلَكًا على صورة الغلمان الحسان الوجوه.. اهـ[1].

* ﴿ بِالْبُشْرَىٰ ﴾ أى: بالبشارة بإسحاق ويعقوب، قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود: ٧١]. وقيل: بالبشارة بإهلاك قوم لوط، قال ـ تعالى ـ: ﴿ قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ [هود: ٧٠].

* ﴿ قَالُوا سَلامًا ﴾ أى: سلّموا سلامًا. و«سلامًا» منصوب بـ «قالوا» كما تقول: قالوا خيرًا.

* ﴿ قَالَ سَلامٌ ﴾ أى: عليكم سلام.
وحينئذ يكون «سلام» مبتدأ والخبر محذوف.

* ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾: الحنيذ: المحنوذ وهو المشوىّ على الحجارة فى خَدٍّ من الأرض، وكان سمينًا يسيل دسَمًا، قال ـ تعالى ـ فى سورة الذاريات: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٦].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أنّ نافع بن الأزرق قال له: أخبرنى عن قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ قال: الحنيذ النضيج ما يشوى بالحجارة.. اهـ[2].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [هود: ٦٩].

* ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٥].

قرأ حمزة، والكسائى: ﴿ سِلْم ﴾ فى الموضعين بكسر السين، وسكون اللام من غير ألف.

وقرأ الباقون فى الموضعين أيضًا: ﴿ سَلامٌ ﴾ بفتح السين واللام، وإثبات ألف بعد اللام. وهما لهجتان بمعنى: التحيّة، وهو ردّ السلام عليهم[3].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٩٢).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى(٣/ ٦١٢).
(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٥٣).

﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: لما رأى «إبراهيم» - عليه السلام - أنه لا تصل إلى العجل أيديهم نكرهم وخافهم، وإنما كان خوف نبىّ الله «إبراهيم» - عليه السلام - أنهم كانوا فى ذلك الزمان إذا همّ أحدهم بأمر سوء لم يأكل عنده ويقول: إذا أُكرمتُ بطعامه حرم علىّ أذاه، فخاف «إبراهيم» - عليه السلام - أن يريدوا به سوءًا، فاضطربت مفاصله.. اهـ[١].

* ﴿ قَالُوا لا تَخَفْ ﴾ أى: قالت الملائكة يا إبراهيم لا تخف.

* ﴿ إِنَّا ﴾ ملائكة الله. * ﴿ أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾.

* ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ ﴾ أى: امرأة «إبراهيم» - عليه السلام - وهى سارّة بنت هاران، وهى ابنة عمّ «إبراهيم» - عليه السلام -. وكانت قائمة من وراء الستر تسمع كلامهم.

وقيل: كانت قائمة تخدم الرسل ونبىّ الله «إبراهيم» جالس معهم.

* ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ قال جمهور المفسرين: هو الضحك المعروف، وكان ضحكها ضحك تعجّب.

وقال مقاتل بن حيّان البلَخىّ (ت ١١٠هـ): ضحكت من خوف «إبراهيم» - عليه السلام - ورعدته من ثلاثة نفر، و«إبراهيم» فى حشَمه وخدمه، وكان «إبراهيم» يُقوّم وحده بمائة رجل، ثم استطرد قائلاً: وليس الضحك الحيض فى اللغة بمستقيم.. اهـ[٢].

وقد أنكر كل من أبى زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) وأبى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ): كون الضحك بمعنى الحيض، وقال الفرّاء: لم أسمعه من ثقة[٣].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٣).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٤٥).

* ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾: أى من بعد إسحاق يعقوب، والمراد: أن يعقوب سيكون ولد الولد، فبشرت أنها تعيش حتى ترى ولد ولدها.

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ قال: هو ولد الولد.. اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [رقم: ٧١].

قرأ ابن عامر، وحفص، وحمزة: ﴿ يعقوبَ ﴾ بالنصب، على أنه مفعول لفعل محذوف، والتقدير: وهبنا لها يعقوبَ من وراء إسحاق.

وقرأ الباقون: ﴿ يعقوبُ ﴾ بالرفع، على أنه مبتدأ مؤخر، خبره الظرف الذى قبله وهو: ﴿ ومن وراء إسحاق ﴾(٢).

﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ ﴾: هذا نداء ندبة، وهى كلمة يقولها الإنسان عند رؤية ما يتعجّب منه، أى: يا عجبًا، والأصل: يا ويلتاه.

قال الزجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): أصلها يا ويلتى، فأبدلت من الياء ألف، لأنها أخفّ من الياء والكسرة، ثم استطرد قائلاً: ولم ترد الدعاء على نفسها بالويل، ولكنها كلمة تخفّ على أفواه النساء إذا طرأ عليهنّ ما يعجبن منه، وقد عجبت من ولادتها ومن كون بعلها شيخًا لخروجه عن العادة، وما خرج عن العادة مستغرب ومستنكر.. اهـ(٣).

* ﴿ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾: استفهام معناه التعجّب.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٦).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٥٤).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٤٧).

* ﴿ وأَنَا عَجُوزٌ﴾ قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): كانت بنت تسع وتسعين سنة.. اهـ[١].

وقال محمد بن إسحاق (ت ٢٩٠هـ): كانت بنت تسعين سنة.. اهـ[٢].

* ﴿ وَهَذَا بَعْلِي﴾ أي: زوجي، وقد سمّي بذلك لأنه قيّم أمرها.

* ﴿ شَيْخًا﴾: نصب على الحال، والعامل فيه: التنبيه، أو الإشارة.

قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): كان سنّ «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ مائة سنة.. اهـ[٣].

وقال محمد بن إسحاق (ت ٢٩٠هـ): كان سنّه مائة وعشرين سنة.. اهـ[٤].

* ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي الذى بشرتمونى به لشىء عجيب. وكان بين البشارة والولادة سنة[٥].

* ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: قالت الملائكة لامرأة يعقوب: لا تعجبى من أمر الله، فإن الله ـ عزّ وجلّ ـ إذا أراد شيئًا كان.

وحينئذ يكون الاستفهام فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَتَعْجَبِينَ﴾ إلخ معناه النفى.

* ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ المراد: بيت «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ. والبركات: جمع البركة وهى: ثبوت الخير.

* ﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾: فالحميد: المحمود فى أفعاله، والمجيد: الكريم، وأصل المجد الرفعة.

* ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ أي: الخوف. يقال: ارتاع من كذا إذا خاف.

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٤٧)، وتفسير البغوى (٢/ ٣٩٣).

(٣ : ٥) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٩٣).

* ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ﴾ أي: بإسحاق ويعقوب.

وقال قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ): بشروه بأنهم إنما أتوا بالعذاب إلى قوم لوط وأنه لا يخاف.. اهـ(١).

* ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي: يجادل رسلنا، وقد أضافه الله ـ تعالى ـ إلى نفسه، لأن الملائكة نزلوا بأمره.

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: وهذه المجادلة رواها حُميّد بن هلال عن جُندب بن الحارث عن حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ): وذلك أنهم لما قالوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١]. قال لهم: أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا، قال: فثلاثون؟ قالوا: لا، قال: فعشرون؟ قالوا: لا، قال: فإن كان فيهم عشرة ـ أو خمسة ـ شكّ حُميّد قالوا: لا.. اهـ(٢).

* ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾: الحليم: الصّفوح عمّن سبّه أو ناله بمكروه، والأوّاه: الخاشع المتضرع، والمنيب: المخلص فى عمله لله ـ عزّ وجلّ ـ.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ أي: دع عنك الجدال فى قوم لوط.

* ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي: عذابه لهم.

* ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ﴾ أي: نازل بهم.

* ﴿عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ أي: غير مصروف عنهم ولا مدفوع.

* وعن كل من ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٤٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٨، ٦١٩).

وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ قالا: ساء ظنّا بقومه يتخوفهم على أضيافه، وضاق ذرعًا بأضيافه مخافة عليهم.. اهـ(١).

* وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله - تعالى -: ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ قال: يوم شديد.. اهـ(٢).

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨)﴾

معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ قال: يسرعون إليه.. اهـ(٣).

* وعن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ قال: ينكحون الرجال.. اهـ(٤).

* وعن كل من مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي﴾ قالا: عرض عليهم بنات أمته، لأنهنّ ما كنّ بناته لأن كل نبىّ أبو أمته.. اهـ(٥).

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قال: أمرهم «هود» - عليه السلام - بتزويج النساء، وقال: هنّ أطهر لكم.. اهـ(٦).

* وعن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن فى قوله - تعالى -: ﴿وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ قال: ولا تفضحونى فى ضيفى.. اهـ(٧).

* وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله - تعالى -: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ قال: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.. اهـ(٨).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٨، ٦١٩).

(٢، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦١٩).

(٥ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٠).

(٨) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى(٣/ ٦٢١).

﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) ﴾

معانى المفردات:

* عن السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ قال: إنما يريدون الرجال.. اهـ(١).

* ﴿ قَالَ ﴾ أى: «لوط» ـ عليه السلام ـ: * ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾: قال: أراد قوّة البدن، والقوّة بالأتباع.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ قالا: الركن الشديد: العشيرة(٢).

* وعن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) قال: الركن الشديد: العشيرة، ولم يكن «للوط» ـ عليه السلام ـ عشيرة، فوالذى لا إله غيره ما بعث الله نبيّا بعد «لوط» إلا فى ثروة من قومه.. اهـ(٣).

* وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: ما بعث الله نبيّا بعد «لوط» إلا فى عزّ من قومه.. اهـ(٤).

﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾: لمّا رأت الملائكة حزن «لوط» ـ عليه السلام ـ واضطرابه، ومدافعته عرّفوه بأنفسهم، فلمّا علم أنهم رسل مكّن قومه من الدخول، فأمرّ «جبريل» ـ عليه السلام ـ يده على أعينهم فعموا، وعلى أيديهم فجفّت(٥). قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ [القمر: ٣٧].

* ﴿ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ أى: بمكروه.

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢١).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٥٣).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ قال: آخر الليل سحر.. اهـ[١].

وفى رواية عنه قال: بطائفة من الليل.. اهـ[٢].

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ قال: لا ينظر وراءه أحد.. اهـ[٣].

* ﴿ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾: بالنصب، وعلى هذا يكون المعنى: فأسر بأهلك إلا امرأتك، فهو استثناء من الأهل، ولذا لم يخرج بها معه.

ودليل ذلك قوله ـ تعالى ـ فى سورة الأعراف: ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٣]. أى: من الباقين.

* ﴿ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾ أى: من العذاب، وقد تحقق ذلك فإنها لمّا سمعت هدّة العذاب التفتت وقالت: واقوماه، فأدركها حَجَر فقتلها.

* ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ﴾: لمّا قالت الملائكة: ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾ [العنكبوت: ٣١].

قال «لوط»: الآن الآن، استعجلهم بالعذاب لغيظه على قومه، فقالوا:

* ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾.

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: قال لهم «لوط»: أهلكوهم الساعة، فقال له «جبريل» ـ عليه السلام ـ:

* ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾: قال: فأمره ـ أى جبريل ـ أن يسرى بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته، فسار، فلما كانت الساعة التى أهلكوا فيها أدخل «جبريل» ـ عليه السلام ـ جناحه، فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديّكة، ونباح الكلاب، فجعل عاليها سافلها وأمطر الله عليها حجارة من سجّيل، وسمعت امرأة لوط الهدّة فقالت: واقوماه، فأدركها حَجَر فقتلها.. اهـ[٤].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٣). (٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٤).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ [رقم: ٨١].

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: ﴿ فاسر ﴾ بهمزة وصل تسقط فى الدّرْج، وحينئذ يصير النطق بسين ساكنة، وهو فعل أمر من «سرى» الثلاثى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ فأسر ﴾ بهمزة قطع مفتوحة تثبت فى الحالين، وهو فعل أمر من «أسرى»(١).

* ﴿ إِلاَّ امْرَأَتَكَ ﴾ [رقم: ٨١].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿ امرأتُك ﴾ بالرفع، على أنها بدل من «أحد» أو «امرأتُك» مرفوع بالابتداء، والجملة بعده وهى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إنه مصيبها ما أصابهم ﴾ خبر المبتدأ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ امرأتَك ﴾ بالنصب، على أنه مستثنى من «أهلك» وهو استثناء من الإيجاب واجب النصب.

والمعنى على هذه القراءة: أنه لم يُخْرِج امرأته مع أهله. وعلى القراءة الأولى: أنه خرج بها فالتفتت فأصابها حَجَر فقتلها والله أعلم(٢).

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ﴾

معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ الآية، قال: لما أصبحوا عدا «جبريل» ـ عليه السلام ـ على قريتهم فنقلها من أركانها، ثم أدخل جناحه، ثم حملها على حوافى جناحيه بما فيها، ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، ثم قلبها فكان أوّل ما

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٥٥).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٥٦).

سقط منها سرادقها، فلم يُصِبْ قومًا ما أصابهم، إن الله طمس على أعينهم، ثم قلب قريتهم وأمطر عليهم حجارة من سجّيل.. اهـ[١].

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قال: ذكر لنا أنها ثلاث قرى فيها من العدد ما شاء الله أن يكون من الكثرة.... وهى «سَدُوم قرية بين المدينة والشام[٢]».

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ قال: حجارة فيها طين.. اهـ[٣].

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَّنضُودٍ﴾ قال: مصفوفة.

* ﴿مُسَوَّمَةً﴾ قال: مطوّقة بها نصح من حمرة.. اهـ[٤].

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ قال: يُرهب الله بها قريشًا أن يصيبهم ما أصاب القوم.. اهـ[٥].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤)﴾

❁ معانى المفردات:

* ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: أى: وأرسلنا إلى ولد مدين أخاهم ﴿شُعَيْبًا﴾. ومدين هم قوم شعيب، وفى تسميتهم بذلك قولان:

أحدهما: أنهم بنو مدين بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ، فقيل: مدين والمراد بنو مدين، كما يقال: مضر والمراد بنو مضر.

والآخر: أنه اسم مدينتهم فنسبوا إليها.

و﴿مَدْيَنَ﴾ ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

* ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ أى: لا شريك له من إنس أو جنّ، أو مَلَك، أو حجر، أو غير ذلك بأىّ شكل من الأشكال.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٤).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٥).

قال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢)﴾ [الحشر: ٢٢].

* ﴿وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾: لقد كان قوم مدين مع كفرهم أهلَ بخس وتطفيف للمكيال والميزان، فكانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا منه بكيل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون عليه ظلمًا.

وإن جاءهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص بقدر ما يقدرون فأمرهم الله ـ عزّ وجلّ ـ بعد الإيمان بعدم التطفيف فى الكيل والميزان.

قال ـ تعالى ـ متوعدًا المطففين: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)﴾ [المطففين: ١ ـ ٣].

* ﴿إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): موسرين فى النعمة[١].

وقال مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ): فى خصب وسعة[٢]. فحذّرهم زوال النعمة، وغلاء السعر، وحلول النقمة إن لم يتوبوا.

* ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ أى: يحيط بكم فيهلككم.

وقد اختلف العلماء فى ذلك العذاب على ثلاثة أقوال:

أولا: قيل هو: عذاب النار فى الآخرة.

ثانيًا: وقيل هو: عذاب الاستئصال فى الدنيا.

ثالثًا: وقيل هو: غلاء السعر[٣].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [رقم: ٨٤].

قرأ الكسائى، وأبو جعفر: ﴿غيرِه﴾ بالخفض وكسر الهاء، على أنها نعت أوبدل من «إله» لفظًا.

(١، ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٢٩٧).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٥٧).

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ غيرُه ﴾ بالرفع وضم الهاء، على أنها نعت أو بدل من «إله» محلا لأن «مِنْ» زائدة، و«إله» مبتدأ[١].

﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾ أى: أتموهما. وقد أمر نبيّ الله «شعيب» قومه بإيفاء المكيال والميزان بعد أن نهاهم عن التطفيف للتأكيد.

* ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ أى: بالعدل، والمراد: أن يصل كل ذى نصيب إلى نصيبه.

* ﴿ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ أى: لا تنقصوهم ما استحقوه شيئًا.

* ﴿ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾: هذا دليل على أن الخيانة فى المكيال والميزان من الإفساد فى الأرض.

﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أى: ما يبقيه الله لكم بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر بركة، وأحمد عاقبة مما تبقونه أنتم لأنفسكم مما يترتب على التطفيف من الزيادة والربح الكثير.

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى معنى ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ قال: رزق الله خير لكم من بخسكم الناس.. اهـ[٢].

* ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾: وذلك أنهم إنما يعرفون صحة ذلك بالإيمان.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٢١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٧).

* ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أى: رقيب أرقبكم عند كيلكم ووزنكم، أى: لا يمكننى شهود كل معاملة تصدر منكم حتى أؤاخذكم بعدم إيفاء الناس حقوقهم.

وقيل: لا يتهيأ لى أن أحفظكم من إزالة نعم الله عليكم بمعاصيكم.

* ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: من الأوثان.

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان «شعيب» ـ عليه السلام ـ كثير الصلاة، لذلك قالوا هذا.. اهـ[١].

فلما أمرهم ونهاهم عيّروه بما رأوه يستمرّ عليه من كثرة الصلاة، واستهزءوا به، فقالوا ما أخبر الله عنهم.

* قال الحسن البصرىّ (ت ١١٠هـ): لم يبعث الله نبيًّا إلا فرض عليه الصلاة والزكاة.. اهـ.

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ قال: نهاهم ـ أى شعيب ـ عن قطع هذه الدنانير والدراهم فقالوا: إنما هى أموالنا نفعل فيها ما نشاء: إن شئنا قطعناها، وإن شئنا أحرقناها، وإن شئنا طرحناها.. اهـ[٢].

وقيل: معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ :أى: إذا تراضينا فيما بيننا بالبخس فَلِمَ تمنعنا عنه؟[٣].

* ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾: قالوا ذلك على وجه الاستهزاء والسخرية به، روى ذلك عن: قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ)[٤].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ﴾ [رقم: ٨٧].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٣٩٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٧).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٥٨).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٧).

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ أصلاتك ﴾ بالإفراد ورفع التاء، على أن المراد بها الجنس. وقرأ الباقون: ﴿ أصلواتُك ﴾ بالجمع مع رفع التاء[١].

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ ﴾ أى: نبى الله «شعيب» ـ عليه السلام ـ:

* ﴿ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾: أى: على بصيرة وبيان.

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ قال: أى: حلالا.. اهـ[٢].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كان نبىّ الله «شعيب» ـ عليه السلام ـ كثير المال.. اهـ[٣].

* وعن قتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ قال: يقول نبىّ الله «شعيب» ـ عليه السلام ـ لقومه: لم أكُ لأنهاكم عن أمر وأرتكبه.. اهـ[٤].

* ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾: أى: ما أريد إلا فعل الصلاح ما استطعت إلى ذلك سبيلا، أى: أن تصلحوا دنياكم بالعدل، وآخرتكم بعبادة الله وتوحيده.

* ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾: التوفيق: تسهيل سبل الخير والطاعة.

* ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ أى: اعتمدت.

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ قال: وإليه المرجع.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٥٧). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٧).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٦٠). (٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٧).
(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٨).

﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد (٨٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم ﴾ أى: لا يحملنكم.

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ شقاقي ﴾ قال: أى عدوانى.. اهـ[١].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ﴾ قالا: أى: لا يحملنكم معاداتى على ترك الإيمان فيصيبكم ما أصاب الكفار قبلكم.. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: إن شعيبًا ـ عليه السلام ـ قال لقومه: يا قوم اذكروا قوم نوح وعاد وثمود ﴿ وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾ وكان قوم لوط أقربهم إلى «شعيب».. اهـ[٣].

﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود (٩٠) قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (٩١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ﴾: قال: لمن تاب إليه من الذنب.

* ﴿ ودود ﴾ أى: لمن أحبه، ثم يقذف المحبة فى قلوب عباده.. اهـ[٤].

يُقال: وددتُ الرجل أودّه ودّا: إذا أحببته.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٨).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٦٠).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٨).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٩).

* ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾: أي: ما نفهم كثيرًا مما تقول لنا، لأنك تحملنا على أمور غائبة مثل البعث والنشور، وتعظنا بما لا عهد لنا بمثله.

* ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: اختلف العلماء فى معنى ذلك:

١ ـ فقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) قالا: كان «شعيب» ـ عليه السلام ـ مصابًا ببصره: أعمى.. اهـ[١].

٢ ـ وقال الثورى سفيان بن سعيد بن مسروق (ت ١٦١هـ): كان ضعيف البصر.. اهـ[٢].

* وأخرج أبو الشيخ، وابن عساكر عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قال: كان نبىّ الله «شعيب» ـ عليه السلام ـ أعمى، وإنما عمى من بكائه من حبّ الله ـ عزّ وجلّ ـ.. اهـ[٣].

* قال أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ): حكى أهل اللغة أنّ حِمْير تقول للأعمى: ضعيفًا، أى: قد ضعف بذهاب بصره. كما يقال له: ضرير، أى قد ضُرّ بذهاب بصره.
كما يقال له: مكفوف، أى قد كفّ عن النظر بذهاب بصره.. اهـ[٤].

* ﴿وَلَوْلا رَهْطُكَ﴾: رهط الرجل عشيرته الذين يستند إليهم، ويتقوّى بهم.
ومنه الرَّاهطاء لجحر اليَرْبوع لأنه يتوثّق به، ويخبئ فيه ولده[٥].

* ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ أى: لقتلناك بالرجم، لأنهم كانوا إذا قتلوا إنسانًا رجموه بالحجارة.

* ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: أى: ما أنت علينا بغالب، ولا قاهر، ولا ممتنع.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾: أى: قومى أعظم عليكم، وأجلّ من الله ـ تعالى ـ.

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٦١).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٢٩).

(٤، ٥) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٦١).

* ﴿ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾: أي: نبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه.

* ﴿ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: من الكفر، وارتكاب المعاصى.

* ﴿ مُحِيطٌ ﴾ أي: عليم، لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

* ﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾: أي: اعملوا على تؤدتكم وتمكنكم، وهذا تهديد لهم ووعيد. يقال: فلان يعمل على مكانته: إذا كان يعمل على تؤدة وتمكّن.

* ﴿ إِنِّي عَامِلٌ ﴾: على تمكنى.

* ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾: أيّنا الجانى على نفسه، والمخطئ فى فعله.

* ﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ أي: يهلكه ويذلّه.

* ﴿ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴾ أي: وسوف تعلمون مَنْ هو كاذب منّا.

* ﴿ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾: أي: انتظروا عذاب الله وسخطه، فإنى منتظر رحمة الله ونصره.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ [رقم: ٩٣].

قرأ شعبة: ﴿ مكاناتكم ﴾ بألف بعد النون، على الجمع، ليطابق المضاف إليه وهو ضمير الجماعة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بغير ألف، على الإفراد، لإرادة الجنس(١).

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾: قيل: إن «جبريل» ـ عليه السلام ـ صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٢٧).

* ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ أى: ميتين.

* ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ أى: كأن لم يكونوا فى الدنيا.

* ﴿ أَلا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾: أى: هلاكًا لمدين كما هلكت ثمود.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ أى: بالتوراة، والمعجزات.

* ﴿ وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أى: حجة بيّنة وواضحة مثل: العصا، واليد... إلخ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [الإسراء: ١٠١].

* ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ﴾: أى: أوامره، حتى اتخذوه إلها من دون الله الواحد القهار.

* ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ أى: بسديد يؤدّى إلى الخير، بل يؤدى إلى الكفر.

* ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أى: يتقدمهم إلى النار.

* ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾ أى: أدخلهم فيها.

* ﴿ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ أى: بئس المدخل، والمدخول فيه.

* ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً ﴾ أى: فى الدنيا.

* ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أى: وأتبعوا لعنة يوم القيامة.

* ﴿ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ أى: بئس العون المعان.

يقال: رفدتُه أرفده رفدًا: أى: أعنته وأعطيته.

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ﴾: قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٨هـ): قال الله ذلك لنبيه «محمد» ﷺ.. اهـ[١].

✵ المعنى:

ذلك النبأ المتقدم من أنباء القرى نقصه عليك يا «محمد» ﷺ ليكون عبرة وعظة لقومك.

* ﴿ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): القائم: العامر، والحصيد: الخراب.. اهـ[٢].

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة: القائم: ما كان خاويًا على عروشه، والحصيد: ما لا أثر له.. اهـ[٣].

و «حصيد» جمعه «حصدى» مثل: قتيل وقتلى، ومريض ومرضى.

* ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴾: لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أغنى من أن يظلم.

وصدق الله إذ قال: ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ﴾ [الكهف: ٤٩].

وأصل الظلم: وضع الشىء فى غير موضعه.

* ﴿ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾: بالكفر والمعاصى.

* ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾: أى: ما دفعت عنهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها من عذاب الله من شىء.

* عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ قالا: أى: غير تخسير[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٣١).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٦٣).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٣٢).

* وعـن عبد الرحمـن بـن زيـد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) قال: وما زادوهم إلا شرًا.. اهـ[١].

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾: أى: كمـا أخذ ربك هذه القرى الظالمة مثل قرى نوح وعاد وثمود، يأخذ جميع القرى الظالمة.

* ﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ أى: عقوبته لأهل الشرك موجعة شديدة.

* عن أبى مـوسى الأشـعرى ـ رضـى الله عنه ـ قال: قـال رسـول الله ﷺ: «إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قـرأ. وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد» اهـ[٢].

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حـوالى ١٧٠هـ) قال: إن الله ـ سبحانه وتعـالى ـ حذّر هذه الأمّـة سطوته بقـوله: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾.. اهـ[٣].

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (١٠٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ﴾ أى: لعبرة وعظة.

* وعـن ابـن عبـاس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهـما) ومجاهـد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ قالا: هو يوم القيامة[٤].

وأقول: سمّى يوم القيامة باليوم المشهود لأنه يشهده البرّ والفاجر.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٣٢).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٣٣).

* ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ أي: لأجل سبق به قضاء الله - تعالى - وهو معلوم عنده - عزّ وجل -.

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾: الأصل «تتكلم» فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا.

وقد اختلف العلماء فى معنى ذلك على قولين:

الأول: لا تتكلم فيه نفس إلا بالمأذون فيه من حسن الكلام.

والثانى: لا تتكلم فيه نفس بحجة ولا شفاعة إلا بإذنه(١).

* ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾: الشقى: الذى كتبت عليه الشقاوة، والسعيد: الذى كتبت له السعادة.

* وقد روى الترمذىّ محمد بن عيسى السّلمىّ (ت ٢٧٩هـ) عن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ - رضى الله عنهما) قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا نبىّ الله فعلام نعمل؟ على شىء قد فُرِغ منه، أو على شىء لم يُفرغ منه؟ فقال: «بل على شىء قد فُرِغ منه وجرت به الأقلام، يا عمر ولكن كلّ ميسّر لما خُلق له».. اهـ(٢).

* ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ ﴾: مبتدأ وخبر.

* ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾: اختلف العلماء فى معنى ذلك:

١ - فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): الزفير: الصوت الشديد، والشهيق: الصوت الضعيف.. اهـ.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٦٥).

(٢) وقد قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عمر.. اهـ. انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٦٥).

٢ - وقال أبو العالية الرّياحى (ت ١٩٠هـ): الزفير من الصدر، والشهيق من الحلق.. اهـ.

٣ - وقيل: الزّفير: إخراج النفس، وهو أن يمتلئ الجوف غمًّا فيخرج النّفَس، والشهيق: ردّ النّفَس.. اهـ.

٤ - وقيل: الزفير: ترديد النَّفَس من شدّة الحزن، والشهيق: النفس الطويل الممتدّ، مأخوذ من قولهم: جبل شاهق أى طويل، والزفير والشهيق من أصوات المحزونين(١).

* ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾: اختلف العلماء فى تأويل ذلك على قولين:

أولا: قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): ما دامت سموات الجنة والنار وأرضهما، وكلما علاك وأظلك فهو سماء، وكلما استقرت عليه قدمك فهو أرض.. اهـ.

ثانيًا: وقال أهل المعانى: هذا عبارة عن التأبيد على عادة العرب، يقولون لا آتيك ما دامت السموات والأرض، يعنون أبدًا(٢).

* ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾:

* عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ - رضى الله عنهما) قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ إلى قوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن شاء الله أن يُخْرِجَ أناسًا من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل» اهـ(٣).

* وقيل: الاستثناء من أهل الشقاء يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها، ثم يخرجهم منها، فيكون ذلك استثناء من غير الجنس، لأن الذين أخرجوا من النار سعداء استثناهم الله من جملة الأشقياء.. اهـ(٤).

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ قال: إلا ما استثنى من أهل القبلة.. اهـ(٥).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٦٦).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٠٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٣٤).

(٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٠٢).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٣٤).

* وعن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «ليصيبنّ أقوامًا سَفْعٌ من النار بذنوب أصابوها عقوبة، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، فيقال لهم الجهنّميون»[١].

* وعن عمران بن حصين ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بشفاعة «محمد» ﷺ فيدخلون الجنة ويُسمّون الجهنّميين» اهـ[٢].

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ﴾ أى: رزقهم الله ـ تعالى ـ السعادة.

* ﴿ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾: قال الضحّاك بن مزاحم (١٠٥هـ): إلا ما مكثوا فى النار حتى أُدخلوا الجنة.. اهـ[٣].

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ قال: عطاء غير مقطوع.. اهـ[٤]. يقال: جذّه يَجُذّه أى: قطعه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَأَمَّا الَّذِين سُعِدُوا ﴾ [رقم: ١٠٨].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ سُعِدوا ﴾ بضم السين، على البناء للمفعول، والواو نائب فاعل.

قال الكسائى على بن حمزة النحوى والقارئ (ت ١٨٠هـ): سعد وأسعد لهجتان بمعنى.. اهـ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ سَعِدوا ﴾ بفتح السين، والواو فاعل[٥].

(١، ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٠٢). (٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٠٣).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٣٤).

(٥) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٥٨).

﴿ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَلا تَكُ ﴾: أصلها «تكون» فلما دخلت «لا» الناهية جزم الفعل بالسكون، ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين، ثم حذفت النون تخفيفًا لكثرة الاستعمال فأصبح الفعل «تك».

* ﴿ فِي مِرْيَةٍ ﴾ أى: فى شك.

* ﴿ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ ﴾: لأنهم على ضلال.

المعنى:

قل يا «محمد» ﷺ لكل من شك: ﴿ لا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ ﴾ لأن الله ـ عزّ وجلّ ـ ما أمرهم به، وإنما يعبدونها كما كان آباؤهم يفعلون، فهم مقلدون لهم.

* وعن أبى بكر الصديق (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «سلوا الله العافية فإنه لم يعط أحد أفضل من معافاة بعد يقين، وإياكم والريبة فإنه لم يؤت أحد أشر من ريبة بعد كفر» اهـ[1].

* ﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾:

اختلف العلماء فى تأويل ذلك على ثلاثة أقوال:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: معنى ذلك: ما قدّر لهم من خير وشرّ غير منقوص[2].

ثانيًا: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) معنى ذلك: موفوهم نصيبهم من العذاب غير منقوص.. اهـ[3].

ثالثًا: قال أبو العالية الرّياحىّ (ت ١٩٠هـ) معنى ذلك: موفوهم نصيبهم من الرزق غير منقوص.. اهـ[4].

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٣٦).

* وعـن أبـى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قـال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ تبارك وتعـالى ـ يوفّى كل عبـد ما كتب له من الرزق فـأجملوا فى الطلب ودعـوا ما حرم، وخذوا ما حلّ» اهـ[١].

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١١٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ أى: التوراة.

* ﴿ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ أى: فَمِن قومه مصدّق به، ومنهم مكذّب به.

* ﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ أى: فى تأخير العذاب عنهم.

* ﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ أى: لعذّبوا فى الحال، وفُرِغ من عذابهم وإهلاكهم.

قال ـ تعـالى ـ: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ [يونس: ١١].

* ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ أى: قـوم مـوسى فى شك من التـوراة، وهذا الشك مريب أى موقع فى الريبة والتهمة.

﴿ وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾: أى: وإنّ كلا من الأمم الـتى سبق ذكرها ليـوفينهم ربك «يا محـمد» أعمالهم: إنْ خـيرًا فخـير، وإن شرًّا فشـر، وكذلك أمتك ليوفينها ربك أعمالها.

من هذا يتبين أن الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾: لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٣٦).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا ﴾ [رقم: ١١١].

القراء فيها على أربع مراتب:

الأولى: لنافع، وابن كثير بتخفيف نون ﴿ وإن ﴾ وميم ﴿ لما ﴾ وذلك على إعمال «إنْ» المخففة من الثقيلة.

وأمّا «لَمَا» فاللام هى المزحلقة دخلت على خبر «إنْ» المخففة، و«مَا» موصولة، أو نكرة موصوفة، و«لام» ليوفينهم» لام القسم، وجملة القسم وجوابه صلة الموصول، أو صفة «لما» والموصول، أو الموصوف خبر «إنْ» المخففة.

الثانية: لأبى عمرو، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار بتشديد نون ﴿ وإن ﴾ وتخفيف ميم ﴿ لما ﴾ وذلك على أنّ «إنّ» المشددة عاملة، ولام «لما» هى المزحلقة دخلت على خبر «إنّ» ولام «ليوفينهم» واقعة فى جواب قسم محذوف، والتقدير: وإنّ كلا والله ليوفينهم ربك أعمالهم.

الثالثة: لابن عامر، وحفص، وحمزة، وأبى جعفر بتشديد نون ﴿ وإنّ ﴾ وميم ﴿ لمّا ﴾ وأصل «لمّا»: «لمن ما» ثم أدغمت النون فى الميم.

الرابعة: لشعبة بتخفيف النون، وتشديد الميم، على أنّ «إنْ» نافية، و«لمّا» بمعنى «إلا»[١].

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ.

وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ والمراد أمته.. اهـ[٢].

* ﴿ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ قال ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ): المراد: ومن آمن.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٥٩، ٣٦٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٧١). (٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٣٦).

* ﴿ وَلَا تَطْغَوْا ﴾: قال ابن زيد: الطغيان خلاف أمر الله، وارتكاب معصيته.. اهـ[١].

* قال ابن عباس ـ رضى الله عنهمـا ـ: ما نزل على رسول الله ﷺ آية هى أشدّ ولا أشقّ عليه من هذه الآية، ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: لقد أسرع إليك الشيب، فقال: «شيبتنى هود وأخواتها».. اهـ[٢].

﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا ﴾: الركون: هو المحبّة والميل بالقلب.

وقد اختلف العلماء فى تأويل ذلك:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أى: لا تميلوا[٣].

٢ ـ وقال أبو العالية الرّياحىّ (ت ١٩٠هـ): لا ترضوا أعمالهم[٤].

٣ ـ وقال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): لا تطيعوهم، ولا تودّوهم[٥].

* ﴿ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾: هذا عامّ فى الكفار، والمشركين، والعصاة، والآية دالة على هجران أهل الكفر، والمعاصى.

* ﴿ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ أى: تحرقكم بمخالطتهم، ومصاحبتهم، وممالأتهم.

* ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أى: أعوان يمنعونكم من عذابه.

* ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾.

* ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾: اتفق العلماء على أن المراد بالصلاة: الصلوات الخمس المفروضة، وقد خصها الله ـ عزّ وجلّ ـ بالذكر لأنها الركن الثانى من أركان الإسلام بعد النطق بالشهادتين.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٣٦).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٧١).
(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٣٧).

* ﴿طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾: اختلف العلماء فى تأويل ذلك:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قالا: الطرفان: الصبح والمغرب.. اهـ[١].

٢ ـ وقال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قالوا: الطرفان: الصبح والعصر.. اهـ[٢].

* ﴿وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾: اختلف العلماء فى تأويل ذلك:

١ ـ فقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قالا: هما زلفتان: صلاة المغرب، وصلاة العشاء.. اهـ[٣].

٢ ـ وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): المراد بزلف الليل: صلاة العتمة.. اهـ[٤].

وصلاة العتمة هى أوّل ساعة من الليل بعد مغيب الشمس[٥].

* ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾: قال القرطبى أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبى بكر (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: ذهب جمهور المتأوّلين من الصحابة والتابعين إلى أنّ الحسنات ها هنا هى الصلوات الخمس. اهـ[٦].

* أخرج الطبرانى عن أبى أمامة الباهلىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب يجرى عند باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، فماذا يبقى عليه من الدرن؟» اهـ[٧].

* وأخرج أحمد، والطبرانىّ عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيقوم فيتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلّى فيحسن الصلاة إلا غُفِر له ما بينها وبين الصلاة التى كانت قبلها من ذنوبه» اهـ[٨].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٧٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٦٣٧).

(٤، ٥) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٧٣).

(٦ : ٨) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٤٢).

* وأخرج الطبراني عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهنّ ما اجتنبت الكبائر» اهـ[١].

* ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾:

اختلف العلماء في المشار إليه بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ﴾:

١ ـ فقيل: اسم الإشارة عائد إلى الذي ذكره الله من قبل.

٢ ـ وقيل: هو إشارة إلى القرآن الكريم[٢].

وحينئذ يكون المعنى: القرآن عظة لمن اتعظ به وتذكر. و«الذكرى» مصدر جاء بألف التأنيث المقصورة.

* وعن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِلذَّاكِرِينَ﴾ قال: هم الذين يذكرون الله في السرّاء والضرّاء، والشدّة والرخاء، والعافية والبلاء.. اهـ[٣].

وقد خصّ الله الذاكرين بالذكر لأنهم هم المنتفعون بالذكرى.

* ﴿وَاصْبِرْ﴾: فعل الأمر موجّه إلى نبينا «محمد» ﷺ.

وقد اختلف العلماء في تأويل ذلك:

١ ـ فقيل: المراد الصلاة أي: اصبر على أداء الصلاة، ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

٢ ـ وقيل: المراد: اصبر يا «محمد» ﷺ على ما تلقى من أذى الكفار وغيرهم، ونظير ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

* ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: في أعمالهم.

وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما): المراد: المصلين[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٤٣).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٤٠٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٦٤٤).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٤٠٦).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ [رقم: ١١٤].

قرأ أبو جعفر: ﴿ وزلُفا ﴾ بضم اللام، جمع «زلُفة» بضم اللام أيضًا مثل: بُسر، وبُسرة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ وزلَفا ﴾ بفتح اللام، جمع «زلْفة» بسكون اللام، والزلفة: الطائفة من أوّل الليل(١).

﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَلَوْلا ﴾: فهلّا. * ﴿ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أى: من الأمم التى قبلكم.

* ﴿ أُولُوا بَقِيَّةٍ ﴾ أى: أصحاب طاعة ودين وعقل وبصر.

* ﴿ يَنْهَوْنَ ﴾: قومهم. * ﴿ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ ﴾: لما أعطاهم الله من العقول وأراهم من الآيات.

وهذا توبيخ لهم، أى: فهلا كان من القرون من قبلكم من فيه خير ينهى عن الفساد فى الأرض؟

* ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): أى: لم يكن من قبلكم من ينهى عن الفساد فى الأرض إلا قليلا(٢).

* ﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أى: أشركوا وعصوا الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ﴾: من الاشتغال باللذات، وإيثار ذلك على طاعة الله ـ تعالى ـ.

* وقال البغوىّ أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ) فى تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ أى: وكانوا كافرين.. اهـ(٣).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٦٠).

(٢) انظر: تفسيرالدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٤٤).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٠٦).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ [رقم: ١١٦].

قرأ ابن جمّاز الرّاوى عن أبى جعفر: ﴿ بِقْيَة ﴾ بكسر الباء، وإسكان القاف، وتخفيف الياء، مصدر «بقى يبقى بِقْيَة».

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ بَقِيّة ﴾ بفتح الباء، وكسر القاف، وتشديد الياء، مصدر «بقى يبقى بَقِيَّة»(١).

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)﴾

المعنى:

الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ أى: لم يكن ربك «يا محمد» ليهلك أهل القرى كافّة بسبب الظلم وارتكاب المعاصى وحدها، وإنما يهلكهم جميعًا إذا وجد مع الظلم الفساد العام، وارتكاب السيئات، والكفر بالله ـ تعالى ـ كما أهلك قوم شعيب بكفرهم وبخسهم المكيال والميزان، وقوم لوط بكفرهم وفعل اللواط.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): على ملّة الإسلام وحدها.. اهـ(٢).

* ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) أى: على أديان شتّى.. اهـ(٣).

* ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: الاستثناء منقطع، أى لكن من رحم ربك بالإيمان والهدى فهم لا يختلفون.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٦١).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٧٦).

* ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾: اختلف العلماء فى تأويل ذلك:

١ ـ فقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): لاختلاف خلقهم.. اهـ.

٢ ـ وقال أشـهب: سألت الإمـام مالك عن هذه الآية فـقال: خلقهم ليكـون فريق فى الجنة، وفريق فى السعير.. اهـ.

٣ ـ وقال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ): خلق أهل الرحمة للرحمة، وأهل الاختلاف للاختلاف.. اهـ.

٤ ـ وقال البغوى فى تفسيره: ومـحصول الآية أن أهل الباطل مختلفون، وأهل الحق متفقون، فخلق أهل الحق للاتفاق، وأهل الباطل للاختلاف[١].

* ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ أى: وتمّ حكم ربك، كمـا أخبر وقـدّر فى أزله. وتمام الكلمة: امتناعها عن قبول التغيير والتبديل.

* ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾: «مِنْ» لبيان الجنس، أى: لأملأنّ جهنم من جنس الجِنّة، وجنس الناس. و﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ للتأكيد.

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن جـريج عبـد الملك بن عبـد العـزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعـالى ـ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ قـال: لتعلم يا «مـحمد» ﷺ ما لقيت الرسل من قبلك من أممهم.. اهـ[٢].

* ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ أى: على أداء الرسالة، والصبر على ما ينالك فيها من الأذى.

* وقال ابن عـباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهـما) وسعـيد بن جبـير (ت ٩٥هـ) والحسن الـبصرى (ت ١١٠هـ) وقـتادة بن دعـامة (ت ١١٨هـ) فى قولـه ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ ﴾ قالوا: أى: فى هذه السورة.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٠٦).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٣/ ٦٤٦).

والخطاب إلى نبينا محمد ﷺ.

* ﴿ وَمَوْعِظَةٌ ﴾ أي: وجاءتك موعظة.

والموعظة: ما يُتَّعظ به من إهلاك الأمم الماضية المكذبة برسلها.

* ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: وليتذكر المؤمنون مَنْ هلك قبلهم من الأمم الماضية بسبب كفرهم، وتكذيبهم رسلهم، فيتعظون بذلك ولا يقتفون أثرهم.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١].

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾: أى قل يا «محمد» للذين لا يؤمنون اعملوا على قدرتكم، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ سيعمل على قدرته، وصدق الله إذ قال: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) ﴾ [البروج: ١٢]. وهذا تهديد ووعيد للذين لا يؤمنون.

* ﴿ وَانتَظِرُوا ﴾: ما يحلّ بنا من رحمة الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾: ما يحلّ بكم من عذاب الله وغضبه ونقمته.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ [رقم: ١٢١].

قرأ شعبة: ﴿ مكاناتكم ﴾ بالجمع ليطابق المضاف إليه وهو ضمير الجماعة.

وقرأ الباقون: ﴿ مكانتكم ﴾ بالإفراد لإرادة الجنس(١).

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: ما غاب عن العباد فيهما.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٢٩).

* ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ أى: يوم القيامة، فيقضى بين عباده بحلمه وعدله.

* ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ أى: وحد الله ـ تعالى ـ فى عبادتك، والجأ إليه.

* ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾: لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، فيجازى كل واحد بعمله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧ ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ [رقم: ١٢٣].

قرأ نافع، وحفص: ﴿ يُرجَع ﴾ بالبناء للمفعول، و«الأمر» نائب فاعل.

وقرأ الباقون: ﴿ يَرجِع ﴾ بالبناء للفاعل، و«الأمر» فاعل.

* ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [رقم: ١٢٣].

قرأ نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿ تعملون ﴾ بتاء الخطاب.

وقرأ الباقون: ﴿ يعملون ﴾ بياء الغيب(١).

●●●

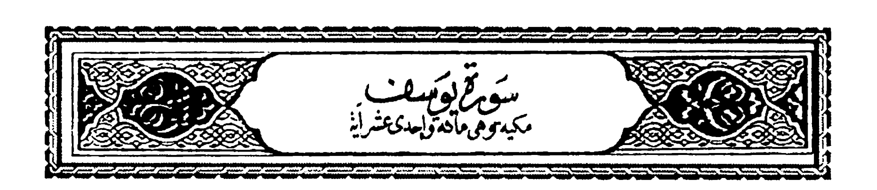
تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة هود ـ عليه السلام ـ

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة يوسف ـ عليه السلام ـ]

●●●

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٣٠).



سورة يوسف ـ عليه السلام ـ مكيّة إلا الآيات [١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٧] فمدنية. وهى ١١١ مائة وإحدى عشرة آية نزلت بعد سورة هود ـ عليه السلام ـ.

* أخرج البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أنّ حَبْرًا من اليهود دخل على رسول الله ﷺ فوافقه وهو يقرأ سورة يوسف، فقال يا «محمد»، من علّمكها؟

قال: «الله علّمنيها» فعجب الحبر لما سمع منه، فرجع إلى اليهود فقال لهم: والله إنّ «محمدًا» ليقرأ القرآن كما أنزل فى التوراة، فانطلق بنفر منهم حتى دخلوا عليه، فعرفوه بالصفة، ونظروا إلى خاتم النبوّة بين كتفيه، فجعلوا يستمعون إلى قراءته بسورة يوسف، فتعجّبوا منه وأسلموا عند ذلك.. اهـ[١].

* وقال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره:

قال العلماء: ذكر الله أقاصيص الأنبياء فى القرآن، وكرّرها بمعنى واحد فى وجوه مختلفة، بألفاظ متباينة على درجات البلاغة، وقد ذكر قصّة يوسف ـ عليه السلام ـ ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرّر، ولا على معارضة غير المتكرّر، والإعجاز لمن تأمّل.. اهـ[٢].

﴿ الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ① ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الٓر ﴾: قال الشعبى عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): ﴿ الٓم ﴾ وسائر حروف الهجاء من أوائل السّور: من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه، وهو سرّ القرآن فنحن نؤمن بظاهرها، ونكل العلم فيها إلى الله ـ تعالى ـ، وفائدة ذكرها: طلب الإيمان بها.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٧٩).

(٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤).

* وقال أبو بكر الصديق (ت ١٣ هـ ـ رضى الله عنه) فى كلّ كتاب سرّ، وسرّ الله فى القرآن أوائل السور.. اهـ[١].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ قال: مبين والله بركته وهداه ورشده، فهذا من بان أى: ظهر.. اهـ[٢].

* وقال الزجّاج إبراهيم بن السّرى (ت ٣١١هـ): «مبين» أى: مبيِّن الحق من الباطل، والحلال من الحرام، فهذا من أبان بمعنى: أظهر.. اهـ[٣].

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ الضمير فى «أنزلناه» عائد على «الكتاب».

* ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أى: باللغة العربية.

* ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: الخطاب لأمّة نبينا «محمد» ﷺ أى: أنزلنا القرآن بلغتكم أيها العرب لكى تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه.

* أخرج الطبرانىّ، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقى فى شعب الإيمان، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «أُحِبُّ العرب لثلاث: لأنى عربىّ، والقرآن عربىّ، وكلام أهل الجنة عربىّ» اهـ[٤].

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ قال: من الكتب الماضية، وأمور الله السالفة فى الأمم.. اهـ[٥].

وأصل القصص: تتبع الشىء، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]. أى: تتبعى أثره. فالقاصّ يتّبع الآثار فيخبر بها.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤).

(٢، ٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٠٨).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥).

* وقال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: الحُسْن يعود إلى القصص لا إلى القصّة، يقال: فلان حسن الاقتصاص للحديث: أى جيّد السياق له.. اهـ[١].

* ﴿ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ ﴾: «ما» مصدرية ظرفية، أى: بوحينا إليك هذا القرآن، والخطاب موجّه إلى نبينا «محمد» ﷺ، و«القرآنَ» منصوب على أنه نعت لـ «هذا»، أو بدل منه، أو عطف بيان.

* ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ ﴾ أى: من قبل وحينا وإنزال القرآن عليكَ، والخطاب فى «كنتَ» موجه إلى نبينا «محمد» ﷺ. والضمير فى «قبله» عائد على «القرآن».

* ﴿ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ أى: عما عرّفناكه من القصص، وسائر الأحكام.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ ﴾: «إذْ» فى موضع نصب على الظرفية، منصوب بفعل مقدّر، أى: اذكر يا «محمد» لقومك حين قال يوسف لأبيه... إلخ.

* ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قالا: الكواكب إخوته، والشمس أمّه، والقمر أبوه.. اهـ[٢].

* وعن قتادة بن دعامة فى رواية أخرى قال: الشمس خالته، لأنّ أمّه كانت قد ماتت، وكانت خالته تحت أبيه.. اهـ[٣].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى الآية قال: رأى أباه، وأمّه، وإخوته سجودًا له.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٨٠).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٨١).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦).

* وأخرج الإمامان: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) والبخارى محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ) عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما): أنّ رسول الله ﷺ قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ» اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَا أَبَتِ ﴾ حيثما وقعت فى القرآن نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ [يوسف: ٤].

قرأ ابن عامر، وأبو جعفر: ﴿ يا أبتَ ﴾ حيثما وقعت بفتح التاء، وذلك على تقدير إثبات ياء الإضافة فى النداء، فلما أثبت الياء فى المنادى أبدل الكسرة التى قبل الياء فتحة، فانقلبت الياء ألفًا، ثم حذفت الألف لدلالة الفتحة عليها.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يا أبتِ ﴾ بكسر التاء، وذلك لأن أصلها «يا أبتى» ثم حذفت الياء لدلالة الكسرة عليها.

وقد وقف على ﴿ يا أبت ﴾ بالهاء ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب.

ووقف عليها الباقون من القراء العشرة بالتاء(٢).

* ﴿ أَحَدَ عَشَرَ ﴾ [رقم: ٤].

قرأ أبو جعفر بإسكان العين إشعارًا بأن الاسمين جعلا اسمًا واحدًا، ولذا يقول النحاة: مبنى على فتح الجزءين.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بفتح العين، على الأصل(٣).

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها ١٠/ ٣٣١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: عَلِم نبىّ الله يعقوب ـ عليه السلام ـ أن إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ إذا سمعوا الرؤيا حسدوه، وربما يحملهم الشيطان على قصد يوسف بسوء، ولذا أمره أبوه بكتمانها عنهم.

والرؤيا: مصدر رأى فى المنام رؤيا على وزن فُعْلى مثل بُشْرى.

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: قال ابن العربىّ: لا يُرى فى المنام إلا ما يصحّ إدراكه فى اليقظة، ولذا لايُرى فى المنام شخص قائم قاعد بحال، وإنما تُرى الجائزات المعتادات.. اهـ(١).

* ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ولذا يُزَيِّن لهم أعمالهم الخبيثة، ويحملهم على ارتكابها. قال ـ تعالى ـ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)﴾ [فاطر: ٦].

* وحقيقة الرؤيا: هى إدراك فى أجزاء لم تحلّها آفة، كالنوم المستغرق، ولهذا أكثر ما تكون الرؤيا فى آخر الليل لقلّة غلبة النوم، فيخلق الله ـ تعالى ـ للرّائى علمًا ناشئًا، ويخلق له الذى يراه على ما يراه ليصحّ الإدراك.. اهـ(٢).

* فإن قيل: إن يوسف ـ عليه السلام ـ كان صغيرًا وقت رؤياه، والصغير لا حكم لفعله، فكيف تكون له رؤيا لها حُكمٌ؟

قيل: إن الرؤيا إدراك حقيقة، فتكون من الصغير، كما يكون منه الإدراك الحقيقىّ فى اليقظة، وإذا أخبر عمّا رأى صدق، فكذلك إذا أخبر عمّا يرى فى المنام، وقد أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن رؤياه، وأنها تحقّقت كما رأى.

روى أن «يوسف» ـ عليه السلام ـ كان ابن اثنتى عشرة سنة.. اهـ(٣).

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٨٤).

* والرؤيا: حالة شريفة، ومنزلة رفيعة، قال ﷺ: «لم يبق بعدى من المبشرات إلا الرؤيا الصادقة يراها الرجل الصالح أو تُرى له» اهـ[١].

* وقد ورد عن النبى ﷺ: «أن الرؤيا الصالحة ستة وأربعين جزءاً من النبوّة»، وفى رواية: «أنها جزء من سبعين جزءاً من النبوّة».

قال القرطبى: والصحيح هذان الحديثان، ولم يُخرّج مسلم فى صحيحه غير هذين الحديثين.. اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ﴾ [رقم: ٥].

قرأ حفص بفتح الياء، والباقون بكسرها، وهما لهجتان[٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾: الاجتباء: اختيار معالى الأمور للمجتبى.

وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قالا: تأويل ذلك: يصطفيك ربك.. اهـ[٤].

* ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: أجمعوا على أن ذلك فى تأويل الرؤيا.. اهـ[٥].

* قال عبد الله بن شدّاد بن الهادى: كان تفسير رؤيا «يوسف» ﷺ بعد أربعين سنة.. اهـ[٦].

* ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ أى: بالنبوّة.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٩٣).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٨٢).
(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٣١).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٧).
(٥، ٦) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٨٦).

* ﴿ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ أي: على أولاده، فإن أولاده كلهم كانوا أنبياء.

* ﴿ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ أي: بالخلّة، وإنجائه من النار التى أعدها له قومه. قال ـ تعالى ـ: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) ﴾ [الأنبياء: ٦٨ ـ ٦٩].

* ﴿ وَإِسْحَاقَ ﴾ أى: بالنبوّة.

وقال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥ هـ) أى: من الذّبح[(١)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) ﴾ [الصافات: ١٠٧].

* ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ ﴾: بكل ما يعطيه لك، ولسائر عباده.

* ﴿ حَكِيمٌ ﴾ أى: يفعل كل شىء بحكمة.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وأكثر علماء التفسير: كان بين رؤيا «يوسف» ـ عليه السلام ـ وبين تحقيقها بمسير أبويه وإخوته إليه أربعون سنة.. اهـ[(٢)].

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): كان بينهما ثمانون سنة.. اهـ ـ والله أعلم ـ[(٣)].

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ (٧) ﴾

✵ المعنى:

* عن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥ هـ) فى تأويل الآية قال:

مَنْ كان سائلا عن «يوسف» وإخوته، فهذا نبؤهم.. اهـ[(٤)].

* وقال أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ): لقد كان للذين سألوا عن خبر «يوسف» آية فيما خُبِّروا به، لأنهم سألوا النبىّ ﷺ وهو بمكة فقالوا: أخبرنا عن رجل من الأنبياء كان بالشام أخرج ابنه إلى مِصْر فبكى عليه حتى عمى؟ ولم يكن بمكة أحد من أهل الكتاب، ولا من يعرف خبر الأنبياء، وإنما وجّه إليه ﷺ من المدينة

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٨٦).

(٢، ٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤١٠).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٧).

يسألونه عن هذا، فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ سورة «يوسف» جملة واحدة، فيها كل ما فى التوراة من خبر وزيادة، فكان ذلك آية للنبى ﷺ، بمنزلة إحياء نبيّ الله «عيسى ابن مريم» الميّت.. اهـ(١).

* وعن ابن إسحاق محمد بن إسحاق صاحب السِّير (ت ٢٩٠هـ) قال: إنما قصّ الله على نبيه «محمد» ﷺ خبر يوسف، وبغى إخوته عليه، وحسدهم إيّاه حين ذكر رؤياه.. اهـ(٢).

* ﴿آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾:

١ ـ أى: دلالة على نبوة رسول الله ﷺ.

٢ ـ وقيل: معنى ذلك: عبرة للمعتبرين، فإنها تشتمل على حسد إخوة يوسف، وما آل إليه أمرهم من الحسد، وتشتمل على صبر «يوسف» ـ عليه السلام ـ على اللبث فى السجن، وعلى ما آل إليه أمره من تولّيه خزائن مصْر، كما تشتمل على صبر «يعقوب» ـ عليه السلام ـ على فراق «يوسف» وما آل إليه أمره، وتشتمل على صفح «يوسف» عن إخوته وقال: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، وتشتمل على تحقيق رؤيا «يوسف» ـ عليه السلام ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ٩٩ ـ ١٠٠].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [رقم: ٧].

قرأ ابن كثير: ﴿آية﴾ بالإفراد، كأنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل شأن «يوسف» ـ عليه السلام ـ آية على الجملة، وإن كان فى التفصيل آيات.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٨٦ ـ ٨٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨).

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿آيات﴾ بالجمع، وذلك لاختلاف أحوال يوسف وانتقاله من حال إلى حال(١).

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: و«أخوه» أي: أخو «يوسف» وهو «بنيامين» وكان «يوسف، وبنيامين» من أمّ واحدة.

﴿أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا﴾: وكان «يعقوب» ـ عليه السلام ـ شديد الحبّ ليوسف، وبنيامين.

وكان بقيّة أبناء «يعقوب» وهم عشرة، يرون ميل أبيهم إلى كل من «يوسف، وبنيامين» أكثر منهم، فقالوا: ما أخبر الله به: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾... إلخ.

* ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة، وقد اختلف العلماء فيما تدلّ عليه كلمة «عصبة»:

١ ـ فقال أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ): العصبة هي العشرة فما زاد.. اهـ.

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): العصبة هي ما بين العشرة إلى خمسة عشر.. اهـ.

٣ ـ وقيل: العصبة: ما بين الواحد إلى العشرة.

٤ ـ وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين(٢).

* ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أجمع العلماء على أنه ليس المراد من هذا الضلال: الضلال في الدّين، لأن هذا المعنى كفر والعياذ بالله، لأن «يعقوب» ـ عليه السلام ـ من الأنبياء، والأنبياء جميعًا عصمهم الله تعالى ـ من الضلال في الدين.

وإنما المراد: لفي خطأ بيّن، وذلك بإيثاره «يوسف وبنيامين» عليهم وكانوا عشرة مع استوائهم في الانتساب إليه بالبنوّة. علمًا بأنهم كانوا أنفع من «يوسف وبنيامين» في إصلاح أمور المعيشة وذلك برعي المواشي، فقالوا: نحن أولى بالمحبة منهما، إذًا

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٦٦).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٤١١).

فأبوهم ـ من وجهة نظرهم ـ مخطئ فى صرف محبته إلى «يوسف وبنيامين»، فقال قائل منهم:

* ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ إلخ، وقد اختلف العلماء فى قائل هذا:

١ ـ فقال مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ): القائل هو: روبيل.

٢ ـ وقال وهب بن منبه: القائل هو: شمعون[١]. والله أعلم.

* ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾:

أى: اطرحوه فى أرض تبعد عن أبيه، ليخلص ويصفو لكم وجه أبيكم عن شغله بيوسف فيقبل عليكم بكليّته.

* ﴿وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ﴾ أى: بعد غياب «يوسف».

* ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾: قال مقاتل بن حيّان: صالحين، أى: يصلح أمركم فيما بينكم وبين أبيكم.. اهـ[٢].

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (١٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ إلخ. قد اختلف العلماء فى القائل:

١ ـ فقيل: هو «يهوذا»، وهو أكبر ولد «يعقوب»، نهاهم عن قتله وقال: القتل كبيرة عظيمة، وقد قال بذلك ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ.
وقد رجّح البغوى فى تفسيره هذا القول[٣].

٢ ـ وقيل: القائل هو «روبيل»، وكان ابن خالة «يوسف»، وقد قال بذلك قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ)[٤].

٣ ـ وقيل: القائل هو: «شمعون»، ذكره القرطبى فى تفسيره[٥].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٨٧).
(٢ : ٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤١٢).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٨٨).

* ﴿ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ﴾ أى: فى أسفل الجبّ وظلمته. والغيابة: كل موضع ستر عنك الشىء وغيّبه.

والجبّ: البئر غير المطويّة، لأنه جُبّ أى: قطع ولم يطو.

* ﴿ يَلْتَقِطْهُ ﴾ أى: يأخذه، والالتقاط: أخذ الشىء من حيث لا يحتسبه الإنسان.

* ﴿ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ أى: بعض المسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى فتستريحوا منه.

* ﴿ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ أى: إن عزمتم على فعلكم، وهم يومئذ لم يكونوا أنبياء بعد.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ غَيَابَةِ ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ﴾ [رقم: ١٠].

ومن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ﴾ [رقم: ١٥].

قرأ نافع، وأبو جعفر: ﴿ غيابات ﴾ فى الموضعين بالجمع، لأن كل ما غاب عن النظر من الجبّ غيابة، وذلك أشياء كثيرة، فجمع على ذلك.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ غيابت ﴾ فى الموضعين بالإفراد، لأن «يوسف» ـ عليه السلام ـ لم يلق إلا فى غيابة واحدة، لأن الإنسان يحويه مكان واحد، فأفرد لذلك(١).

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ الآية:

قيل: لما تفاوضوا فى شأن «يوسف» وافترقوا على رأى المتكلم الثانى الذى أخبر الله عنه بقوله: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ﴾ رجعوا إلى أبيهم «يعقوب» ـ عليه السلام ـ وقالوا له هذا القول.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٦٦).

قال مقاتل بن حيّان البلخى (ت ١١٠هـ): فى الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا لأبيهم ﴿أَرْسِلْهُ معنا﴾ إلخ.

فقال أبوهم: إنى ليحزننى أن تذهبوا به، فحينئذ قالوا: ﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ اهـ[١].

اختلف العلماء فى تأويل ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾:

١ - فقيل: النصح ههنا: هو القيام بمصلحته.

٢ - وقيل: هو البرّ والعطف، أى: إنّا عاطفون عليه، قائمون بمصلحته نحفظه حتى نردّه عليك[٢].

* ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾: إلى الصحراء.

* ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ أى: يوسف، مرّة يرتع برعى الغنم ليتدرب على ذلك، ومرّة يلعب لصغر سنه.

والرتع: هو الاتساع فى الملاذ، وحينئذ يكون المعنى: مرّة يتنعّم ويأكل ويشرب، ومرّة يلهو ويلعب وينشط.

* ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: من كل ما تخاف عليه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا﴾ [رقم: ١١].

أصل الفعل «تأمننا» بنونين، وقد أجمع القرّاء على عدم إظهار النون الأولى، واختلفوا بعد ذلك فى كيفية القراءة:

فقرأ أبو جعفر بالإدغام المحض من غير روم ولا إشمام.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بوجهين:

الأول: الإدغام مع الإشمام، والثانى: اختلاس ضمة النون، وهاتان القراءتان لا تعرفان إلا بالتلقّى والمشافهة[٣].

(١، ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤١٢).

(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٣٣٣).

* ﴿ يَرْتَعْ ﴾ [رقم: ١٢].

القراء فيها على خمس مراتب:

الأولى: لنافع، وأبى جعفر: ﴿ يرتع ﴾ بالياء التحتية، على إسناد الفعل إلى نبى الله «يوسف» ـ عليه السلام ـ، وكسر العين من غير ياء، على أن الفعل مجزوم بحذف حرف العلة، وهو مضارع «ارتعى» على وزن «افتعل» من الرباعى بمعنى المراعاة وهى الحفظ للشىء.

والثانية: لعاصم، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ يرتعْ ﴾ بالياء التحتية مع سكون العين، على أنه مضارع «رتع» الثلاثى صحيح الآخر مجزوم بالسكون.

يقال: رتفع يرتع رتْعا، والرتْع: الأكل والشرب رغدًا فى الريف.

والثالثة: لأبى عمرو، وابن عامر: ﴿ نرتعْ ﴾ بالنون، وجزم العين. فالنون لمناسبة قوله ـ تعالى ـ قبل: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا ﴾ وجزم العين.

والرابعة: للبزّىّ: ﴿ نرتع ﴾ بالنون، وكسر العين من غير ياء.

والخامسة: لقنبل: ﴿ نرتع ﴾ بالنون، وكسر العين، وله فى الياء الحذف والإثبات وصلا ووقفًا[(١)].

* ﴿ وَيَلْعَبْ ﴾ [رقم: ١٢].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿ ونلعب ﴾ بالنون، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿ ويلعب ﴾ بالياء التحتية، على إسناد الفعل إلى نبىّ الله «يوسف» ـ عليه السلام ـ[(٢)].

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ ﴾ ـ أى «يعقوب» عليه السلام ـ لبنيه:

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٦٨).

* ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ ﴾ أي: يحزننى ذهابكم بـه، والحزن هنا: هو ألم القلب بفراق المحبوب.

* ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾: وقد ورد فى ذلك عدد من التأويلات:

١ ـ فقال الكلبى محمد بن السائب بن بشر (ت ١٤٦هـ): وذلك أن يعقوب رأى فى منامه أن الذئب شدّ على يوسف، فلذلك خافه عليه.. اهـ.

٢ ـ وقيل: إنه رأى فى منامـه كأنه على ذروة جبل، وكـأنّ يوسف فى بطن الوادى، فإذا عشـرة من الذئاب قد احـتوشـته تريد أكله، فـدرأ عنه واحد، ثم انـشقت الأرض فتوارى يوسف فيها ثلاثة أيام: فكانت العـشرة إخوته لمّا تآمروا على قتله، والذى دافع عنه أخوه الأكبر «يهوذا» وتواريه فى الأرض: هو مقامه فى الجبّ ثلاثة أيام.

٣ ـ وقيل: ما خافهم عليه، ولو خافهم لما أرسله معهم، وإنما خاف الذئب الحقيقىّ، لأنه أغلب ما يُخاف فى الصحارى(١).

* ﴿ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ أى: مشغولون بالرّعى.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي ﴾ [رقم: ١٣].

قرأ نافع: ﴿ ليُحزِننى ﴾ بضم الياء، وكسر الزاى، مضارع «أحزن».

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ ليَحزُننى ﴾ بفتح الياء، وضم الزاى، مضارع «حزن» الثلاثى(٢).

﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ أى: جماعة وكـانوا عشرة نرى الذئب ولا نردّه عنه.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٩٣).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٣٣).

* ﴿إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ أي: إذا كنا لا نقدر على دفع الذئب عن أخينا فنحن حينئذ أعجز أن ندفعه عن أغنامنا.

* ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾: أي: قرّروا وعزموا على ذلك.

* ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾: أي: وهم لا يشعرون يوم تخبرهم أنك يوسف، وذلك حين دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون.

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾: إنما جاءوا فى ظلمة العشاء ليكونوا أقدر على الاعتذار فى الظلمة.

قالت العرب: لا تطلب الحاجة بالليل فإن الحياء فى العينين.

* ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧ هـ): ﴿نَسْتَبِقُ﴾ أي: نشتد جريا لنرى أينا أسبق.. اهـ[١].

* ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا﴾ أي: عند ثيابنا حارسًا لها.

* ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾: وذلك أنهم لما سمعوا أباهم يقول:

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ [رقم: ١٣] أخذوا ذلك من فيه لأنه كان أظهر مخاوفه عليه.

* ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي: بمصدّق لنا.

* ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾: فأنت لا تصدّقنا لأنه لا دليل على صدقنا.

﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨)﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٩٦).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾: لأنه لم يكن دم «يوسف»: قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): كان دم سَخَلَة، أو جَدْى ذبحوه.. اهـ.

وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): كان دم ظَبْية.. اهـ[١]. والله أعلم.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): لمّا أرادوا أن يجعلوا الدّم علامة على صدقهم قرن الله بهذه العلامة علامة تعارضها وهى سلامة القميص من التَّنْييب، إذْ لا يمكن افتراس الذئب ليوسف وهو لابس القميص ويَسْلم القميص من التخريق، ولمّا تأمّل «يعقوب» ـ عليه السلام ـ القميص فلم يجد فيه خرقًا ولا أثرًا استدلّ بذلك على كذبهم وقال لهم: متى كان هذا الذئب حكيمًا يأكل يوسف ولا يخرّق القميص؟.. اهـ[٢].

وفى رواية عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: لمّا نظر «يعقوب» إلى القميص قال: كذبتم، لو كان الذئب أكله لخرّق القميص.. اهـ[٣].

* جاء فى تفسير القرطبى: عندما رأى «يعقوب» ـ عليه السلام ـ القميص ملطّخًا بالدم بكى عند ذلك وقال لبنيه: أرونى قميصه، فأروه فشمّه وقبّله، ثم جعل يقلّبه فلايرى فيه شقّا ولا تمزيقًا، فقال: والله الذى لا إله إلا هو ما رأيتُ كاليوم ذئبًا أحكم منه، أكل ابنى واختلسه من قميصه ولم يمزّقه عليه، وعلم أن الأمر ليس كما قالوا، وأن الذئب لم يأكله، فأعرض عنهم مغضبًا باكيًا حزينًا وقال: يا معشر ولدى دلّونى على ولدى، فإن كان حيّا رددته إلىّ، وإن كان ميتًا كفّنته ودفنته.

فقالوا حينئذ: ألم تروا إلى أبينا كيف يكذّبنا فى مقالتنا.. اهـ[٤].

* ﴿ قَالَ ﴾ أى: «يعقوب» ـ عليه السلام ـ:

* ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ أى: زيّنت لكم أنفسكم أمرًا غير ما تصفون وتذكرون، ثم قال تَهْدئة لنفسه الحزينة:

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٩٨).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٩٩).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٠٠ ـ ١٠١).

* ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ أي: فشأني والذي يلزمني صبر جميل، والصبر الجميل كما روى عن النبي ﷺ: هو الذي لا شكوى فيه.

* ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾: أي: أستعين بالله ـ عز وجلّ ـ على احتمال ما تصفون من الكذب.

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾: أي: رفقة مارّة يسيرون من الشام إلى مِصْر، فأخطأوا الطريق وهاموا حتى نزلوا قريبًا من الجبّ، وكان الجبّ فى مكان قفر بعيد من العمران، إنما هو للرّعاة والمارّة.

فلمّا نزلوا أرسلوا رجلاً يقال له: مالك بن ذُعْر لطلب الماء فذلك قوله ـ عزّ وجلّ ـ: * ﴿ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾: والوارد: الذى يرد الماء يستقى للقوم.

* ﴿ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ﴾ أي: أرسلها فى البئر.

يقال: أدليت الدّلو إذا أرسلتها فى البئر، ودلَوْتها إذا أخرجتها، فتعلق «يوسف» بالحبل، فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون، فلمّا رآه مالك بن ذُعْر.

* ﴿ قَالَ يَا بُشْرَىٰ ﴾: فى معناه قولان:

الأول: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ): بَشّر أصحابه بأنه وجد غلامًا.

والثانى: قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): نادى رجلاً اسمه بُشرى.. اهـ[١].

قال أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ): قوْل قتادة أوْلى، لأنه لم يأت فى القرآن تسمية أحد إلا يسيرًا، وإنما يأتى بالكناية، والمعنى فى نداء البشرى: التبشير لمن حضر.. اهـ[٢].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٠١).

* ﴿ هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ﴾ أى: أخفوه بضاعة.

١ ـ قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): أسرّه مالك بن دُعْر وأصحابه من التجار الذين معهم وقالوا: هذا بضاعة استبضعها بعض أهل الماء إلى مِصْر خيفة أن يطلبوا منهم فيه المشاركة.. اهـ[١].

٢ ـ وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): أسرّه إخوة «يوسف» بضاعة لمّا استُخْرِجَ من الجُبّ، وذلك أنهم جاءوا فقالوا: هذا عبد لنا أبق، وقالوا ليوسف بالعبرانية: إمّا أن تقر لنا بالعبوديّة فنبيعك لهؤلاء، وإمّا أن نأخذك فنقتلك، فقال: أنا أقرّ لكم بالعبوديّة، فأقرّ لهم فباعوه لهم.. اهـ[٢].

* ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾: لأنه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ أى: باعوه، يقال: شريت بمعنى اشتريت، وشريت بمعنى بعت، وهما لغتان.

* ﴿ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾: قال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) والشّعبى عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ) قالا: بثمن بخس أى: قليل.. اهـ[٣].

* ﴿ دَرَاهِمَ ﴾: بدل من «ثمن». * ﴿ مَعْدُودَةٍ ﴾: نعت لـ«دراهم».

* ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ أى كان إخوة يوسف فى «يوسف» من الزاهدين: أى فى ثمنه لأنهم لم يكن قصدهم تحصيل الثمن، وإنما كان قصدهم تبعيد «يوسف» عن أبيه.

﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) ﴾

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٠٢).
(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤١٦).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ ﴾:

قال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): الذى اشتراه مَلِك مصْر، ولقبه العزيز.. اهـ[1].

* وقال السُّهيلىّ: اسمه قطفير.. اهـ[2].

وكان هذا العزيز الذى اشترى «يوسف» على خزائن الملك.

* ﴿ لامْرَأَتِهِ ﴾: واسمها: زليخاء، وقيل: اسمها راعيل.

* ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ أى: مقامه بطيب المطعم واللباس الحسن. وهو مأخوذ من قولهم: ثوى بالمكان، أى: أقام به.

* ﴿ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا ﴾ أى: يكفينا بعض المهمات إذا بلغ.

* ﴿ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: كان حصورًا لا يولد له[3].

* قال عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه): أحسن الناس فراسة ثلاثة:

١ ـ العزيز حين تفرّس فى «يوسف» فقال: ﴿ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾.

٢ ـ وبنت شعيب حين قالت لأبيها فى «موسى» ـ عليه السلام ـ: ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) ﴾ [القصص: ٢٦].

٣ ـ وأبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ حين استخلف عمر ـ رضى الله عنه ـ.. اهـ[4].

* ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾: الكاف فى موضع نصب، أى: وكما أنقذنا «يوسف» من إخوته، ومن الجبّ، فكذلك مكنا له فى أرض مصْر فجعلناه على خزائنها.

* ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ أى: تأويل الرؤيا، وهذا يعتبر تصديقًا لقول والده له: ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [رقم: ٦].

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٠٤).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٠٥).

(٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤١٦)، وتفسير القرطبى (٩/ ١٠٦).

* ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾: اختلف العلماء فى عود الضمير فى «أمره»:

١ ـ فقيل: هو راجع إلى الله ـ تعالى ـ، وحينئذ يكون المعنى: إنّ الله غالب على أمره يفعل ما يشاء لا يغلبه شيء.

٢ ـ وقيل: هو راجع إلى «يوسف» وحينئذ يكون المعنى: إن الله غالب على أمر «يوسف» يدبّره ويحوطه، ولا يكله إلى غيره حتى لا يصل إليه كيد كائد.

* ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ أى: منتهى شبابه وشدّته وقوته ومعرفته.

وقد اختلف العلماء فى تأويل ذلك أى: فى مقدار ذلك:

١ ـ فقال مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ): ثلاثًا وثلاثين سنة.

٢ ـ وقال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): عشرين سنة.

٣ ـ وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): ثلاثين سنة.

٤ ـ وقال الكلبى محمد بن السائب (ت ١٤٦هـ): الأشدّ ما بين ثمانية عشر سنة إلى ثلاثين سنة.

٥ ـ وقال الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ): الأشدّ هو أن يبلغ الحُلُم(١).

* ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾: وقد اختلف العلماء فى تأويل ذلك:

١ ـ فقيل: الحكم: النبوّة، والعلم: علم الدين.

٢ ـ وقيل: الحكم: النبوّة، والعلم: الفقه فى الدين.

٣ ـ وقيل: الحكم: الإصابة فى القول، والعلم: تأويل الرؤيا(٢).

* ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾: ورد فى تأويل ذلك قولان:

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤١٧).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤١٧)، وتفسير القرطبى (٩/ ١٠٧).

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أى: المؤمنين.

٢ ـ وقال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) أى الصابرين على النوائب كما صبر «يوسف» ـ عليه السلام ـ.. اهـ[1].

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾: وهى امرأة العزيز طلبت من «يوسف» أن يواقعها.

وأصل المراودة: طلب الفعل بلين ورفق.

* ﴿ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾: يقال: كانت سبعة أبواب، وغلّقتها ثم دعته إلى نفسها.

* ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾: «هيت» اسم فعل أمر بمعنى: هلمّ وأقبل، وهو جامد لا يتصرف.

* ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ أى: قال «يوسف» لها عند ذلك: «معاذ الله» أى: أعوذ بالله وأعتصم به مما دعوتنى إليه.

* ﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾: قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) والكثيرون من المفسرين: المراد بربّى: زوجها، أى هو سيِّدى أكرمنى فلا أخونه، ولا أرتكب ما حرمه الله ـ تعالى ـ[2].

* ﴿ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ أى: إن فعلت هذا فقد خنت سيدى فى زوجه بعدما أكرم مثواى، وحينئذ أكون من الظالمين، والظالمون لا يفلحون، بل هم الخاسرون فى الدنيا والآخرة.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ [رقم: ٢٣].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤١٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٠٩).

القراء فيها على أربع مراتب:

الأولى: لنافع، وابن ذكوان، وأبى جعفر: ﴿ هِيتَ ﴾ بفتح التاء وكسر الهاء.

الثانية: لابن كثير: ﴿ هَيْتُ ﴾ بفتح الهاء، وضم التاء، وذلك على الإخبار عن نفسها أى: تهيأتُ لك.

الثالثة: لهشام: ﴿ هِئت ﴾ بكسر الهاء، وهمزة ساكنة، وفتح التاء وضمها بمعنى: تهيأت لك.

الرابعة: لباقى القراء العشرة: ﴿ هَيْتَ ﴾ بفتح الهاء، وفتح التاء، على معنى «هلمّ» أى: تعال إلىّ. و«هيت» اسم فعل أمر بمعنى: «هلّم» ولا يتصرف[1].

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾: ورد فى لك الكثير من الأقوال، ومعظهما لا يتفق وعصمة الأنبياء من ارتكاب الفاحشة، لذلك فإنى أستخير الله ـ تعالى ـ وأذكر ما يتفق وعصمة الأنبياء:

أولا: همّت به همّ طلب، وهمّ بها همّ ضَرْب ودفعها عن نفسه. وهذا هو ما أرجحه وأختاره، وأتحدّث به.

ثانيًا: قال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): هذا على التقديم والتأخير، كأنه أراد: ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها.. اهـ[2].

* ﴿ لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾: اختلف العلماء فى تأويل ذلك:

أولا: قال علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) إن زليخاء قامت إلى صنم مكلّل بالدرّ والياقوت فى زاوية البيت فسترته بثوب، فقال: ما تصنعين؟ قالت:

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٧٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٠٩).

أستحى مـن إلهى هذا أن يرانى فى هذه الصورة. فقال «يوسف»: أنا أولـى أن أستحى من الله. ثم استطـرد علىّ ـ رضـى الله عنـه ـ قائلا: وهذا أحـسن ما قيل فـيه، لأن فـيه إقامة الدليل.. اهـ[١].

ثانيًا: قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) وأكثر المفسرين:

إنه رأى صورة «يعـقوب» ـ عليه السـلام ـ وهو يقول له: يا يوسـف أتعـمل عمل السفهاء، وأنت مكتوب فى الأنبياء.. اهـ[٢].

ثالثًـا: قال القـرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسـيره: وبالجـملة فذلك البـرهان آية من آيات الله أراها الله يوسف حتى قوى إيمانه، وامتنع عن المعصية.. اهـ[٣].

* ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ أى: أريناه البراهـين رؤية كذلك، لنصرف عنه السوء: أى: خيانة سيّده، والفحشاء: ركوب الفاحشة.

* ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ أى: المختارين للنبوّة، والعبادة.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [رقم: ٢٤].

قرأ ابن كثـير، وأبو عمرو، وابن عامـر، ويعقوب: ﴿ المخلِصين ﴾ بكسر اللام، على أنه اسم فاعل من «أخلص» لأنهم أخلصوا أنفسهم لعبادة الله ـ تعالى ـ.

وقـرأ الباقـون مـن القـراء العشرة بفـتح اللام، اسم مفعول من «أخلص» لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخلصهم أى: اختارهم لعبادته[٤].

﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) ﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١١٢).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٢٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١١٢).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٧١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾: وذلك أن «يوسف» لما رأى برهان ربه قام مبادرًا إلى باب البيت هاربًا، وتبعته المرأة قبل أن يخرج فتعلقت بقميصه من الخلف فجذبته إليها حتى لا يخرج، فترتب على هذه الجذبة ما أخبر الله عنه بقوله:

* ﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ ﴾ أى: شقته.

* ﴿ مِن دُبُرٍ ﴾ أى: من خلف عند طوقه، ونزل الشق إلى أسفل القميص، والقدّ: القطع، وأكثر ما يستعمل فيما كان طولا.

* ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾: أى: وجدا زوجها عند الباب، والقبط يسمّون الزوج سيِّدا.

فلما رأت زوجها * ﴿ قَالَتْ ﴾: لزوجها. * ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾: تعنى الزنا. * ﴿ إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أى: يحبس.

* ﴿ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أى: يعذّب عذابًا أليمًا.

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾: قال العلماء: لما برّأت امرأة العزيز نفسها، نطق «يوسف» بالحق فى مقابلة كذبها عليه فقال: هى التى طلبت منّى الفاحشة فأبيت وفررت منها.

* ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾:

قال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) قالا: كان الشاهد صبيًا فى المهد أنطقه الله ـ عزّ وجلّ ـ. اهـ[1].

وكان ذلك الصبىّ ابن خالة امرأة العزيز. ومما يدلّ على صحة هذا، الحديث الذى رواه ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «تكلّم فى المهد أربعة

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٢١).

وهم صغار: ١ ـ ابن ماشطة ابنة فرعون. ٢ ـ وشاهد يوسف. ٣ ـ وصاحب جريج. ٤ ـ وعيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ» اهـ[1].

* ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ أى: من الأمام. * ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

* ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ أى: لما أُتى بالقميص وُجدَ أنه قد قدّ من دبر فلمّا رأى عزيز مصر أى: زوجها أن القميص قَدْ قُدَّ من دبر، عرف كذب امرأته، وصدّق «يوسف».

عندئذ ﴿قَالَ﴾ لها: * ﴿إِنَّهُ﴾ أى: هذا الصنيع. * ﴿مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾: وإنما قال «عظيم» لعظم فتنتهن، واحتيالهن فى التخلص من أخطائهن.

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ كيد النساء أعظم من كيد الشيطان، لأن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)﴾ [النساء: ٧٦] وقال: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾» اهـ[2].

* ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ أى: لا تكترث به فقد ظهرت براءتك.

* ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ أى: توبى إلى الله ـ تعالى ـ توبة نصوحًا.

* ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ أى: المذنبين.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)﴾

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه، ومسلم، وأحمد فى مسنده (٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١١٥).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾: وذلك أن القصّة انتشرت فى أهل مصر، وتحدّثت النساء بذلك، قيل هنّ خمس نسوة:

١ ـ امرأة حاجب الملك. ٢ ـ وامرأة صاحب الدّواب. ٣ ـ وامرأة الخبّاز. ٤ ـ وامرأة الساقى. ٥ ـ وامرأة صاحب السجن.

* ﴿ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ أى: تطلب منه الفاحشة.

الفتى فى كلام العرب: الشاب، والأنثى فتاة.

* ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ أى: دخل حبه فى شغاف قلبها.

قال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧ هـ) وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) قالا: شغاف القلب: غلافه، وهو جلدة عليه.. اهـ[١].

وحينئذ يكون المعنى: وصل حبه إلى شغاف قلبها وغلب عليه.

* ﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ أى: خطأ بيّن ظاهر بسبب فعلها هذا وهو مراودتها فتاها.

* ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾:

قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧ هـ) قالا: أى: بقولهن وحديثهن.. اهـ[٢].

قيل: إنها ـ أى امرأة العزيز ـ أطلعتهنّ، واستأمنتهن على ذلك فأفشين سرّها، فسمّى ذلك مكرًا.

* ﴿ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ﴾: قال وهب بن منبّه: اتخذت مأدبة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللاتى عيّرنها.. اهـ[٣].

* ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾ أى: هيأت لهن مايتّكأ عليه أثناء الجلوس.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١١٦).

(٢، ٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٢٣).

* ﴿ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾: لأنهنّ كنّ يأكلن اللّحم حزًا بالسّكين.

* ﴿ وَقَالَتِ ﴾ ليوسف. * ﴿ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾: وذلك أنها كانت أجلسته فى مكان آخر وطلبت منه أن يخرج عليهنّ فخرج عليهنّ.

* ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ﴾ أى: أعظمنه.

قال أبو العالية الرياحىّ (ت ٩٠هـ): هالهنّ أمره وبُهِتْن.. اهـ[١].

* ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾: أى: حززن بالسّكّين التى معهنّ أيديهنّ وهن يحسبن أنهنّ يقطعن الأترجّ، ولم يجدن الألم لشغل قلوبهنّ بيوسف.

* ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾: أى: معاذ الله أن يكون هذا بشرًا.

* ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ أى: ما هذا إلا ملك من الملائكة كريم على الله ـ تعالى ـ، وذلك مبالغة فى تفضيله، وتعظيم شأنه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ [رقم: ٣١].

ومعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾ [يوسف: ٥١].

قرأ أبو عمرو: ﴿ حاش ﴾ فى الموضعين بألف بعد الشين وصلا، على أصل الكلمة، وحذف الألف وقفًا اتباعا لرسم المصحف.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ حاش ﴾ بحذف الألف. ووصلا ووقفًا، اتّباعًا لرسم المصحف[٢].

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) ﴾

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٢٣).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٧١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَتْ ﴾ أى: امرأة العزيز: ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾: لما رأت افتتانهنّ بيوسف أظهرت عذر نفسها بقولها: ذلك الحبّ الذى لمتننى فيه، واللّوم: الوصف بالقبيح. ثم صرّحت بما صدر منها فقالت:

* ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾: أى: امتنع وطلب العصمة من الله ـ تعالى ـ.

وسميت العصمة عصمة لأنها تمنع من ارتكاب المعاصى. ثم عاودته المراودة فقالت:

* ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ ﴾ أى: ليعاقبنّ بالسجن.

* ﴿ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ أى: من الأذلاء.

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾: أى: يا ربّ دخول السجن أهون علىّ من الوقوع فى المعصية.

قال القرطبىّ فى تفسيره: حكى أن «يوسف» ـ عليه السلام ـ لما قال: ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ أوحى الله إليه «يا يوسف أنت حبست نفسك حيث قلت السجن أحبّ إلىّ، ولو قلت العافية أحبّ إلىّ لعوفيت» اهـ[1].

من هذا يتبيّن أن الأولى بالإنسان أن يسأل الله العافية.

* ﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾ أى: كيد النسوة اللاتى رأينه، فإنهنّ أمرنه بمطاوعة امرأة العزيز.

وقيل: المراد كيد امرأة العزيز فيما دعته إليه من الفاحشة، وكنّى عنها بالجمع تعظيمًا لشأنها، والكيد: الاحتيال والمكر لتحقيق الأمر المحبوب.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٢١).

* ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ جواب الشرط.

وحينئذ يكون المعنى: إن لم تلطف بى وتصرف عنى كيدهن أملْ إليهنّ.

* ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ معطوف على ما قبله: أى: ممن يعمل عمل الجهال بارتكاب ما حرّم الله ـ تعالى ـ.

وقد دلّ هذا على أن أحدًا لا يمتنع عن المعصية إلا إذا عصمه الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [رقم: ٣٣].

قرأ يعقوب: ﴿السَّجن﴾ هذا الموضع الأوّل فقط بفتح السين، على أنه مصدر أريد به «الحبس» و «إلىّ» متعلق بـ «أحبّ» وليس «أحبّ» هنا على بابه، لأن نبى الله «يوسف» ـ عليه السلام ـ لم يحبّ ما يدعونه إليه قط.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿السِّجن﴾ بكسر السين، على أن المراد به المكان[1].

●● **تنبيه:** اتفق القراء العشرة على كسر السين من كلمة «السجن» غير هذا الموضع حيثما وقع وهو فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [رقم: ٣٦].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ [رقم: ٣٩ـ ٤١].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [رقم: ٤٢].

وذلك لأن المراد به: المكان الذى يسجن فيه، ولا يصحّ أن يراد به المصدر، بخلاف الموضع الأول فإنّ إرادة المصدر فيه ظاهرة.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥) وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)﴾

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٧٣).

❀ معانى المفردات:

* ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾: لمّا قال «يوسف»: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ كأنه قال: اللهم اصرف عنّى كيدهن، فاستجاب الله دعاءه، ولطف به، وعصمه من الوقوع فى الزنا.

* ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ أى: كيد النساء.

* ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أى: السميع لدعاء يوسف، العليم بمكرهنّ.

* ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ أى: ظهر للعزيز، وأهل مشورته.

* ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): قدّ القميص من دبر من الآيات، وشهادة الشاهد من الآيات، وقطع الأيدى من الآيات، وإعظام النساء إياه من الآيات.. اهـ[(١)].

* ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أى: إلى مدّة غير معلومة.

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: إلى انقطاع ما شاع فى المدينة.

* وقال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): تسع سنين.

* وقال الكلبى محمد بن السائب (ت ١٤٦هـ): خمس سنين[(٢)].

* ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾:

قال البغوى (ت ٥١٦هـ) فى تفسيره: هما غلامان كان للريّان بن الوليد بن شروان مَلك مصر الأكبر، أحدهما خبّازه وصاحب طعامه، والآخر ساقيه وصاحب شرابه، غضب الملك عليهما فحبسهما.

ثم استطرد قائلا: وكان «يوسف» حين دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول: إنى أعبر الأحلام[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٢٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٢٣).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٢٥).

* ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴾... إلخ.

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قالا: كانت رؤيا صدق رأياها، وسألاه عنها، ولذلك صدق تأويلها.. اهـ[1].

قال البغوى فى تفسيره: فرآهما «يوسف» - أى رأى الفتيين الذين دخلا معه السجن - وهما مهمومان، فسألهما عن شأنهما، فذكرا أنهما غلامان للملك وقد حبسهما، وقد رأيا رؤيا غمّتهما، فقال «يوسف»: قصّا علىّ ما رأيتما، فقصّا عليه[2]:

* ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا ﴾ وهو صاحب شراب الملك:

* ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ أى: عنبًا، وسمّى خمرًا باسم ما يؤول إليه.

وذلك أنه قال: إنى رأيت كأنى فى بستان، فإذا أنا بأصل عِنَبة عليها ثلاثة عناقيد من عنب، فجنيتها، وكان كأس الملك بيدى فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه.

* ﴿ وَقَالَ الآخَرُ ﴾: وهو خباز الملك: ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴾: وذلك أنه قال: إنى رأيت كأنّ فوق رأسى ثلاث سلال فيها الخبز، والألوان من الأطعمة، وسباع الطير ينهبن منه.

* ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾: أى: أخبرنا بتعبيره وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا.

* ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أى: العالمين بتعبير الرؤيا.

* فلمّا قصّا عليه الرؤيا كره «يوسف» أن يعبرّ لهما ما سألاه لمَا علم فى ذلك من المكروه على أحدهما، فأعرض عن سؤالهما بعض الوقت، وأخذ فى غيره فقال كما أخبر الله - عزّ وجلّ -:

﴿ قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) ﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى(٩/ ١٢٥).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٢٥).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ﴾ أى: لا يجيئكما طعام غداً من منازلكما ترزقانه أى تطعمانه وتأكلانه.

* ﴿ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾: أى: إلا نبأتكما بتأويله أى: بقدره، ولونه، والوقت الذى يصل فيه إليكما، قبل أن يأتيكما، فكان على ما قال.

* ﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾: وكان هذا من علم الغيب الذى خُصَّ به «يوسف» ـ عليه السلام، كما خصّ الله به نبيه «عيسى» ـ عليه السلام ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ثم بيّن «عيسى» ـ عليه السلام ـ أن الله ـ عزّ وجلّ ـ خصّه بهذا العلم لأنه ترك ملّة قوم لا يؤمنون بالله، كما قال ـ تعالى ـ:

* ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾.

﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٣٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾: بيّن لهما أنه من أولاد الأنبياء، وممّا هو معلوم لدى الجميع أن الأنبياء كلهم على الحق.

* ﴿ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾: أى: ما كان ينبغى لنا أن نشرك بالله من شىء، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد عصمنا من الشرك.

* ﴿ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا ﴾: إذْ جعلنا أنبياء.

* ﴿ وَعَلَى النَّاسِ ﴾: إذْ جعلنا الرسل إليهم.

* ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ أى: لا يشكرون الله ـ تعالى ـ على نعمة الإيمان والتوحيد، وإرسال الرسل إليهم.

بعد ذلك أخذ «يوسف» ـ عليه السلام ـ يدعوهما إلى الإسلام فقال كما أخبر الله بذلك فيما يلى:

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٤٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ﴾: جعلهما صاحبى السجن لكونهما فيه، كما يقال لسكّان الجنة: أصحاب الجنة. ولسكّان النار: أصحاب النار.

* ﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ ﴾: أى: آلهة شتّى: هذا من ذهب، وهذا من فضّة، وهذا من حديد، وهذا أعلى، وهذا أوسط، وهذا أدنى، متباينون، آلهة لا تضرّ ولا تنفع، بل لا تغنى عن نفسها شيئًا.

* ﴿ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾: الذى لا ثانى له، القهّار: أى الغالب على كل شىء.

ثم بيّن عجز الأصنام فقال:

* ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ ﴾ أى: من دون الله ـ تعالى ـ.

ولعلّ الحكمة فى ذكر الجمع أنه أراد جميع أهل السجن، وكل من هو على الشرك.

* ﴿ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم ﴾: أى: ما تعبدون من دون الله ـ عزّ وجلّ ـ إلا مسمّيات لا تنفع ولا تضرّ، سمّيتموها آلهة أنتم وآباؤكم، أى: من عند أنفسكم.

* ﴿ مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ أى: من حجة.

* ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾ أى: ما الحكم إلا لله الخالق لكل شىء.

* ﴿ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾: لأنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، ولذهب كل إله بما خلق.

* ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ أى: القويم.

* ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾.

* بعد ذلك أخذ «يوسف» ـ عليه السلام ـ يفسر رؤياهما فقال:

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ﴾: أى: قال للساقى: إنك تردّ إلى عملك الذى كنت عليه من سقى الملك بعد ثلاثة أيام، فالعناقيد الثلاثة هى الأيام الثلاثة التى يبقى فى السجن، ثم يخرجه الملك فيأمر به.

* ﴿ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ ﴾.

قال ابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه): لما سمعا قول «يوسف» قالا: ما رأينا شيئًا إنما كنا نلعب، فقال «يوسف»: ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ أى: فرغ من الأمر الذى عنه تسألان[١].

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾: أى: قال «يوسف» - عليه السلام - للذى علم أنه ناج منهما وهو الساقى:

* ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ أى: سيدك الملك، وقل له: إنّ فى السجن غلامًا محبوسًا ظلمًا بلا ذنب، واذكر له ما رأيته وما أنا عليه من تعبير الرؤيا.

* ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾: الضمير فى «فأنساه» عائد إلى الساقى، أى: أنسى الشيطان الساقى ذِكْر يوسف للملك.

* ﴿ فَلَبِثَ ﴾ أى: مكث يوسف. * ﴿ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾:

اختلف العلماء فى معنى «البضع»:

فقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): البضع ما بين الثلاث إلى السبع.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٢٧).

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): البضع ما بين الثلاث إلى التسع.

٣ ـ وأكثر المفسرين على أن البضع فى هذه الآية سبع سنين.. اهـ[١].

* قال وهب بن منبه: حُبس «يوسف» فى السجن سبع سنين، ومكث «أيوب» فى البلاء سبع سنين، وعذّب بُخْتُنَصَّر سبع سنين.. اهـ[٢].

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤)﴾

معانى المفردات:

* ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾:

قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: لما دنا فرج «يوسف» ـ عليه السلام ـ رأى الملك رؤياه، وذلك أن الملك الأكبر الرَّيَّان بن الوليد رأى فى نومه: كأنما خرج من نهر يابس سبع بقرات سمان، فى أثرهن سبع عجاف: ـ أى مهازيل ـ وقد أقبلت العجاف على السمان فأخذن بآذانهن فأكلنهنّ إلا القرنين. ورأى سبع سنبلات خضر قد أقبل عليهنّ سبع يابسات فأكلنهنّ حتى أتين عليهنّ فلم يبق منهن شىء، وهنّ يابسات. وكذلك البقر كنّ عجافًا فلم يزد فيهنّ شىء من أكلهنّ السمان. فهالته الرؤيا، فأرسل إلى أهل العلم، والبصر بالكهانة، والنّجامة، والعرافة، والسّحر، وأشراف قومه فقال:

* ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾ أى: أخبرونى بحكم هذه الرؤيا.

* ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٢٨).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٢٨)، وتفسير القرطبى (٩/ ١٣٠).

(٣) انظر تفسير القرطبى (٩/ ١٣٠).

* ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ﴾: اختلف العلماء فى تأويل ذلك:

١ ـ قال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): قال لى عطاء: إنّ أضغاث الأحلام: الكاذبة المخطئة من الرؤيا.. اهـ.

٢ ـ وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) الأضغاث ما لا تأويل له.. اهـ.

٣ ـ وقال الهروىّ أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ): أضغاث أحلام، أى أخلاط أحلام.. اهـ.

٤ ـ وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): الرؤيا منها حقّ، ومنها أضغاث أحلام، يعنى بها الكاذبة.. اهـ[١].

* ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ﴾:

قال الزجاج إبراهيم بن السّرى (ت ٣١١هـ): أى: بتأويل الأحلام المختلطة بعالمين، نفوا عن أنفسهم علم ما لا تأويل له، لا أنهم نفوا عن أنفسهم علم التأويل.. اهـ[٢].

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره:

فى الآية دليل على بطلان قول من يقول: إن الرؤيا على أوّل ما تعبّر، لأن القوم قالوا: أضغاث أحلام ولم تقع كذلك، فإن «يوسف» ـ عليه السلام ـ فسّرها على سِنى الجَدْب والخِصْب، فكان كما عبّر.

وفيها دليل على فساد ـ من يقول ـ: إنّ الرؤيا على رِجْل طائر، فإذا عُبّرت سقطت.. اهـ[٣].

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦)﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٣٠ ـ ١٣١).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٣١).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٢/ ١٣٢).

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا﴾ أى: من القتل. * ﴿مِنْهُمَا﴾: من الفتيين وهو الساقى.

* ﴿وَادَّكَرَ﴾ أى: تذكر قول يوسف له: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾.

* ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أى: بعد حين وهو سبع سنين.

* قال الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ): «أمَّة» فى اللفظ واحد، وفى المعنى جمع، وكل جنس من الحيوان أمّة.. اهـ(١).

* ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ﴾ أى: أخبركم بتأويله إذا أرسلتُ.

* جاء فى تفسير البغوى: إن الغلام جثا بين يدى الملك وقال: إن فى السجن رجلا يعبر الرؤيا.

* ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ أى: فأرسلنى أيها الملك إليه، فأرسله فأتى السجن، ولم يكن السجن فى المدينة فقال: * ﴿يُوسُفُ﴾ أى: يا يوسف.

* ﴿أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ أى الكثير الصدق.

* ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾: فإن الملك رأى هذه الرؤيا.

* ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ أى: إلى الملك وأصحابه.

* ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أى: يعلمون تعبير الرؤيا، ويعلمون منزلتك من الفضل والعلم فتخرج من السجن.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٣١).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾:

لما حضر الذى نجا منهما، وأعلم «يوسف» برؤيا الملك جعل «يوسف» يفسرها له قال: ازرعوا سبع سنين على عادتكم فى الزراعة، ومعنى «دأبًا» أى: متوالية متتابعة بجدّ واجتهاد. يقال: دأبت فى الأمر أدأب دأبا ودأبا: إذا اجتهدت فيه.

* ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ ﴾: أمرهم بترك الحنطة فى السنبلة لتكون أبقى على الزمان ولا تسوّس.

* ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾: أى: استخرجوا ما تحتاجون إليه بقدر الحاجة: أمرهم بحفظ الأكثر، والأكل بقدر الحاجة.

* ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾: أى: سبع سنين مجدبة، وسمّاها شدادًا لشدّتها على الناس.

* ﴿ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ أى: يأكل أهلهنّ ما ادّخرتم لأجلهنّ.

* ﴿ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ أى: تحرزون وتدخرون للبذر.

* ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ﴾ أى: يمطرون، من «الغيث».

* ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ أى: يعصرون الزيتون زيتًا، والسمسم دهنًا، وأراد بذلك كثرة الخير، وكثرة النبات، وكثرة النعيم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ [رقم: ٤٧].

قرأ حفص: ﴿ دأبا ﴾ بفتح الهمزة، والباقون بإسكانها، وهما لهجتان(١).

* ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [رقم: ٤٩].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ تعصرون ﴾ بتاء الخطاب، مناسبة للخطاب الذى قبله فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿ يعصرون ﴾ بياء الغيبة، مناسبة للغيبة فى قوله - تعالى -: ﴿ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ﴾.

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ﴾: وذلك أنّ الساقى لمّا رجع إلى الملك وأخبره بما أفتاه به «يوسف» - عليه السلام - من تأويل رؤياه، قال: ائتونى به.

* ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ ﴾: وقال له: أجب الملك، أَبَى أن يخرج مع الرسول حتى تظهر براءته، ثم * ﴿ قَالَ ﴾: للرسول: * ﴿ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أى: سيدك الملك.

* ﴿ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾: ذكر النسوة جملة ليدخل فيهنّ امرأة العزيز مدخل العموم بالتلويح، ولم يصرّح بذكر امرأة العزيز، وذلك لحسن العشرة، أى فاسأله أن يتعرف ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن.

* ﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾: أى: إن الله بصنيعهن عليم، وإنما أراد «يوسف» - عليه السلام - بذلك حتى لا ينظر إليه الملك بعين التهمة، ثم يصير إليه بعد زوال الشك عن أمره، وتثبت براءته عند الملك وغيره.

فرجع الرسول إلى الملك من عند «يوسف» - عليه السلام - برسالته، فأرسل الملك إلى النسوة، وإلى امرأة العزيز - وكان عزيز مصر قد مات - فلما حضرن بين يدى الملك سألهن قائلا: كما أخبر الله - تعالى -:

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ ﴾ الملك لهنّ: * ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ أى: ما شأنكنّ وأمركنّ:

* ﴿ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ﴾: وذلك أن امرأة العزيز هى التى راودته عن نفسه، وسائر النسوة أمرنه بطاعتها، فلذلك خاطبهن جميعًا.

* ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ أى: معاذ الله.

* ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾ أى: خيانة.

* ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ أى: ظهر الحق فأقرت وقالت:

* ﴿ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾: فى قوله: ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾.

فلما سمع «يوسف» ـ عليه السلام ـ اعتراف امرأة العزيز قال ما أخبر الله به:

﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾: اختلف العلماء فى قائل هذا إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾:

* فقيل: هو من قول امرأة العزيز، وهو متصل بقولها قبل:

* ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ إلخ أى: أقررْتُ بالصدق ليعلم ـ أى يوسف ـ أنى لم أخنه بالغيب، أى بالكذب عليه، ولم أذكره بسوء وهو غائب فى السجن.

* ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾: بقوله، ثم قالت:

* ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾: بل أنا راودته.

* ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾.

جاء فى تفسير القرطبى: وعلى هذا هى كانت مقرّة بالصّانع وهو الله ـ تعالى ـ ولهذا قالت:

* ﴿ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.. اهـ[١].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٣٢).

* وأقول: هذا القول هو الذى أرجحه، وأتحدّث به، لأنه يتفق مع عصمة الأنبياء من التفكير فى الفاحشة، فضلاً عن الوقوع فيها ـ والله أعلم ـ.

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾: لمّا ثبت للملك براءة «يوسف» ـ عليه السلام ـ مما نسب إليه، وتحقّق من أمانته، وتعرّف على صبره، وجَلَده، عظمت منزلتُه عنده، وتيقّن حسن خلاله قال: ﴿ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ أى: أجعله خالصًا لنفسى، أفوّض إليه أمر مملكتى، فذهبوا فجاءوا به:

* ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ ﴾ أى: كلّم الملكُ «يوسف» وسأله عن الرؤيا فأجاب «يوسف» بما قاله من قبل.

* ﴿ قَالَ ﴾ أى: الملك ليوسف:

* ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾: أى: متمكن نَافِذ القول، أمين لا تخاف غَدْرًا.

* ﴿ قَالَ ﴾ أى: «يوسف» ـ عليه السلام ـ للملك:

* ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾: أى: خزائن أرض مِصْر مثل: الطعام والأموال، والخراج وغير ذلك.

قال الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ): مصْر خزائن الأرض، واستدلّ بقوله ـ تعالى ـ على لسان «يوسف» قال: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾.. اهـ[(١)].

* ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ ﴾: لما ولّيت. * ﴿ عَلِيمٌ ﴾: بسنى المجاعات.

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: دلّتْ الآية على جواز أن يطلب الإنسان عملا يكون له أهلا. فإن قيل: روى مسلم عن عبد الرحمن بن سَمُرة أنه قال: قال لى

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٣٩).

رسول الله ﷺ: «يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتَها عن مسألة وُكِلْتَ إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها».

فالجواب: أن «يوسف» ـ عليه السلام ـ إنما طلب الوِلاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه فى العدل، والإصلاح، وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم، فرأى أنّ ذلك فرض متعيّن عليه، لأنه لم يكن هناك غيره.

وهكذا الحكم اليوم، لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق فى القضاء، أو الحسبة، ولم يكن هناك مَنْ يصلح ولا يقوم مقامه تعيّن ذلك عليه، ووجب أن يتولاها، ويسأل ذلك، ويخبر بصفاته التى يستحقها بها من العلم والكفاية وغير ذلك كما قال «يوسف» ـ عليه السلام ـ.

فأمّا لو كان هناك من يقوم لها، ويصلح لها، وعلم بذلك فالأوْلى ألا يطلب، لقوله ﷺ لعبد الرحمن بن سَمُرة: «لا تسأل الإمارة» الحديث.. اهـ[١].

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ ﴾:

أى: ومثل هذا الإنعام الذى أنعمنا على «يوسف» من إنجائه من السجن، وتقريبه إلى قلب الملك، وغير ذلك مكنّا له فى الأرض، أى: أرض مِصْر، أى: أقدرناه على ما يريد.

* ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ أى: يصنع فيها ما يشاء.

* ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾: «الرحمة»: النعمة والإحسان، ﴿ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أى: ثوابهم.

قال مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ) وغيره: لم يزل «يوسف» ـ عليه السلام ـ يدعو الملك إلى الإسلام، ويتلطّف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس.. اهـ[٢].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٤١ ـ ١٤٢).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٣٣).

* ﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ ﴾ أى: ثواب الدار الآخرة.

* ﴿ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾: أى: ما نعطيه فى الآخرة للمؤمنين من النعيم خير وأكثر مما نعطيه لهم فى الدنيا، لأن أجر الآخرة دائم أبدًا ولا ينقطع، وأجر الدنيا زائل وينقطع.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ [رقم: ٥٦].

قرأ ابن كثير: ﴿ حيث نشاء ﴾ بالنون، على أنها نون العظمة لله ـ تعالى ـ لمناسبة قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ حيث يشاء ﴾ بالياء التحتية، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود على نبىّ الله «يوسف» ـ عليه السلام ـ فجرى الكلام على لفظ الغيبة(١).

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (٥٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾: وكانوا عشرة، وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين: بغور الشام، وكانوا أهل بادية وإبل وشاة، فلمّا أصابهم القحط والشدّة، دعاهم «يعقوب» ـ عليه السلام ـ وقال: يا بنىّ بلغنى أنّ بمصر ملكًا صالحًا يبيع الطعام، فتجهزوا، واذهبوا له لتشتروا منه الطعام، فقدموا مصر.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وغيره: لمّا أصاب الناس القحط والشدّة، ونزل ذلك بأرض كنْعان بعث «يعقوب» ـ عليه السلام ـ أولاده للميرة: وكان قد ذاع أمر «يوسف» ـ عليه السلام ـ فى الآفاق للينه، ورأفته ورحمته، وعدله، وسيرته، وكان «يوسف» ـ عليه السلام ـ حين نزلت الشدّة بالناس يجلس للناس عند البيع بنفسه فيعطيهم من الطعام على عدد رءوسهم(٢).

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٧٥).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٤٤).

* ﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ أى: دخل إخوة «يوسف» عليه بعد أن وصلوا إلى مصر.

* ﴿ فَعَرَفَهُمْ ﴾ أى: «يوسف» ـ عليه السلام ـ.

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) قالا: عرفهم بأوّل ما نظر إليهم.. اهـ[١].

* ﴿ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ أى: لم يعرفوه، لأنهم خلّفوه صبيّا، ولم يتوهموا أنه يبلغ إلى تلك الحال من المملكة مع طول المدّة وهى أربعون سنة.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وكان بين أن قذفوه فى البئر وبين أن دخلوا عليه أربعون سنة، فلذلك أنكروه.. اهـ[٢].

* قال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): إنما لم يعرفوه لأنه كان على سرير الملك، وعلى رأسه تاج الملك.. اهـ[٣].

فلمّا نظر إليهم «يوسف» ـ عليه السلام ـ وكلموه بالعبرانية قال لهم: أخبرونى من أنتم، وما أمركم فإنى أنكرت شأنكم؟ قالوا: نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار، فقال لهم «يوسف»: لعلكم جئتم تنظرون عورة بلادى، قالوا: لا والله ما نحن بجواسيس إنما نحن إخوة بنو أب واحد، وهو شيخ صدّيق يقال له: «يعقوب» نبىّ من أنبياء الله.

فقال ـ أى «يوسف» ـ: وكم أنتم؟ قالوا: كنا اثنى عشر فذهب أخٌ لنا معنا إلى البريّة فهلك فيها وكان أحبّنا إلى أبينا، قال: فكم أنتم هنا؟ قالوا: عشرة، فقال: وأين الآخر؟ قالوا: عند أبينا لأنه أخو الذى هلك من أمّه، فأبونا يتسلّى به، فقال: فمن يعلم أن الذى تقولون حق وصدق؟ قالوا: أيها الملك إنّا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد من أهلها، فقال لهم «يوسف»: فأتونى بأخيكم الذى من أبيكم إن كنتم صادقين، وأنا أرضى بذلك، قالوا: فإنّ أبانا يحزن على فراقه وسنراود عنه أباه، قال: فدعوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتونى بأخيكم الذى من أبيكم، فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة «شمعون» وكان أحسنهم رأيًا فى «يوسف» فخلّفوه عنده. يرشد إلى ما ذكر ويدلّ عليه قوله ـ عزّ وجلّ ـ فيما يلى[٤]:

(١ : ٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٣٤).

(٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥).

﴿ ولَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ أى: حمّل لكل واحد بعيراً.

* ﴿ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾: وهو بنيامين.

* ﴿ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ ﴾ أى: أتمـه ولا أبخس الناس شيـئًا، وسأزيدكم حِمْل بعير لأجل أخيكم، وأكرم منزلتكم وأحسن إليكم.

* ﴿ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾: قال مجـاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): أى: خير المضيفين، وكان قد أحسن ضيافتهم.. اهـ[(١)].

* ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي ﴾ أى: ليس لكم عندى طعام أكيله.

* ﴿ وَلا تَقْرَبُونِ ﴾ أى: لا تقربوا دارى وبلادى بعد ذلك.

* ﴿ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ أى: سنسأله أن يرسله معنا.

* ﴿ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾: ما أمرتنا به، وطلبته منا.

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ ﴾ أى: ثمن طعامهم وكانت دراهم.

* ﴿ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ أى: أوعيتهم، وهى جَمْع رَحْل.

* ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ ﴾ أى: انصرفوا إلى أهلهم.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٣٥).

* ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾: اختلف العلماء فى السبب الذى من أجله فعل «يوسف» هذا مع إخوته:

١ ـ فقيل: أراد أن يريهم كرمه فى ردّ البضاعة ليكون أدعى لهم إلى العود.

٢ ـ وقيل: تخوّف أن لا يكون عند أبيه من الوَرِق ما يرجعون به مرّة أخرى ـ والله أعلم ـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ ﴾ [رقم: ٦٢].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ لفتيانه ﴾ جمع «فتى» و«الفتيان» الكثير من العدد.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لفتيته ﴾ جمع «فتى» القليل من العدد، وذلك لأن الذين تولوا جعل البضاعة فى رحالهم قلّة(٢).

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا ﴾: إنّا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من أولاد «يعقوب» ما أكرمنا كرامته، ثم قال لهم «يعقوب» ـ عليه السلام ـ: أين شمعون؟ قالوا: ارتهنه مَلِكُ مِصْر، وأخبروه بالقصّة، فقال لهم: ولم أخبرتموه؟ قالوا: إنه أخذنا وقال أنتم جواسيس حيث كلّمناه بلسان العبرانية، وقصّوا عليه القصّة وقالوا: ﴿ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ﴾: قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): معناه يمنع منا الكيل إن لم نَحْمِل معنا أخانا.. اهـ(٣).

* ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا ﴾: «بنيامين». * ﴿ نَكْتَلْ ﴾ أى: نحن وهو الطعام.

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٣٥).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٧٦).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٣٦).

* ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾: من أن يناله سوء.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ ﴾ [رقم: ٦٣].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ يكتل ﴾ بالياء التحتية، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على أخيهم «بنيامين» المتقدم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أخانا ﴾.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ نكتل ﴾ بالنون، والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن» يعود على إخوة «يوسف» بما فيهم بنيامين(١).

﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾:

المعنى:

قال «يعقوب» ـ عليه السلام ـ لبنيه: كيف آمنكم عليه وقد فرطتم فى أخيه يوسف من قبلُ وفعلتم به ما فعلتم؟

* ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ﴾ أى: حفظ الله خير من حفظكم.

قال كعب الأحبار: لما قال «يعقوب» ـ عليه السلام ـ: ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ﴾ قال الله ـ تعالى ـ: «وعزّتى وجلالى لأردنّ عليك ابنيْك كليْهما بعدما توكلتَ علىّ» اهـ(٢).

* ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾: لأن رحمته ـ عزّ وجلّ ـ وسعت كل شىء من عباده المؤمنين.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات (٢/ ٢٧٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٤٧).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ﴾ [رقم: ٦٤].

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ حافظا ﴾ على وزن «فاعل» للمبالغة، ونصبه على التمييز أو الحال.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ حِفْظا ﴾ على وزن «فِعْل» على أنه تمييز، أى خير من حفظكم الذى نسبتموه إلى أنفسكم(١).

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ ﴾: الذي حملوه معهم من «مِصْر».

* ﴿ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ ﴾ أى: ثمن الطعام.

* ﴿ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ﴾: «ما» استفهام فى موضع نصب، أى: ماذا نبغى وأىّ شىء نطلب وراء هذا؟

* ﴿ هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾: لقد وفّى لنا الكيل، وردّ علينا الثمن، أرادوا بذلك تطييب نفس أبيهم.

* ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ أى: نجلب لهم الطعام.

يقال: مار أهله يمير ميراً: إذا حمل إليهم الطعام من بلد آخر.

* ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانَا ﴾: بنيامين، مما تخاف عليه.

* ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ أى: حمل بعير لبنيامين.

* ﴿ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ أى: ما حملناه من قبل لا يكفينا جميعًا.

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨).

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦) وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ ﴾ أى: «يعقوب» ـ عليه السلام ـ لبنيه:

* ﴿ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ ﴾ أى: لن أرسل معكم بنيامين.

* ﴿ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ ﴾ أى: تعطون. * ﴿ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ ﴾ أى: عهداً موثّقا، والعهد الموثّق: المؤكّد بالقسم.

قال السّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): حلفوا بالله ليردنّه إليه ولا يُسْلمونه.. اهـ(١).

* ﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ ﴾: اللام فى «لتأتننى» لام القسم.

* ﴿ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾: قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١١٠هـ): معنى ذلك: إلا أن تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك.. اهـ(٢).

وقال قتادة بن دعامة: إلا أن تغلبوا عليه.. اهـ(٣).

وأقول: القولان متقاربان فى المعني.

* ﴿ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ أى: شاهد.

* ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قالوا: لما عزموا على الخروج خشى عليهم العين، فأمرهم

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٤٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٤٧).

ألا يدخلوا مِصْر من باب واحد وكانت مصْر لها أربعة أبواب وإنما خاف عليهم العَيْن لكونهم أحد عشر لرجل واحد، وكانوا أهل جَمَال وكمال وبسطة.. اهـ(١).

* وعن إبراهيم النّخَعىّ (ت ٩٦هـ) فى قوله ـ تعالى ـ:

* ﴿ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾: قال: أحب «يعقوب» ـ عليه السلام ـ أن يلقى «يوسف» ـ عليه السلام ـ أخاه بنيامين فى خلوة.. اهـ(٢).

* ﴿ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ أى: من شىء أحذره عليكم، لأنّه لا ينفع الحذر مع القدر.

* ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾ أى: الأمر والقضاء لله ـ تعالى ـ وحده.

* ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ أى: اعتمدت. * ﴿ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم ﴾ أى: من الأبواب المتفرقة.

* ﴿ مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ أى: ما كان «يعقوب» ـ عليه السلام ـ يغنى عن أبنائه من شىء إن أراد الله إيقاع مكروه بهم.

* ﴿ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾: وهى شفقة يعقوب على أبنائه، ولذا أوصاهم بالتفرّق عند دخولهم مِصْر.

* ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أى: «يعقوب» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ أى: علّمه الله ـ عزّ وجل ـ أمور دينه.

وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): إنّ «يعقوب» ـ عليه السلام ـ عامل بما علم، لأن من لا يعمل بعلمه لا يكون عالمًا.. اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٤٨).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٤٩).

قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

* ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾: أى: لا يعلمون ما علمه «يعقوب» ـ عليه السلام ـ لأنهم لم يسلكوا الطريق الصحيح لإصابة العلم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢) ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾: قالوا: هذا أخونا الذى أمرتنا أن نأتيك به، فقال «يوسف» ـ عليه السلام ـ: أحسنتم، وأصبتم، وستجدون جزاء ذلك عندى، ثم أنزلهم فأكرم نزلهم، ثم استضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة خاصّة بهما، فبقى بنيامين وحيدًا فبكى وقال: لو كان أخى «يوسف» حيًا لأجلسنى معه، فقال «يوسف» ـ عليه السلام ـ: لقد بقى أخوكم هذا وحيدًا فأجلسه معه على مائدته، ثم جعل يواكله، فلمّا كان الليل قال لهم: لينم كل أخوين منكم على فراش خاص، فبقى بنيامين وحده، فقال «يوسف» ـ عليه السلام ـ: هذا ينام معى على فراشى، فنام معه فجعل «يوسف» يضمّه إليه ويشمّ ريحه حتّى أصبح، فلمّا أصبح قال لهم «يوسف»: إنى أرى هذا الرجل ليس معه ثان فسأضمّه إلىّ فيكون منزله معى ثم أنزلهم منزلا كريمًا وأجرى عليهم الطعام، وأنزل أخاه بنيامين معه فذلك قوله ـ تعالى ـ:

* ﴿ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ أى: ضمّ إليه أخاه بنيامين، فلمّا خلا به قال له: ما اسمك؟ قال: بنيامين، قال: وما اسم أمّك؟ قال: راحيل بنت لاوى، قال: فهل لك من أخ لأمّك؟ قال: كان لى أخ فهلك، قال «يوسف»: أتحبّ أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ فقال بنيامين: ومن يجد أخًا مثلك أيها الملك، ولكنْ لم يلدك «يعقوب ولا راحيل» فبكى «يوسف» عند ذلك وقام إليه وعانقه وقال له كما أخبر الله ـ تعالى ـ:

* ﴿ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾: أى: لا تحزن بشىء فعلوه بنا فيما مضى، فإنّ الله قد أحسن إلينا، ولا تعلم إخوتنا شيئًا مما أعلمتك به.

ثمّ أوفى «يوسف» - عليه السلام - لإخوته الكيل، وحمّل لهم بعيرًا بعيرًا، ولبنيامين بعيرًا باسمه.

ثم أمر بسقاية الملك - أى صواعه - فجعلت فى رحل بنيامين. فذلك قوله - تعالى -:

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾: والسقاية: هى المشربة التى كان الملك يشرب منها، جعلها «يوسف» - عليه السلام - مكيالا لئلا يكال بغيرها.

قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): السقاية: هى الصواع، وكل شىء يُشرب منه فهو صواع.. اهـ[١].

ثم جُعلت السقاية فى وعاء طعام بنيامين بأمر «يوسف» - عليه السلام -.

* ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾: أى: بعد أن ارتحلوا وخرجوا من العمارة، بعث «يوسف» من خلفهم من استوقفهم، ثم قال لهم: ألم نكرم ضيافتكم، ونحسن منزلتكم، ونوفيكم كيلكم، وفعلنا بكم ما لم نفعله بغيركم؟ قالوا: بلى، وما ذاك؟ قالوا: سقاية الملك فقدناها، ولا نتّهم أحدًا غيركم بسرقتها، فذلك قوله - عزّ وجلّ -:

﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴾ أى: ما الذى ضلّ عنكم، والفقدان: ضدّ الوجدان.

* ﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) الصواع: الكأس الذى يشرب فيه.. اهـ[٢].

* ﴿ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾: قال أكثر المفسرين: البعير هنا الجمل.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٠).

* ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): «الزعيم»: هو المؤذن الذى قال: ﴿ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾.. اهـ[١].

ومعنى «زعيم»: كفيل، وقد قال بذلك:

١ ـ ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).

٢ ـ وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ).

٣ ـ ومجاهدبن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ).

٤ ـ والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ).

٥ ـ وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ)[٢].

* ﴿ قَالُوا ﴾ أى: إخوة يوسف: * ﴿ تَاللَّهِ ﴾ أى: والله.

* ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ ﴾ أى: ما جئنا لنعصى الله ـ تعالى ـ فى الأرض.

* ﴿ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ أى: لنسرق فى أرض مصر.

﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴾: أى: قال المنادى وأصحابه: ما جزاء السارق إن كنتم كاذبين فى قولكم: وما كنا سارقين.

* ﴿ قَالُوا ﴾ أى: إخوة يوسف: * ﴿ جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾:

أى: جزاء السارق أن يسلم إلى المسروق منه فيسترقه سنة، وكان ذلك الحكم عند «يعقوب» ـ عليه السلام ـ وبنيه.

وكان حكم مَلِك مصر أن يُضرب السارق ويغرم ضعفى قيمة المسروق.

فأراد «يوسف» ـ عليه السلام ـ أن يحبس أخاه بنيامين عنده، فردّ الحكم إليهم ليتمكن من حبس أخيه عنده بناء على حكمهم[٣].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥١).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٤٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥١).

* ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾: هذا من كلام إخوة «يوسف» أى: كذلك نجزى الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير.

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾: رُوِى أن رسول الملك ردّ إخوة «يوسف» إلى «يوسف» فأمر بتفتيش أوعيتهم بين يديه، فكان يفتّش أوعيتهم واحدًا واحدًا، حتّى إذا لم يبق إلا رَحْل بنيامين قال: ما أظنّ هذا أخذه، فقال إخوته: والله لا بدّ أن تنظر فى رَحْله فإنه أطيب لنفسك ولأنفسنا، فلما فتحوا متاع بنيامين استخرجوه منه، فذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾.

فلمّا أخرج الصواع من رَحْل بنيامين نكّس إخوته رءوسهم من الحياء، وأقبلوا على بنيامين يلومونه، فقال بنيامين: لقد وضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم، فأخذ «يوسف» أخاه بنيامين رقيقًا.

* ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ أى: كذلك صنعنا ليوسف.

* ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ والضحّاك بن مزاحم: ما كان ليأخذ أخاه فى سلطان الملك[1].

لأنه كان فى دين الملك: أنّ من سرق أخذت منه السرقة، ومثلها معها من ماله فيعطيه للمسروق.

* ﴿ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾:

✵ المعنى:

إن «يوسف» ـ عليه السلام ـ لم يكن ليتمكّن من حبس أخيه بنيامين فى حكم الملك لولا مشيئة الله ـ عز وجل ـ حتى وجد السبيل إلى ذلك وهو ما أجرى على

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥١).

ألسنة إخوته: أنّ جزاء السارق الاسترقاق، فحصلت رغبة «يوسف» بمشيئة الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

* ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ قال زيد بن أسلم (ت ١٣٠هـ أو ١٣٦هـ): معنى ذلك: أن الله يرفع بالعلم من يشاء درجات.. اهـ[١].

* ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ قال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): علم الله فوق كل عالم.. اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ [رقم: ٧٦].

قرأ يعقوب: ﴿ يرفع، يشاء ﴾ بالياء التحتية فيهما، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على الله ـ تعالى ـ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ نرفع، نشاء ﴾ بنون العظمة فيهما.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف البزّار: ﴿ درجاتٍ ﴾ بالتنوين منصوب على الظرفية، و«مَنْ» مفعول أى نرفع من نشاء مراتب ومنازل.

وقرأ الباقون: ﴿ درجات ﴾ بغير تنوين على الإضافة[٣].

﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ (٧٩) ﴾

معانى المفردات:

* أخرج ابن مردويه، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ قال: «سرق «يوسف» ـ عليه السلام ـ صنمًا لجدّه أبى أمّه من ذهب وفضّة، فكسّره وألقاه فى الطريق فعيّره بذلك إخوته» اهـ[٤].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٢).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٣).

* ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ﴾ أى: أسرّ فى نفسه قولهم: ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ﴾.

* ﴿ قَالَ ﴾ أى: «يوسف» ـ عليه السلام ـ لإخوته: * ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾: أى: أنتم شرّ منزلا عند الله ممن رميتموه بالسرقة.

* ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ أى: بما تقولون.

* ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ أى: كبير السنّ وهو يحبّه.

* ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾ أى: عبدًا بدله.

* ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أى: لقد أحسنت إلينا فى جميع أفعالك.

* ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ﴾ أى: لن نأخذ البرىء بالمتهم.

* ﴿ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴾: إن أخذنا غير المتهم.

﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ ﴾ أى: أيسوا من يوسف أن يجيبهم إلى ما سألوه.

* ﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ أى: خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون فيما عرض لهم، لا يخالطهم غيرهم.

* ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾: اختلف المفسرون فى المراد من كبيرهم:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) والكلبى محمد بن السائب (ت ١٤٦هـ): هو يهوذا وهو أعقلهم.

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): هو شمعون، وكانت له الرئاسة.

٣ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) والسّدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): هو روبيل وكان أكبرهم فى السنّ، وهو الذى نهى إخوته عن قتل يوسف.. اهـ(١).

* ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ أى: عهدًا من الله.

* ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ أى: تفريطكم فى يوسف واقع من قبل.

* ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ﴾: التى أنا بها وهى مصر.

* ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ أى: يطلب منّى أبى الخروج والعودة إليه.

* ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ أى: بردّ أخى إلىّ فأمضى معه إلى أبى.

* ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أى: الله أعدل من فصل بين الناس.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ﴾ [رقم: ٨٠].

* ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ [رقم: ٨٧].

* ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ [رقم: ١١٠].

قرأ البزّىّ بخلف عنه كل ذلك بتقديم الهمزة وجعلها فى موضع الياء مع إبدالها ألفًا، وتأخير الياء وجعلها فى موضع الهمزة فيصير النطق بألف وبعدها ياء مفتوحة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بياء ساكنة وبعدها همزة مفتوحة، وهو الوجه الثانى للبزّىّ، وهما لهجتان(٢).

﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢)﴾

معانى المفردات:

* ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾: قائل هذا هو الذى قال: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ﴾ إلخ.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٤٢).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (٢/ ٣٤٣).

* ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا ﴾ أى: ما قلنا هذا إلا لأنّا رأينا إخراج الصواع من متاعه.

* ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ أى: لم نعلم أنه سيسرق.

* ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ أى: اسأل أهل القرية وهى مِصْر.

* ﴿ وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ أى: القافلة التى كنا فيها، وكان صحبتهم قوم من كنْعان من جيران يعقوب.

* ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾: فيما أخبرناك به.

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ أى: زيّنت.

* ﴿ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾: أن ابنى بنيامين سرق، وما سرق، وإنما ذلك لأمر يريده الله العزيز الحكيم.

وفى الكلام اختصار والتقدير: فرجعوا إلى أبيهم وذكروا لأبيهم ما قاله كبيرهم، فقال «يعقوب» ـ عليه السلام ـ: بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا.

* ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ أى: فشأنى صبر جميل، وحينئذ يكون «فصبر جميل» خبر لمبتدأ محذوف. ويجوز أن يكون «فصبر جميل» مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير: فصبر جميل أولى بى.

و «جميل» على كلا التقديرين صفة لـ «صبْر».

والصبر الجميل: هو الذى لا شكوى فيه لأحد، روى ذلك عن مجاهد بن جبر المفسّر (١٠٤هـ)[1].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٦٢).

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ قال: هم ثلاثة يوسف، وبنيامين، وكبيرهم الذى تخلّف.. اهـ[١].

* ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بحالى.   * ﴿الْحَكِيمُ﴾: فى كل ما يقضى.

* ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: وذلك أن «يعقوب» ـ عليه السلام ـ لمّا بلغه خبر بنيامين تناهى حزنه، وبلغ جهده، وهيّج حزنه على «يوسف» فأعرض عنهم:

* ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) نسى «يعقوب» ـ عليه السلام ـ ابنه بنيامين فلم يذكره.. اهـ[٢].

* وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): لم يكن عند «يعقوب» ـ عليه السلام ـ ما فى كتابنا من الاسترجاع، ولو كان عنده لما قال: ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾.

والأسف: شدّة الحزن على ما فات.

* قال الزجاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): الأصل يا أسفى، فأبدلت من الياء ألف لخفة الفتحة.. اهـ[٣].

* وقد اختلف علماء التفسير فى تأويل قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَسَفَىٰ﴾:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: يا حزنًا على يوسف.

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: يا جزعًا على يوسف[٤].

* ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ قال مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ): إنه عمى ولم يبصر بهما.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦).
(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٦٢).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٦).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٦٢).

* الواقع أن عيناه ابيضت من البكاء الذى سببه الحزن، فحذف المسبب وهو البكاء، وأقيم السبب مكانه وهو الحزن، وهذا أسلوب بلاغىّ فصيح.

* ﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ اختلف المفسّرون فى تأويل ذلك:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): الكظيم: المغموم.. اهـ.

٢ ـ وقال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) وعطاء بن أبى مسلم الخراسانىّ (ت ١٣٥هـ): الكظيم: المكروب.. اهـ.

٣ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) الكظيم: المكمود.. اهـ.

٤ ـ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) : الكظيم: الذى لا يتكلم، بلغ به الحزن حتى كان لا يكلمهم.. اهـ(١).

* وأخرج ابن جرير عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) عن النبى ﷺ أنه سُئل ما بلغ وَجْدُ «يعقوب» على ابنه؟ قال: «وجْد سبعين ثكلى».

قيل: فما كان له من الأجر؟ قال: «أجر مائة شهيد، وما ساء ظنّه بالله ساعة من ليل أو نهار» اهـ(٢).

* وأخرج ابن جرير عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) قال: أتى جبريل ـ عليه السلام ـ «يوسف» ـ عليه السلام ـ وهو فى السجن، فسلّم عليه، فقال له «يوسف»: أيّها الملَكُ الكريم على ربه، الطيّب ريحه، الطاهر ثيابه، هل لك علم بيعقوب؟ قال: نعم، ما أشدّ حزنه، قال: ما ذا له من الأجر؟ قال: أجر سبعين ثكلى، قال: أفتراني لاقيه؟ قال: نعم، فطابت نفس يوسف(٣).

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٧).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٨).

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ أى: قال أبناء يعقوب له: لا تزال تذكر يوسف، أى: لا تفتر عن حبّه، روى ذلك عن:

١ ـ ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).

٢ ـ ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)[١].

* ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ ـ فقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ معنى حرضًا: أى دَنِفًا من المرض وهو ما دون الموت.. اهـ.

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر معنى حرضًا: أى هرمًا.. اهـ.

٣ ـ وقال الضحّاك بن مزاحم معنى حرضًا: الشىء البالى.. اهـ[٢].

* وأصل الحَرَض: الفساد فى الجسم، أو العقل من الحزن، أو العشق، أو الهَرَم، روى ذلك عن أبى عبيدة معمر بن المثنّى (ت ٢١٠هـ)[٣].

* ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ أى: الميتين، ولعلّ هدفهم من ذلك هو منع أبيهم من البكاء والحزن شفقة عليه.

* ﴿قَالَ﴾ أى «يعقوب» ـ عليه السلام ـ لما سمع كلام بنيه:

* ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي﴾: البثّ أشدّ الحزن، وسمّى بذلك لأن صاحبه لا يصبر عليه يبثّه أى يظهره.

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) معنى بثّى أى: حاجتى.. اهـ[٤].

* وحقيقة البثّ فى اللغة: ما يرد على الإنسان من الأشياء المهلكة التى لا يتهيأ له أن يخفيها[٥].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٦٤).

(٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٤٤).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٦٤).

* ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ معطوف على ما قبله.

* ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ أى: أعلم أن رؤيا «يوسف» صادقة ـ وهو لم يزل حيًا ـ وأنى سأسجد له، روى ذلك عن ابن عباس (ت ٦٨هـ رضى الله عنهما)(١).

* أخرج ابن عدىّ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «من كنوز البرّ: إخفاء الصدقة، وكتمان المصائب والأمراض، ومن بثّ لم يصبر» اهـ(٢).

* وأخرج الإمام أحمد فى الزهد، والبيهقى عن أبى الدرداء (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: ثلاث من ملاك أمرك: أن لا تشكو مصيبتك، وأن لا تحدّث بوجعك، وأن لا تزكّى نفسك بلسانك.. اهـ(٣).

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: روى أن يعقوب ـ عليه السلام ـ مكث أربعة وعشرين عامًا لا يدرى أحىّ «يوسف» ـ عليه السلام ـ أمْ ميّت، حتى جاءه مَلَك الموت فقال له: مَنْ أنت؟ قال: أنا مَلَك الموت، قال: أنشدك بإله يعقوب هل قبضت روح «يوسف»؟ قال: لا، فعند ذلك قال: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾(٤).

والتحسّس: طلب الشىء بالحواس، فهو على وزن «تفعّل» من «الحِسّ» أى اذهبوا إلى الذى طلب منكم أخاكم بنيامين، واحتال عليكم فى أخذه فاسألوه عنه.

وقيل: إنّ «يعقوب» ـ عليه السلام ـ تنبّأ على يوسف بردّ البضاعة، واحتباس أخيه، فلذلك وجّههم إلى مِصْر دون غيرها(٥).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٦٥).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٥٩).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٠).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦١).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٦٥).

* ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ أى: لا تقنطوا من فرج الله، قاله ابن زيد عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم (المتوفى حوالى ١٧٠هـ)[١].

وقال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): معنى ﴿ولا تأيسوا من روح الله﴾ أى: من رحمة الله.. اهـ[٢].

* ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾:

قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: دلّ هذا على أن القنوط من الكبائر: وهو اليأس.. اهـ[٣].

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾: فى الكلام حذف، والتقدير فخرجوا إلى مِصْر حتى وصلوا إليها، فلمّا دخلوا على «يوسف» ﴿قَالُوا﴾:

* ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾: أى: أصابنا وأهلنا الجوع والشدّة والحاجة.

* قال القرطبى فى تفسيره: فى هذا دليل على جواز الشكوى عند الضّرّ، بل الواجب على الإنسان إذا خاف على نفسه الضرّ من الفقر وغيره أن يبدى حالته إلى مَنْ يرجو منه النفع، كما هو واجب عليه أن يشكو ما به من الألم إلى الطبيب ليعالجه، ولا يكون ذلك قَدْحًا فى التوكل على الله، وهذا ما لم يكن التَّشكّى على سبيل التسخّط.. اهـ[٤].

* ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾ أى: قليلة رديئة كاسدة، لا تنفق فى ثمن الطعام إلا بتجوّز من البائع فيها.

* ويقال للبضاعة مزجاة: إذا كانت غير نافقة.

(١ : ٤) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٦٥).

* وقد اختلف المفسرون فى نوع هذه البضاعة المزجاة:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) كانت دراهم رديئة زيوفًا.. اهـ.

٢ ـ وقال مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ) والكلبى محمد بن السائب (ت ١٤٦هـ) كانت الحبّة الخضراء.. اهـ.

٣ ـ وقيل: كانت خِلَق الغرائر والحبال.

٤ ـ وقيل: كانت من متاع الأعراب من الصوف والأقط[1]. ـ والله أعلم ـ.

* ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ أى: أعطنا ما كنت تعطينا قبلُ بالثمن الجيّد، ولا تنقصنا شيئًا بسبب بضاعتنا المزجاة.

* ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ أى: تفضّل علينا بما بين الثمنين: الجيّد والردىء ولا تنقصنا شيئًا، وهذا قول أكثر المفسرين[2].

* ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ أى: يثبهم.

* قال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) لم يقولوا إن الله يجزيك لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن.. اهـ[3].

وهذا من معاريض الكلام أى: لم يقولوا: إن الله يجزيك، فقالوا لفظًا يوهم أنهم أرادوه.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾: هذا الاستفهام فيه معنى التذكير.

وقد اختلف المفسرون فى السبب الذى حمل «يوسف» على هذا القول:

١ ـ فقال ابن إسحاق: ذكر لى أنهم لما كلّموه بهذا الكلام أدركته الرقّة فارفضّ دمعه فباح بالذى كان يكتمه.. اهـ[4].

(١ : ٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٤٦).

٢ ـ وقيل: قاله حين قرأ كتاب أبيه الذى كتبه إليه: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): كتب «يعقوب» إليه يطلب ردّ ابنه، وفى الكتاب: من يعقوب صفىّ الله ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر ـ أمّا بعد ـ: فإنّا أهل بيت بلاء ومحن، ابتلى الله جدّى «إبراهيم» بنمروذ وناره، ثم ابتلانى بولد كان لى أحبّ أولادى إلىّ حتّى كُفّ بصرى من البكاء، وإنّى لم أسرق، ولم أَلِدْ سارقًا والسلام.. اهـ(١).

فلمّا قرأ «يوسف» الكتاب ارتعدت مفاصله، واقشعرّ جلده، وأرخى عينيه بالبكاء، وعيلَ صبره فباح بالسرّ(٢).

* ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾: قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسيره: دلّ هذا على أنهم كانوا وقت أخذهم «يوسف» غير أنبياء، لأنه لا يوصف بالجهل إلا من كانت هذه صفته.. اهـ(٣).

* ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾:

اختلف المفسّرون فى السبب الذى جعلهم يقولون ذلك:

١ ـ فقال ابن إسحاق: كان «يوسف» ـ عليه السلام ـ يتكلم من وراء ستر فلمّا قال «يوسف»: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ رفع الحجاب فعرفوه.. اهـ(٤).

٢ ـ وقال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: لما قال «يوسف»: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ تبسّم فرأوا ثناياه كاللؤلؤ المنظوم فشبهوه بيوسف، فقالوا استفهامًا: أئنك لأنت يوسف؟.. اهـ(٥).

٣ ـ وقال عطاء عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: إنّ إخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه، وكان له فى قرنه علامة، وكان ليعقوب مثلها، ولإسحاق مثلها، ولسارّة مثلها شِبْه الشامة، فعرفوه فقالوا: أئنك لأنت يوسف.. اهـ(٦).

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٦٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٦).

(٤ : ٦) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٤٧).

* ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾: بنيامين.

* ﴿ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ أى: أنعم الله علينا بالنجاة، والملك، وقد جمع بيننا.

* ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ ﴾ أى: يتقى الله بأداء الفرائض، واجتناب المعاصى.

* ﴿ وَيَصْبِرْ ﴾: على المصائب، وعن المعاصى.

قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) يتقى المعصية ويصبر على السجن.. اهـ[١].

* ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾: أى: الصابرين على بلائه، القائمين بطاعته.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ [رقم: ٩٠].

قرأ ابن كثير، وأبو جعفر: ﴿ إنك ﴾ بهمزة واحدة مكسورة على الإخبار.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ أءنك ﴾ بهمزتين على الاستفهام التقريرى وهم على أصولهم فى الهمزتين من التحقيق والتسهيل والإدخال[٢].

* ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ ﴾ [رقم: ٩٠].

قرأ قنبل بخلف عنه بإثبات الياء وصلا ووقفًا، وذلك على لغة من يثبت حرف العلّة مع الجازم.

و قرأ الباقون بحذف الياء بسبب الجازم، وهو الوجه الثانى لقنبل[٣].

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا ﴾ أى: إخوة «يوسف» ـ عليه السلام ـ معتذرين:

* ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ أى: اختارك الله وفضلك علينا بالعلم، والحلم، والعقل، والملك.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٤٧).

(٢، ٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٤٤).

* ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ أي: مذنبين، وقد تضمن هذا طلب العفو.

يقال: خطئ خطأ: إذا تعمّد، وأخطأ: إذا كان غير متعمّد.

* ﴿ قَالَ ﴾ أي: «يوسف» ـ عليه السلام ـ وكان حليمًا موفّقًا:

* ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾:

قال سفيان الثوريّ (ت ١٦١هـ) أي: لا تعيير، ولا توبيخ، ولا لوم عليكم اليوم.. اهـ(١).

* ﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾: هذا دعاء من «يوسف» لإخوته سأل الله ـ عزّ وجلّ ـ أن يغفر لهم، وأن يرحمهم فهو أرحم الراحمين.

* أخرج البيهقي في الدلائل، عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ لمّا فتح مكة، طاف بالبيت، وصلّى ركعتين، ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال: «ماذا تقولون، وماذا تظنون؟» قالوا: نقول ابن أخ وابن عمّ حليم رحيم، فقال: «أقول كما قال «يوسف»: ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾» فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام.. اهـ(٢).

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤) ﴾

❀ معاني المفردات:

* يروى أن «يوسف» ـ عليه السلام ـ لمّا عرّف إخوته بنفسه سألهم عن أبيه فقال: ما فعل أبي بعدي؟ قالوا: ذهبت عيناه من البكاء عليك، فأعطاهم قميصه وقال لهم:

* ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾: أي: يعد مبصرًا، قال الحسن البصري (ت ١١٠هـ): لم يعلم أنه يعود بصيرًا إلا بعد أن أعلمه الله ـ عزّ وجلّ ـ.. اهـ(٣).

* وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): أمره جبريل ـ عليه السلام ـ أن يرسل إليه قميصه، وكان ذلك القميص قميص «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ وذلك أنه

(١) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ١٦٩).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٦٤).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٤٤٨).

جرّد من ثيابه وألقى فى النار عريانًا، فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ بقميص من حرير الجنّة فألبسه إيّاه، فكان ذلك القميص عند «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ فلمّا مات ورثه ابنه «إسحاق» فلمّا مات ورثه ابنه «يعقوب» فلمّا شبّ «يوسف» جعل «يعقوب» ذلك القميص فى قصبة وسدّ رأسها، وعلّقها فى عنقه لما كان يخاف عليه من العين، وكان لا يفارقه، فلمّا ألقى فى البئر عريانًا جاءه جبريل فأخرج القميص ـ من القصبة ـ وألبسه إيّاه.

ففى هذا الوقت جاء جبريل ـ عليه السلام ـ إلى «يوسف» وقال له: أرسل إلى أبيك ذلك القميص، فإنّ فيه ريح الجنّة ولا يقع على سقيم، ولا مبتلى إلا عوفى، فدفع «يوسف» ذلك القميص إلى إخوته وقال لهم: ﴿ فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾.. اهـ(١).

* ﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: لتتخذوا مصر دار قرار لكم.

* أخرج ابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: كان أهله حين أرسل إليهم فأتوا مصر ثلاثة وتسعين إنسانًا، والله ما خرجوا مع «موسى» ـ عليه السلام ـ حتى بلغوا ستمائة ألف وسبعين ألفًا.. اهـ(٢).

* ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴾ أى: خرجت من عريش مصر متوجّهة إلى كنعان.

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴾ قال: لما خرجت العير، هاجت ريح فجاءت «يعقوب» بريح قميص «يوسف».. اهـ(٣).

* ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ أى: قال: لمن حضر من قرابته ممن لم يخرج إلى مصر.

* قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): هبّت ريح فصفقت القميص فراحت روائح الجنّة فى الدنيا واتصلت بيعقوب، فوجد ريح الجنّة فعلم أنه ليس فى

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٤٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٦).

الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص، فعند ذلك قال: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ أي: أشمّ ريح يوسف.. اهـ[١].

* وقال مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ ـ رضى الله عنه) إنما أوصل ريح القميص إلى يعقوب مَنْ أوصل عرش بلقيس قبل أن يرتدّ إلى «سليمان» ـ عليه السلام ـ طرْفُه.. اهـ[٢].

١ ـ روى عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أنه أصاب يعقوبَ ريحُ يوسف من مسيرة ثمان ليال[٣].

٢ ـ وروى عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) أن ذلك كان من مسيرة ثلاثة أيام[٤].

٣ ـ وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) كان بينهما ثمانون فرسخًا[٥].

* وروى أن ريح الصبا استأذنت ربها فى أن تأتى «يعقوب» بريح «يوسف» قبل أن يأتيه البشير[٦].

* ﴿ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: لو لا أن تسفّهون[٧].

٢ ـ وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) معنى ذلك: لولا أن تكذبون[٨].

٣ ـ وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) معنى ذلك: لو لا أن تضلّلون[٩].

٤ ـ وقال ابن إسحاق، وابن الأعرابى معنى ذلك: لو لا أن تضعّفوا رأيى[١٠].

* وكل هذه الأقوال متقاربة فى المعنى لأنها ترجع إلى التعجيز، وتضعيف الرأى، يقال: فنّده تفنيدًا: إذا أعجزه، ويقال: أفْنَد: إذا تكلّم بالخطأ، والفَنَد: الخطأ فى الكلام والرأى[١١].

(١ : ٥) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٧٠).

(٦) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٤٨).

(٧ : ١١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٧٠).

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ ﴾: اختلف فى قائل ذلك:

١ ـ فقيل: قال له ذلك من كان معه من أهله وقرابته.

٢ ـ وقيل: قال له ذلك بنو بنيه وكانوا صغاراً[(١)].

* وإنما قالوا له هذا لأن يوسف عندهم كان قد مات.

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) معنى ذلك: إنك لفى خطئك الماضى من حبّ يوسف لا تنساه[(٢)].

* ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾ عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: البشير هو: يهوذا بن يعقوب[(٣)].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هو يهوذا قال: أنا ذهبت بالقميص ملطّخًا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن «يوسف» أكله الذئب، فأنا أذهب إليه اليوم بالقميص فأخبره أن ولده حيّ فأفرحه كما أحزنته.. اهـ[(٤)].

* ﴿ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ أى: ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب بما فى ذلك عينيه.

* ﴿ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ أى: عاد بصيراً بعدما كان أعمى، وعادت إليه قوّته بعد الضّعف، وسروره بعد الحزن.

* ﴿ قَالَ ﴾ أى: يعقوب ـ عليه السلام ـ لجميع الحاضرين:

* ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾: من حياة يوسف، وأن الله سوف يجمع بيننا، وسوف تتحقق رؤياه.

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٧١).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٨).

(٤) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٤٩).

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾: أى: لما رجعوا من مصر قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا، وهذا يدلّ على أنّ الذين قالوا له: ﴿ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ غير بنيه، لأنهم كانوا غُيَّبا، إذًا فالقائلون هم أهله وقرابته، أو بنو بنيه.

* ﴿ إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ أى: مذنبين.

* ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾:

* عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبىّ ﷺ سئل لم أخّر «يعقوب» بنيه فى الاستغفار؟ قال: «أخرهم إلى السحر، لأنّ دعاء السحر مستجاب» اهـ(١).

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾:

أى: ضمّ إليه أباه، وخالته، لأن أمّه كانت توفيت فى نفاس أخيه بنيامين، قال بذلك وهب بن منبّه(٢).

* ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾: من القحط.

* أخرج أبو الشيخ عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: دخل «يعقوب» ـ عليه السلام ـ مِصْر فى ملك «يوسف» ـ عليه السلام ـ وهو ابن مائة وثمانين سنة، وعاش فى ملكه ثلاثين سنة.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٦٨). (٢) انظر تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٧١).

ومات يوسف» ـ عليه السلام ـ وهو ابن مائة وعشرين سنة.. اهـ[(١)].

* ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ أى: على السرير أجلسهما عليه. قال بذلك ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ومجاهد بن جبر[(٢)].

* ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ أى: يعقوب، وخالته، وإخوته، وكانت التحية يومئذ الانحناء، وليس السجود بوضع الجباه على الأرض.

* عن ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ قال: ذلك السجود للتشريف، كما سجدت الملائكة ـ عليهم السلام ـ تشريفًا لآدم ـ عليه السلام ـ، وليس بسجود عبادة.. اهـ[(٣)].

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ قال: بلغنا أن أبويه، وإخوته، سجدوا ليوسف ـ عليه السلام ـ إيماء برءوسهم كهيئة الأعاجم، وكانت تلك تحيتهم، كما يصنع ذلك ناس اليوم.. اهـ[(٤)].

* ﴿ وَقَالَ ﴾ أى: «يوسف» ـ عليه السلام ـ:

* ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾: وهى قوله: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [رقم: ٤].

* ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي ﴾ أى: أنعم الله علىّ.

* ﴿ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾: ولم يقل من «الجبّ» تكريمًا لإخوته كى لا يحرجهم بعد قوله لهم: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ ولأن نعمة الله عليه فى إخراجه من السجن أعظم لأنه بعد خروجه من السجن صار إلى الملك.

* ﴿ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾، قال علىّ بن أبى طلحة: كان «يعقوب» ـ عليه السلام ـ وبنوه بأرض كنعنان، أهل مواش وبريّة.. اهـ[(٥)].

* ﴿ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾:

أى: أفسد بيننا بالحسد، قاله ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ[(٦)].

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٧١).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٧٢).

(٦) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٧٥).

* ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ﴾ أى: رفيق بمن يشاء من عباده.

* ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾: قال البغوىّ (ت ٥١٦هـ) فى تفسيره: قال أهل التاريخ: أقام «يعقوب» ـ عليه السلام ـ بمصْر عند «يوسف» ـ عليه السلام ـ أربعًا وعشرين سنة فى أغبط حال وأهنأ عيش، ثم مات بمصر فلمّا حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه «يوسف» أن يحمل جسده حتى يدفنه عند أبيه إسحاق بالشام، ففعل «يوسف» ذلك، ومضى به حتى دفنه بالشام، ثم انصرف عائدًا إلى مصر[١].

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* قال العلماء: لما جمع الله ـ تعالى ـ ليوسف ـ عليه السلام ـ شمله، وأتمّ عليه نعمه التى لا تحصى، وتبيّن ليوسف أنّ نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله ـ تعالى ـ حُسْن العاقبة وهى الوفاة على الإسلام فقال:

* ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ﴾ أى: ملك مصر.

* ﴿ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ أى: تعبير الرؤيا.

* ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أى: خالق السموات والأرض على غير مثال سبق.

* ﴿ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ أى: أنت وحدك متولّى جميع أمورى فى الدنيا والآخرة.

* ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ أى: اقبضنى إليك مسلمًا.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾ [البقرة: ١٣٢].

* ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ أى: بعبادك الصالحين، ولعله يريد: بآبائى النبيين، وكان عمره حينئذ مائة عام وسبعة أعوام.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٥١).

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): لم يسأل نبيّ من الأنبياء الموت إلا «يوسف» ـ عليه السلام ـ. اهـ[١].

* وقاله البغوى فى تفسيره: فى التوراة مات «يوسف» ـ عليه السلام ـ وهو ابن مائة وعشرين سنة وولد ليوسف ثلاثة: أفرائيم، وميشا، ورحمة، امرأة نبيّ الله أيّوب ـ عليه السلام ـ. اهـ[٢].

* قال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ): دفن «يوسف» فى الجانب الأيمن من النيل، إلى أن جاء «موسى» ـ عليه السلام ـ فأخرجه ودفنه بقرب آبائه بالشام.. اهـ[٣].

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾:

المعنى:

يقول الله ـ تعالى ـ مخاطبًا نبيه «محمدًا» ﷺ: ذلك الذى قصصناه عليك «يا محمد» من أمر «يوسف» وإخوته، ووالده، من أخبار الغيب ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ لتعلمه عن طريق الوحى.

* ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ ﴾ أى: ما كنت «يا محمد» مع إخوة يوسف وقت أن أجمعوا أمرهم على إلقاء «يوسف» فى غيابة الجبّ.

* ﴿ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ أى: وما كنت حاضرًا معهم إذْ يمكرون بيوسف فى إلقائه فى الجب.

* ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾: روى أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة «يوسف» فلمّا أخبرهم بها وفقًا لما فى التوراة وكان يطمع فى إيمانهم،

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٧٥).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٥١).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٥٢).

ولكنهم مع ذلك لم يؤمنوا، حـزن النبيّ ﷺ على عدم إيـمانهم فأنـزل الله ـ عزّ وجلّ ـ هذه الآية تسلية لنـبيه وحبـيبه ـ عليـه الصلاة والسلام ـ وقـال له: إنهم لن يؤمنوا وإن حرصت على إيمانهم، لأن إرادتى اقتضت ذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾:

✳ **المعنى:** يخبر الله ـ تعالى ـ بأنّ النبىّ ﷺ لا يسأل أىّ أحد أجرًا على تبليغه الرسالة.

* ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾: الضـمـيـر فى «هو» يعـود على قوله ـ تعـالى ـ: ﴿ عَلَيْهِ ﴾ وحينئـذ يكون المعنى: إنْ هو ـ أى تبليغك رسالة ربك ـ إلا عظـة وتذكيراً لجميع الخلق. قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ [سبأ: ٢٨].

* ويجوز أن يـكون المراد بـ «هو» القـرآن الكريم، وحينئـذ يكون المعنى: إنـما أنزل الله القرآن ليكون عظة وتذكيرًا للعالمين.

* ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ خبريّة بمعنى كثير. * ﴿ مِّنْ آيَةٍ ﴾ أى: عبرة وعظة.

* ﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ قال الضحّاك بن مزاحم (١٠٥هـ): كمْ من آية فى السماء: مثل شمسها، وقمرها، ونجومها، وسحابها، وفى الأرض وما فيها من الخلْق، والأنهار، والجبال، والمدائن، والقصور[١]:

* ﴿ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾، أى: لا يتفكرون فيها، ولا يعتبرون بها، ولذا لا يؤمنون.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ كَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ ﴾ [رقم: ١٠٥].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٧٤).

قرأ ابن كثير، وأبو جعفر: ﴿ وكائن ﴾ بألف ممدودة بعد الكاف وبعدها همزة مكسورة، وحينئذ يكون المدّ من قبيل المتصل فكل منهما يمدّ حسب مذهبه، إلا أنّ أبا جعفر يسهل الهمزة مع المدّ والقصر.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ وكأيّن ﴾ بهمزة مفتوحة وبعدها ياء مكسورة مشددة، وهما لهجتان بمعنى كثير(١).

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: نزلت هذه الآية فى تلبية مشركى العرب كانوا يقولون فى تلبيتهم: لبّيك اللهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك.. اهـ(٢).

المعنى:

قال عطاء: هذا فى الدعاء، وذلك أن الكفار يَنْسَون ربهم فى الرخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا فى الدعاء، بيانه قوله - تعالى -: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ﴾ [يونس: ١٢].

﴿ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٠٧) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾، اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ - فقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: عذاب يغشاهم، نظيره قوله - تعالى -: ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٥٥].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٤٦).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٥٢)، وتفسير القرطبى (٩/ ١٧٨).

٢ ـ وقال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) معنى ذلك: الصّواعق، والقوارع ـ تنزل بهم ـ.

٣ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ذلك: وقيعة تقع لهم.. اهـ[١].

* ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ أي: القيامة. * ﴿بَغْتَةً﴾ أي: فجأة.

* ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾: بقيامها، قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): تصيح الصيحة بالناس وهم فى أسواقهم، ومواضعهم.. اهـ[٢].

* ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾: مبتدأ وخبر، أى قل يا «محمد» ﷺ هذه سنّتى، ومنهاجى، وطريقى، قاله ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ)[٣].

* ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أى: على يقين.

والبصيرة: هى المعرفة التى يميّز بها الإنسان بين الحقّ والباطل، أى: الذى أنا عليه، وأدعو إليه يؤدّى إلى طاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ وبالتّالى يؤدى إلى دخول الجنّة.

* ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ أى: ومن آمن بى وصدّقنى يدعو إلى الله، هذا قول الكلبى محمد ابن السائب (ت ١٤٦هـ)، وابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ)[٤].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): المراد بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: أصحاب نبينا «محمد» ﷺ كانوا على أحسن طريقة، وأقصد هداية، معدن العلم، وكنز الإيمان، وجند الرحمن.. اهـ[٥].

* وقال عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه): من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب نبينا «محمد» ﷺ كانوا أفضل هذه الأمّة، أبرّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلّها تكلّفًا، اختارهم الله لصحبة نبيّه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.. اهـ[٦].

* ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أى: قل يا «محمد» سبحان الله. * ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

(١، ٢) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٥٣)، وتفسير القرطبى (٩/ ١٧٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٧٩)، تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٧٦).

(٤ : ٦) انظر: تفسير البغوى (٢/ ٤٥٣).

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٠٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾: أى: جميع الرسل الذين أرسلهم الله ـ تعالى ـ قبل نبينا «محمد» ﷺ كانوا رجالا، ليس فيهم امرأة، ولا جنّى، ولا ملَك.

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): ما نعلم أن الله أرسل رسولا قط إلا من أهل القرى، لأنهم كانوا أعلم وأحكم من أهل البادية.. اهـ[١].

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): لم يبعث الله نبيّا من أهل البادية قط ولا من النساء، ولا من الجنّ.. اهـ[٢].

* ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾:

* عن الحسن البصرى قال: فينظروا كيف عذّب الله قوم نوح، وقوم لوط، وقوم صالح، والأمم التى عذّبها.. اهـ[٣].

* ﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾: فتؤمنون.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ نُّوحِي إِلَيْهِم ﴾ [رقم: ١٠٩].

قرأ حفص: ﴿ نوحِى ﴾ بنون العظمة، وكسر الحاء، على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن» تمشيّا مع السياق فى قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا ﴾.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يوحَى ﴾ بالياء التحتية، وفتح الحاء، على البناء للمفعول، و«إليهم» نائب فاعل[٤].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٨٠)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٧٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٨٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٧٦).

(٤) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٧٩).

* ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [رقم: ١٠٩].

قرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿أفلا تعقلون﴾ بتاء الخطاب، على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿أفلا يعقلون﴾ بياء الغيبة.، لمناسبة قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾(١).

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)﴾

معاني المفردات:

* ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ أي: يئسوا من إيمان قومهم.

* ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ أي: ظن القوم أن الرسل قد كذّبوهم فيما أخبروا به من العذاب، ولم يصدقوا، قال بذلك ابن عباس(٢).

* ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾: في تأويل ذلك قولان:

أحدهما: جاء الرسل نصر الله، قاله مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ).

والثاني: جاء قومهم عذاب الله، قاله ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما)(٣).

* ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ﴾ أي: الأنبياء ومن آمن معهم.

* ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ أي: عذابنا. * ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين والمشركين.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿قَدْ كُذِبُوا﴾ [رقم: ١١٠].

---

(١) انظر: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٤٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٧٧).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ١٨١).

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، وأبو جعفر، وخلف البزّار: ﴿ كُذِبوا ﴾ بتخفيف الذال، وتوجيه ذلك أن الضمائر كلها ترجع إلى المرسل إليهم، أى: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كَذَبوهم فيما ادعوا من النبوّة، وفيما يوعدون به من لم يؤمن بالعقاب.

وقرأ الباقون: ﴿ كذِّبوا ﴾ بتشديد الذال، على عود الضمائر كلها على الرسل، أى: وظن الرسل أنّ أممهم قد كذّبتهم فيما جاءوا به(١).

* ﴿ فَنُجِّيَ ﴾ [رقم: ١١٠].

قرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب: ﴿ فنجّى ﴾ بنون واحدة مضمومة وبعدها جيم مشدّدة، على أنه فعل ماض مبنىّ للمفعول، و«مَنْ» نائب فاعل.

وقرأ الباقون: ﴿ فننجى ﴾ بنونين: الأولى مضمومة، والثانية ساكنة، على أنه فعل مضارع مبنى للمعلوم، والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن»(٢).

●● **تنبيه:** اتفق علماء رسم المصاحف العثمانية على كتابة «ننجى» فى سورتى يوسف، والأنبياء، بنون واحدة، وحذف النون الثانية.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المفسر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ ﴾ أى: فى خبر «يوسف» ـ عليه السلام ـ وإخوته.. اهـ(٣).

* ﴿ عِبْرَةٌ ﴾ أى: عظة. * ﴿ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ أى: لذوى العقول السليمة، قال ذلك ابن عباس (ت ٦٩هـ ـ رضى الله عنهما)(٤).

* ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾، قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): الفرية الكذب.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٨١).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٨٢).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٧٨).

* وقال قتادة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾: قال: القرآن يصدّق الكتب التى كانت قبله من كتب الله التى أنزلها قبله على أنبياءه: التوراة، والإنجيل، والزبور، يصدّق ذلك كله ويشهد عليه أن جميعه حق من عند الله.

وقال ـ أى قتادة ـ فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال: فَصَّل الله به بين حرامه وحلاله، ومعصيته وطاعته.. اهـ[١].

* ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾: أى: القرآن الكريم.

● ● ●

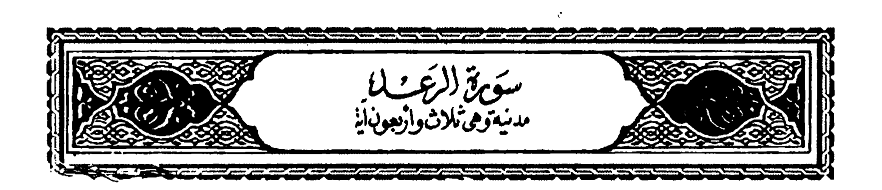
تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة يوسف ـ عليه السلام ـ

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة الرعد]

● ● ●

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/٧٨).



أخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت سورة الرعد بالمدينة.. اهـ[١].

* وأخرج ابن مردويه، عن عبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت سورة الرعد بالمدينة.. اهـ[٢].

﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١﴾

معانى المفردات:

* ﴿الٓمٓرۚ﴾: قال الشعبىّ عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): ﴿الٓمٓرۚ﴾ وسائر حروف الهجاء من أوائل السور: من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه، وهى سرّ القرآن. فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله ـ تعالى ـ وفائدة ذكرها: طلب الإيمان بها.. اهـ[٣].

* وقال أبو بكر الصدّيق (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه) فى كلّ كتاب سرّ، وسرّ الله فى القرآن أوائل السّور.. اهـ[٤].

* ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أراد بالكتاب: القرآن، ومعناه هذه آيات الكتاب يعنى القرآن[٥].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) المراد بالكتاب: الكتب التى كانت قبل القرآن.. اهـ[٦].

وحينئذ يكون المعنى: تلك الأخبار التى قصصتها عليك يا «محمد» ﷺ آيات التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨٠).

(٣، ٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤).

(٥) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٥).

(٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨١).

* ﴿ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أى: وهذا القرآن الذى أنزل إليك.

* ﴿ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ ﴾ أى: هو الحقّ فاعتصم به. * ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ② ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾: للعلماء فى تأويل ذلك قولان:

* الأول: إذا قلنا الضمير فى ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ عائد على «السماء» يكون المعنى نفى العمد أصلا، وقد قال بذلك:

١ ـ الحسن البصرى (ت ١١٠هـ). ٢ ـ وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ).

فقد كانا يقولان: خلق الله السموات بغير عَمَد، قال لها كونى فكانت.. اهـ(١).

* والثانى: إذا قلنا الضمير فى ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ عائد على «عَمَد» يكون المعنى: السماء مرفوعة (بعَمَد) ولكننا لا نرى هذه العَمَد. وقد قال بذلك مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)(٢).

وقد رجح بعض العلماء القول الأوّل، وفى هذا يقول إياس بن معاوية: السماء مقبيّة على الأرض مثل القبة.. اهـ(٣).

* وأقول: الله أعلم بحقيقة ذلك.

* قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ⑨ ﴾ [الهمزة: ٩]. قرأ شعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ عُمُد ﴾ بضمّ العين والميم، جمع «عمود» مثل: «رسول ورسل» أو جمع «عِمَاد» مثل: «كتاب وكتب».

والعمود: خشب تعتمد عليه الخيمة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة ﴿ عَمَد ﴾ بفتح العين والميم، اسم جمع لا واحد له من لفظه(٤).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨١).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٥). (٤) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (٢/ ٣٤٢).

* ﴿ثم استوى على العرش﴾: استواء يليق بجلاله وكماله، وهذا من المتشابه الذى لا يعلم حقيقته إلا الله ـ تعالى ـ، وأقول: الله أعلم بمراده.

ولمّا سئل الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ ـ رحمه الله تعالى) عن معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

* ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أى: ذلّلهما لمنافع خلقه فهما مقهوران.

* ﴿كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فى تأويل ذلك قولان:

* الأول: أنهما يجريان إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا، وقيام الساعة.

* والثانى: الأجل المسمّى درجاتهما ومنازلهما التى ينتهيان إليها لا يجاوزانها، وقد قال بذلك ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ[(١)].

* ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): يقضيه وحده[(٢)].

* ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ أى: يبينها.

* ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: لكى توقنوا بوعده وتصدّقوه.

وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): إن الله إنما أنزل كتابه، وبعث رسله لنؤمن بوعده، ونستيقن بلقائه.. اهـ[(٣)].

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ﴾: لما بيّن الله آيات السماء فى الآية السابقة أخذ يبين آيات الأرض فقال: ﴿وهو الذى مد الأرض﴾: أى: بسطها طولا وعرضًا.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٦)، وتفسير القرطبى (٩/ ١٨٤).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨١).

* ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ أى: جبالا ثوابت، واحدتها: راسية، لأن الأرض ترسو بالجبال، أى تثبت.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [النحل: ١٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [لقمان: ١٠].

* ﴿ وَأَنْهَارًا ﴾ أى: وجعل فى الأرض أنهاراً فيها منافع الخلق.

* ﴿ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾: أى: صنفين اثنين: أحمر وأصفر، وحلو وحامض، ورطب ويابس، وأبيض وأسود، وصغير وكبير.. إلخ.

* وقال مجاهد بن جبر المفسّر (١٠٤هـ): ذكراً وأنثى من كل صنف[1].

* ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ أى: يلبس النهار بظلمة الليل، ويلبس الليل بضوء النهار، قال بذلك قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ)[2].

* ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ ﴾ أى: دلالات وعلامات على وحدانية الله ـ تعالى ـ وقدرته.

* ﴿ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ليستدلّوا بهذه المخلوقات على وجود الله ـ تعالى ـ وقدرته، فيؤمنون به ويوحدونه. وأصل التفكر: تصرّف القلب فى طلب معانى الأشياء.

﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ ﴾ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): يريد الله ـ تعالى ـ الأرض الطيّبة العذبة التى تخرج نباتها بإذن ربّها، تجاورها الأرض السبخة القبيحة المالحة التى لا تخرج نباتها، وهما أرض واحدة، وماؤهما: شيء مِلْح، وعذب، ففضلت إحداهما على الأخرى.. اهـ[3].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨٣).

* وعن سعيد بن جبير (٩٥هـ) في قوله - تعالى -: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾، قال: الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ، والكمثرى، والعنب الأبيض والأسود، وبعضه أكبر حملا من بعض، وبعضه حلو، وبعضه حامض، وبعضه أفضل من بعض.. اهـ(١).

* ﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ أي: بساتين من أعناب.

* وعن البراء بن عازب (ت ٦٢هـ - رضى الله عنه) في قوله - تعالى -: ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ قال: الصنوان: ما كان أصله واحدًا وهو متفرّق، وغير صنوان أي: التي تنبت وحدها.

ثم أردف قائلا: «صنوان»: النخلة في النخلة ملتصقة، وغير صنوان: النخل المتفرق.. اهـ(٢).

* وعن أبي هريرة (ت٥٩هـ - رضى الله عنه) عن النبي ﷺ في قوله - تعالى -: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ قال: الدقل، والفارسيّ، والحلو، والحامض.. اهـ(٣).

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) في الآية قال: هذا مثل ضربه الله - عزّ وجلّ - لقلوب بني آدم، كما كانت الأرض في يد الرحمن طينة واحدة، فسطحها وبطحها، فصارت الأرض قطعًا متجاورة، فينزل عليها الماء من السماء، فتخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها، وتخرج نباتها وتحيى مواتها، وتخرج هذه سبخها وملحها وخبثها، وكلتاهما ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ فلو كان الماء مالحًا قيل إنما أسبخت هذه من قبل الماء، كذلك الناس خلقوا من «آدم» - عليه السلام - فينزل عليهم من السماء تذكرة فترقّ قلوب فتخشع وتخضع، وتقسو قلوب فتلهو وتسهو وتجفو.

ثم قال الحسن البصرى: والله ما جالس القرآن أحد، إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان، قال الله - تعالى -: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا (٨٢)﴾ [الإسراء: ٨٢].. اهـ(٤).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨٣).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨٥).

(٤) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٧)، تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨٤).

* ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾: الذى ذكره الله ـ تعالى ـ: * ﴿ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ﴾ [رقم: ٣].

قرأ شعبة، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ يُغَشّى ﴾ بفتح الغين، وتشديد الشين، مضارع «غشّى» المضعّف.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ يُغْشِى ﴾ بإسكان الغين، وتخفيف الشين، مضارع «أغشى»[١].

* ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ ﴾ [رقم: ٤].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص، ويعقوب برفع ﴿وزرع ونخيل﴾ عطفًا على «قطع» وبرفع ﴿ صنوان ﴾ لكونه نعتًا لـ «نخيل» وبرفع ﴿ غير ﴾ لعطفه على «صنوان».

وقرأ الباقون بخفض الأربعة ﴿وزرع ونخيل صنوان وغير ﴾ وذلك عطفًا على «وأعناب»[٢].

* ﴿ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ ﴾ [رقم: ٤].

قرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب: ﴿ يسقى ﴾ بالياء التحتية على التذكير، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على ما ذكر من قبل فى الآية.

وقرأ الباقون من القراء العشرة : ﴿ تسقى ﴾ بتاء التأنيث، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره «هى» يعود على الأشياء التى سبق ذكرها فى الآية[٣].

* ﴿ وَنُفَضِّلُ ﴾ [رقم: ٤].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ ويفضل ﴾ بالياء التحتية، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على الله ـ تعالى ـ.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٤٨).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٨٤).

(٣) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٨٥).

وقرأ الباقون: ﴿ ونفضل ﴾ بنون العظمة، على الالتفات من الغيبة إلى التكلم وهو ضرب من ضروب البلاغة، والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن»[١].

* ﴿ فِي الأُكُلِ ﴾ [رقم: ٤].

قرأ نافع، وابن كثير بسكون الكاف، وهو لهجة تميم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بضم الكاف، وهو لهجة الحجازيين[٢].

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾: الخطاب موجّه إلى نبينا «محمد» ﷺ وحينئذ يكون المعنى: إن تعجب يا «محمد» من تكذيبهم لك بعد ما كنت عندهم الصادق الأمين، فأعجب منه تكذيبهم بالبعث، مع إقرارهم بابتداء الخلق من الله ـ تعالى ـ، ومما لا يخفى أن الإعادة أهون من الابتداء، فهذا موضع العجب.

* ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: إنّ الأغلال لم تجعل فى أعناق أهل النار إلا من أجل إذا طغا بهم الّلهب أرستهم فى النار.. اهـ[٣].

* ﴿ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أى: خلوداً أبديّا، وكلما خبت زادها الله سعيراً، وكلما نضجت جلودهم بدّلهم الله جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب جزاء كفرهم بالله ـ تعالى ـ.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٨٥).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٤٩).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨٥).

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ أي: لفرط إنكارهم وتكذيبهم يطلبون تعجيل إيقاع العذاب بهم، مثل قولهم: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٢].

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): طلبوا العقوبة قبل العافية، وقد حكم ـ سبحانه ـ بتأخير العقوبة عن هذه الأمّة إلى يوم القيامة.. اهـ[1].

* قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ ﴾ قال: ما أصاب القرون الماضية من العذاب.. اهـ[2].

* وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، عن النبي ﷺ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ قال: لولا عفو الله وتجاوزه، ما هنأ لأحد العيش، ولولا وعيده وعقابه، لاتّكل كلّ أحد.. اهـ[3].

* ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا ﴾ أي: هلا. * ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): هذا قول مشركي العرب.. اهـ[4]. أي: قالوا لولا أنزل على «محمد» ﷺ علامة وحجّة على صدق نبوته.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قال: المنذر نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ نبيّ يدعوهم إلى الله.. اهـ[5].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ١٨٧).

(٢ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٨٦).

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ⑧ ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ قال: يعلم أذَكَرٌ هو، أو أنثى.. اهـ[1].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ قال: ﴿ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ ﴾: ما دون تسعة أشهر، ﴿ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ أى: فوق التسعة أشهر.. اهـ[2].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ قال: أى: لأجل حفظ أرزاق خلقه وآجالهم، جعل لذلك أجلا معلومًا[3].

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ⑨ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ⑩ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أى: الله عالم بما غاب عن الخلق، وبما شهدوه.

فالغيب مصدر بمعنى الغائب، والشهادة مصدر بمعنى الشاهد، فنبّه ـ سبحانه ـ على انفراده بعلم الغيب، والإحاطة بالباطن الذى يخفى على الخلق، فلا يجوز أن يشاركه فى ذلك أحد.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ قال: السرّ والعلانية.. اهـ[4].

* ﴿ الْكَبِيرُ ﴾: الذى كل شىء دونه.

* ﴿ الْمُتَعَالِ ﴾: المستعلى على كل شىء بقدرته وقهره.

* ﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ ﴾:

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨٧).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨٨).

إسرار القول: ما حدَّث به المرء نفسه، والجهر: ما حدّث به غيره، والمراد بذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم ما أسرّه الإنسان من خير أو شرّ، كما يعلم ما جهر به من خير أو شرّ.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) قال: من أسرّ القول أو أعلنه عند الله سواء.. اهـ[١].

* ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ﴾ أي: مستتر بظلمة الليل.

* ﴿ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾: السّارب: المتوارى، أى الداخل سَرَبا.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هو صاحب ريبة: مستخف بالليل، فإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه برىء من الإثم.. اهـ[٢].

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (١١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ ﴾، اختلف المفسرون فى عَوْد الضمير «له»:

أولا: قيل: الضمير عائد على الله ـ تعالى ـ المتقدم ذكره فى قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ [رقم: ٨] وحينئذ يكون المعنى: لله ـ تعالى ـ ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار، فإذا صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النهار.

فعن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى؟ فيقولون تركناهم وهم يصلّون، وأتيناهم وهم يصلّون» اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨٩).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٩).

* ثانيًا: وقيل الضمير فى ﴿ لَهُ ﴾ عائد على الرسول ﷺ المتقدم ذكره فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ [رقم: ٧] وحينئذ يكون المعنى: للرسول ﷺ معقبات، أى: حرّاس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، أى: من شرّ الجن، وطوارق الليل والنهار، ومن أعدائه. وقد قال بهذا ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما)(١).

* ثالثًا: وقيل الضمير فى ﴿ لَهُ ﴾ عائد على «الإنسان» المفهوم من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ [رقم: ١٠]، وحينئذ يكون المعنى: ليس من عَبْد إلا ومعه ملائكة يحفظونه من أن يقع عليه حائط، أو يتردّى فى بئر، أو يأكله سبع، أو غرق، أو حَرْق، فإذا جاء القدر خلّوا بينه وبين القدر. وقد قال بهذا علىّ (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه)(٢).

* ﴿ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾:

* أخرج ابن جرير (ت ٣١٠هـ) عن كنانة العدوىّ قال: دخل عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ ـ رضى الله عنه) على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرنى عن العَبْد كم معه مِنْ مَلَك؟

فقال الرسول ﷺ: «مَلَك عن يمينك على حسناتك، وهو أمين على الذى على الشمال، إذا عملتَ حسنة كتبت عشرًا، وإذا عملتَ سيئة قال الذى على الشمال للذى على اليمين: أكتب؟ قال: لا، لعله يستغفر الله ويتوب، فإذا قال ثلاثًا قال: نعم اكتبه أراحنا الله منه فبئس القرين، ما أقلّ مراقبته لله، وأقلّ استحياءه منه، يقول الله: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ [ق: ١٨]. وملكان من بين يديك ومن خلفك، يقول الله: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾. ومَلَك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعتَ لله رفعك، وإذا تجبّرتَ على الله قصمك. ومَلَكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على النبىّ ﷺ. ومَلَك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحيّة فى فيك. ومَلَكان على يمينك، فهؤلاء عشرة أملاك على كل بنى

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٩)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٨٩).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٩١).

آدم، ينزل ملائكة الليل على ملائكة النهار، لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار، فهؤلاء عشرون ملكًا على كل آدميّ» اهـ[١].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ قال: لا يغير ما بهم من النعمة حتى يعملوا بالمعاصى، فيرفع الله عنهم النعم.. اهـ[٢].

* ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ أى: هلاكًا وعذابًا. * ﴿فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾.

* ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ أى: ملجأ يلجئون إليه.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)﴾

معانى المفردات:

* ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: ﴿هُوَ﴾ أى: الله ـ تعالى ـ فالضمير عائد على ﴿اللَّهَ﴾ المتقدم ذكره فى الآية السابقة رقم: ١١.

* ﴿الْبَرْقَ﴾، قال علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) ومجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ): ﴿الْبَرْقَ﴾ مخاريق من نار بأيدى ملائكة السحاب، يزجرون به السحاب.. اهـ[٣].

* وقد اختلف المفسرون فى تأويل قوله ـ تعالى ـ: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾:

١ ـ قال الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): الخوف: ما يخاف من الصواعق، والطمع: الغيث.

٢ ـ وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): خوفًا: لأهل البحر، وطمعًا: لأهل البرّ.

٣ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): خوفًا للمسافر يخاف أذاه ومشقته، وطمعًا للمقيم يطمع فى رزق الله ويرجو بركة المطر ومنفعته.. اهـ[٤].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٩٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٩٥). (٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٩٤).

* ﴿ وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ أى: بالمطر.

يقال: أنشأ الله السحابة فنشأت، أى: أبداها فبدت. والسحاب: جمع سحابة، ويقال فى جمع سحابة أيضًا: سُحُب، وسحائب. والسحاب: الغيم فيها ماء أو لم يكن. وأصل «السَّحْب» الجرّ مثل سَحْب الإنسان على وجهه، ومنه «السَّحاب» إمَّا لجرّ الريح له، أو لانجراره فى ممرّه[1].

* وعن جابر بن عبد الله الأنصارىّ (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) أنّ خزيمة بن ثابت ـ رضى الله عنه، سأل رسول الله ﷺ عن منشأ السحاب، فقال: «إنّ مَلَكًا موكل بالسحاب يلمّ القاصية، ويلحم الدانية، فى يده مخراق، فإذا رفع برقت، وإذا زجر رعدت، وإذا ضرب صعقت» اهـ[2].

* ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾: قال البغوىّ (ت ٥١٦ هـ) فى تفسيره: أكثر المفسّرين على أن الرّعد اسم مَلَك يسوق السحاب، والصوت المسموع منه تسبيحه.. اهـ[3].

* ﴿ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ فى تأويل ذلك قولان:

الأول: تسبح الملائكة من خيفة الله ـ عزّ وجلّ ـ وخشيته.

والثانى: المراد بهؤلاء الملائكة أعوان الرعد، فهم خائفون طائعون[4].

* ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ ﴾: جمع «صاعقة» وهى العذاب المهلك ينزل من البرق فيحرق من يصيبه.

* ﴿ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ﴾ كما أصاب أربد بن ربيعة.

* وقال محمد بن على الباقر: الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم، ولا تصيب الذاكر.. اهـ[5].

---

(١) انظر: المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص٢٢٥.

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٩٥).

(٣ : ٥) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١١).

* وعن ابن عباس (٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: من سمع صوت الرعد فقال: سبحـان من يسبّح الرعد بحمده والمـلائكة من خيفته وهـو على كل شىء قدير، فإن أصابته صاعقة فعلىّ ديته.. اهـ[١].

* ﴿ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ﴾: ذكـر المـاوردى، عن ابن عـبـاس، وعلىّ بن أبى طالـب، ومجـاهد: نزلت فى يهودىّ ـ هو أربد بن ربيـعة ـ قال للنبىّ ﷺ: أخـبرنى من أىّ شىء ربك؟ أمن لؤلؤ، أم من ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأحرقته.. اهـ[٢].

* ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ ـ فقال علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه): شديد الأخذ.

٢ ـ وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): شديد القوّة.

٣ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): شديد الانتقام[٣].

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (١٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عـبـاس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهـما) فى قوله ـ تـعالى ـ: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله.. اهـ[٤].

* وقيل: لله ـ تعالى ـ دعوة الصدق[٥].

* وقيل: إن الإخلاص فى الدعاء هو دعوة الحق[٦].

* ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ﴾ أى: يعبدون الأصنام، والأوثان من دون الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾: أى: لا يستجيبون لهم دعاء، ولا يسمعون لهم نداءً.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٩٨).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٩٤ ـ ١٩٥).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٠).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠١).
(٥، ٦) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ١٩٧).

* وقال عليّ بن أبي طالب (ت ٤٠هـ ـ رضي الله عنه) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ قال: هو كالرجل العطشان يمدّ يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه، وما هو ببالغه.. اهـ[١].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ قال: هذا مثل ضربه الله ـ تعالى ـ إلى هذا الذي يدعونه من دون الله: هذا الوثن، وهذا الحجر، لا يستجيب له بشيء، ولا يسوق إليه خيرًا، ولا يدفع عنه سوءًا حتى يأتيه الموت، كمثل هذا الذي يبسط ذراعيه إلى الماء ليبلغ فاه، ولا يبلغ فاه، ولا يصل ذلك إليه حتى يموت عطشًا.. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ قال: لأن أصواتهم محجوبة عن الله ـ تعالى ـ.. اهـ[٣].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (١٥)﴾

❀ معاني المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال: أمّا المؤمن فيسجد طائعًا، وأما الكافر فيسجد كارهًا.. اهـ[٤].

* وعن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) في الآية قال: يسجد من في السموات طوعًا، ومن الأرض طوعًا وكرهًا.. اهـ[٥].

* وعن ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالي ١٧٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ قال: ذكر لنا أن ظلال الأشياء كلها تسجد لله، وقرأ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨)﴾ [النحل: ٤٨].. اهـ[٦].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٠١). (٣) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٢).

(٤) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٦٦)، تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٠١).

(٥) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٦٧). (٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٠٢).

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾:

✷ المعنى:

أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه «محمداً» ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ ثم أمره أن يقول لهم: هو الله إلزامًا للحجة إن لم يقولوا ذلك.

* ﴿ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا ﴾:

✷ المعنى:

هذا يدلّ على اعترافهم بأن الله هو الخالق للسموات والأرض، ومما يشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزمر: ٣٨].

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ قال: أمّا الأعمى والبصير: فالكافر والمؤمن. وأمّا الظلمات والنور: فالهدى والضلال.. اهـ[١].

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ قال: خلقوا كخلقه، فحملهم ذلك على أن شكّوا فى الأوثان.. اهـ[٢].

* وأخرج البخارى فى الأدب المفرد، عن معقل بن يسار ـ رضى الله عنه ـ قال: انطلقت مع أبى بكر الصديق (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه) إلى رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٦٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٣).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٦٨).

«يا أبا بكر للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل» فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلهًا آخر؟ فقال النبى ﷺ: «والذى نفسى بيده للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، ألا أدلّك على شىء إذا قلتَه ذهب قليله وكثيره؟ قل اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم».

زاد فى رواية: «الشرك أن تقول أعطانى الله وفلان، والندّ: أن يقول الإنسان: لولا فلان قتلنى فلان».. اهـ(١).

* ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾:

✵ المعنى:

يقول الله ـ تعالى لنبيه «محمد» ﷺ: قل لهؤلاء المشركين إذا أقرّوا لك أنّ أوثانهم التى أشركوها فى عبادة الله لا تخلق شيئًا، فالله خالقكم وخالق أوثانكم، وخالق كل شىء، فما وجه إشراككم ما لا يخلق ولا يضرّ؟.

* ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾ أى: الفرد الذى لا ثانى له. * ﴿الْقَهَّارُ﴾ الذى يستحق الألوهية والعبادة، لا الأصنام التى لا تنفع ولا تضرّ.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [رقم: ١٦].

قرأ شعبة، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿أم هل يَستوى﴾ بالياء التحتية على التذكير، لأن تأنيث «الظلمات» غير حقيقى فجاز تذكير الفعل، مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿أم هل تستوى﴾ بالتاء الفوقية على التأنيث، لأن «الظلمات» فاعل فأنث الفعل تبعًا لتأنيث اللفظ(٢).

•• **تنبيه:** ﴿تستوى﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [رقم: ١٦].

اتفق القراء العشرة على قراءته بالتذكير، إذْ لا وجه لتأنيث الفعل.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٣).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٨٦).

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى الآية قال: هذا مثل ضربه الله ـ تعالى ـ بين الحق والباطق، يقول: احتمل السيل ما فى الوادى من عود وغيره، وما توقدون عليه فى النار: فهو الذهب والفضة والحلية.

والمتاع: النحاس والحديد، وللنحاس والحديد خبث، فجعل الله ـ تعالى ـ مَثَل خبثه كمَثَل زبد الماء. فأمّا ما ينفع الناس: فالذهب والفضة.

وأمّا ما ينفع الأرض: فما شربت من الماء فأنبتت. فجعل الله ذلك مثل العمل الصالح الذى يبقى لأهله والعمل السّىء يضمحلّ محلّه.

فذلك الهدى والحق جاء من عند الله، فمن عمل بالحقّ كان له كما يبقى ما ينفع الناس فى الأرض.

وكذلك الحديد لا يستطيع أن يعمل منه سكين ولا سيف حتى يدخل النار، فتأكل خبثه فيخرج جيّده فينتفع به.

كذلك يضمحلّ الباطل. وإذا كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الأعمال، يرفع الباطل ويهلك، وينتفع أهل الحق بالحق.. اهـ[١].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى الآية قال: هذه ثلاثة أمثال ضربها الله ـ تعالى ـ فى مثل واحد، يقول الله ـ تعالى ـ: كما اضمحلّ هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به ولا ترجى بركته، كذلك يضمحلّ الباطل وأهله. وكما مكث هذا الماء فى الأرض. فأخرجت نباتها، كذلك يبقى الحق لأهله[٢].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٤ ـ ١٠٥).

* وعن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ أى: فمرّ السيل على رأسه من التراب والغثاء حتى استقر فى القرار وعليه الزّبد، فضربته الريح فذهب الزّبد جفاء إلى جوانبه فيبس فلم ينفع أحدًا، وبقى الماء الذى ينتفع به الناس فشربوا منه، وسقوا أنعامهم. فكما ذهب الزّبد فلم ينفع، فكذلك الباطل يضمحلّ يوم القيامة فلا ينفع أهله. وكما نفع الماء فكذلك ينفع الحقّ أهله.. اهـ[١].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ قال: الكبير بقدره، والصغير بقدره.. اهـ[٢].

* ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾: الذى علا السيل.

* ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ أى: ضائعًا، والجفاء: ما رمى به الوادى من الزّبد، والقِدْر إلى جنباته.

يقال: جَفَا الوادى وأجْفَا: إذا ألقى غثاءه، وأجفأت القِدْر وجفأت: إذا غلت وألقت زبدها، فإذا سكنت لم يبق فيها شىء.

وحينئذ يكون المعنى: إن الباطل وإن علا فى وقت فإنه يضمحلّ.

* ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ أى: يبقى ولا يذهب.

* ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾: جعل الله هذا مثالا للحق والباطل: فكما اضمحلّ الزبد فصار جفاء لا ينتفع به، كذلك يضمحلّ الباطل عن أهله، وكما مكث الماء فى الأرض فأخرجت نباتها، كذلك يبقى الحق لأهله.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ [رقم: ١٧].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٤).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٥).

قرأ حفص، وحمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ يوقدون ﴾ بياء الغيب، لمناسبة ما قبله فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ﴾ [رقم: ١٦]، فجرى الكلام على نسق واحد.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ توقدون ﴾ بتاء الخطاب، حَمْلا على الخطاب الذى قبله فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ [رقم: ١٦][١].

﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ﴾ قال: هى الجنّة.. اهـ[٢].

* ﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ﴾:

✳ المعنى:

يقول الله ـ تعالى ـ: وأما الذين لم يستجيبوا لله حين دعاهم إلى توحيده، والإقرار بربوبيته، ولم يطيعوه فيما أمرهم به، ولم يصدّقوا رسوله فيما جاءهم به من عند ربهم، فلو أن لهم ما فى الأرض جميعًا من الأموال وغيرها، ومثله معه ملكًا لهم، ثم قُبِل ذلك منهم بدلا من العذاب الذى أعدّه الله لهم فى نار جهنم، وعوضًا عنه لافتدوا به أنفسهم.

واعلم أخى المسلم أن «لو» حرف امتناع لامتناع، وحينئذ يكون المعنى: هم لا يملكون ما ذكر إذًا فمصيرهم إلى النار وبئس القرار.

ويشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٩١) ﴾ [آل عمران: ٩١].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٨٧).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٧٣)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٥).

* وعن إبراهيم النَّخَعِىّ (ت ٩٦هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ قال: هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يُغفر له منه شىء.. اهـ[١].

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) كما قال إبراهيم النّخعى[٢].

* ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾، أى: ومسكنهم يوم القيامة جهنم.

* ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾، أى: وبئس الفراش والوطاء جهنم التى هى مأواهم يوم القيامة.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾، قال: هؤلاء قوم انتفعوا بما سمعوا من كتاب الله وعقلوه، ووعوه.

وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ قال: عن الحق فلا يبصره ولا يعقله.. اهـ[٣].

* قال بعض المفسرين: نزلت هذه الآية فى حمزة بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه ـ، وأبى جهل ـ عليه لعنة الله ـ: فالأول حمزة ـ رضى الله عنه ـ. والثانى: أبو جهل، والمراد بالعمى عمى القلب، والجاهل بالدين المنكر له أعمى القلب[٤].

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ قال: إنما يتعظ بآيات الله ويؤمن بها من كان له لبّ أى عقل.. اهـ[٥].

والألباب جمع «لبّ» وهم أصحاب العقول السليمة.

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٧٣)، وتفسير البغوى (٣/ ١٤)، وتفسير القرطبى (٩/ ٢٠١)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٦).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٦).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٧٤)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٦).

(٤) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٧٥)، وتفسير البغوى (٣/ ١٤).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٦).

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ قال: فعليكم بالوفاء بالعهد، ولا تنقضوا الميثاق، فإن الله قد نهى عنه، وقدّم فيه أشدّ التقدمة، فذكره فى بضع وعشرين آية نصيحة لكم، وتقدمة إليكم، وحجة عليكم، وإنما تعظم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم، وأهل العقل، وأهل العلم.

وذكر لنا أن النبى ﷺ كان يقول فى خطبته: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» اهـ(١).

* فقوله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: هذا من صفة ذوى الألباب، أى: إنما يتذكر أولو الألباب الموفون بعهد الله.

والعهد: اسم للجنس، أى بجميع عهود الله، وهى أوامره ونواهيه التى وصّى بها عباده.

* ﴿وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾: لعلّ المراد به جنس المواثيق، أى: إذا عقدوا فى طاعة الله عهدًا لم ينقضوه.

* قال ابن العربى: من أعظم المواثيق فى الذكر ألا يُسْأل سوى الله ـ تعالى ـ: فقد كان أبو حمزة الخراسانىّ من كبار العبّاد: سمع أنّ أناسًا بايعوا رسول الله ﷺ ألا يسألوا أحدًا شيئًا: فعن عوف بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: كنا عند رسول الله ﷺ سبعة، أو ثمانية، أو تسعة، فقال ـ أى الرسول ﷺ ـ: «ألا تبايعون رسول الله» وكنّا حديثى عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك، حتى قالها ثلاثًا، فبسطنا أيدينا فبايعناه، فقال قائل: يا رسول الله، إنّا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك؟

قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وتصلّوا الصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا ـ وأسرّ كلمة خفية ـ قال: لا تسألوا الناس شيئًا»، قال ـ أى عوف بن مالك ـ: ولقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فما يسأل أحدًا أن يناوله إيّاه.. اهـ(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٧٤)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٦).

(٢) رواه أبو داود، وغيره عن عوف بن مالك، انظر فى هذا: تفسير القرطبى (٩/ ٢٠٢).

فقال أبو حمزة الخراسانيّ: ربّ إن هؤلاء عاهدوا نبيّك إذْ رأوه، وأنا أعاهدك ألا أسأل أحدًا شيئًا.

قال ـ ابن العربى ـ: فخرج أبو حمزة الخراسانى حاجّا من الشام يريد «مكّة» فبينما هو يمشى فى الطريق من الليل إذْ تخلّف عن أصحابه لعذر، ثم أتبعهم.

فبينما هو يمشى إليهم إذْ سقط فى بئر على حاشية الطريق، فلمّا حلّ فى قعره قال: أستغيث لعلّ أحدًا يسمعنى.

ثم قال: إن الذى عاهدتُه يرانى ويسمعنى، والله لا تكلمتُ بحرف للبشر، ثم لم يلبس إلا يسيرًا إذْ مرّ بذلك البئر نفر، فلما رأوه على حاشية الطريق قالوا: إنه ينبغى سدّ هذا البئر، ثم قطعوا خشبًا ونصبوها على فم البئر وغطّوها بالتراب، فلما رأى ذلك أبو حمزة الخراسانى قال: هذه مهلكة، ثم أراد أن يستغيث بهم، ثم قال: والله لا أخرج منها أبدًا، ثم رجع إلى نفسه فقال: أليس قد عاهدت من يراك؟ فسكت وتوكل على الله، ثم استند فى قعر البئر مفكرًا فى أمره، فإذا بالتراب يقع عليه، والخشب يرفع عنه ـ أى عن البئر ـ.

وسمع فى أثناء ذلك من يقول: هات يدك، قال: فأعطيته يدى فأقلّنى فى مرّة واحدة إلى فم البئر، فخرجت فلم أجد أحدًا، فسمعت هاتفًا يقول: كيف رأيت ثمرة التوكل.

قال ابن العربى: هذا رجل عاهد الله فوجد الوفاء على التمام والكمال، فاقتدوا به إن شاء الله تهتدوا.. اهـ[1].

* وأقول: من الآيات الواردة فى طلب الوفاء بالعهد، وبيان ثواب من أوفى بعهده مع الله، ما يلى:

١ ـ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾ [النحل: ٩١].

٢ ـ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً (٣٤) ﴾ [الإسراء: ٣٤].

٣ ـ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠].

٤ ـ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠) ﴾ [الفتح: ١٠].

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣).

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾:

* قال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) والكثيرون من المفسرين يقولون: هذه الآية واردة فى الحثّ على صلة الأرحام[١].

* وأقول: من يقرأ السنة المطهرة يجد الكثير من الأحاديث الصحيحة التى تحثّ على صلة الأرحام، وتبين فضل ذلك، فمن ذلك:

١ ـ عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «من أحبّ أن يُبسط له فى رزقه، ويُنسأ له فى أثره فليصل رحمه» اهـ[٢].

٢ ـ وعن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» اهـ[٣].

* ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أى: فى قطع الرحم، وقيل: فى جميع المعاصى.

* وعن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ قال: أى يخافون قطيعة ما أمر الله به أن يوصل.

* وعنه فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ قال: أى: يخافون شدّة الحساب.. اهـ[٤].

* وعن ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ قال: سوء الحساب: الذى لا جواز فيه.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٠٣).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٥).

(٣) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين ص١٥٥.

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٦ ـ ١٠٧).

(٥) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٧٥).

* من هذا يتبين أن معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾: أى: يحذرون مناقشة الله إيّاهم فى الحساب، ثم لا يصفح لهم عن ذنب، فهم لرهبتهم من ذلك جادّون فى طاعة الله، محافظون على حدوده ـ والله أعلم ـ.

﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾:

١ ـ قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): معنى ذلك: صبروا على أوامر الله ـ عزّ وجل ـ.. اهـ[١].

٢ ـ وقال عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ): معنى ذلك: صبروا على المصائب، والنوائب.. اهـ[٢].

٣ ـ وقال ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ): معنى ذلك: صبروا على طاعة الله، وعن معصية الله.. اهـ[٣].

* ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ أى: أدوها تامّة بشروطها، وأركانها، وفروضها فى أوقاتها.

* وقال سعيد بن جبير معنى ذلك: أتموها[٤].

* ﴿ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾: قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: المراد بذلك: الزكاة المفروضة[٥].

* ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): معنى ذلك: يدفعون بالصالح من العمل السيء من العمل.. اهـ[٦].

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٦).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٧).
(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٠٤).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٧).
(٥) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٠٤).
(٦) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٦).

٢ - وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) معنى ذلك: يدفعون المنكر بالمعروف.. اهـ[١].

٣ - وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) معنى ذلك: إذا حُرِمُوا أعطوا، وإذا ظُلِموا غَفروا، وإذا قُطعوا وصلوا[٢].

* ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: وهى الجنة.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) أنه قرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ حتى ختم الآية ثم قال: إنه لفى خيمة من درّة مجوّفة ـ أى فى الجنة قصر ـ ليس فيها ـ أى: فى الخيمة ـ صدع، ولا وصل، طولها فى الهواء ستّون ميلا، فى كل زاوية منها أهل، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب، يقوم على كل باب منها سبعون ألفًا من الملائكة، مع كل ملك هديّة من الرحمن ليس مع صاحبه مثلها، لا يصلون إليه إلا بإذن، بينه وبينهم حجاب.. اهـ[٣].

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ قال: إن فى الجنّة قصرًا يقال له: «عدن» حوله البروج والمروج، فيه خمسة آلاف باب، على كل باب خمسة آلاف حِبَرة، لا يدخله إلا نبىّ، أو صدِّيق، أو شهيد.. اهـ[٤].

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ قال: مدينة فى الجنة فيها الرسل، والأنبياء، والشهداء، وأئمّة الهدى، والناس حولهم بعدد الجنّات حولها.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٠٤).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ١٦).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٨).

(٤) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٧٦).

(٥) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٧٧).

* وأخرج أحمد، والبزّار، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم فى الحلية، والبيهقى فى شعب الإيمان عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ ـ رضى الله عنهما) قال:

قال رسول الله ﷺ: «أوّل من يدخل الجنّة من خلق الله ـ تعالى ـ: فقراء المهاجرين الذين تسدّ بهم الثغور، وتتّقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله ـ تعالى ـ لمن يشاء من الملائكة: ائتوهم فحيّوهم، فتقول الملائكة: ربنا نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال الله ـ تعالى ـ: إنّ هؤلاء عبادى كانوا يعبدوننى فى الدنيا، ولا يشركون بى شيئًا، وتسدّ بهم الثغور، وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيعون لها قضاء. فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب ويقولون: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» اهـ[١].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ قال: من آمَن مِنْ آبائهم وأزواجهم وذرياتهم فى الدنيا.. اهـ[٢].

أى: يدخلون جنات عدن، ويدخلها من صلح من آبائهم، وأزواجهم وذرياتهم فى الدنيا.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ قال: الصلاح: الإيمان بالله وبالرسول.. اهـ[٣].

* ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ أى: بالتحف والهدايا من عند الله ـ تعالى ـ تكرمة لهم، ويقولون لهم: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، كما أخبر الله بذلك فى الآية التالية:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٠٩).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٧٦).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٠٥).

﴿ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) ﴾

معانى المفردات:

* عن ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ قال: حين صبروا على ما يحبّه الله فقدّموه، وقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢) ﴾ [الإنسان: ١٢ ـ ٢٢]، وصبروا عمّا كره الله وحرّم عليهم، وصبروا على ما ثقل عليهم وأحبّه الله فسلّم عليهم بذلك، وقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾.. اهـ[1].

* ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ أى: نعم عاقبة الدار التى كنتم فيها، عملتم فيها ما أعقبكم هذا الذى أنتم فيه. وحينئذ يكون المراد بـ «الدّار» الدنيا.

* وقال أبو عمران الجوْنى: ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾: أى: الجنّة.. اهـ[2].

﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾: أى: من الأرحام، والإيمان بجميع الأنبياء.

* ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ أى: بالكفر، وارتكاب المعاصى.

* ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ ﴾ أى: الطرد من رحمة الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) المراد بذلك: سوء العاقبة.. اهـ[3].

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٧٧).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٧٧)، وتفسير القرطبى (٩/ ٢٠٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١١٠).

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ (٢٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ أى: يوسّع على من يشاء من خلقه فى رزقه فيبسط له منه، لأن منهم من لا يصلحه إلا ذلك.

* ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ أى: ويقتّر على من يشاء من عباده فى رزقه وعيشه فيضيقه عليه، لأنه لا يصلحه إلا الإقتار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣٢].

* ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أى: فرح هؤلاء الذين بسط الله لهم فى الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ومعصيتهم إيّاه، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به فى الآخرة من الكرامة والنعيم المقيم.

* ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾: أى: جميع ما أُعْطى هؤلاء الكفار فى الدنيا من السعة، وبسط الرزق بالنسبة لما أعدّه الله ـ تعالى ـ لأهل طاعته فى الآخرة إلا شىء قليل حقير.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾ قال: إلا زاد كزاد الراعى.. اهـ[1].

وأقول: زاد الراعى هو شىء يسير قليل عبارة عن: كفّ من التمر، أو شىء من الدقيق، أو أىّ شىء ليشرب عليه اللّبَن.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى معنى ذلك قال: هو شىء قليل ذاهب.. اهـ[2].

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧) ﴾

(١، ٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٠٦).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾:

✵ **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ لنبيّه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾: وهم عبد الله بن أبى أمية رأس المنافقين وأتباعه حين طلبوا من النبى ﷺ أن يأتيهم ببعض الآيات للتعجيز وليس للإيمان، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ﴾ [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣].

* ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ﴾:

✵ **المعنى:**

يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ لنبيه «محمد» ﷺ: قل لهؤلاء الكفار المعاندين: كما أضلكم الله بعدما أنزل من الآيات السابقة وحرّمكم الاستدلال بها، يضلكم أيضًا عند نزول غيرها.

* ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ أى: يهدى الله ـ تعالى ـ إلى دينه وطاعته من تاب وأناب ورجع إليه بإخلاص.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ قال: من تاب وأقبل.. اهـ(١).

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾: يجوز أن يكون ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فى موضع نصب، لأنه مفعول لقوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ أى: ويهدى الله الذين آمنوا كذلك.

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٧٩).

ويجوز أن يكون بدلا من قوله ـ تعالى ـ قبل: ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ وحينئذ يكون فى محلّ نصب أيضًا.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال: تسكن قلوب المؤمنين إلى ذكر الله وتستأنس به.. اهـ(١).

* ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: المعنى: يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوب المؤمنين؟ أقول: نعم تسكن وتستأنس وتطمئن قلوب المؤمنين بذكر الله ـ تعالى ـ أى بذكر اسم من أسمائه، أو صفة من صفاته.

* فإن قيل: أليس قد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

فكيف تكون الطمأنينة والوجل فى حالة واحدة؟

* أقول: الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة عند ذكر الثواب، والأجر العظيم.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ قال: طوبى اسم شجرة فى الجنة.. اهـ(٢).

* وأخرج أحمد، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والخطيب فى تاريخه عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك، قال ـ أى النبى ﷺ ـ: «طوبى لمن رآنى وآمن، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى» قال رجل: وما طوبى؟ قال: «شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام، تخرج من أكمامها» اهـ(٣).

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٨٠).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١١١).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١١٢).

* وأخرج عبد بن حميد، عن زيد مولى ابن مخرمة قال: سمعت أبا هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) يقول: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرأوا إن شئتم: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ ﴾ [الواقعة: ٣٠].. اهـ[١].

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ قالا: حسن منقلب.. اهـ[٢].

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠ ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ ﴾ قال: يقول الله ـ تعالى ـ: أرسلناك يا «محمد» كما أرسلنا الأنبياء من قبلك.. اهـ[٣].

* ﴿ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ أى: لتقرأ عليهم القرآن.

* ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾: قال مقاتل بن حيّان البلَخىّ (ت١١٠هـ) وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت١٥٠هـ) قالا: نزلت فى صلح الحديبية حين أرادوا أن يكتبوا كتاب الصُّلح فقال النبى ﷺ لعلىّ بن أبى طالب (ت٤٠هـ ـ رضى الله عنه): «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سُهَيْل بن عمرو والمشركون: ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة الكذّاب، اكتب باسمك اللهمّ، وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون، فقال النبى ﷺ لعلىّ: «اكتب هذا ما صالح عليه «محمد» رسول الله» فقال مشركو قريش: لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه «محمد بن عبد الله» فقال أصحاب النبى ﷺ: دعنا نقاتلهم، فقال: «لا ولكن اكتب ما يريدون» اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١١٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١١٦).

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٠٨).

* ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾:

✻ **المعنى:** أمر الله ـ تعالى ـ نبيّه وحبيبه «محمدًا» ﷺ أن يقول للكفار: الذى أنكرتموه ولم تؤمنوا به هو ربِّى لا إله إلا هو، ولا معبود سواه.

* ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ أى: اعتمدت على الله، واعتصمت به.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ قال: وإليه توبتى.. اهـ[١].

* و ﴿ مَتَابِ ﴾ مصدر، تقول: تبتُ إلى الله توبةً ومتابًا.

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١) ﴾

سبب نزول هذه الآية:

ورد فى سبب نزولها أكثر من رواية، وكلها متقاربة فى المعنى، وقد اخترت الرواية التالية لأنها أوفى الروايات:

* أخرج أبو يعلى، وأبو نعيم فى الدلائل، وابن مردويه، عن الزبير بن العوّام ـ رضى الله عنه ـ قال: لما نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤) ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صاح رسول الله ﷺ على أبى قبيس: «يا آل عبد مناف، إنّى نذير لكم»، فجاءته قريش، فحذّرهم وأنذرهم، فقالوا: تزعم أنك نبىّ يوحى إليك، وأن «سليمان» ـ عليه السلام ـ سُخِّرت له الريح والجبال، وأنّ «موسى» ـ عليه السلام ـ سُخِّر له البحر، وأن «عيسى» ـ عليه السلام ـ كان يُحيى الموتى، فادع الله أن يسيِّر عنا هذه الجبال، ويفجِّر لنا الأرض أنهارًا فنتخذها محارث: فنزرع ونأكل، وإلا فادع الله أن يُحيى لنا الموتى فنكلمهم ويكلّمونا، وإلا فادع الله أن يجعل هذه الصخرة التى تحتك ذهبًا فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف، فإنك تزعم أنك كهيئتهم.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١١٦).

فبينا نحن حوله، إذْ نزل عليه الوحى، فلمّا سرى عنه الوحى قال: «والذى نفسى بيده لقد أعطانى الله ما سألتم، ولو شئتُ لكان، ولكنه خيَّرنى بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلّوا عن باب الرحمة ولا يؤمن مؤمنكم. فاخترت باب الرحمة ويؤمن مؤمنكم، وأخبرنى إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم يعذبكم عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين»، فنزلت: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ﴾ [الإسراء: ٥٩]، حتى قرأ ثلاث آيات.

ونزلت: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ الآية.. اهـ[١].

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ﴾: جواب «لَوْ» محذوف، واختلف العلماء فى تقديره:

١ ـ فقال الزبير بن العوّام ـ رضى الله عنه ـ ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، والضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قال هؤلاء: جواب «لَوْ» محذوف، تقديره: لكان هذا القرآن، لكن حُذف إيجازًا لما فى ظاهر الكلام من الدلالة عليه.. اهـ[٢].

٢ ـ وقال الزجّاج إبراهيم بن السَّرى (ت ٣١١هـ): جواب «لَوْ» محذوف تقديره: لما آمنوا، ثم استطرد قائلاً: والجواب المضمر هنا هو ما أظهره الله فى قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١١١].. اهـ[٣].

* ﴿ بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ أى: هو المالك لجميع الأمور، الفاعل لما يشاء منها، فليس ما تطلبونه مما يكون بالقرآن، إنما يكون بأمر الله الذى إذا أراد شيئًا قال له كُنْ فهو يكون.

* ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١١٧).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٠٩).

* قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) وابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠ هـ) قالا: معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ ﴾: أفلم يعلم.. اهـ[١].

* ﴿ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾:

«أَنْ» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، والتقدير: أنه لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا. وجواب «لَوْ» محذوف تقديره: لكنّه لم يشأ.

* ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ﴾:

* المعنى:

لا يزال الكافرون تصيبهم بسبب كفرهم داهية مهلكة من قتل، أو أسْر، أو جَدْب، أو غير ذلك من العذاب، والبلاء، كما نزل بالمستهزئين، ورؤساء المشركين.

واعلم أخى المسلم أنّ «لا» للنفى، و«زال» للنّفى، ونفى النفى إثبات، أى نزول القارعة بالكفار مستمرة.

وقد اختلف المفسرون فى بيان المراد من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَارِعَةٌ ﴾:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما) وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥ هـ): القارعة: الطلائع، والسرايا التى كان ينفذها رسول الله ﷺ.

٢ ـ وعنهما أيضًا قالا: القارعة: النكبة.. اهـ[٢].

* ﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾: اختلف العلماء فى فاعل «تحل»:

١ ـ فقال الحسن البصرى (ت ١١٠ هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ): الفاعل «قارعة» أى تحلّ القارعة قريبًا من دارهم.. اهـ[٣].

٢ ـ وقال ابن عباس (ت ٦٨ هـ ـ رضى الله عنهما): الفاعل: رسول الله ﷺ أى: تحلّ أنت يا رسول الله وجُنْدك قريبًا من ديار الكفار.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١١٨).

(٢ : ٤) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢١٠).

* ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾: اختلف المفسّرون فى بيان المراد من ذلك:

١ ـ فقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): معنى ذلك: فتح مكة ـ وظهور رسول الله ﷺ ودينه.. اهـ[1].

٢ ـ وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): المراد بذلك: وعد الله يوم القيامة.. اهـ[2].

* ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: هذه جملة خبريّة، وخبر الله ـ تعالى ـ متمحّض للصدق دائمًا.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢)﴾

* المعنى:

يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ: يا «محمد» إن يستهزئ هؤلاء المشركون منك، ومن قومك، ويطلبوا منك الآيات تكذيبًا منهم لما جئتهم به فاصبر على أذاهم لك، وامض لأمر ربك فى إنذارهم، فلقد استهزأت أمم من قبلك برسلى، فأطلتُ لهم فى المهْل ومددت لهم فى الأجَل، ثم أحللتُ بهم عذابى ونقمتى حين تمادوا فى غيِّهم وضلالهم.

فانظر كيف عقابى إياهم حين عاقبتهم، ألم أذقهم أليم العذاب، وأجعلهم عبرة لأولى الألباب؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)﴾ [العنكبوت: ٤٠].

و«الإملاء» معناه: الإطالة، يقال: أمليت لفلان: إذا أطلت له فى المَهَل. ولذا قيل لليل والنهار «الملَوان» لطولهما.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)﴾

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢١٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢١١).

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ قال: ذلكم الله ربكم ـ تبارك وتعالى ـ قائم على بنى آدم بأرزاقهم، وآجالهم، وحفظ عليهم أعمالهم.. اهـ(١).

* وقال القرطبى فى تفسيره: معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: ليس هذا القيامُ القيامَ الذى هو ضدّ القعود، بل هو بمعنى التولّى لأمور الخلق، كما يقال: قام فلان بشغل كذا، فإنه قائم على كل نفس بما كسبت أى: يقدرها على الكسب، ويخلقها، ويرزقها، ويحفظها، ويجازيها على عملها، فالمعنى: أنه حافظ لا يغفل.. اهـ(٢).

* واعلم أخى المسلم أن جواب الشرط وهو «مَنْ» محذوف، والتقدير: أفمن هو حافظ لا يغفل كمن يغفل.

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ قال: ولو سمّوهم آلهة لكذبوا وقالوا فى ذلك غير الحق، لأن الله واحد ليس له شريك.. اهـ(٣).

* وعن الضحّاك بن مزاحم فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: لا يعلم الله ـ عزّ وجلّ ـ فى الأرض إلهًا غيره.. اهـ(٤).

* وعن قتادة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ قال: الظاهر من القول هو الباطل.. اهـ(٥).

* ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ أى: كذبهم وافتراؤهم على الله.

* وعن مجاهد بن جبر (ت١٠٤ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ قال: أى قولهم.. اهـ(٦).

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٩٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢١١).

(٣، ٤) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٩٣).

(٥، ٦) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٩٤).

* ﴿ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أى: صَدَّهم الله عن سبيله لكفرهم به، ثم ضمت الصاد لأن الفعل مبنى للمجهول.

* ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾:

✻ **المعنى:** من أضلّه الله عن إصابة الحقّ والهدى بخذلانه إيّاه، فما له أحد يهديه لإصابتهما، لأن ذلك لا يُنال إلا بتوفيق الله ومعونته.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ﴾ [الرعد: ٣٣].

* ﴿ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ [غافر: ٣٧].

قرأ عاصم، وحمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار ﴿ وصُدُّوا، و صُدَّ ﴾ بضم الصاد، على البناء للمفعول، ونائب الفاعل فى موضع «الرعد» واو الجماعة العائد على الذين كفروا. ونائب الفاعل فى موضع «غافر» ضمير مستتر تقديره «هو» عائد على «فرعون» ـ عليه لعنة الله ـ.

وقرأ الباقون من القراء العشرة الفعلين: ﴿ وصَدُّوا، وصَدَّ ﴾ بفتح الصاد، على البناء للفاعل، والفاعل فى موضع «الرعد» واو الجماعة، وفى موضع «غافر» ضمير مستتر تقديره «هو» عائد على «فرعون» ـ لعنه الله ـ[1].

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٣٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أى: للمشركين القتل والسبى والأسر، وغير ذلك من الأسقام والمصائب، فى الحياة الدنيا.

* ﴿ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ ﴾ أى: أشدّ.

* ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ أى: مانع يمنعهم من عذاب الله.

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٨٨).

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾: اختلف النحاة فى رفع «مَثَلُ»:

١ ـ فقال الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت١٧٠هـ): ارتفع بالابتداء، وخبره ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾.. اهـ.

٢ ـ وقال سيبويه (ت١٨٠هـ): ارتفع بالابتداء، والخبر محذوف، والتقدير: فيما يتلى عليكم مَثَلُ الجنة.. اهـ[1].

* وقد اختلف المفسرونَ فى معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ إلخ:

١ ـ فقال أبو زكريا الفراء (ت٢٠٧هـ): «المثل» مقحم للتأكيد، والمعنى: الجنة التى وُعِدَ المتقون تجرى من تحتها الأنهار، والعرب تفعل ذلك كثيراً بالمثَل، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]. أى: ليس هو كشىء.. اهـ[2].

٢ ـ وقد رجّح الطبرى (ت٣١٠هـ) هذا القول فقال: وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يُقال: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ المراد: الجنّة، ثم وُصفت بصفاتها، وذلك أنّ مَثَلَها إنما هو صفتها، وليست صفتها شيئًا آخر غيرها.. اهـ[3].

* ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أى: الجنة التى وعدها الله عباده المتقين تجرى من تحتها الأنهار.

* ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾ أى: ما يؤكل فيها دائم لأهلها، ولا ينقطع عنهم أبدًا ولكنه ثابت إلى غير نهاية.

* ﴿ وَظِلُّهَا ﴾ أى: وظلها دائم، فحذف من الثانى لدلالة الأول عليه، وهو أسلوب بلاغىّ فصيح.

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٩٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢١٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢١٣).

* ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أى: هذه الجنّة التى وصفها الله ـ عزّ وجلّ ـ عاقبة الذين اتقوا الله ـ تعالى ـ فآمنوا به وامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، وآمنوا بجميع أنبيائه ورسله.

* ﴿وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ أى: وعاقبة الكافرين بالله ـ تعالى ـ النار خالدين فيها أبدًا.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ (٣٦)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ قال: أولئك أصحاب نبينا «محمد» ﷺ فرحوا بكتاب الله ـ وهو القرآن ـ وبرسوله ﷺ وصدّقوا به.. اهـ[١].

* وعن ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾ قال: ومن الأحزاب: الأمم: اليهود والنصارى والمجوس، منهم من آمن بالقرآن، ومنهم من أنكره.. اهـ[٢].

* ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ﴾: هذا أمر من الله ـ تعالى ـ إلى نبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ أن يقول: إنما أمرنى الله ـ تعالى ـ أن أعبده ولا أشرك به أى: أفرده ـ سبحانه وتعالى ـ بالعبادة وحده لا شريك له.

﴿وَلا أُشْرِكَ بِهِ﴾ بالنصب عطفًا على «أعبدَ».

* ﴿إِلَيْهِ أَدْعُو﴾ أى: إلى عبادة الله وحده أدعو الناس.

وهذا ضمن مقول قول الرسول ﷺ لأمّته.

* وعن قتادة بن دعامة (ت١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ قال: وإلى الله ـ تعالى ـ مصير كل عبد.. اهـ[٣].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٢١).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٩٧)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٢١).

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ (٣٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾:

المعنى: وكما أنزلنا عليك القرآن فأنكره بعض الأحزاب، كذلك أنزلناه حكمًا عربيًا، وإنما وصف الله القرآن بأنه عربىّ لأنه أنزله على نبيه «محمد» ﷺ وهو عربىّ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤].

* ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم ﴾ أى: أهواء المشركين فى عبادة غير الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ ﴾ أى: ناصر ينصرك.

* ﴿ وَلا وَاقٍ ﴾: يمنعك من عذابه.

والخطاب موجّه إلى النبى ﷺ، وأمّته تبع له. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ ﴾ قال: ما لك بعد الله ـ تعالى ـ من أحد يمنعك من عذاب الله ـ تعالى ـ.. اهـ[١].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) ﴾

معانى المفردات:

* أخرج ابن ماجه، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، وأبو الشيخ، وابن مردويه من طريق قتادة عن الحسن البصرى عن سمرة بن جندب الخزاعىّ (ت٦٠هـ) قال: نهى رسول الله ﷺ عن «التّبتّل» وقرأ قتادة: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾.. اهـ[٢].

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٢١).

* ومعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾: يقول الله ـ تعالى ـ: لقد أرسلنا من قبلك يا «محمد» رسلا بشراً يقضون ما أحلّ الله ـ تعالى ـ من شهواتهم الجنسيّة وفقًا للتعاليم التى أنزلها الله ـ تعالى ـ وجعلنا لكل واحد منهم أزواجًا وذرِّية.

* وأخرج ابن أبى حاتم، وابن مردويه، عن سعد بن هشام قال: دخلتُ على «عائشة» أم المؤمنين (ت٥٨هـ ـ رضى الله عنها) فقلتُ: إنى أريد أن أتبتَّل، قالت: لا تفعل، أما سمعت الله يقول: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾.. اهـ(١).

* وأخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، والترمذى عن أبى أيوب ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من سنن المرسلين: التعطّر، والنكاح، والسواك، والختان» اهـ(٢).

* ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾:

المعنى: يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: وما يقدر رسول أرسله الله إلى خلقه أن يأتى أمّته بـآية وعلامة على صدق نبوّته مثل: إحياء الموتى، وغيرها من الآيات، إلا بأمر الله ـ تعالى ـ.

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ قال: يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: لكل كتاب ينزل من السماء أجل، فيمحو الله من ذلك ما يشاء ويثبت ما يشاء، وعنده أم الكتاب.. اهـ(٣).

﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) ﴾

معانى المفردات:

* أخرج ابن مردويه، عن ابن عباس (ت٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أن النبى ﷺ سئل عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ قال: ذلك كلّ ليلة

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٢٢).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٣٩٨)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٢٢).

القدر، يرفع ويخفض ويرزق، غير الحياة، والموت، والشقاوة، والسعادة، فإن ذلك لا يزول.. اهـ(١).

* وأخرج ابن مردويه، وابن عساكر، عن عليّ بن أبى طالب (ت٤٠هـ ـ رضى الله عنه) أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ فقال له: «لأقرنّ عينيك بتفسيرها ولأقرنّ عين أمّتى بعدى بتفسيرها، الصَدَقة على وجهها، وبرّ الوالدين، واصطناع المعروف، يُحوّل الشقاء سعادة، ويزيد فى العمر، ويقى مصارع السوء» اهـ(٢).

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد بن جبر (ت١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ قال: إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة، فإنهما لا يتغيران(٣).

* وعن قتادة بن دعامة (ت١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: أى: جملة الكتاب وأصله.. اهـ(٤).

* وعن ابن زيد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: لا يُغَير ولا يُبدَّل.. اهـ(٥).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [رقم: ٣٩].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، ويعقوب: ﴿ويُثْبِت﴾ بإسكان الثاء، وتخفيف الباء، مضارع «أثبت» المزيد بهمزة.

وقرأ الباقون: ﴿ويُثَبِّت﴾ بفتح الثاء، وتشديد الباء، مضارع ثبّت مضعّف العين(٦).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٢٣).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٢٥).

(٦) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٨٩).

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾:

المعنى: يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ: وإمّا نرينك يا«محمد» فى حياتك بعض الذى نعد هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم. أو نتوفينك قبل أن نرينّك ذلك. فإنما عليك أن تنتهى إلى ما أمرك به ربك من تبليغهم الرسالة. وعلينا محاسبتهم بأعمالهم: إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

* ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾:

اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ ـ فقال ابن عباس (ت٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) معنى ذلك: أولم يروا الكفار والمشركون أنا نفتح «لمحمد» ﷺ الأرض بعد الأرض؟.. اهـ(١).

٢ ـ وقال ابن عباس أيضًا معنى ذلك: ذهاب علمائها، وفقهائها، وخيار أهلها.. اهـ(٢).

٣ ـ وقال الحسن البصرى (ت١١٠هـ) معنى ذلك: هو ظهور المسلمين على المشركين.. اهـ(٣).

٤ ـ وقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت١٠٤هـ) معنى ذلك: ننقصها فى الأنفس، وفى الثمرات، وفى خراب الأرض.. اهـ(٤).

٥ ـ وقال مجاهد أيضًا معنى ذلك: ننقصها بموت العلماء.. اهـ(٥).

٦ ـ وقال عكرمة مولى ابن عباس (ت١٠٥هـ) معنى ذلك: ننقصها بموت العلماء، ولو كانت الأرض تنقص لما وجدنا مكانًا نجلس فيه.. اهـ(٦).

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٠٦).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٠٨).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٠٦).

(٤) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٠٧).

(٥) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٠٨).

(٦) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٠٧).

٧ ـ وقال الضحّاك بن مزاحم (ت١٠٥هـ) معنى ذلك: أن النبيّ ﷺ كان يُنتَقَصُ له ما حوله من الأرض، والكفار ينظرون إلى ذلك فلا يعتبرون.. اهـ[(١)].

٨ ـ وقال أبو جعفر الطبرى (ت٣١٠هـ) فى تفسيره بعد أن ذكر أقوال المفسرين فى ذلك قال: وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب قول من قال: ننقصها بظهور المسلمين من أصحاب النبى «محمد» ﷺ عليها وقهر أهلها، أفلا يعتبر الكفار بذلك فيخافون ظهورهم على أرضهم، وقهرهم إيّاهم؟.. اهـ[(٢)].

﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أى: من قبل مشركى مكّة، مكروا بالرسل، وكادوا لهم، وكفروا بهم.

* ﴿ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ﴾ أى: لله ـ تعالى ـ مخلوق مكر الماكرين، فلا يضرّ إلا بإذنه. وقيل: فللّه ـ تعالى ـ خير المكر، فيجازيهم به.

* أخرج ابن مردويه عن ابن عباس (ت٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كان النبيّ ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «ربِّ أعنّى ولا تُعنْ علىّ، وانصرنى ولا تنصر علىّ، وامكر لى ولا تمكر علىّ، واهدنى ويسّر الهدى إلىّ، وانصرنى على من بغى علىّ» اهـ[(٣)].

* ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ من خير وشرّ، فيجازى عليه.

* ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ أى: عاقبة دار الدنيا ثوابًا وعقابًا.

▩ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [رقم: ٤٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٠٦).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٠٨).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٢٨).

قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ الكفّار ﴾ بألف بعد الفاء، جمع تكسير.

وقرأ الباقون: ﴿ الكافر ﴾ بالإفراد، والمراد: الجنس(١).

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً ﴾: قال قتادة بن دعامة (ت١١٨هـ): هم مشركو العرب، كانوا يقولون: لست يا «محمد» بنبيّ ولا رسول، وإنما أنت متقوّل.. اهـ(٢).

* ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ: قل لهؤلاء الكفار المعاندين كفى الله شهيداً بيني وبينكم أي: بصدقي وكذبكم.

* ﴿ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ اختلف المفسرون في تأويل ذلك:

١ ـ فقال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) والضحّاك بن مزاحم (ت١٠٥هـ) والحسن البصري (ت١١٠هـ): من عنده علم الكتاب: هو الله ـ تعالى ـ.. اهـ(٣).

٢ ـ وقال سعيد بن جبير (ت٩٥هـ) لما سئل عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ أهو عبد الله بن سَلام ـ رضي الله عنه ـ؟ قال: وكيف وهذه السورة مكيّة، من عنده علم الكتاب: هو «جبريل» ـ عليه السلام ـ.. اهـ(٤).

● ● ●

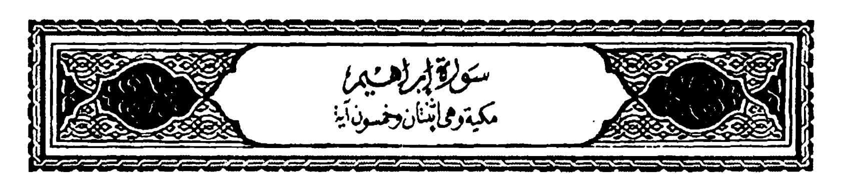
تم ولله الحمد والشكر تفسير سورة الرعد

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة إبراهيم ـ عليه السلام ـ]

● ● ●

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٨٩).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٢١٩).
(٣) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٢٢٠).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٢٩).



* أخرج النحّاس فى تاريخه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أنه قال: سورة إبراهيم ـ عليه السلام ـ نزلت بمكة، سوى آيتين منها فقد نزلتا بالمدينة المنورة فى قتلى بَدْر من المشركين وهما قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) ﴾ [رقم ٢٨، ٢٩].. اهـ[1].

﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الر ﴾:

* قال الشعبىّ عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): ﴿ الم ﴾ وسائر حروف الهجاء من أوائل السور: من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه، وهى سرّ القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله ـ تعالى ـ، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها.. اهـ[2].

* وقال أبو بكر الصدِّيق (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه): فى كلّ كتاب سرّ، وسرّ الله فى القرآن أوائل السور.. اهـ[3].

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ وحينئذ يكون المعنى: يخبر الله ـ تعالى ـ بأنه أنزل القرآن إلى نبيه «محمد» ﷺ.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ قال معنىٰ ذلك: لتخرج الناس من الضلالة إلى الهدى.. اهـ[4].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٣٠).
(٢، ٣) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٣٠).

وقيل: لتخرج الناس من ظلمـات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والعلم، وهذا على سبيل التمثيل، لأن الكفر والجهل بمنزلة الظلمة، والإيمان والعلم بمنزلة النور.

* ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أى: بأمر ربهم.

* ﴿ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ أى: إلى دين الله العزيز الحميـد: والعزيز: هو الغالب على أمره، والحميـد هو المستحق للحمد: المحمـود بكل لسان، الممجّد فى كل مكان على آلائه ونـعمـه التى لا تعـدّ ولا تحـصى، قـال ـ تعـالى ـ: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

﴿ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾: أى: الله الذى يملك جميـع ما فى السموات وما فى الأرض، فالكلّ لله ـ تعالى ـ: ملكًا وخلقًا وعبيدًا.

* ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾، المعنى:

الويل: الوادى فى جهنم يسيل من صديد أهل النار، أعدّه الله ـ تعالى ـ لمن جحد وحـدانيتـه، وعبـد مـعه غـيره، وهذا نوع من عـذاب الله الشـديد، قال الله ـ تعـالى ـ: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) ﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ اللَّهِ الَّذِي ﴾ [رقم: ٢].

قرأ نافع، وابن عامـر، وأبو جعفر: ﴿ اللهُ ﴾ برفع الهاء وصلا، وابتداء، على أنه مبتدأ خبره ﴿ الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ﴾.

وقرأ رُوَيْس الرَّاوى عن يعقوب الحضرمى: ﴿ اللهُ ﴾ برفع الهاء فى حالة الابتداء بها.

أمّا فى حالة وصل «الله» بمـا قبلها وهو ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [رقم: ١]. فإن رويسًا يقرأ «اللهِ» بالخفض، على أنه بدل مما قبله.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿اللهِ﴾ وصلا وابتداء بالجرّ على أنه بدل مما قبله[1].

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾، أى: يختارون الحياة الدنيا على الدار الآخرة.

* ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أى: ويمنعون من أراد الإيمان بالله، واتباع رسوله على ما جاء به، من الإيمان بالله، واتباع رسوله.

* ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أى: ويطلبونها عوجًا أى: زيغًا وميلا عن القصد.

* ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أى: هؤلاء الموصـوفون بما ذكر فى ضـلال بعيد أى: فى ذهاب عن الحق بعيدين عنه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ قال: بلغـة قومـه: إن كان عربيًـا فعـربيًا، وإن كان عـجميًا فعجميًـا، وإن كان سريانيًا فسريانيًا، ليبين لهم الذى أرسلـه الله به إليهم، ليتخذ بذلك الحجّة عليهم.. اهـ[2].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٩١).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤١٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٣١).

* ﴿ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾: وذلك لأن كل شيء بقضاء الله ـ تعالى ـ وقدره، وهو الفعال لما يريد، ولا يسئل عما يفعل.

قال الله ـ تعالى ـ مخاطبًا نبيّه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال أيضًا: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال أيضًا: ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (٨٨) ﴾ [النساء: ٨٨].

* ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾: الذى لا يمتنع مما أراده من إضلال، أو هداية.

* ﴿ الْحَكِيمُ ﴾: الذى يضع الأمور كلها بحكمة.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن عبيد بن عُمَير (ت ٧٤هـ) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وعطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ قالوا: بالآيات التسع وهى:

١ ـ الطوفان. ٢ ـ والجراد. ٣ ـ والقمّل. ٤ ـ والضفادع. ٥ ـ والدَّم.
٦ ـ والعصا. ٧ ـ ويده. ٨ ـ والسنين. ٩ ـ ونقص الثمرات.. اهـ(١).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [الإسراء: ١٠١].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ قال: من الضلال إلى الهدى.. اهـ(٢).

* وأخرج النسائى، وعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى فى شعب الإيمان، عن أُبَىّ بن كعب

(١ ، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٣٢).

(ت ٣٠هـ ـ رضى الله عنه) عن النبى ﷺ فى قـوله ـ تعالى ـ: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ قال: «بنعم الله».. اهـ(١).

* وعن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ قال: بالنعم التى أنعم الله بهـا عليهم مثل: إنجائهم من آل فرعـون، وفلق البحر لهم، وتظليلهم بالغمام، وإنزال المنّ والسلوى عليهم.. اهـ(٢).

* وعن قـتادة بن دعـامـة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعـالى ـ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ قال: نِعْم العبدُ عبدٌ إذا ابتلى صبر، وإذا أُعطى شكر.. اهـ(٣).

* وعن ابن جريج عـبد الملك بن عبـد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قـوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: قال: وجَدْنا أصـبرهـم أشكرهـم، وأشكرهم أصبرهم.. اهـ(٤).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ لنبيّه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ: واذكر «يا محمد» إذ قال «موسى بن عـمران» لقومه من بنى إسرائيل: اذكـروا نعم الله عليكم حين أنجاكم من آل فرعون.

* ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أى: يذيقونكم شديد العذاب.

* ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ أى: مع إذاقتهم إياكم شديد العذاب: كانوا يذبحون أبناءكم.

* ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ أى: ويبقون نساءكم فيتركون قتلهنّ.

* ﴿وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أى: فيـما كـانوا يصنعونه مـعكم اختـبار عظيم اختبركم الله به.

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٣٢).

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾

❀معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾:

✳**المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه وحبيبه وصفوته من خلقه نبينا «محمد» ﷺ: واذكر «يا محمد» لقومك حين آذنكم ربكم أى: أعلمكم بما يأتى فى بقية الآية:

* ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾:

* أخرج البخارىّ فى تاريخه، والضياء المقدسى فى المختارة، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أُلهِمَ خمسةً لم يحرم خمسة:

١ -من أُلهِم الدعاء لم يحرم الإجابة، لأن الله يقول: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

٢ -ومن أُلهِم التوبة لم يحرم القبول، لأن الله يقول: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [الشورى: ٢٥].

٣ -ومن أُلهِم الشكر لم يحرم الزيادة، لأن الله يقول: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

٤ -ومن أُلهِم الاستغفار لم يحرم المغفرة، لأن الله يقول: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ [نوح: ١٠].

٥ -ومن أُلهِم النفقة لم يحرم الخلف، لأن الله يقول: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾» [سبأ: ٣٩].. اهـ[١].

* ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾:

✳**المعنى:** يقول الله ـ تعالى ـ: ولئن كفرتم أيها القوم نعم الله عليكم فجحدتموها بترك شكر الله عليها، لأعذبنكم عذابًا شديدًا.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [لقمان: ١٢].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٣٤).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧)﴾ [النساء: ١٤٧].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٨) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾: أي: غنيّ عن جميع خلقه، ولا يلحقه أيّ نقص بكفركم.

* ﴿حَمِيدٌ﴾ أي: محمود على جميع أفعاله، لأنه متفضل بكل شيء على عباده.

* ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾: «النبأ»: الخبر، والجمع «الأنباء».

وخبر قوم نوح وعاد وثمود مشهور، وقد قصّه الله ـ تعالى ـ في كتابه للعبرة والعظة، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)﴾ [يوسف: ٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

* ﴿وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾: أي: لا يُحصى عددهم إلا الله ـ تعالى ـ، ولا يعرف نسبهم إلا الله. والنسّابون وإن نسبوا إلى نبيّ الله آدم ـ عليه السلام ـ فلا يدّعون إحصاء جميع الأمم.

وإنما ينسبون البعض، ويمسكون عن نسب البعض.

* ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالحجج والدلالات الواضحات.

* ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: جعل أولئك القوم أيدى أنفسهم فى أفواههم ليعضّوها غيظًا مما جاء به الرسل، إذ كان فيه تسفيه أحلامهم، وشتم أصنامهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [آل عمران: ١١٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) ﴾ [الفرقان: ٢٧].

والضميران وهما «خلوا عضوا» للكفار.

* وقد اختلف المفسرون فى تأويل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾:

١ ـ فقال عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ): معنى ذلك: أى: جعل أولئك القوم أيدى أنفسهم فى أفواههم ليعضّوها غيظًا مما جاء به الرسل.. اهـ[1].

٢ ـ وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): معنى ذلك: أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا، ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم.. اهـ[2].

٣ ـ وقال أبو صالح مولى أمِّ هانئ (ت ٢٢١هـ) معنى ذلك: كانوا إذا قال لهم نبيهم أنا رسول الله إليكم أشاروا بأصابعهم إليه أن اسكت تكذيبًا له، وردًّا لقوله.. اهـ[3].

* وأقول: من ينعم النظر فى هذه الأقوال الثلاثة يجدها متقاربة المعنى وهو أنهم ردّوا أيديهم فى أفواههم، أى: عضّوا عليها غيظًا مما جاء به الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

* وقال أبو عبيدة معمر بن المثنّى (ت ٢١٠هـ) والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ): هو ضَرْب مَثَل، أى: لم يؤمنوا، ولم يجيبوا، والعرب تقول للرجل إذا أمسك عن الجواب وسكت: قد ردّ يده فى فيه.. اهـ[4].

* وقال القتبىّ: العرب تقول للرجل إذا سكت عن الجواب، وأمسك: قد عضّ على الأيدى حنقًا وغيظًا.. اهـ[5].

* ﴿ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ ﴾ أى: فى ريب.

* ﴿ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ ﴾: من التوحيد، أى: توحيد الألوهيّة.

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٢٦).

(٤، ٥) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٢٧).

قال ـ تعالى ـ: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [ص: ٥].

* ﴿ مُرِيبٍ ﴾ أي: موجب للريبة والشك. يقال: أربته: إذا فعلت أمرًا أوجب ريبة وشكًا.

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾: هذا استفهام إنكارى معناه النفى، أى: لا شك فى الله ـ عزّ وجلّ ـ.

وقد اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ ـ فقال: قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ): معنى ذلك: لا شك فى توحيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

٢ ـ وقيل: لا شك فى طاعة الله ـ تعالى ـ.

٣ ـ وقيل: لا شك فى قدرة الله ـ عزّ وجلّ ـ[١].

* ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أى: خالقهما، وموجدهما بعد العدم، لا على مثال سبق، لينبّه بذلك على كمال قدرته. إذًا فلا يجوز عبادة غيره.

* ﴿ يَدْعُوكُمْ ﴾ إلى توحيده، وعبادته، على ألسنة رسله، وبالكتب التى يرسلها معهم.

* ﴿ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ أى: ليغفر لكم ذنوبكم، و«مِنْ» صلة، قال بذلك أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)[٢].

* وقال سيبويه (ت ١٨٠هـ): «مِنْ» للتبعيض[٣].

* ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾: إلى حين استيفاء آجالكم بالموت فلا يعاجلكم بالعذاب فى الدنيا.

* ﴿ قَالُوا ﴾ لرسلهم: * ﴿ إِنْ أَنتُمْ ﴾: «إنْ» نافية بمعنى «ما» أى: ما أنتم.

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٢٧).

* ﴿ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾: فى الهيئة والصورة، تأكلون مما نأكل، وتشربون مما نشرب، ولستم ملائكة.

* ﴿ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾:

المعنى:

تريدون بدعوتكم لنا بوحدانية الإله، أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان.

* ﴿ فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أى: بحجة بينة على صحة دعوتكم، وهذا القول كذب منهم لأن الرسل معهم الحجة والسلطان على صدق دعوتهم، ومعهم المعجزات الخارقة للعادة.

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ أى: فى الصورة والهيئة كما قلتم.

* ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾:

أى: يتفضل على بعضهم بالنبوّة، والحكمة، والمعرفة، والهداية.

* وقد خرّج الطبرىّ محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) من حديث عبد الله بن عمر (ت ٧٣ هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قلت لأبى ذرّ (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) أوصنى، قال: سألتُ رسول الله ﷺ كما سألتنى، فقال: «ما من يوم، ولا ليلة، ولا ساعة، إلا ولله فيه صدقة يمنّ بها على من يشاء من عباده، وما مَنّ الله ـ تعالى ـ على عباده بمثل أن يلهمهم ذِكْره» اهـ[١].

* ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ ﴾ أى: بحجة، وآية، كما طلبتم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٢٨).

* ﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أى: بمشيئته، وليس ذلك فى قدرتنا: أى: لا نستطيع أن نأتيكم بحجة كما تطلبون إلا بأمر الله وقدرته وهذا الأسلوب لفظه لفظ الخبر، ولكن معناه النفى.

* ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: ونحن عليه نتوكل، وبه نثق.

﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾: «ما» اسم استفهام مبتدأ، و«لا» الخبر، والتقدير: أىّ شىء لنا فى ترك التوكل على الله ـ تعالى ـ؟.

* ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾: الواو للحال، أى: والحال أنه قد هدانا إلى الطريق الموصل إلى رحمته وجنته، والمنجّى من سخطه ونقمته، وعذابه.

* ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾: اللام للقسم، والتقدير: والله لنصبرنّ على ما آذيتمونا به من الإهانة، والتكذيب.. إلخ.

* ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: ونحن من المتوكلين عليه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا﴾: اللام فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم﴾ لام القسم، أى: والله لنخرجنكم من أرضنا.

* ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾: «أوْ» حرف عطف وهو يفيد التخيير، وحينئذ يكون المعنى: خَيَّرَ الكفارُ الرسلَ بين أن يخرجوهم من أرضهم، وبين أن يعودوا فى ملّتهم وهى دينهم.

* ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ أى: إلى الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

* ﴿ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾، أي: الذين كفروا.

* وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) في الآية قال: كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم، ويقهرونهم، ويكذّبونهم، ويدعونهم إلى أن يعودوا في ملتهم، فأبى الله لرسله وللمؤمنين أن يعودوا إلى ملّة الكفر، وأمرهم أن يتوكلوا على الله، وأمرهم أن يستفتحوا على الجبابرة، ووعدهم أن يسكنهم الأرض من بعدهم، فأنجز الله لهم وعدهم.. اهـ[1].

* قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٧].

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ أي: من بعد هلاك الذين كفروا.

* ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ﴾ أي: خاف قيامه بين يديّ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٦]. وقد أضاف الله قيام العبد إليه ـ عزّ وجلّ ـ لاختصاصه به.

والمقام بفتح الميم: مكان الإقامة، وبالضمّ فعل الإقامة.

وقيل المعنى: ذلك لمن خاف قيامي عليه، ومراقبتي له.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد: ٣٣].

* ﴿ وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ أي: عقابي وعذابي.

* ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا ﴾ أي: واستنصروا، وقد أذن الله ـ عزّ وجلّ ـ للرسل في الاستفتاح على قومهم، والدعاء بهلاكهم. قاله ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ)[2].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٣٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٢٢٩)، وتفسير البغوي (٣/ ٢٨).

وقد دعا نبى الله «نوح» ـ عليه السلام ـ فقال: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦].

ودعا نبى الله «موسى» ـ عليه السلام ـ فقال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: ٨٨].

* ﴿وَخَابَ﴾ أى: خسر وهلك.

* ﴿كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: الجبار: الذى لا يرى فوقه أحد.

وقيل: الجبّار: الذى يجبر الخلق علىٰ اتباع رغبته ومراده.

* ﴿عَنِيدٍ﴾: اختلف المفسرون فى معنى ﴿عَنِيدٍ﴾:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) العنيد: هو المعرض عن الحق.. اهـ.

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): العنيد: هو المعاند للحق والمجانب له.. اهـ.

٣ ـ وقال مقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ): العنيد المتكبر.. اهـ.

٤ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): العنيد: الذى أبى أن يقول لا إله إلا الله.. اهـ[١].

﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ ـ فقال مقاتل بن حيان (ت ١١٠هـ): من ورائه جهنم: أى بعده جهنم.

٢ ـ وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): هو من الأضداد، أى: أمامه جهنم، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]، أى: أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا.. اهـ[٢].

* ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾: هو ما يسيل من أبدان الكفار من القيح والدم.

وقال محمد بن كعب بن مسلم (ت ١١٧هـ): ما يسيل من فروج الزناة[٣].

(١ : ٣) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٢٩).

﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ يتجرعه ﴾: الضمير عائد على قوله ـ تعالى ـ قبلُ: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴾ ومعنى يتجرعه: يتحسّاه جُرَعًا لا مرّة واحدة لمرارته وحرارته، بل مرةً بعد مرّة.

* ﴿ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ أى: لا يكاد يبتلعه.

يقال: ساغ الشراب فى الحلق يسوغ سَوْغًا: إذا كان سَهْلا سلسًا، و«كاد» من أفعال المقاربة، أى: لا يسوغه إلا بعد إبطاء، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) ﴾ [البقرة: ٧١]. أى: ما فعلوا إلا بعد إبطاء.

* ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أى: يأتيه أسباب الموت من كل جهة: عن يمينه وشماله، ومن فوقه وتحته، ومن قدّامه وخلفه.

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه.. اهـ.

٣ ـ وقال محمد بن كعب بن مسلم (ت ١١٧هـ) أى: من كل عضو ومفصل.

٤ ـ وقال ميمون بن مهران: من كل عظم وعرق وعصب.

٥ ـ وقال إبراهيم التيمىّ: من كل موضع شعرة من جسده.. اهـ[1].

* ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾: لتطاول شدائد الموت به، ليكون ذلك زيادة فى عذابه.

* ﴿ وَمِن وَرَائِهِ ﴾ أى: أمامه.

* ﴿ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ أى: شديد متواصل.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٣٩).

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (١٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ الآية قال: مثل أعمال الكفار - يوم القيامة - كرماد ضربته الريح فلم يُرَ منه شيء، فكما لم يُر ذلك الرماد، ولم يُقْدر منه على شيء، كذلك الكفار لم يقدروا من أعمالهم على شيء.. اهـ.

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ قال: كرماد حملته الريح فى يوم عاص.. اهـ.

* ﴿ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ ﴾ أى: الخطأ البيّن الواضح، البعيد عن طريق الحق.

* ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾: الخطاب لنبينا «محمد» ﷺ، وحينئذ يكون المعنى: ألم تر «يا محمد» أن الله خلق السموات والأرض بالحق منفردًا بخلقهما.

* ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أى: سواكم ويكون ذلك الخلق الجديد أطوع لله - تعالى - منكم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ [إبراهيم: ١٩].

* وقوله - تعالى -: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾ [النور: ٤٥].

قرأ حمزة، والكسائى، وخلف البزّار: ﴿ خالق ﴾ فى الموضعين بألف بعد الخاء، اسم فاعل، و﴿ السموات ﴾ بالخفض من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله، و﴿ الأرضِ ﴾ بالخفض عطفًا على السموات. وفى النور «كلِّ» بالخفض، على الإضافة، من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله أيضًا.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ خَلَقَ ﴾ فى الموضعين بحذف الألف، على أنه فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على «الله» و ﴿ السموات ﴾ بالنصب بالكسرة مفعول به، و﴿ الأرضَ ﴾ بالنصب عطفًا على السموات، هذا فى إبراهيم.

وفى النور «كلَّ» بالنصب مفعول به لـ «خلق»(١).

﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) ﴾

✵ المعنى:

يقول الله ـ عز وجل ـ: وما إذهابكم، وإنشاء خلق آخر مكانكم بعزيز على الله ـ تعالى ـ لأنه على كل شىء قدير، وإذا أراد شيئًا قال له: «كُنْ» فهو يكون.

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (٢١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ أى: ظهروا من قبورهم يوم القيامة. وجاء بلفظ الماضى ومعناه الاستقبال، وذلك لتحقّق وقوعه.

* عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ قال: الضعفاء: الأتباع، والذين استكبروا: القادة.. اهـ(٢).

* ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾: يجوز أن يكون «تبعًا» مصدرًا، وحينئذ يكون المعنى: ذوى تبع.

ويجوز أن يكون جمع تابع، مثل: حارس وحرس، وخادم وخدم.

* ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا ﴾، أى: دافعون عنّا.

* ﴿ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ أى: شيئًا، و«مِنْ» صلة.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٤٠).

يقال: أغنى عنه: إذا رفع عنه الأذى، وأغناه: إذا أوصل إليه النفع.

* ﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾: ورد فى معنى ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: لو هدانا الله إلى الإيمان لهديناكم إليه.

والثانى: لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم إليها.

والثالث: لو نجانا الله من العذاب لنجيناكم منه(١).

* وأخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى الآية قال: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا نبك ونتضرع إلى الله ـ تعالى ـ، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهم إلى الله، فبكوا، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا: تعالوا نصبر، فإنما أدرك أهل الجنّة الجنة بالصبر، فصبروا صبراً لم ير مثله، فلما لم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾.. اهـ(٢).

* وأخرج ابن أبى حاتم، والطبرانى، وابن مردويه، عن كعب بن مالك ـ رضى الله عنه ـ، رفعه إلى النبى ﷺ ـ فيما أحسب ـ هذا من كلام السيوطى ـ رحمه الله تعالى ـ.

فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾، قال: يقول أهل النار: هلمّوا فلنصبر، فيصبرون خمسمائة عام، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا: هلمَّ فلنجزع، فيبكون خمسمائة عام، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾.. اهـ(٣).

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)﴾

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٣٣).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٤٠).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ ﴾:

* قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): يقف إبليس يوم القيامة خطيبًا فى جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعًا.. اهـ(١).

* وعن محمد بن كعب القرظى فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ ﴾ قال: يقوم إبليس يخطبهم فيقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾: أى: بمغن عنكم شيئًا.

* ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ ﴾: فلمّا سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم، فنودوا ﴿ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [غافر: ١٠].. اهـ(٢).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ قال: يقول الشيطان: ما أنا بنافعكم وما أنتم بنافعىّ.. اهـ(٣).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ قال: يقول الشيطان: ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثىّ.. اهـ(٤).

يقال: صرخ فلان: أى استغاث، يصرُخُ صَرْخًا وصُراخًا. والمصرِخ: المغيث، والمستصرِخ: المستغيث(٥).

* ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ ﴾: يقول الشيطان: إنّى كفرت بإشراككم إيّاى مع الله ـ تعالى ـ فى الطاعة.

* ﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أى: مؤلم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ [رقم: ٢٢].

قرأ حمزة: ﴿ بمصرخىِّ ﴾ بكسر الياء، لهجة بنى يربوع.

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٣٤).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٤١).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٣٤).

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ بمصرخيَّ ﴾ بفتح الياء، لأن الياء المدغم فيها وهى ياء الإضافة أصلها الفتح[١].

﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ (٢٣) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* قال المهدوىّ أحمد بن عمّار (ت ٤٣٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ﴾ قال: أى فى جنات، لأن «دخل» لا يتعدّى، كما لا يتعدّى نقيضه وهو خرج.. اهـ[٢].

* ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أى: ماكثين فى تلك الجنات مكثًا أبديّا.

* ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أى: أدخلوها بأمر الله ـ تعالى ـ.

* وعن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ ﴾ أى: الملائكة يسلّمون على المؤمنين فى الجنة.. اهـ[٣].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ قال: الكلمة الطيبة: شهادة أن لا إله إلا الله[٤].

* ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

أولا: عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «هى النّخلة» اهـ[٥].

وقد قال بقول الرسول ﷺ الكثيرون من المفسرين منهم:

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٦).
(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٣٥).
(٣) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٣٦)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٤٢).
(٤) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٣٧).
(٥) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٣٨).

١ ـ عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ).

٢ ـ الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ).

٣ ـ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ)[١].

* وأقول: هذا أرجح الأقوال لأنه قول الرسول ﷺ لـذلك فقد أعرضت عن ذكر الأقوال المخالفة لذلك.

* ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ أى: أصل الشجرة الطيبة ثابت فى الأرض.

* ﴿ وَفَرْعُهَا ﴾ أى: أعلاها. * ﴿ فِي السَّمَاءِ ﴾.

كـذلك أصل كلمة التـوحـيد وهى قـول المـسلم: لا إله إلا الله، راسخ فى قلب المؤمن بالمعرفة والتصديق، فإذا تكلم بهـا أى بكلمة التوحيد عرجت إلى السماء فلا تحجب حتى تنتهى إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠].

﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا ﴾ أى: تعطى الشجرة الطيبة ثمرها.

* ﴿ كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾: الحين فى اللغة الوقت.

وقد اختلف المفسّرون فى المراد بالحين هنا فى الآية الكريمة:

* أولا: قـال مجـاهـد بن جبر الـمفسـر (ت ١٠٤هـ) وعكرمة مولى ابن عـباس (ت ١٠٥هـ): قالا: الحين هنا: سنة كاملة، لأن النخلة تثمر كل سنة.. اهـ[٢].

* ثانيًا: وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) والحسن البـصرى (ت ١١٠هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): قالوا: الحين هنا: ستة أشهر من وقت تلقيحها إلى صرامها.. اهـ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٣٩).

(٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٢).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٣).

* وأقول: ولعل الحكمة فى التمثيل بالشجرة الطيبة ما يأتى: الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء وهى:

١ - جذر راسخ. ٢ - وأصل قائم. ٣ - وفرع مرتفع عال.

كذلك الإيمان لا يتمّ إلا بثلاثة أشياء وهى:

١ - تصديق بالقلب. ٢ - وقول باللسان. ٣ - وعمل بالأبدان. - والله أعلم -.

* ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أى: يعتبرون.

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ - فقال أنس بن مالك (ت ٩٣هـ - رضى الله عنه): الكلمة الخبيثة: هذا الكافر ليس له عمل فى الأرض، ولا ذكر فى السماء.. اهـ[١].

٢ - وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): هى الشرك بالله.. اهـ[٢].

* ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾:

* عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ - رضى الله عنه) أنّ رسول الله ﷺ قال: «الشجرة الخبيثة: هى الحنظلة» اهـ[٣].

* ﴿ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ ﴾:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قال معنى ذلك: استؤصلت من فوق الأرض.. اهـ[٤].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ قال: الشرك بالله ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان، ولا يقبل الله مع الشرك عملا.. اهـ[٥].

(١، ٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٤٦).

(٣، ٤) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٤٥).

(٥) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٤٦).

* وعـن الضحّـاك بـن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى مـعنى الآية قال: هذا مـثل ضربه الله ـ تعالى ـ للكافر: فهو كشجرة خبـيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، أى: ليس لها أصل ولا فرع، وليست لها منفعـة. كذلك الكافر ليس يعمل خيرًا، ولا يقول خيرًا، ولم يجعل الله فيه بركة ولا منفعة.. اهـ(١).

* وعن الربيع بن أنس فـى معنى الآية أيـضًا قـال: هذا الكافـر ليس له عـمل فى الأرض، ولا ذكر فى السـماء، ولا يصعـد عمله إلى السمـاء، ولا يقوم على الأرض. فقيل له: فأين تكون أعماله؟ قال: يحملون أوزارهم على ظهورهم.. اهـ(٢).

* وأقول يشـهد لصـحة مـا ذكره الربيع بن أنس قـول الله ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) ﴾ [الأنعام: ٣١].

وقوله ـ تـعالى ـ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [النحل: ٢٤ ـ ٢٥].

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾

المعنى:

* أخرج الطيالسـىّ، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمـذى، والنسائىّ، وابن ماجـه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حـاتم، وابن مردويه، عن البـراء بن عازب (ت ٦٢هـ ـ رضى الله عنه): أنّ رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سـئل فى القبر، يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ «محمـدًا» رسول الله، فذلك قوله ـ سبحانه ـ: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾.. اهـ(٣).

* وأخرج ابن أبى شيبة، وهـنّاد فى الزهد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن حبّان، والطبرانى فى الأوسط، والحاكم، وابن مردويـه، والبيهقى عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ

(١، ٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٢٤٦).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٤٦).

رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده، إنّ الميت إذا وضع فى قبره، إنه ليسمع خَفْق نعالهم حين يولّون عنه: فإذا كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن شماله، وفعل الخيرات والإحسان إلى الناس من قِبَل رجليه، فيؤتى من قِبَل رأسه، فتقول الصلاة: ليس قِبَلى مدخل. فيؤتى عن يمينه، فتقول الزكاة: ليس قِبَلى مدخل. ويؤتى من قبل شماله، فيقول الصوم: ليس قِبَلى مدخل، ثم يؤتى من قِبل رجليه، فيقول فعل الخيرات والمعروف، والإحسان إلى الناس: ليس قبلى مدخل.

فيقال له: اجلس، فيجلس، وقد مثلت له الشمس قد قربت للغروب، فيقال: أخبرنا عمّا نسألك. فيقول دعونى حتى أصلى، فيقال: إنك ستفعل، فأخبرنا عمّا نسألك، فيقول: عمّ تسألونى؟ فيقال له: ما تقول فى هذا الرجل الذى كان فيكم؟ - يعنى النبىّ ﷺ - فيقول: أشهد أنه رسول الله، جاء بالبينات من عند ربنا فصدّقناه واتّبعناه.

فيقال له: صدقت، على هذا حَييتَ وعلى هذا متَّ، وعليه تُبعث إن شاء الله، ويفسح له فى قبره مدّ بصره.

فذلك قول الله: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾. ويقال: افتحوا له بابًا إلى النار، فيقال: هذا كان منزلك لو عصيت الله، فيزداد غبطة وسرورًا، فيُعادإلى ما بدأ منه من التراب، ويجعل روحه فى النّسيم الطيب: وهى طير خضر تعلق فى شجر الجنة.

وأمّا الكافر فيؤتى فى قبره من قِبَل رأسه فلا يوجد شىء. فيؤتى من قِبَل رجليه فلا يوجد شىء، فيجلس خائفًا مرعوبًا، فيقال له: ما تقول فى هذا الرجل الذى كان فيكم وما تشهد به؟ فلا يهتدى لاسمه، فيقال: «محمد» ﷺ فيقول: سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقلتُ كما قالوا، فيقال له: صدقت، على هذا حَييتَ وعليه متَّ، وعليه تبعث إن شاء الله.

ويُضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، فذلك قوله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤].

فيقال: افتحوا له بابًا إلى الجنة، فيفتح له باب إلى الجنة. فيقال: هذا كان منزلك وما أعدّ الله لك لو كنت أطعته، فيزداد حسرة وثبورًا.

ثم يقال: افتحوا له بابًا إلى النار، فيفتح له بابٌ إليها فيقال له: هذا منزلك وما أعدّ الله لك، فيزداد حسرة وثبورًا» اهـ(١).

* وأخرج الطبراني، وابن مَنْدة، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ، عن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات أحد من إخوانكم فسوَّيتم التراب عليه، فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة، فإنه يسمعه ولا يجيب، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يستوي قاعدًا، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله، ولكن لا تشعرون فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ «محمدًا» عبده ورسوله، رضيتَ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، وبالقرآن إمامًا، فإنّ منكرًا ونكيرًا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند من لُقِّن حجته، فتكون حجيجه دونها»، قال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف أمه، قال: يقول: «يا فلان ابن حوّاء» اهـ(٢).

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضي الله عنه) وعليّ بن أبي طالب (ت ٤٠هـ ـ رضي الله عنه) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾، قالا: هما الأفجران من قريش: بنو المغيرة، وبنو أميّة: فأمّا بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بَدْر، وأمّا بنو أميّة فمتّعوا إلى حين.. اهـ(٣).

* وعن عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضي الله عنهما) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ قال: هم كفار قريش الذين قتلوا يوم بَدْر.. اهـ(٤).

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٥٠).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٥٥).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٥٦، ١٥٧).
(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٥٧).

* وعن عطاء بن يسار (ت ١٠٢هـ) قال: نزلت هذه الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِين بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ فى الذين قتلوا من كفّار قريش يوم بَدْر، و«محمد» ﷺ هو النعمة.. اهـ[١].

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ قال: هى النار، وقد بيّن الله ذلك وأخبر به فقال: ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾.. اهـ[٢].

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾: أى: جعل هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرًا لربهم أندادًا، جمع ندٍّ، أى: شركاء يعبدونهم من دون الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ﴾: اللام لام كىْ: أى كَىْ يضلّوا الناس عن سبيل الله بما فعلوا.

* ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا ﴾ المعنى: يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه وصفوته من خلقه نبينا «محمد» ﷺ: قل «يا محمد» لهؤلاء الكفار: تمتعوا بملاذ الدنيا، فإنه نعيم زائل لا محالة، وهو متاع قليل، قال ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء: ٧٧]. وفعلُ الأمر هنا وهو «تمتعوا» المقصود به: التوبيخ والتهديد، لأنه لن يدوم، وسيكون مصيرهم جهنم وبئس القرار، وقد بيّن الله ذلك بقوله:

* ﴿ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾: أى: مردّكم ومرجعكم إلى النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) ﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

▦ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ﴾ [رقم: ٣٠].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٥٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٥٨).

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس: ﴿ لِيَضلوا ﴾ بفتح الياء، على أنه فعل مضارع من «ضلّ» الثلاثى، وهو فعل لازم، أى: ليَضلوا هم فى أنفسهم.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ لِيُضِلّوا ﴾ بضمّ الياء، على أنه مضارع «أضلّ» الرباعى، وهو متعدّ إلى مفعول محذوف أىَ: ليُضلوا غيرهم(١).

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ (٣١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ قال: المراد الصلوات الخمس المفروضة.. اهـ(٢).

* وأقول: المـراد من إقام الصلاة: أداؤها فى أوقـاتها تامّـة بشروطها، وأركـانها، وواجباتها.. إلخ.

* ﴿ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً ﴾: السرّ ما خفى، والعلانية ما ظـهر. وقد ورد فى معنى الآية قولان:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وغيره، المراد بذلك: الزكاة المفروضة.. اهـ(٣).

٢ ـ وقال القاسم بن يحيى: السرّ: التطوّع، والعلانية: الفرض.. اهـ.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ ﴾ قال: إن الله ـ تعالى ـ قد علم أن فى الدنيا بيوعًا وخلالا يتخالون بها فى الدنيا، فلينظر الرجل إلى من يخالل، وعلام يصاحب، فإن كان لله فليداوم، وإن كان لغير الله فليعلم أن كل خلّة ستصير على أهلها عداوة يوم القيامة، إلا خلة المتقين.. اهـ(٤).

* ويشهد لصحة هذا المعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧) ﴾ [الزخرف: ٦٧].

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٥٨).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٥٧).

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٤٠).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ ﴾ [رقم: ٣١].

قرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائى، وأبو جعفر، وخلف البزّار بالرفع والتنوين فيهما، على أن «لا» نافية لا عمل لها.

وقرأ الباقون بالفتح فيهما مع عدم التنوين، على أن «لا» نافية للجنس تعمل عمل «إنّ»، و«بيع» اسمها، والجار والمجرور خبرها، و«خلال» اسم لا، والخبر محذوف[1].

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ أى: أبدعهما واخترعهما على غير مثال سبق.

* ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ أى: أنزل من السحاب ماء وهو: المطر.

* ﴿ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ أى: أخرج بالماء الأشجار التى تثمر الثمرات المختلفة، وقد جعل الله هذه الثمرات رزقًا لعباده.

* ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾ أى: بإذنه.

* ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ﴾: سواء كانت عذبة لتشربوا منها، وتسقوا دوابكم، وتسقوا منها مزارعكم. أو كانت مالحة إذْ فيها منافع كثيرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ [المائدة: ٩٦].

* ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾: أى: يجريان بأمر الله ـ تعالى ـ: إلى يوم القيامة لا يفتران.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٣٥٨).

* ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾: لتسكنوا فى الليل، ولـتبتغـوا من فضل الله فى النهار، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣) ﴾ [القصص: ٧٣].

﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عـن عكرمـة مـولـى ابـن عبـاس (ت ١٠٥هـ) ومـجاهـد بـن جبـر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ قالا: معنى ذلك: من كل شىء رغبتم فيه.. اهـ(١).

* وعن الحسن البـصرى (ت ١١٠هـ) فى معنى الآيـة قال: وآتاكم من كل الذى سألتموه.. اهـ(٢).

* وعن طلق بن حبيب فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ قال: إن حقّ الله أثقل من أن تقـوم به العباد، وإن نعم الله أكثـر من أن تحصيهـا العباد، ولكن أَصْبِحوا توّابين، وأمسوا توّابين.. اهـ(٣).

* ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ أى: ظالم لنفسه بمعصية الله ـ عزّ وجلّ ـ.

* ﴿ كَفَّارٌ ﴾ أى: يجحد نعم منعمه.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾، أى: مكّة.

* ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ المراد: بنيـه من صلبه، وكانوا ثمانيـة، فما عبد أحد منهم صنمًا قط(٤).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٥٨).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٥٨).

(٣) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٦٠).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٤١).

* ﴿ وَاجْنُبْنِي ﴾، أى: أبعدنى، يقال: جنبت الشىء، واجتنبته اجتنابًا بمعنى واحد.

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ الآية قال: فاستجاب الله - تعالى - لإبراهيم - عليه السلام - دعوته، فلم يعبد أحد من ولده صنمًا بعد دعوته، وجعل هذا البلد - أى مكّة - آمنًا، ورزق أهله من الثمرات، وجعله إمامًا، وجعل من ذرّيته من يقيم الصلاة، وتقبّل دعاءه، وأراه مناسكه - أى مناسك الحج - وتاب عليه.. اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِبْرَاهِيمُ ﴾ [رقم: ٣٥]، وكذا كل ما فى هذه السورة:

قرأ ابن عامر بخُلْف عن ابن ذكوان: ﴿ إبراهام ﴾ بالألف.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ إبراهيم ﴾ بالياء وهو الوجه الثانى لابن ذكوان وهما لهجتان(٢).

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ الآية، من كلام إبراهيم - عليه السلام -: إذْ لمّا كانت الأصنام سببًا فى إضلال الكثيرين من الناس أضاف فعل الإضلال إليهن مجازًا، وكما يقول البلاغيون: هو مجاز مرسل من إضافة الشىء إلى سببه.

وإلا فإن الأصنام جمادات لا تنفع ولا تضرّ، ولا تسمع ولا تبصر، ولا تفعل أىّ شىء، قال الله - تعالى - حكاية عن نبيّه إبراهيم - عليه السلام -: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) ﴾ [مريم: ٤٢].

* ﴿ فَمَن تَبِعَنِي ﴾: فى توحيد الله - عزّ وجل -، وفيما أدعو إليه.

* ﴿ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ أى: من أهل دينى.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦٠).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر (١/ ٣٥٨).

* ﴿ وَمَنْ عَصَانِي ﴾ أى: أصرّ على الشرك.

* وقال مقاتل بن حيَّان (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنْ عَصَانِي ﴾: أى: فيما دون الشرك. * ﴿ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.. اهـ[١].

* وأخرج الحكيم الترمذىّ فى نوادر الأصول عن أبى موسى الأشعرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّى دعوت للعرب فقلت: اللهم من لقيك منهم مؤمنًا موقنًا بك مصدِّقًا بلقائك، فاغفر له، وهى دعوة أبينا إبراهيم، ولواء الحمد بيدى يوم القيامة، ومن أقرب الناس إلى لوائى يومئذ العرب» اهـ[٢].

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ قال: أسكن نبى الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ ولده إسماعيل ـ عليه السلام ـ وأمّه «هاجر» مكة.. اهـ[٣].

* وأخرج الواقدى، وابن عساكر من طريق عامر بن سعد عن أبيه قال: كانت «سارة» ـ عليها السلام ـ تحت «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ، فمكثت معه دهرًا لا ترزق منه ولدًا، فلمّا رأت ذلك وهبَتْ له «هاجر» أمَةً لها قبطيّة: ـ كانت من مِصْر ـ فولدت له «إسماعيل» ـ عليه السلام ـ، فغارت من ذلك «سارة» ـ عليها السلام ـ، فوجدت فى نفسها، فحلفت أن تقطع من «هاجر» ثلاثة أشراف.

فقال لها «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ: هل لك أن تبرى يمينك؟ فقالت: كيف أصنع؟ قال: اثقبى أذنيها واخفضيها، والخفض: هو الختان، ففعلت ذلك بها، فوضعت «هاجر» ـ عليها السلام ـ فى أذنيها قرطين، فازدادت بهما حسنًا، فقالت

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٤٢).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦١).

«سارة» - عليها السلام -: أرانى إنما زدتها جمالا، فلما تقارّه على كونه معها، ووجد «إبراهيم» - عليه السلام - وجدًا شديدًا فنقلها إلى مكة، وكان يزورها.. اهـ[(١)].

* وقال الطبرى (ت ٣١٠هـ) فى تفسيره: حدثنا الحسن بن محمد قال: حدثنى يحيى بن عباد قال: حدثنا حمّاد بن سلمة عن عطاء بن السائب الثقفى (ت ١٣٦هـ) عن سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: جاء نبىّ الله «إبراهيم» - عليه السلام بإسماعيل وأمّه هاجر، فوضعهما بمكة فى موضع «زمزم».

فلما مضى - أى: «إبراهيم» - نادته «هاجر»: يا إبراهيم - ثلاث مرّات - من أمرك أن تضعنى بأرض ليس فيها ضَرْع ولا زرع، ولا أنيس، ولا زاد ولا ماء؟ قال: ربِّى أمرنى، قالت: فإنه لن يضيّعنا.

فلمّا ظمئ «إسماعيل» جعل يَدْحَضُ الأرضَ بعقبه، فذهبت «هاجر» حتّى علت «الصَّفا» والوادى يومئذ عميق، فصعدت «الصفا» فأشرفت لتنظر هل ترى شيئًا. فلم تر شيئًا، فانحدرت فبلغت الوادى، فسعت فيه حتى خرجت منه، فأتت «المروة» فصعدت فأشرفت هل ترى شيئًا، فلم تر شيئًا، ففعلت ذلك سبع مرات.

ثم جاءت من «المروة» إلى «إسماعيل» وهو يَدْحَضُ الأرض بعقبه، وقد نبعت العين وهى «زمزم» فجعلت «هاجر» تفحص الأرض بيدها عن الماء، فكلما اجتمع ماء أخذته بقدحها، وأفرغته فى سقائها، قال - أى ابن عباس -: فقال النبى ﷺ: «يرحمها الله لو تركتْها لكانت عينًا سائحة تجرى إلى يوم القيامة».

قال - أى ابن عباس -: وكانت (جُرْهُم) يومئذ بواد قريب من مكّة قال: ولزمت الطيرُ الوادى حين رأت الماء فلمّا رأت (جُرْهم) الطيرَ لزمت الوادى قالوا: ما لزمته إلا وفيه ماء، فجاءوا إلى «هاجر» فقالوا: إنْ شئت كنّا معك وآنسناك والماء ماؤك، قالت: نعم، فكانوا معها حتّى شبَّ «إسماعيل» وماتَت «هاجر» - عليها السلام -.

فتزوّج «إسماعيل» امرأة منهم - أى من جُرْهم -.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦٠).

قال ـ أى ابن عباس ـ: فاستأذن «إبراهيم ـ عليه السلام ـ «سارة» أن يأتى «هاجر» فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل. فقدم «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ، وقد ماتت «هاجر».

فذهب إلى بيت «إسماعيل» فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ليس ههنا ذهب يتصيّد، وكان «إسماعيل» يخرج من حرم مكة يتصيّد ثم يرجع، فقال «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ: هل عندك ضيافة، هل عندك طعام أو شراب؟ قالت: ليس عندى، وما عندى أحد، فقال «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ: إذا جاء زوجك فأقرئيه منّى السلام وقولى له: فليغيّر عتبة بابه.

وذهب «إبراهيم» وجاء «إسماعيل» ـ عليهما السلام ـ، فوجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ فقالت: جاءنى شيخ كذا وكذا، كالمستخفّة بشأنه، قال: فماذا قال لك؟ قالت: قال لى: أقرئى زوجك السلام وقولى له: فليغير عتبة بابه، فطلقّها، وتزوّج أخرى، فلبث «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن «سارة» أن يزور «إسماعيل» ـ عليه السلام ـ، فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، فجاء «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ حتى انتهى إلى باب «إسماعيل» فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب يصيد، وهو يجىء الآن إن شاء الله، فانزل يرحمك الله، قال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، قال: هل عندك خبز، أو برّ، أو تمر، أو شعير؟ قالت: لا، فجاءت باللّبن واللحم، فدعا لهما بالبركة، فقالت له: انزل حتّى أغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءت بالمقام ـ وهو ما يقوم عليه الإنسان ـ فوضعته عن شقّه الأيمن، فوضع قدمه عليه، فغسلت شقّ رأسه الأيمن، ثم حوّلت المقام إلى شقّه الأيسر، فغسلت شقه الأيسر، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولى له: قد استقامت عتبة بابك.

فلمّا جاء «إسماعيل» ـ عليه السلام ـ وجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ فقالت: نعم، شيخ أحسن الناس وجهًا، وأطيبهم ريحًا، فقال لى كذا وكذا، وقلتُ له كذا وكذا، وغسلت رأسه. قال: وما قال لك؟ قالت: قال لى: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له: قد استقامت عتبة بابك، قال: ذاك أبى «إبراهيم».. اهـ[1].

---

(١) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣).

* وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ قال: أَمِلْ قلوبهم إلى هذا الموضع.. اهـ[١].

* ﴿ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾: فاستجاب الله دعاءه.

* وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ لأهل المدينة: «اللهم بارك لهم فى صاعهم ومدّهم، واجعل أفئدة الناس تهوى إليهم» اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً ﴾ [رقم: ٣٧].

قرأ هشام بخُلْف عنه: ﴿ أفئيدة ﴾ بهمزة ممدودة للمبالغة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ أفئدة ﴾ بعدم مدّ الهمزة، وهو الوجه الثانى لهشام وهما لهجتان[٣].

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ﴾: هذا من كلام «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ.

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) ومقاتل بن حيّان (ت ١١٠هـ): معنى ذلك: قال «إبراهيم» هذا من الوجْد بإسماعيل وأمّه حيث أسكنهما بواد غير ذى زرع.. اهـ[٤].

* ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ هذا من بقية كلام «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ.

---

(١) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٨).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦٢).
(٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٥٨).
(٤) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٨).

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ ﴾ أى: أعطانى على كبر السنّ:

* ﴿ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما): وُلد إسماعيل لإبراهيم - عليهما السلام، وإبراهيم ابن تسع وتسعين سنة. وولد إسحاق، وهو ابن مائة واثنتى عشرة سنة.. اهـ(١).

* وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): بُشِّر إبراهيم بإسحاق وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة.. اهـ(٢).

* ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ ﴾ أى: اجعلنى ممن يقيم الصلاة ويؤديها بشروطها وأركانها ويحافظ عليها.

* ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ أى: واجعل من ذريّتى من يقيمون الصلاة.

* ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ أى: عملى وعبادتى، وقد سمّى الدعاء عبادة: جاء فى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ: «الدعاء مخّ العبادة»(٣).

وقيل: معنى ذلك: اللهمّ استجب دعائى.

* ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ قال ذلك قبل أن يتبين له كفر أبيه، فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرّأ منه.

* ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ أى: يوم القيامة.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) ﴾

(١، ٢) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٨).

(٣) أخرج الحديث الترمذى فى الجامع الصحيح كتاب الدعاء (٤٩).

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾: الغفلة: شيء يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور. والآية الشريفة الهدف منها تسلية المظلوم، وتهديد الظلمة، لعلهم يقلعون عن ظلمهم ويتوبون إلى الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾، أي: لا تغمض من هول ما ترى فى ذلك اليوم.

* وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): شخصت فى ذلك اليوم والله أبصارهم فلا ترتدّ إليهم.. اهـ[١].

* ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ - فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): المراد بالإهطاع هنا: النظر من غير أن تطرف أعينهم.. اهـ[٢].

٢ - وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): معنى ذلك: أنهم مديموا النظر، أى: لا يلتفتون يمينًا ولا شمالا، ولا يعرفون مواطن أقدامهم.. اهـ[٣].

* ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ - فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): معنى ذلك: رافعى رءوسهم.. اهـ[٤].

٢ - وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد.. اهـ[٥].

٣ - وقال القتبى: المقنع الذى يرفع رأسه، ويقبل ببصره على ما بين يديه.. اهـ[٦].

* ﴿ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾، أى: لا ترجع إليهم أبصارهم من شدّة النظر، وهى شاخصة قد شغلهم ما بين أيديهم.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦٣).

(٣) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٩).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦٣).

(٥، ٦) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٩).

* وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: شاخصة أبصارهم.. اهـ(١).

* ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

١ ـ فقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ): معنى ذلك: خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت فى حناجرهم، لا تخرج من أفواههم، ولا تعود إلى مكانها، فأفئدتهم هواء لا شىء فيها، ومنه سمّى ما بين السماء والأرض هواء.. اهـ(٢).

٢ ـ وقال سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): وأفئدتهم هواء أى: متردِّدة تمور فى أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه.. اهـ(٣).

﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ﴾:

المعنى:

يقول الله ـ تعالى ـ إلى نبيه وحبيبه وصفوته من خلقه نبينا «محمد» ﷺ: يا«محمد» أنذر الناس أى خوفهم بيوم يأتيهم العذاب وهو يوم القيامة.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ﴾ قال: أنذرهم فى الدنيا من قبل أن يأتيهم العذاب فى يوم القيامة..اهـ(٤).

* ﴿ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾، أى: يقول الذين كفروا فى ذلك اليوم: وهو يوم القيامة، يقولون:

* ﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾: سألوه الرجوع إلى الدنيا حين ظهر لهم الحقّ فى الآخرة.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦٣).

(٢، ٣) انظر: تفسير البغوى (٣/ ٣٩).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦٤).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ قال: المراد مدّة من الدنيا يعملون فيها.. اهـ ـ أى: يعملون بطاعة الله ـ[1].

* ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾: إلى الإسلام وتوحيدك، فيجابون ويقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾ أى: حلفتم فى دار الدنيا بما سيأتى، وهو قولهم كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

* ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾: قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: ما لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة، أى: لا تبعثون، ولا تحشرون.. اهـ ـ هذا من كلام الظلمة ـ[2].

* وقيل: معنى ذلك: ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾: من العذاب.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ قال: عمّا أنتم فيه إلى ما تقولون.. اهـ[3].

* وذكر البيهقى أحمد بن الحسين بن علىّ (ت ٤٥٨هـ) عن محمد بن كعب بن مسلم (ت ١١٧هـ، وقيل ١٢٠هـ) قال: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله فى أربعة، فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدًا:

* الأولى: يقولون: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر: ١١].

فيجيبهم الله بقوله: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٢].

* والثانية: يقولون: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٤٨).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦٤).

فيجيبهم الله بقوله: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾ [السجدة: ١٤].

* والثالثة: يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

فيجيبهم الله بقوله: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

* والرابعة: يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧].

فيجيبهم الله بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

* والخامسة: يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧)﴾ [المؤمنون: ١٠٦ ـ ١٠٧].

فيجيبهم الله بقوله: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. فلا يتكلمون بعدها أبدًا.. اهـ(١).

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦)﴾

❀ معاني المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ قال: سكن الناس في مساكن قوم نوح، وعاد، وثمود، وقرون بين ذلك كثيرة ممن هلك من الأمم.. اهـ(٢).

* وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالي ٧٠هـ) معنى ذلك: سكن الناس في قرى مدين، والحجر، والقرى التي عذب الله أهلها وتبيّن لهم كيف فعل الله بهم، وضرب لهم الأمثال.. اهـ(٣).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ قال: ضرب الله لهم الأشباه.. اهـ(٤).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٤٧٤).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ قال: معنى ذلك: مكروا مكرهم بالشرك بالله، وتكذيب الرسل والمعاندة.. اهـ(١).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾، قال: ذلك حين دَعَوْا لله ولدًا.. اهـ(٢).

ويشهد لصحة هذا قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢)﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٢].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ قالا: معنى ذلك: ما كان مكرهم لِتزولَ منه الجبال.. اهـ(٣).

وأقول: ذلك على أنّ «إنْ» نافية بمعنى «ما».

•• فائدة لغوية جليلة لها صلة وثيقة بالتفسير:

قال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): «إنْ» بمعنى «مَا» النافية فى القرآن فى خمسة مواضع وهنّ:

* الأول: هذا الموضع: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [رقم: ٤٦].

* والثانى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤].

* والثالث: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧)﴾ [الأنبياء: ١٧].

* والرابع: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ [الزخرف: ٨١].

* والخامس: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦](٤).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (٩/ ٢٤٩).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٧٦).

(٣، ٤) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٤٧٧).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [رقم: ٤٦].

قرأ الكسائى: ﴿لَتزولُ﴾ بفتح اللام الأولى، ورفع الثانية، على أنَّ «إنْ» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، أى: «وإنه» واللام الأولى هى الفارقة بين «إنْ» المخففة، والنافية، والفعل مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، و«منه» متعلق بـ «لَتزولُ» و«الجبالُ» فاعل، وجملة «لَتزولُ منه الجبال» فى محلّ نصب خبر «كان» والجملة من «كان» واسمها وخبرها فى محلّ رفع خبر «إنْ» المخفّفة من الثقيلة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿لِتزولَ﴾ بكسر اللام الأولى، ونصب الثانية، على أنّ «إنْ» نافية بمعنى «ما» واللام لام الجحود، والفعل منصوب بعدها بـ «أنْ» مضمرة.

يقال: زال الشىء يزول زوالا: فارق طريقه جانحًا عنه، والزوال يقال فى شىء كان ثابتًا قبلُ[1].

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧)﴾

معانى المفردات:

* ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾، أى: بالنصر لأوليائه، وهلاك أعدائه، والكلام فيه تقديم وتأخير، والتقدير: فلا تحسبن الله مخلف رسلَه وعدَه.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ أى: من أعدائه.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨)﴾

معانى المفردات:

* أخرج البزّار، وابن المنذر، والطبرانى، وابن مردويه، والبيهقى فى البعث، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ فى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ قال: «أرض بيضاء كأنها فضّة، لم يسفك فيها دم حرام، ولم تعمل فيها خطيئة» اهـ[2].

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠١).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦٧).

* وأخرج أحمد، ومسلم، والترمذى، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن حبّان، وابن مردويه، والحاكم، عن «عائشة» أم المؤمنين (ت ٥٨هـ - رضى الله عنها) قالت: أنا أوّل الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية:

* ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ ﴾ قلت: أين الناس يومئذ؟ قال: «على الصراط».. اهـ[1].

* وأخرج البيهقي في البعث عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) فى قوله - تعالى -: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ قال: يزاد فيها، وينقص منها، وتذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشجرها وما فيها، وتمدّ مدّ الأديم العكاظىّ، أرض بيضاء مثل الفضة، لم يسفك فيها دم، ولم تعمل عليها خطيئة، والسموات تذهب شمسها، وقمرها ونجومها[2].

﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى - ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴾ قال: فى القيود والأغلال.. اهـ[3].

* وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ): المعنى: فى السلاسل.. اهـ[4].

* ومعنى ﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ أى: مشدود بعضهم إلى بعض، أى: يقرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة.

وقيل: معناه: مقرونة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد والقيود.

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ)، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ سَرَابِيلُهُم ﴾ قالا: قمصهم.. اهـ. - جمع قميص -[5].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦٧).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦٨).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٦٩).

* وعن عكرمة مولى ابن عباس (١٠٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ قال: هذا القطران يُطلى به حتى يشتعل نارًا.. اهـ[١].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: القطران هو قطران الإبل.. اهـ[٢].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ قال: تلفحهم فتحرقهم.. اهـ[٣].

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

* ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: لأنه قد أحاط بكل شىء علمًا، ولا يعزب عنه منه شىء.

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ قال: هو القرآن الكريم.. اهـ[٤].

* ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، أى: ليستدلّوا بهذه الآيات المذكورة فى القرآن على وحدانية الله ـ تعالى ـ.

* ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، أى: ليتعظ أصحاب العقول السليمة.

● ● ●

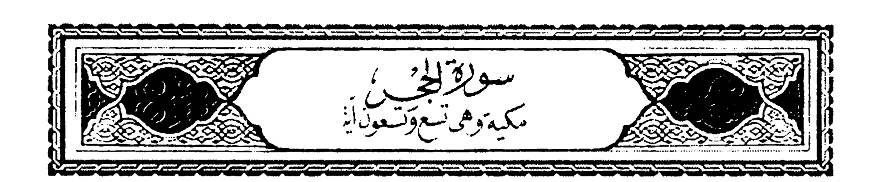
تمّ ولله الحمد والشكر تفسير سورة إبراهيم ـ عليه السلام ـ

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة الحِجر]

● ● ●

(١ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧٠).



* أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنه) قال: نزلت سورة الحجر بمكة.. اهـ(١).

* وأخرج النحاس فى ناسخه، وابن مردويه عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: نزلت سورة الحجر بمكة.. اهـ(٢).

﴿ الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ① ﴾

معانى المفردات:



* ﴿ الٓر ﴾:

* قال الشعبىّ عامر بن شراحيل (ت ١٠٥هـ): ﴿ الٓمٓ ﴾ وسائر حروف الهجاء من أوائل السور: من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه، وهى سرّ القرآن، فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله ـ تعالى ـ. وفائدة ذكرها: طلب الإيمان بها.. اهـ(٣).

* وقال أبو بكر الصدِّيق (ت ١٣هـ ـ رضى الله عنه): فى كلّ كتاب سرّ، وسرّ الله فى القرآن أوائل السور.. اهـ(٤).

* ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴾: اختلف المفسرون فى المراد من الكتاب:

١ ـ فقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): الكتاب اسم جنس يشمل جميع الكتب التى أنزلها الله ـ تعالى ـ قبلَ القرآن.. اهـ(٥).

٢ ـ وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) المراد بالكتاب التوراة والإنجيل(٦).

٣ ـ وقيل المراد بالكتاب: القرآن، وجُمِع له بين الاسمين(٧).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧١).
(٣، ٤) انظر: تفسير البغوى (١/ ٤٤).
(٥، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧١).
(٧) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٣).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾: قال: القرآن مبين هُداه، ورُشده، وخَبره.. اهـ(١).

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾

* المعنى:

* ورد فى معنى هذه الآية الكريمة عدد من الأحاديث الصحيحة أذكر منها ما يلى طلبًا للاختصار:

أولا: أخرج الطبرانى فى الأوسط، وابن مردويه بسند صحيح عن جابر بن عبد الله (ت ٧٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ ناسًا من أمّتى يعذبون بذنوبهم فيكونون فى النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يُعيِّرهم أهل الشرك فيقولون: ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم نفعكم. فلا يبقى موحِّد إلا أخرجه الله من النار، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾» اهـ(٢).

ثانيًا: أخرج ابن أبى عاصم فى السنة، وابن جرير، وابن أبى حاتم، والطبرانىّ، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقىّ فى البعث والنشور، عن أبى موسى الأشعرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتمع أهل النار فى النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم الإسلام، وقد صرتم معنا فى النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها. فسمع الله ما قالوا، فأمر بكلّ من كان فى النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك من بقى من الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾» اهـ(٣).

ثالثًا: أخرج إسحاق بن راهويه، وابن حبّان، وابن مردويه، عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ أنه سُئِل: هل سمعتَ من رسول الله ﷺ فى هذه الآية شيئًا

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧١).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧٢).

﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾؟ قال: نعم سمعتُه يقول: «يُخْرِج الله أناسًا من المؤمنين من النار بعد ما يأخذ نقمته منهم لمّا أدخلهم الله النار مع المشركين، قال لهم المشركون: ألستم كنتم تزعمون أنكم أولياء الله فى الدنيا، فما بالكم معنا فى النار؟ فإذا سمع الله ذلك منهم أذن فى الشفاعة لهم، فيشفع الملائكة، والنبيون، والمؤمنون، حتى يخرجوا بإذن الله، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم؟ فذلك قول الله: ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾، قال: فيسمّون فى الجنة الجهنميّون من أجل سواد فى وجوههم، فيقولون: يا رب أذهب عنّا هذا الاسم، فيأمرهم فيغتسلون فى نَهْر الجنّة فيذهب ذلك الاسم عنهم» اهـ(١).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [رقم: ٢].

قرأ نافع، وعاصم، وأبو جعفر: ﴿ رُبَمَا ﴾ بتخفيف الباء الموحّدة.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بتشديد الباء، وهما لهجتان(٢).

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾

المعنى:

* عن عبد الرحمن بن زيد بن مسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾ الآية، قال: هؤلاء الكفرة.. اهـ(٣).

* وعن أبى مالك فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ذَرْهُمْ ﴾ قال: خلِّ عنهم.. اهـ(٤).

* وأخرج ابن أبى الدنيا فى ذمّ «الأمل» وابن مردويه، عن أنس بن مالك (ت٩٣هـ ـ رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال: «مُثِّل الإنسان، والأمَل، والأجل، فمُثِّل الأجل إلى جانبه، والأمل أمامه، فبينما هو يطلب الأمل إذ أتاه الأجل فاختلجه» اهـ(٥).

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧٢ ـ ١٧٣).

(٢) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٠٢).

(٣ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧٤).

* وأخرج ابن مردويه، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ - رضى الله عنه) أنّ النبى ﷺ خطّ خطوطًا، وخطَّ خطًّا منها ناحية، فقال: «أتدرون ما هذا؟ هذا مثل ابن آدم، وذاك الخط الأمل، فبينما هو يؤمّل إذْ جاءه الموت» اهـ(١).

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۝ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ قال: أجل معلوم.. اهـ(٢).

* وأقول معنى ذلك: أى: أجل مؤقت لهم فى اللوح المحفوظ.

* وعن الزهرى محمد بن أسلم (ت ١٢٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ قال: أرى أنه إذا حضر أجله فإنه لا يؤخر ساعة ولا يقدّم.

وأمّا ما لم يحضر أجله فإن الله يؤخر ما شاء ويقدّم ما شاء.. اهـ(٣).

* وعن الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ قال: هو القرآن الكريم.. اهـ(٤).

* ﴿وَقَالُوا﴾: القائل هم كفار قريش، قالوا ذلك لنبينا «محمد» ﷺ على وجه الاستهزاء منهم.

ثم طلبوا من النبى ﷺ أن يأتيهم بالملائكة دلالة على صدقه. وهذا معنى قوله - تعالى -: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. و ﴿لَوْ مَا﴾ حرف تحضيض على الفعل مثل: لولا، وهلا.

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧٤).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧٥).

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ ⑧﴾

❀ معاني المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾، قال: أي بالرسالة والعذاب.. اهـ[١].

* وعن السدّي إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ قال: لو تنزلت الملائكة بإهلاكهم ما كانوا حينئذ بمنظرين من أن لا يُعذَّبوا.. اهـ[٢].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [رقم: ٨].

قرأ شعبة: ﴿ما تُنزَّل﴾ بضم التاء، وفتح النون والزاي المشددة على البناء للمفعول، و﴿الملائكةُ﴾ بالرفع نائب فاعل.

وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف البزَّار: ﴿ما نُنزِّل﴾ بنونين الأولى مضمومة، والثانية مفتوحة، وكسر الزّاي مشددة، مبنيّا للفاعل، و﴿الملائكةَ﴾ بالنصب مفعول به.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ما تَنزَّل﴾ بفتح التاء والنون، والزاي المشدّدة، مبنيّا للفاعل، و﴿الملائكةُ﴾ بالرفع فاعل.

وأصل ﴿تنزَّل﴾: «تتنزَّل» فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا[٣].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑨ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ ⑩ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ⑪ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ⑫ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ⑬﴾

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٤٩٣)، وتفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٧٥).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٧٥).

(٣) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٠٦).

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، قال: معنى ذلك: أن الله أنزل القرآن وحفظه من إبليس فلا يستطيع أن يزيد فيه ولا ينقص منه حرفًا.. اهـ(١).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ﴾ قال: أى: أمم الأولين.. اهـ(٢).

* وعن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ ـ رضى الله عنه) والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ قالا: الشرك يسلكه الله فى قلوب المشركين.. اهـ(٣).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ قال: المجرمون إذا كذبوا سلك الله فى قلوبهم أن لا يؤمنوا به.. اهـ(٤).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ قال: وقائع الله فيمن خلا من الأمم.. اهـ(٥).

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (١٥)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ قال: يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: لو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلّت الملائكة تعرج فيه ذاهبين وجائين لقال أهل الشرك: إنما أُخِذت أبصارنا وشُبِّه علينا وسُحِرنا.. اهـ(٦).

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) وعبد الملك ابن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ قالوا: أى سدّت أبصارنا.. اهـ(٧).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧٥). (٣ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧٦).

* ﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ أي: سحرنا «محمد» فأثّر فينا السحر.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ﴾ [رقم: ١٥].

قرأ ابن كثير: ﴿ سُكِرت ﴾ بتخفيف الكاف، أي: حُبست أبصارنا بحيث لا تدرك الأشياء على حقيقتها.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ سُكِّرت ﴾ بتشديد الكاف، أي: غشِّيت وغُطِّيت[1].

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٧) ﴾

معاني المفردات:

* عن مجاهد بن جبر المفسّر (١٠٤هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) وأبي صالح مولى أمّ هانئ (ت ٢٢١هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾ قالوا: كواكب.. اهـ[2].

* وقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) أي: جعلنا في السماء بروج الشمس والقمر، أي: منازلهما.. اهـ[3].

* وقال القرطبيّ (ت ٦٧١هـ) في تفسيره: وأسماء البروج هي: الحَمَل، والثَّوْر، والجَوْزاء، والسَّرطان، والأسَد، والسُّنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجَدْي، والدَّلْو، والحوت.. اهـ[4].

* ﴿ وَزَيَّنَّاهَا ﴾ أي: السماء، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ [المُلك: ٥].

* ﴿ لِلنَّاظِرِينَ ﴾: المعتبرين والمتفكرين.

* ﴿ وَحَفِظْنَاهَا ﴾ الضمير عائد على «السماء».

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٧٧).

(٣، ٤) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٨).

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ قال: الرجيم: الملعون.. اهـ[١].

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

❀ معاني المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) والحسن البصري (ت ١١٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ قالا:

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حفظ السماء من الشياطين أن تسمع شيئًا من الوحي وغيره، إلا من استرق السمع فإنا لم نحفظها منهم أن تسمع الخبر من أخبار السماء سوى الوحي، فإنها لا تسمع منه شيئًا لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٢]. وإذا استمع الشيطان إلى شيء ليس بوحي فإنه يقذفه إلى الكهنة في أسرع من طرفة عين، ثم تتبعه الشهب فتحرقه أو تخبّله.. اهـ[٢].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضي الله عنهما) قال: تصعد الشياطين أفواجًا تسترق السمع فينفر المارد منها فيعلو، فيُرْمى بالشهاب فيصيب جبهته أو أنفه، أو ما شاء الله فيلتهب، فيأتي أصحابه وهو يلتهب فيقول: إنه كان من الأمر كذا وكذا، فيذهب أولئك إلى إخوانهم من الكهنة فيزيدون عليها تسعًا، فيحدِّثون بها أهل الأرض، الكلمة حقّ والتّسْع باطلة، فإذا رأوا ـ أي من في الأرض من الكهنة ـ شيئًا مما قالوا قد كان صدَّقوهم بكلّ ما جاءوا به من كذبهم.. اهـ[٣].

* وسمِّي الكوكب شهابًا لبريقه.

* وعن الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ قال: هو كقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات: ١٠].

وقال الضحاك: كان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يقول: إنّ الشّهب لا تقتل، ولكن تحرق، وتخبِّل، وتجرح من غير أن تقتل.. اهـ[٤].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٧٧).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٩).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٧٧).

﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ﴾ قال: بسطناها على وجه الماء، كما قال فى آية أخرى: ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) ﴾ [النازعات: ٣٠]، ـ أى بسطها ـ.. اهـ[1].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ قال: رواسيها جبالها، لئلا تتحرك بأهلها.. اهـ[2].

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [النحل: ١٥].

* ﴿ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ أى: مقدّر معلوم، قاله:

١ ـ ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما).

٢ ـ وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)[3].

* ولعلّ الحكمة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَّوْزُونٍ ﴾ لأن الوزن يعرف به مقدار الشىء.

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾: للعلماء فى ذلك قولان:

الأول: المراد بالمعايش: التصرّف فى أسباب الرزق مدّة الحياة. قال الماوردىّ على بن محمد بن حبيب البصرى (ت ٤٥٠هـ): ولعلّ هذا هو الظاهر.. اهـ[4].

والضمير فيها يعود على «الأرض» المتقدم ذكرها فى الآية السابقة.

والثانى: المراد بالمعايش: المطاعم والمشارب يعيش بها بنو الإنسان.. اهـ[5].

والمعايش: واحدها «معيشة».

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٠).

(٤، ٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١١).

* ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾:

١ - قال مجاهد بن جبر المفسّر (ت ١٠٤هـ) المراد بذلك: الدوابّ والأنعام.. اهـ(١).

٢ - وعن مجاهد أيضًا قال: هم: «الأولاد» الذين قال الله فيهم: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء: ٣١].

وحينئذ يكون المعنى: يقول الله - عزّ وجل -: وجعلنا في الأرض معايش نرزقكم منها، ونرزق أيضًا: الدواب، والأنعام، والأولاد، ويشهد لصحة هذا المعنى قوله - تعالى -: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) ﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾:

✵ **المعنى:** يخبر الله - عز وجلّ - وخبره دائمًا متمحّض للصدق فيقول: وإن من شيء من أرزاق الخلق، ومنافعهم إلا عندنا خزائنه، ومن ذلك: المطر المنزل من السماء، لأن به نبات الأرض.

* قال أبو هريرة (ت ٥٩هـ - رضي الله عنه) في قوله - تعالى -: ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ قال: ما نزل قطر إلا بميزان.. اهـ(٢).

* وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «ليس أحدٌ بأكسب من أحد، ولا عامٌ بأمطر من عام، ولكنّ الله يصرّفه حيث يشاء» اهـ(٣).

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما) قال: ما من عام بأمطر من عام، ولكنّ الله يصرّفه حيث يشاء، ثم قرأ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾» اهـ(٤).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ١١).

(٢ : ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٧٨).

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾: للعلماء فى تأويل ذلك أقوال:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): معنى ذلك: أن الرياح تلقح الشجر، وتمرى السحاب.. اهـ[١].

ثانيًا: وقال الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) مثل قول ابن عباس[٢].

ثالثًا: وقال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): معنى ذلك: إنّ الرياح يبعثها الله على السحاب فتلقحه فيمتلئ ماء.. اهـ[٣].

* وقال أبو بكر بن عيّاش (ت ١٩٣هـ): لا تقطر قطرة من السحاب إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيها:

١ ـ فالصَّبا تهيِّجه. ٢ ـ والدَّبور تلقحه.

٣ ـ والجنوب تدرّه. ٤ ـ والشمال تفرّقه.. اهـ[٤].

* ﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ أى: أنزلنا من السحاب ماء: وكل ما علاك فأظلّك يسمَّى سماء.

* ﴿ فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾، أى: جعلنا ذلك المطر لسقياكم، ولشراب مواشيكم، ولسقى مزارعكم، ولغير ذلك.

* ﴿ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾: يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ليست خزائن المطر عندكم، بلْ نحن الخازنون لهذا الماء، ننزّله إذا شئنا، ونمسكه إذا شئنا.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ (٢٠) ﴾ [المؤمنون: ١٨ ـ ٢٠].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧٩)، يقال: مرى الريحُ السحابَ: أى أنزلت منه المطر، انظر: المعجم الوسيط مادة «مرى» ص٨٦٦.

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧٩). (٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٢).

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ [رقم: ٢٢].

قرأ حمزة، وخلف البزّار: ﴿ الريح ﴾ بالإفراد، والمراد بها الجنس وهو يشمل القليل والكثير.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ الرياح ﴾ بالجمع، لاختلافها: جنوبًا، وشمالا، وصبا ودبورًا(١).

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

المعنى:

يخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأن الأرض ومن عليها الذى أحياها الله ـ عزّ وجل ـ، والذى يميتها هو الله الواحد القهار، وهو الذى يرث الأرض ومن عليها.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [مريم: ٤٠].

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

سبب نزول هذه الآية:

* أخرج الطيالسىّ، وسعيد بن منصور، وأحمد، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن خزيمة، وابن حبّان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: كانت امرأة تصلّى خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن النساء، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون فى الصفّ الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون فى الصفّ المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه، فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾.. اهـ(٢).

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦١).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٤)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٠).

✵ المعنى:

ورد فى معنى هذه الآية الكثير من الأقوال أذكر أرجحها فيما يلى:

أولا: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): المستقدمين: الصفوف المتقدمة، والمستأخرين: الصفوف المتأخرة.. اهـ(١).

* وقد ورد فى فضل الصفوف المتقدمة الكثير من الأحاديث الصحيحة منها:

١ ـ أخرج ابن أبى شيبة، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجه عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «خير صفوف الرجال أوَّلها، وشرّ صفوف الرجال آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرّ صفوف النساء أوّلها» اهـ(٢).

٢ ـ وأخرج ابن أبى شيبة، وأحمد، والدارمى، وابن ماجه، وابن خزيمة، والحاكم، عن البراء بن عازب (ت ٦٢هـ ـ رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلّون على الصفِّ الأول»، وفى لفظ: «على الصفوف الأول» اهـ(٣).

ثانيًا: عن عطاء بن أبى رباح (ت ١١٥هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ ﴾ الآية، قال: فى صفوف الصلاة، والقتال.. اهـ(٤).

ثالثًا: عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ ﴾ الآية، قال: المتقدمون فى طاعة الله، والمستأخرون فى معصية الله.. اهـ(٥).

رابعًا: عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) فى الآية قال: المستقدمون: من مات، والمستأخرون: من بقى.. اهـ(٦).

خامسًا: عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى الآية قال: المستقدمون: مَنْ مضى من الأمم، والمستأخرون: أمّة نبينا «محمد» ﷺ.. اهـ(٧).

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٠).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨١).

(٥، ٦) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨١).

(٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٢).

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

✳ المعنى:

* عن عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) والسدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ قالا: يحشر المستقدمين، والمستأخرين.. اهـ[١].

* أى: يحشرهم جميعًا للحساب والجزاء، والعقاب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ ﴾: هو «آدم» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ مِن صَلْصَالٍ ﴾: للمفسرين فى معنى «صلصال» أقوال:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) الصلصال: هو التراب اليابس الذى يبلّ بعد يبسه.. اهـ[٢].

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): الصلصال: هو التراب اليابس الذى تسمع له صلصلة.. اهـ[٣].

٣ ـ وقال ابن عباس أيضًا: الصلصال: الطين تعصره بيدك فيخرج الماء من بين أصابعك.. اهـ[٤].

٤ ـ الصلصال: هو الذى إذا نقرته يصوت كما يصوِّت الحديد: وكان أوّلا ترابًا: أى متفرّق الأجزاء، ثم بُلّ فصار طينًا، ثم ترك حتى أنتن فصار حمأ مسنونًا أى متغيرًا، ثم يبس فصار صلصالا.

* ﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أى: من طين رطب منتن.. اهـ[٥].

(١ : ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٢).

* يقال: «أسن الماء»: إذا تغيّر، قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ـ أى: لم يتغيّر ـ.

وقال تعالى ـ: ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ [محمد: ١٥] ـ أى: غير متغيّر ـ.

* وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) قال: خلق الله آدم من أديم الأرض، فألقى على الأرض حتى صار طينًا لازبًا: وهو الطين الملتزق، ثم ترك حتى صار حمأ مسنونًا: وهو المنتن، ثم خلقه الله بيده فكان أربعين يومًا مصوّرًا، حتى يبس فصار صلصالا كالفخار إذا ضُرِب عليه صلصل.. اهـ[(١)].

* وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ فى العظمة، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: خلق الله الإنسان من ثلاث:

١ ـ من طين لازب، وهو اللازم الجيّد.

٢ ـ وصلصال، وهو المرقق الذى يصنع منه الفخّار.

٣ ـ وحمأ مسنون، وهو الطين فيه الحَمْأة.. اهـ[(٢)].

* والحمْأة: الطين الأسود.

تقول: حمئت البئر حَمْأ: إذا نزعت حَمْأتها.

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ): الحَمْأة بسكون الميم، مثل الكمْأة، والجمع «حَمْأ» مثل: تَمْرة وتمْر، والحَمَأة بفتح الميم المصدر، مثل: الهلَع، والجزع.. اهـ[(٣)].

﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) ﴾

معانى المفردات:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ ﴾ قالا: هو إبليس خلقه الله قبل «آدم» ـ عليه السلام ـ.. اهـ[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٣). (٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٦).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٧)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٣).

* وقد سمِّي إبليس جانًا لتواريه عن الأعين.

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما) في قوله - تعالى -: ﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ قال: السموم: الحارّة التي تقتل.. اهـ[١].

* وأخرج الطيالسي، والفريابي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الإيمان، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضي الله عنه) قال: ﴿السَّمُومِ﴾ التي خلق الله منها الجانّ جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، ثم قرأ: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾.. اهـ[٢].

* وأخرج ابن مردويه، عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ - رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «رؤيا المؤمن جزء من سبعين جزءًا من النبوّة، وهذه النار جزء من سبعين جزءًا من نار السموم التي خُلِق منها الجانّ» وتلا هذه الآية: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾» اهـ[٣].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩)﴾

❀ معاني المفردات:

* ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا﴾: هو «آدم» - عليه السلام -.

* ﴿مِّن صَلْصَالٍ﴾:

* قال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضي الله عنهما) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): الصلصال: طين إذا ضربته سمعت له صلصلة.. اهـ[٤].

* ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾:

* قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: من طين رطب منتن.. اهـ[٥].

* ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أي: سويتُ خلقه وصورته.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٨٣).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٨٤).

(٤، ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٨٢).

* ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾: النفخ: إجراء الريح فى الشىء.

والرُّوح: جسم لطيف، أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة فى البدن مع ذلك الجسم.

فالروح: خلق من خلق الله، أضافه إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١].

* ﴿ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ أى: خرّوا له ساجدين، وهو سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة، ولله ـ تعالى ـ أن يفضّل من يريد، قال ـ تعالى ـ: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾: تأكيدان إلى لفظ الملائكة، وذلك لتحقق سجود الملائكة إلى «آدم» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾: والذى منعه من السجود: الاستكبار والاستعظام، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴾ [البقرة: ٣٤].

* وقد اختلف العلماء فى هذا الاستثناء:

١ ـ فقيل: هو استثناء متصل لأن إبليس كان من الملائكة.

٢ ـ وقيل: هو استثناء منقطع لأن إبليس لم يكن من الملائكة[1].

* ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ ﴾، أى: ما منعك؟ * ﴿ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾.

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٨).

* ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾: هذا من الأدلة على تكبّر إبليس، وأنه خير من «آدم» ـ عليه السلام ـ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) ﴾ [الأعراف: ١١ ـ ١٢].

﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا ﴾: فى ذلك قولان:

١ ـ أى من السموات. ٢ ـ أو من الجنّة[1].

* ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾، فى ذلك قولان أيضًا:

١ ـ أى: مرجوم بالشهب. ٢ ـ أو ملعون ومطرود من رحمة الله[2].

* ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ أى: عليك لعنة الله.

واللعن: هو الطرد من رحمة الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) ﴾ [ص: ٧٣ ـ ٧٨].

* ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) أراد الله ـ عزّ وجلّ ـ بالوقت المعلوم: النفخة الأولى، أى: حين تموت الخلائق.. اهـ[3].

(١ : ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٩).

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ ﴾ أى: إبليس ـ عليه لعنة الله ـ.

* ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: أىّ: لأضلنّهم عن طريق الهدى، وهذا من كلام إبليس ـ لعنة الله عليه ـ.

* عن أبى سعيد الخدرىّ ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ إبليس قال يا ربِّ وعزّتك وجلالك لا أزال أغوى بنى آدم ما دامت أرواحهم فى أجسادهم، فقال الربُّ: وعزّتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى» اهـ[1].

قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) ﴾ [الحجر: ٤٢].

* قال ـ تعالى ـ: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾:

* فقال عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ ـ رضى الله عنه): معنى ذلك: هذا صراط يستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة.. اهـ[2].

* وعن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ قال: هذا صراط إلىّ مستقيم.. اهـ[3].

ومعنى ﴿ مُسْتَقِيمٌ ﴾: المستقيم بالبيان والبرهان.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [رقم: ٤٠].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب: ﴿ المخلِصين ﴾ بكسر اللام، اسم فاعل من «أخلص».

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٩).

(٢، ٣) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٠).

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ المخلَصين ﴾ بفتح اللام اسم مفعول[١].

* ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [رقم: ٤١].

قرأ يعقوب: ﴿ عَلِيٌّ ﴾ بكسر اللام، وضمّ الياء منوّنة، من علوّ الشرف.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ عَلَيَّ ﴾ بفتح اللام، والياء من غير تنوين، أيْ مَنْ مَرّ عليه مرّ عَلَيّ.

المعنى: إنه أي المشار إليه بهذا طريق يؤدِّى إلىّ، أىْ علىَّ رعايته كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾ [الروم: ٤٧][٢].

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) ﴾

معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ قال: هؤلاء الذين قضى الله لهم بالجنّة.. اهـ[٣].

* وقال ابن عيينة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾: قال معنى ذلك: فى أن تلقيهم فى ذنب يمنعهم عفوى، ويضيقه عليهم ـ والخطاب لإبليس عليه لعنة الله ـ.. اهـ[٤].

* وعباد الله: هم الذين هداهم الله، واجتباهم، واختارهم، واصطفاهم.

* ﴿ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ أى: الضالين المشركين.

وسلطان إبليس على هؤلاء، دليله قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) ﴾ [النحل: ٩٩ ـ ١٠٠].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦١).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٥).

(٤) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٠).

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أى: موعد إبليس ومَنْ تبعه.

* ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾:

* عن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) وابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) والأعمش سليمان بن مهران (ت ١٤٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ قالوا هى:

١ - جهنّم. ٢ - والسعير. ٣ - ولظى. ٤ - والحطمة.

٥ - وسقر. ٦ - والجحيم. ٧ - والهاوية، وهى أسفلها.. اهـ[١].

* وعن علىّ بن أبى طالب (ت ٤٠هـ - رضى الله عنه) قال: أبواب جهنم سبعة، بعضها فوق بعض، فتملأ الأوّل، ثم الثانى، ثم الثالث حتّى تملأ كلها.. اهـ[٢].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾، قال: هى والله منازل بأعمالهم.. اهـ[٣].

* وأخرج ابن أبى حاتم، عن الضحاك بن مزاحم (١٠٥هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾، قال:

١ - باب لليهود. ٢ - وباب للنصارى. ٣ - وباب للصابئين.

٤ - وباب للمجوس. ٥ - وباب للذين أشركوا، وهم كفّار العرب.

٦ - وباب للمنافقين. ٧ - وباب لأهل التوحيد، فأهل التوحيد يُرْجَى لهم ولا يُرْجى للآخرين أبدًا.. اهـ[٤].

* وأخرج الترمذى، والحاكم وصحّحه، وابن ماجه، وابن مردويه، والبيهقى فى الدلائل، عن عبد الله بن سَلام - رضى الله عنه - قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة،

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٥ - ١٨٦).

(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٥).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٦).

انجفل الناس إليه، فجئته لأنظر في وجهه، فلمّا رأيتُ وجهه عرفتُ أنّ وجهه ليس بوجه كذّاب، فكان أوّل شيء سمعتُ منه أن قال: «يا أيها الناس، أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وصِلُوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» اهـ[1].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [رقم: ٤٤].

قرأ شعبة: ﴿ جُزُء ﴾ بضم الزاى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ جُزْء ﴾ بإسكان الزاى، وهما لهجتان.

وقرأ أبو جعفر بحذف الهمزة، وتشديد الزاى: ﴿ جُزٌّ ﴾.

ويوقف عليها لحمزة، وهشام بخلف عنه، بالنقل مع السكون المجرّد من الرَوم والإشمام، وبالروم، وبالإشمام[2].

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ (٤٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾: هم الذين اتقوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، واتقوا الشرك بالله ـ تعالى ـ، واتقوا الظلم وكل ما حرّمه الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ فِي جَنَّاتٍ ﴾، أى: بساتين.

* ﴿ وَعُيُونٍ ﴾ وهى الأنهار الأربعة، التى ذكرها الله فى قوله: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [محمد: ١٥].

* ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ﴾ فى ذلك قولان:

١ ـ أى: بسلامة من كل داء وآفة. ٢ ـ وقيل: بتحية من الله ـ تعالى ـ لهم.

* ﴿ آمِنِينَ ﴾ أى: من الموت، والعذاب، والزوال.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٧).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٢٦٢).

* وقال الضحّاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ): آمنون الموت فلا يموتون ولا يكبرون، ولا يسقمون، ولا يعرون، ولا يجوعون.. اهـ[(١)].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿وَعُيُونٍ﴾ [رقم: ٤٥].

قرأ ابن كثير، وابن ذكوان، وشعبة، وحمزة، والكسائي بكسر العين.

وقرأ الباقون بضمها، وهما لهجتان[(٢)].

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧)﴾

معاني المفردات:

* أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ قال: حدّثنا أبو المتوكّل الناجى، عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ: أنّ رسول الله ﷺ قال: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتّى إذا هُذِّبوا ونقوا أُذِن لهم فى دخول الجنة، فوالذى نفسى بيده لأحدهم أهدى لمنزله فى الجنة من منزله الذى كان فى الدنيا» اهـ[(٣)].

* وأخرج ابن أبى حاتم، عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) قال: بلغنى أنّ رسول الله ﷺ قال: «يُحْبَس أهل الجنة بعد ما يجوزون الصراط، حتى يؤخذ لبعضهم من بعض ظلاماتهم فى الدنيا، ويدخلون الجنة وليس فى قلوب بعضهم على بعض غلّ» اهـ[(٤)].

* ﴿إِخْوَانًا﴾ نصب على الحال من المتقين.

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾: قال: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض تواصلا وتحابًا.. اهـ[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٧).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦٢).

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٨).

(٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٣).

﴿ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ (٥٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ أى: إعياء وتعب.

* وقال السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ): أى: مشقة وأذى.. اهـ(١).

* ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا ﴾ أى: من الجنّة. * ﴿ بِمُخْرَجِينَ ﴾ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥) ﴾ [الرعد: ٣٥].

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ قال: بلغنا أن نبىّ الله ﷺ قال: «لو يعلم العبد قَدْر عفو الله لما تورّع من حرام، ولو يعلم قَدْر عذابه لجمع نفسه» اهـ(٢).

* وأخرج البخارى، ومسلم، والبيهقى فى الأسماء والصفات، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ ـ رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة، وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر كلّ الذى عند الله من رحمته لم ييأس من الرحمة، ولو يعلم المؤمن كلّ الذى عند الله من العذاب لم يأمَنْ مِنَ النار» اهـ(٣).

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٥٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾: ضيف إبراهيم ـ عليه السلام ـ: الملائكة الذين بشّروه بالولد، وبهلاك قوم لوط.

* وسمّى الضيف ضيفًا لإضافته إليك ونزوله عليك.

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٨٩).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٠).

* ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ أى: على إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ فَقَالُوا سَلامًا ﴾ أى: سلّموا سلامًا.

* ﴿ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ أى: فزعون خائفون.

وإنما قال لهم هذا بعد أن قرّب إليهم العجل ورآهم لا يأكلون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [الذاريات: ٢٦ ـ ٢٨].

* ﴿ قَالُوا لا تَوْجَلْ ﴾ أى: لا تخف. * ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾ أى: حليم. قاله مقاتل بن حيّان (ت ١١٠ هـ).. اهـ[١].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾ [رقم: ٥٣].

قرأ حمزة: ﴿ نَبْشُرُكَ ﴾ بفتح النون، وإسكان الباء، وضم الشين مخففة مضارع «أبشر» الرباعى.

وقرأ الباقون: ﴿ نُبَشِّرُكَ ﴾ بضم النون، وفتح الباء، وكسر الشين مشدّدة، مضارع «بشّر» مضعف العين[٢].

﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ ﴾، «أَنْ» مصدرية، وحينئذ يكون المعنى: قال أبشّرتمونى على مسّ الكبر إيّاى وزوجتى.

* ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾، قال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ): عجب من كبره وكبر امرأته.. اهـ[٣].

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٤).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦٣).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩١).

وحينئذ يكون الاستفهام استفهامَ تعجب وليس استفهامًا حقيقيًا.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [رقم: ٥٤].

قرأ نافع: ﴿ تبشرونِ ﴾ بكسر النون مخففة، والأصل «تبشرونني» النون الأولى للرفع، والثانية للوقاية، ثم حذفت نون الوقاية بعد نقل كسرتها إلى نون الرفع، ثم حذفت الياء حملا على نظائرها في رءوس الآي، ولدلالة الكسرة التي قبلها عليها.

وقرأ ابن كثير: ﴿ تبشرونّ ﴾ بكسر النون مشدّدة مع المدّ المشبع، والأصل «تبشرونني» فأدغمت نون الرفع في نون الوقاية، ثم حذفت ياء الإضافة لدلالة الكسرة عليها.

وقرأ الباقون: ﴿ نبشرونَ ﴾ بنون مفتوحة مخففة، على أنّ الأصل «تبشرون» فالنون هي نون الرفع[1].

﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ (٥٦) ﴾

معاني المفردات:

* ﴿ قَالُوا ﴾ أي: الملائكة. * ﴿ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾، أي: بما لا خُلْف فيه، وأن الولد لا بدّ منه، وذلك لأنهم يتكلمون عن علم من الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴾، أي: الآيسين من الولد.

وكان سبب قنوطه كبر سنّه، وكبر زوجه مع عقمها.

* ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾: أي: المكذبون الذاهبون عن طريق الصواب. ونبيّ الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ ما كان من القانطين، ولكنّه استبعد الولد لكبر سنه وعقم زوجه.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ ﴾ [رقم: ٥٦].

---

(١) انظر: المغني في توجيه القراءات العشر (٢/ ٣١٢).

قرأ أبو عمرو، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿ومن يقنط﴾ بكسر النون، وهى لهجة أهل الحجاز، وأسد.

وقرأ الباقون بفتح النون، لهجة باقى العرب(١).

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾:

✷ المعنى:

لما علم نبىّ الله «إبراهيم» ـ عليه السلام ـ أنهم ملائكة، لأنهم أخبروه بأمر خارق للعادة: وهو بشراه بالولد قال: فما خطبكم أيها المرسلون: أى فما أمركم وما شأنكم، وما الذى جئتم به؟.

والخطب: الأمر الخطير، فأجابوه بقولهم:

* ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾، أى: أرسلنا الله ـ تعالى ـ إلى قوم مجرمين وهم قوم لوط لنهلكهم.

* ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ أى: أتباعه، وأهل دينه.

* ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، أى: فلن يكونوا ضمن المهلكين.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ [رقم: ٥٩].

قرأ حمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف البزّار: ﴿لمنْجُوهم﴾ بإسكان النون، وتخفيف الجيم، مضارع «أنجى».

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿لمنَجُّوهم﴾ بفتح النون، وتشديد الجيم، مضارع «نجّى» مضعّف العين(٢).

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣١٣).

(٢) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦٤).

﴿ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ إِلاَّ امْرَأَتَهُ ﴾ أى: امرأة «لوط» ـ عليه السلام ـ.

* ﴿ قَدَّرْنَا ﴾ أى: قضينا.

* ﴿ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ أى: الباقين فى العذاب.

استثنى من آل لوط امرأته وكانت كافرة فالتحقت بالمجرمين فى الهلاك، وذلك لأن الاستثناء من النفى إثبات، ومن الإثبات نفى.

•• فائدة لغوية جليلة ومهمة:

قرر علماء اللغة قاعدة مضمونها: أن الاستثناء من النفى إثبات، ومن الإثبات نفى.

ونظرًا لأهمية هذه القاعدة سأوضّحها بالأمثلة:

١ ـ فإذا قال رجل: «فلان له علىَّ عشرة دراهم إلا أربعة إلا درهمًا» ثبت الإقرار بسبعة دراهم، لأن الدرهم مستثنى من الأربعة، وهو مثبت لأنه مستثنى من نفى، وكانت الأربعة منفيّة لأنها مستثناة من موجب وهو العشرة فعاد الدرهم إلى الستة فصارت سبعة.

٢ ـ وإذا قال رجل: «فلان له علىّ عشرة إلا تسعة إلا ثمانية، إلا سبعة» كان الاستثناء الثانى راجعًا إلى ما قبله، والثالث إلى الثانى فيكون عليه درهمان، لأن العشرة إثبات، والثمانية إثبات فيكون مجموعها ثمانية عشر.

والتسعة نفى، والسبعة نفى، فتكون ستّة عشر، لتسقط من ثمانية عشر، يبقى درهمان.

* وهكذا الحكم فى الطلاق: فإذا قال رجل لزوجته: أنت طالق ثلاثًا إلا واحدة، طلقت اثنتين: لأن الواحدة رجعت إلى المستثنى منه وهو الثلاث. وهكذا الحكم فى كل ما جاء من هذا الأسلوب، فتفهّمه واحرص عليه.

▣ القراءات وتوجيهها:

* ﴿ قَدَّرْنَا ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [الحجر: ٦٠].

* و﴿ قَدَّرْنَاهَا ﴾ من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (٥٧) ﴾ [النمل: ٥٧].

قرأ شعبة: ﴿ قدرنا ﴾ و ﴿ قدرناها ﴾ بتخفيف الدال فيهما.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بتشديد الدال فيهما. والتخفيف والتشديد لهجتان بمعنى[1].

قال الزجاج إبراهيم بن السّرى (ت ٣١١هـ): معنى ذلك: علمنا أنها لمن الغابرين، أي الباقين في العذاب[2].

﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٦٢) ﴾

✻ المعنى:

يقول الله ـ تعالى ـ: فلمّا أتى رسلُ الله «لوطًا» أنكرهم «لوط» ولم يعرفهم، وقال لهم: ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ أى: ننكركم ولا نعرفكم.

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ ﴾ [رقم: ٦١].

قرأ قالون، والبزّى، وأبو عمرو بإسقاط الهمزة الأولى مع القصر والمدّ.

وقرأ الأصبهانىّ، وأبو جعفر بتسهيل الهمزة الثانية.

وقرأ الأزرق بوجهين:

الأول: تسهيل الهمزة الثانية مع القصر والتوسط والمدّ فى البدل.

والثانى: إبدال الهمزة الثانية حرف مدّ محضًا مع القصر والمدّ، ويمتنع التوسط على الإبدال.

وقرأ قنبل بثلاثة أوجه:

الأول: إسقاط الهمزة الأولى مع القصر والمدّ. والثانى: تسهيل الهمزة الثانية.

والثالث: إبدالها حرف مدّ محضًا مع القصر والإشباع.

---

(١) انظر: المغنى فى توجيه القراءات العشر (٢/ ٣١٤ ـ ٣١٥).

(٢) انظر: لسان العرب مادة «قدر» (٥/ ٧٥).

وقرأ رويس بوجهين:

الأوّل: إسقاط الهمزة الأولى مع القصر والمدّ. والثانى: تسهيل الهمزة الثانية.

وقرأ الباقون من القراء العشرة بتحقيق الهمزتين[1].

﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) ﴾

معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ أى: يشكون فى أن العذاب نازل بهم.. اهـ[2].

* ﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾: فى إهلاكهم بأمر الله ـ تعالى ـ.

* ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾:

المعنى: أمر الرسلُ «لوطًا» ـ عليه السلام ـ بأن يسرى بأهله ببقية من الليل.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾ قال: أمر الرسلُ «لوطًا» بأن يكون خلف أهله يتّبع أدبارهم، أى: فى آخرهم إذا مشوا.. اهـ[3].

* ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾، أى: لا يلتفت أحدٌ منكم وراءه، ولا يعرِّج.

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾، قال: لا ينظر أحد وراءه.. اهـ[4].

* وعن السدّى إسماعيل بن عبد الرحمن (ت ١٢٧هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ قال: أمره الله أن يخرجهم إلى الشام.. اهـ[5].

القراءات وتوجيهها:

* ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ [رقم: ٦٥].

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦٤).

(٢، ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩١).

(٤) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٥٢٥).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩١).

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: ﴿ فاسر ﴾ بهمز وصل، من «سرى» الثلاثى.

وقرأ الباقون من القراء العشرة: ﴿ فأسر ﴾ بهمزة قطع، من «أسرى» الرباعى(١).

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ ﴾ قال: أى: أوحينا إلى «لوط»(٢).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾، قال: استئصالهم وهلاكهم سيكون عند طلوع الصبح.. اهـ(٣).

﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ (٦٩) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾، قال: استبشروا بأضياف نبىّ الله «لوط» ـ عليه السلام ـ حين نزلوا لما أرادوا أن يأتوا إليهم من المنكر.. اهـ(٤).

* ﴿ قَالَ ﴾: نبىّ الله «لوط» ـ عليه السلام ـ:

* ﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ ﴾، أى: تخجلون.

* ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ ﴾:

١ ـ يجوز أن يكون من «الخِزْى» وهو الذلّ والهوان.

٢ ـ ويجوز أن يكون من «الخَزَاية» وهو الحياء والخجل.

---

(١) انظر: المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها (١/ ٣٦٥).

(٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٥٢٥)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩١).

(٣، ٤) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٥٢٥)، وتفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٢).

﴿ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ قال: قالوا له: أولم ننهك عن أن تضيف أحدًا لأنا نريد منهم الفاحشة.. اهـ(١).

﴿ قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) ﴾

❀ معانى المفردات:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ قال: طلب «لوط» - عليه السلام - منهم أن يتزوجوا النساء، وأراد بذلك أن يَقِىَ أضيافه ببناته.. اهـ(٢).

* وأخرج ابن مردويه، عن أبى هريرة (ت ٥٩هـ - رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: «ما حلف الله بحياة أحد إلا بحياة «محمد» ﷺ قال: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾» أى: وحياتك يا«محمد».. اهـ(٣).

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) قال: ما خلق الله، وما ذرأ، وما برأ نفسًا أكرم عليه من نبينا «محمد» ﷺ، وما سمعتُ اللهَ أقسم بحياة أحد غيره، قال: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ يقول: وحياتك يا «محمد» وعمرك، وبقائك فى الدنيا: ﴿ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.. اهـ(٤).

* وقال القاضى عياض: أجمع أهل التفسير فى هذا أنه قسم من الله - جلّ جلاله - بمدّة حياة نبينا «محمد» ﷺ.. اهـ(٥).

* وقال القاضى أبو بكر بن العربىّ: قال المفسرون بأجمعهم: أقسم الله - تعالى - هاهنا بحياة نبينا «محمد» ﷺ تشريفًا له، أن قومه من قريش فى سكرتهم يعمهون، وفى حيرتهم يتردّدون.. اهـ(٦).

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٢٧).
(٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٥٢٦).
(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٧٠).
(٤، ٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ١٩٢).
(٦) انظر: تفسير الطبرى (١٠/ ٢٧).

* وأصل «عمرك» بضم العين من «العُمر» ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه: وبقاؤك يا «محمد» وقيل: وحياتك.

* وعن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال: أى فى ضلالتهم يلعبون.. اهـ[١].

* وعن الأعمش سليمان بن مهران (ت ١٤٨هـ) أنه سئل عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال: لفى غفلتهم يترددون[٢].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾

✳ المعنى:

* عن ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز (ت ١٥٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ قال: الصيحة مثل الصاعقة، فكل شىء أُهْلك به قوم فهو صاعقة وصيحة.

وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿مُشْرِقِينَ﴾ قال: حين أشرقت الشمس.. اهـ[٣].

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾، أى: جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ عالى أرضهم سافلها.

* وفى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ قال عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) أى: من طين.. اهـ[٤].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ قال: علامات، أما ترى الرجل يرسل بخاتمه إلى أهله فيقول: هاتوا كذا وكذا، فإذا رأوا الخاتم عرفوا أنه حق.. اهـ[٥].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٢).

(٤) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٥٢٧).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٢).

* ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: للمفسرين فى تأويل ذلك أقوال:

١ - فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) معنى ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: للناظرين.. اهـ(١).

٢ - وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) معنى ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: للمعتبرين(٢).

٣ - وقال مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ): المتوسمون: هم المتفرسون(٣).

* وأخرج البخارى فى تاريخه، والترمذى، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن السنّى، وأبو نعيم معًا فى الطبّ، وابن مردويه، عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾»، قال: المتفرّسين.. اهـ(٤).

* وأخرج ابن جرير، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «احذروا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله، وينطق بتوفيق الله»(٥).

* وأخرج الحكيم الترمذى، والبزّار، وابن السنّى، وأبو نعيم، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ - رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسّم» اهـ(٦).

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)﴾

❀ معانى المفردات:

* عن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾، قال: لبطريق واضح.. اهـ(٧).

* ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، المعنى: يقول الله - عزّ وجلّ -: إن فى صنيعنا بقوم «لوط» ما صنعناه بهم لعلامة ودلالة بينة لمن آمن بالله على انتقامه من أهل الكفر، وإنقاذه من عذابه أهل الإيمان به.

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٢).

(٤ : ٧) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٣).

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) ﴾

معانى المفردات:

* أخرج ابن مردويه، وابن عساكر، عن ابن عمر (٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ مدين، وأصحاب الأيكة أمّتان بعث الله إليهما شعيبًا» اهـ[1].

* أقول: ويشهد لصحة هذا قوله ـ تعالى ـ:

١ ـ ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [هود: ٨٤].

٢ ـ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ [الشعراء: ١٧٦ ـ ١٧٧].

* وقد اختلف المفسرون فى المراد من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الْأَيْكَةِ ﴾:

١ ـ فقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : الأيكة: ذات آجام وشجر كانوا فيها.. اهـ[2].

٢ ـ وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): الأيكة: الشجر الملتف.. اهـ[3].

٣ ـ وقال ابن عباس فى رواية أخرى: الأيكة: مجمع الشجر.. اهـ[4].

* أقول: كلها متقاربة فى المعنى.

* وعن قتادة بن دعامة فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾ قال: ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة، وكان عامّة شجرهم هذا الدوم، وكان رسولهم فيما بلغنا «شعيب» أرسل إليهم وإلى أهل مدين.. اهـ[5].

﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ أى: من ظلمة أصحاب الأيكة.

* ﴿ وَإِنَّهُمَا ﴾: الضمير يعود على مدينة أصحاب الأيكة، ومدينة قوم «لوط».

* ﴿ لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾: اختلف المفسرون فى تأويل ذلك:

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٣).

(٣، ٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٤).

(٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤).

١ - فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ - رضى الله عنهما) وقتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): معنى ذلك: طَريق واضح[١].

٢ - وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) معنى ذلك: بطريق معلم[٢].

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

✻ المعنى:

* عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) قال: أصحاب الحجر: ديار ثمود، وهم قوم «صالح» - عليه السلام -.. اهـ[٣].

* روى البخارى عن ابن عمر (ت ٧٣هـ - رضى الله عنهما) أن رسول الله ﷺ لما نزل «الحجر» فى غزوة تبوك أمرهم ألا يشربوا من بئرها، ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عجنّا واستقينا، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يُهْرقوا ما استقوا، ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التى تَرِدُها الناقة.. اهـ[٤].

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسير قوله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾، قال: هو «صالح» وحده، ولكن من كذّب نبيًا فقد كذّب الأنبياء كلهم، لأنهم على دين واحد فى الأصول فلا يجوز التفريق بينهم.

وقيل: كذّبوا «صالحًا» ومن تبعه، ومن تقدّمه من النبيين أيضًا.. اهـ[٥].

﴿ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا ﴾: الضمير فى ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ ﴾ يعود على قوم «صالح».

* قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) فى تفسير قوله - تعالى -: ﴿ آيَاتِنَا ﴾ قال: المراد: الناقة، وكان فيها آيات جمّة: خروجها من الصخرة، وعظمها حتى لم تشبهها ناقة، ودنوّ نتاجها عند خروجها، وكثرة لبنها حتى تكفيهم جميعًا.. اهـ[٦].

(١ : ٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٤).

(٤، ٥) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٣١).

(٦) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٣٥).

* ﴿ فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾، أى: لم يعتبروا.

* ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾، أى: خشية أن تسقط عليهم.

* ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾، أى: وقت الصبح.

* ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾: من الأموال، والحصون فى الجبال.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٦) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾: أى: ليجازى الله ـ تعالى ـ المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته.

يرشد إلى ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) ﴾ [النجم: ٣١].

* ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴾، أى: لكائنة لا محالة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧) ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

* وعن علىّ بن أبى طالب (ت.٤٠ هـ ـ رضى الله عنه) وابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ قالا: هو الرضا بغير عتاب.. اهـ(١).

* ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾: بأهل الإيمان، وأهل الكفر والنفاق، بل العليم بجميع الكائنات وما هو كائن، وما سيكون.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) ﴾

معانى المفردات:

* ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٥).

✻ **المعنى:** يخبر الله ـ تعالى ـ بأنه أنزل على نبيه وحبيبه وصفوته من خلقه سورة من القرآن سبع آيات وهى سورة الفاتحة، ولها عدد من الأسماء منها: «أم الكتاب» وسُمِّيت بالسبع المثانى: لأنها تثنّى أى تكرّر فى كل ركعة من الصلوات: سواء فى الفرائض، أو النوافل، وهذه بعض الأقوال الواردة فيما ذكرته:

أولا: عن على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ ـ رضى الله عنه) وعبد الله بن مسعود (٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾ قالا: هى فاتحة الكتاب.. اهـ(١).

ثانيًا: عن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) وسعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) قالا: السبع المثانى: فاتحة الكتاب. قيل: فأين الآية السابعة؟ قالا: بسم الله الرحمن الرحيم.. اهـ(٢).

ثالثًا: عن قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ) وأبى صالح مولى أمِّ هانئ (ت ٢٢١هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾ قالا: هى فاتحة الكتاب تثنّى فى كل ركعة مكتوبة وتطوّع(٣).

رابعًا: عن ابن مسعود (ت ٣٢هـ ـ رضى الله عنه) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ قال: هو سائر القرآن ـ أى عدا فاتحة الكتاب ـ(٤).

﴿ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ ﴾:

✻ **المعنى:** يقول الله الحكيم الحميد إلى نبيه وحبيبه وخيرته من خلقه نبينا «محمد» ﷺ: لا تتمنّينّ يا «محمد» ما جعلنا من زينة هذه الدنيا الفانية متاعًا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، فإنّ من ورائهم عذابًا شديدًا.

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٥).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٦).

(٤) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٥).

* وعن ابن عيينة أنه كان يتأوّل هذه الآية قولَ النبيّ ﷺ: «ليس منّا من لم يتغنَّ بالقرآن» أي: من لم يستغن به[(١)].

* وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية، قال: نهى اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ الرجلَ أن يتمنّى مال صاحبه.. اهـ[(٢)].

* وأخرج ابن المنذر، عن سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ) قال: مَنْ أُعْطِى القرآن فمدّ عينيه إلى شىء من متاع الدنيا فقد صغّر القرآن، ألم تسمع قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ إلخ[(٣)].

* ﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾، أى: امتثالا فى النِّعم، لأن الأغنياء بعضهم أمثال بعض فى الغنى فهم أزواج.

* ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، أى: ولا تحزن على المشركين إن لم يؤمنوا. والخطاب موجّه إلى نبينا «محمد» ﷺ.

* ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: أى: ألن جانبك «يا نبىّ الله» لمن آمن بك. والجناحان من «ابن آدم» جانباه، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢].

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠)﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾:

✳ **المعنى:** يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى نبيه وحبيبه نبينا «محمد» ﷺ: قُلْ يا«محمد» للمشركين: إنى أنا النذير الذى قد أبان إنذاره لكم ما أعدّه الله ـ تعالى ـ من العذاب الأليم إلى كل من لم يؤمن به ويوحدّه، ويؤمن بى وبما جئتُ به.

* ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾: اختلف المفسرين فى المراد من ذلك:

١ ـ فقال ابن عباس (ت ٦٨هـ ـ رضى الله عنهما): هم اليهود والنصارى آمنوا ببعض القرآن، وكفروا ببعض.. اهـ[(٤)].

(١، ٢) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٥٤٢).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٨).

(٤) انظر: تفسير الطبرى (٧/ ٥٤٣).

٢ - وقال قتادة بن دعامة (ت ١١٨هـ): هم قوم من كفار قريش اقتسموا كتاب الله فجعلوا بعضه شعرًا، وبعضه أساطير الأولين[١].

﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾: هذه صفة المقتسمين.

* قال الكسائى على بن حمزة النحوىّ (ت ١٨٠هـ): العضة: الكذب والبهتان، وجمعها «عضُون» مثل: «عِزَة وعِزُون» قال - تعالى -: ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾، أى: آمنوا بما أحبّوه منه وكفروا بالباقى، فأحبط كفرُهم إيمانَهم.. اهـ[٢].

* وعن مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) فى قوله - تعالى -: ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ قال: هم رهط من قريش عضهوا كتاب الله: فزعم بعضهم أنه سحر، وزعم بعضهم أنه كهانة، وزعم بعضهم أنه أساطير الأوّلين.. اهـ[٣].

* وأخرج الترمذى، وابن جرير، وأبو يَعْلَى، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، عن أنس بن مالك (ت ٩٣هـ - رضى الله عنه) عن النبى ﷺ فى قوله - تعالى -: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ قال: يسأل العباد كلهم يوم القيامة عن خلتين:

١ - عما كانوا يعبدون. ٢ - وعما أجابوا به المرسلين.. اهـ[٤].

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) ﴾

❀ معانى المفردات:

* أخرج ابن جرير، عن أبى عبيدة أن عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ - رضى الله عنه) قال: ما زال النبىّ ﷺ مستخفيًا حتى نزل ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ فخرج هو وأصحابه.. اهـ[٥].

---

(١) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٣٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبى (١٠/ ٤٠).

(٣) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٨).

(٤، ٥) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٩).

* وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت حوالى ١٧٠هـ) فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ قال: أى بالقرآن الذى أوحى إليه أن يبلّغهم إيّاه[١].

* ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ أى: عن الاهتمام باستهزائهم فقد برأك الله ـ تعالى ـ عمّا كانوا يقولون.

* وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو نعيم، عن قتادة ومقسم مولى ابن عباس فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ قال هم:

١ ـ الوليد بن المغيرة. ٢ ـ والعاص بن وائل. ٣ ـ وعدىّ بن قيس.
٤ ـ والأسود بن عبد يغوث. ٥ ـ والأسود بن المطلب:

مرّوا رجلا رجلا على رسول الله ﷺ ومعه «جبريل» ـ عليه السلام ـ فإذا مرّ به رجل منهم قال له «جبريل»: كيف يا «محمد» هذا؟ فيقول: بئس عبد الله، فيقول جبريل: كفيناكه:

١ ـ فأمّا الوليد: فتردّى فتعلق سهم بردائه فذهب يجلس فقطع أكحله فنزف حتّى مات.
٢ ـ وأمّا العاص بن وائل: فوطئ على شوكة فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك.
٣ ـ وأمّا عدىّ بن قيس: فلدغته حيّة فمات.
٤ ـ وأمّا الأسود بن عبد يغوث: فأُتى بغصن فيه شوك، فَضُرِب به وجهُه فسالت حدقتاه على وجهه فمات.
٥ ـ وأمّا الأسود بن المطلب: فقام من الليل وهو ظمآن ليشرب من جرّة، فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات.. اهـ[٢].

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾

❀ معانى المفردات:

* ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾:

---

(١) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ١٩٩).
(٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطى (٤/ ٢٠٢).

✲ **المعنى:** هذا وعيد من الله ـ تعالى ـ وتهديد للمستهزئين بالنبيِّ ﷺ الجاعلين مع الله شريكًا في العبادة، فسوف يعلمون ما سيلقون من العذاب عند مصيرهم إليه يوم القيامة.

* ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾: المعنى: يقول الله ـ تعالى ـ لنبيه وصفوته من خلقه نبينا «محمد» ﷺ: ولقد نعلم يا «محمد» أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك: من تكذيبهم إيَّاك واستهزائهم بك، وبما جئتَ به فاصبر فإن العاقبة للمتقين.

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾

❀ معاني المفردات:

* عن عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ ـ رضى الله عنهما) ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) والحسن البصري (ت ١١٠هـ) في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ قالوا: اليقين: الموت.. اهـ[1].

* وأخرج ابن مردويه، والديلمي، عن أبي الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما أوحى إليّ أن أكون تاجرًا، ولا أجمع المال متكاثرًا، ولكنْ أوحى إليّ أنْ سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» اهـ[2].

●●●

تمّ ولله الحمد والشكر تفسير سورة الحجر

ويليها بإذن الله ـ تعالى ـ

[تفسير سورة النحل]

●●●

(١، ٢) انظر: تفسير الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٠٣).

فهرس المحتويات